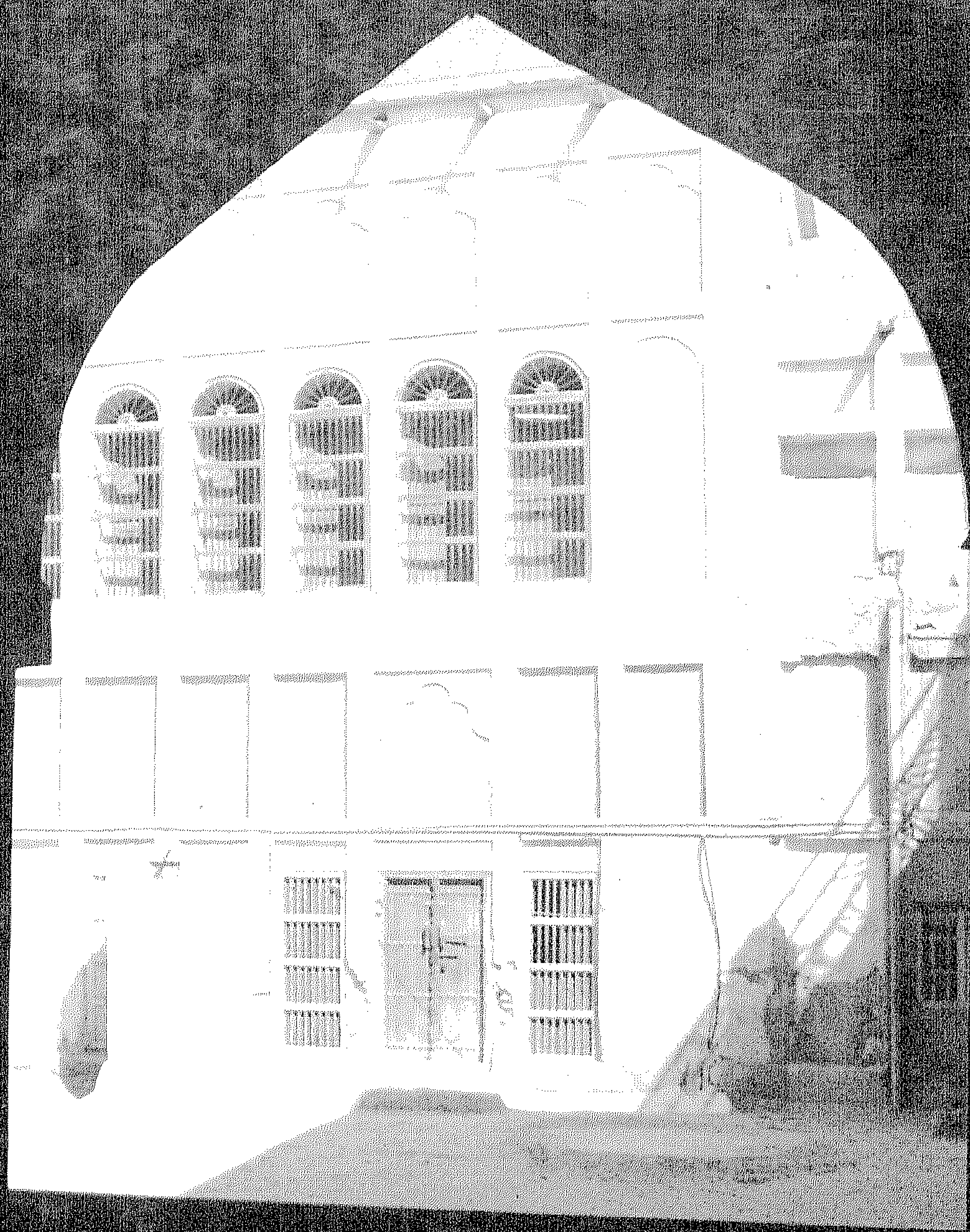
# المحرّق

١٧٨٣
١٩٧١

## عمران مدينة خليجية



لطائف العمران في دراسة المكان

طارق والي - الكتاب الأوّل



مطبوعات
بانوراما الخليج

# لطائف العمران في دراسة المكان

الكتاب الأول

## عمران مدينة خليجية

# المحرق

**1783 - 1971**

طارق والي

**لطائف العمران في دراسة المكان**
عمران مدينة خليجية
المحــرق
رقم الايداع في المكتبة العامة 873 د.ع/ 1990
الطبعـة الأولى 1990
البحـــرين

مطبوعات بانوراما الخليج

# لطائف العمران في دراسة المكان

إذا أراد إنسان أن يرى المجتمع العربي والإسلامي ، ويتعرف على عاداته وتقاليده .. خرافاته وابداعياته .. فينبغي أن يقرأ ما كتبه الرحالون وليس المؤرخين ، لأن هؤلاء في الغالب (المؤرخين) يكتبون كتابات لا حياة فيها غالبا ما تقتصر على وصف معركة أو إنتصار أو ثورة . وليكن هذا الكتاب رحلة في عمران واحدة من هذه المجتمعات العربية في الخليج ، نسطر بها ومن خلالها تاريخ هذا المجتمع .. فهو قراءة تاريخ المجتمع خلال عمرانه ، أو فهم عمران المجتمع خلال تاريخه .. هو عمران مدينة خليجية ـ المحرق .

**طارق والي**

# وللناشر كلمة

نادرة وقليلة هى الكتب التي تطبع وتنشر في وطننا العربى وتستحق بجدارة ان تتخذ لها موقفا متميزا في المكتبة العربية .

وكتاب المحرق/ عمران مدينة خليجية لهو من هذه الكتب القليلة النادرة والذى سوف يصبح مصدرا ومرجعا مهما، ويحتل موقعه المتميز في المكتبة العربية .

ويتطرق هذا الكتاب، والذى هو الوحيد من نوعه في دراسة استغرقت قرابة عشر سنوات الى تحليل تكون بنية مدينة المحرق، التي تعد من آخر المدن العربية الاسلامية التي نشأت في القرن الثامن عشر.

ويعتبر هذا الكتاب رحلة في عمران واحدة من هذه المجتمعات العربية في الخليج والذي يعيد المؤلف ومن خلالها قراءة تاريخ هذا المجتمع . . وقراءة تاريخ المجتمع من خلال عمرانه، أو فهم عمران المجتمع من خلال تاريخه وهو يهدف الى دراسة عمران مدينة خليجية - المحرق.

ويحاول المؤلف من خلال مائتى صفحة واربعة ابواب، وصور ورسومات توضيحية وخرائط نادرة أن يؤكد على ضرورة الاهتمام بالظاهرة العمرانية للأنسان، ويعتبرها ظاهرة حضارية تفسر ظروف وتطور العمران . . وتؤسس القواعد والمبادىء التي يجب الاعتماد عليها فيما يمكن أن نسميه بعلم العمران الذى وضع أول أسسه العالم العربي المعروف ابن خلدون.

كما يسعى هذا الكتاب وبجهد علمى، ومنظور ثقافي واسع أن يتناول تكون هذه المدينة من ناحية التاريخ والسياسة والانتاج، أي أن يسترجع ويستكنه الجغرافيا والبيئة والاستيطان . . كما يستقصى الجوانب الفنية بتشعباتها من عمارة ونحت ونقش وزخرفة وجص ومادة بناء . . ونمط حياة .

ويسعى المؤلف أن يوضح لنا ان لقاء الانسان في المكان مع الزمان سيشكل لنا حضارة الانسان في التحدى، والعلاقة التراجيدية التي عاشها انسان الخليج في علاقة بين الصحراء والماء، والتي هى علاقة اشبه ما تكون بالموت والفناء عندما يتوجه نحو الصحراء، وعلاقة حياة ومعرفة عندما يتوجه نحو الخليج . .

ويجمع طرفى الدراما هذا كما يعتقد الكاتب خيط رفيع هو ذلك المجهول الذى يكمن فيما وراء الصحراء والخليج . . وما يتطلبه هذا المجهول من خوف واستسلام، أو مغامرة وشجاعة وقراءة متأنية في هذا الكتاب القيم يجعلنا نستقرأ معا حكاية عمران مدينة خليجية هى مدينة المحرق العربية الاسلامية .

مطبوعات
بانوراما الخليج

# تقديم عام

«إن الإجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الإجتماع الذي هو المدنية في إصطلاحهم وهو معنى العمران ، وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى إلتماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحدة من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخورى هب أنه يأكله حباً من غير علاج فهو أيضا يحتاج فى تحصيله حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذى يُخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن توفى بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد فلا بد من إجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الإستعانة بأبناء جنسه . . وإذ كان التعاون حصّل له القوة للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه ، فإذن هذا الإجتماع ضروري للنوع الإنسانى وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من إعتمار العالم بهم وإستخلافه إياهم. وهذا هو معنى العمران . . . ثم أن هذا الإجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، وليست آلة السلاح التى جُعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العنوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحد منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك . . . . . »[1]

عبدالرحمن بن خلدون

هكذا يرى إبن خلدون ضرورة الإهتمام بالظاهرة العمرانية للإنسان واعتبارها ظاهرة حضارية مفسراً لظروف ظهور وتطور العمران . . ومؤسساً للقواعد والمبادىء التى يجب الإعتماد عليها فيما يمكن أن نسميه بعلم العمران ، وللأسف ـ لم ينتبه إليه أو إلى مؤسسه الأول (إبن خلدون) غالبية أصحاب المهنة والقائمون عليها ، وفي حين إعتبره المختصون بعلم الإجتماع مرسياً لأسس علم الإجتماع المعاصر ، أغفل كثير من المخططين والمعماريين العرب والمسلمين المعاصرين هذا العلم ـ علم العمران ـ الذي نوه إليه ووضع أسسه إبن خلدون . .

ولم يكن إبن خلدون متفرداً أو شاذاً فى هذا المجال على مدى التاريخ والحضارة الإسلامية ، فالفكر العربي يقدم لنا نماذج معرفية متعددّة ترشدنا إلى وعي الجماعة، وثقافة المجتمع . وهذه النماذج المعرفية جرى درسها على أيدى أبرز المفكرين والفلاسفة أمثال : الفارابي وإبن سينا وإبن رشد وإبن باجة وإبن طفيل . .

(1) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .................................................. ص 33 - 34

ولكن كيف يمكن التعرف على العمران دون الإلتفات إلى المدينة كظاهرة تلعب دوراً حضارياً حاسماً فى ثقافة المجتمع العربي والإسلامي في فلسفته .. في ديانته وسياسته .. في حضارته ؟

ولقد بات من الضروري النظر إلى المدينة وعمرانها من زاوية معرفية بالإضافة إلى كونها مرجعاً إجتماعياً جماعياً وجسماً سياسياً وتركيبة إقتصادية معيشية .

وهكذا فالمدينة تعني .. التاريخ والسياسة والإنتاج .. ، تعنى الجغرافيا والبيئة والإستيطان ، كما تعنى الفن بتشعباته من عمارة ونحت وأدب .. تعنى ما جنى الإنسان المتطور نحو الأكمل ، إذن فهي صورة لكفاحه المزمن ، بإختصار إن المدينة سجل لقضية الإنسان وحضارته [1] لقاء بين المكان والزمان : مكان لا يتم عشوائيا بل هو أساساً لقاء بين الطبيعة والفكر ، بين المساحة والتصور بين الإمتداد والرؤية والمدينة موجودة فى الزمان ، في عصر بعينه ، وفي التاريخ . [2] وإذا كانت هي لقاء المكان مع الزمان فهي حاصل قسمة الجغرافيا على التاريخ ، ولكن المدينة ليست جغرافية التاريخ ، ولا هي تاريخ الجغرافيا أو التفسير الجغرافي للتاريخ .. وإنما هي سجل حافل بحضارة الإنسان وصورة لتفاعله في الزمان على المكان ..

وعمران المدينة ليس كما يبدو علماً موسوعياً بقدر ما هو علماً تكاملياً ، هو الجسر الذي يربط بين العلوم الطبيعية والإجتماعية ، وليس مجرد علم تسجيل وثائقي لكنه علم ميتابولى - إن صح التعبير - [3] وتتعدد التعاريف ولكنها تحملنا على الإعتماد في دراسة عمران المدن عموما على المعطيات الحضارية والمجتمعية ، لأن المدينة مرآة صادقة للمجتمع والإنسان ونقصد هنا المدينة بمكوناتها المادية ومقوماتها الفكرية ، فالنتاج المادي هو نتاج فكر المجتمع وإبداع الإنسان ولا يمكن أن يكون أصيلاً إلا إذا كان كذلك .. ويمكن للباحث أن يلجأ لتعريفات مختلفة ، ولكن في كل هذه التعريفات يبقى العنصر المشترك متمثلاً (ولو بشكل نسبي) في كون المدينة مستقراً مجتمعياً ، وليس تجمعاً متناثراً ... [4] .

**عمـران المدينة العربية :**

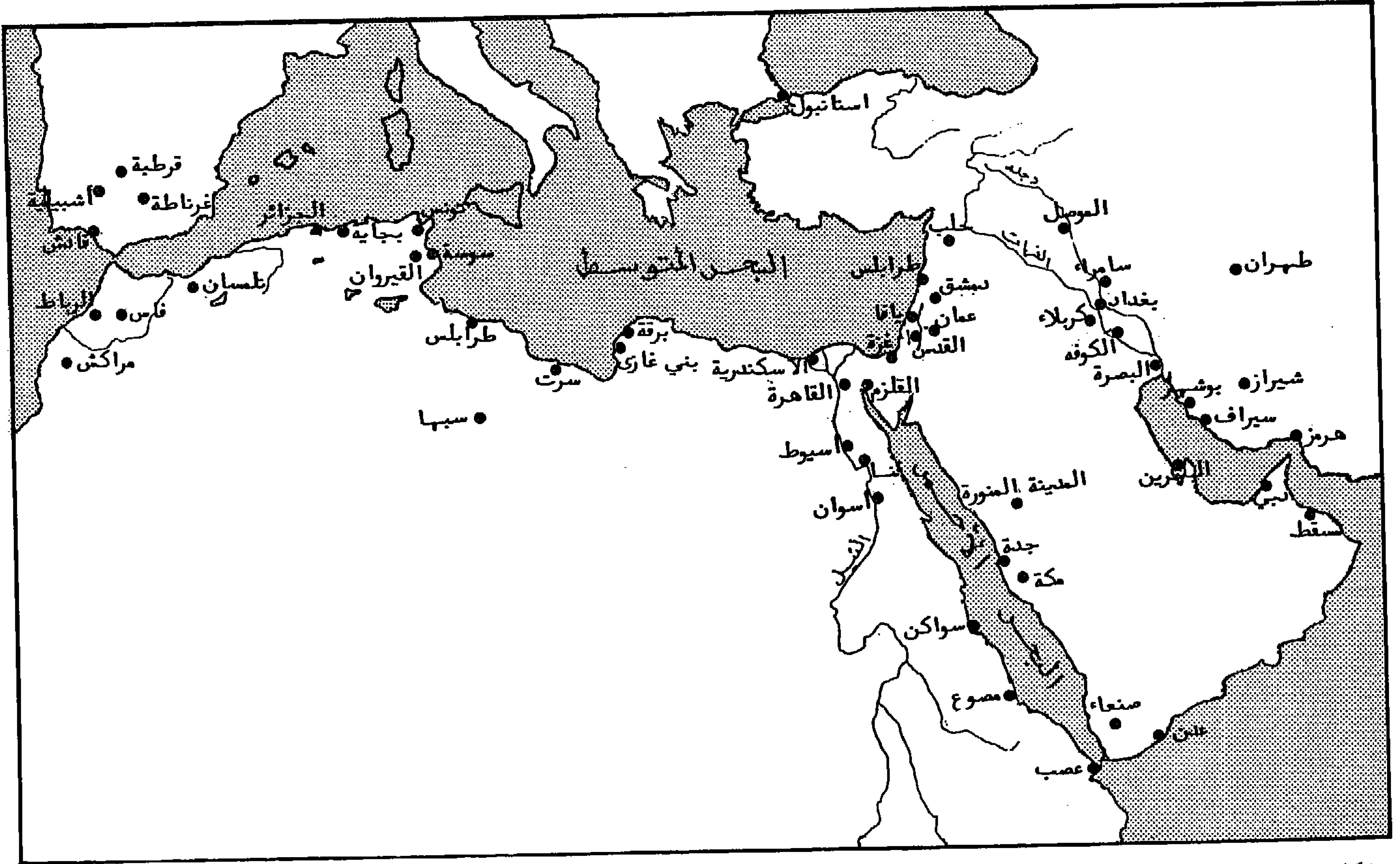
تجمع المصادر العربية في المعاجم اللغوية والمصنفات التاريخية والجغرافية على أن «المدينة» كلمة عربية ، وعندما يفسرها اللغويون في معاجمهم فإنهم يدرجونها تحت مادة «مَدَنَ» أو «دَانَ» .. يقول إبن منظور في معجمه - لسان العرب : «مَدَنَ بالمكان : أقام به ، فعل ممات ، ومنه المدينة ، وهي فعيلة ، تجمع على مدائن ، بالهمزة ، ومُدْن ومُدُن بالتخفيف والتثقيل ، وفيه قول آخر : أنه مفعله من دِنت أى مُلكِتْ» . وفي كتاب تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد لتقى الدين أبى زيد الجراعي : «هي - أي كلمة المدينة - مشتقة من دان إذا أطاع ، والدين الطاعة» .. [5] .

إذن فإن كلمة المدينة في اللغة لها معنيان إحدهما يعنى الإقامة في مكان معين أو الحصن الذي يُشيد في وسط أرض معينة [6] ، والمعنى الآخر يعنى المكان الذي يكون فيه القضاء ويُستدل على ذلك من أن المقطع «دين» يدل على العدل ، وهذا يعنى أن المدينة هى المكان الذي يتوفر فيه العدل والأمن أكثر من أى مكان آخر ، وعلى هذا ، فإن كلمة المدينة تطلق على المكان الذي يتدبره صاحب السلطة أو من يمثله . وهنا نرجع إلى تفسير إبن خلدون لظاهرة العمران عندما قابل الحضارة بما أسماه الملك - أي سيادة الدولة ، لأن الحضارة لا تكفى أن تكون فى الحضر بل ينبغي لكي تتحقق أن تلامسها سيادة ونظام وإستقرار - أي إرتباط معنى المدينة بسيادة الدولة ، ومع ما تقتضيه هذه السيادة من سلطة .. وعلى هذا ، فإن المدينة لا تسمى مدينة إلا بوجود سلطة دولة وليس فقط بسبب اتساع رقعة مساحتها ولا بكثافة عدد سكانها . إذن حيث تكون الدولة بمؤسساتها الإدارية والتنفيذية والقضائية تكون ثمة «المدينة» ، أو بمعنى آخر ومحدد .. عندما تتكامل الجوانب السياسية للحكم ،

(1) المدينة معناها ونشأتها - مجلة الفكر العربي عدد 29 ........ ص 27
(2) فلسفة المكان - ندوة المدينة العربية ........ ص 20
(3) شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان ........ ص 15
(4) المدينة معناها وشروط قيامها - مجلة الفكر العربي عدد (29) ........ ص 8
(5) المدينة في الاسلام - مجلة الفكر العربي عدد (29) ........ ص 111
(6) يفسر ابن منظور المدينة : «والمدينة : الحصن في اصطمة الأرض ، مشتق من ذلك ، وكل أرض يبنى بها حصن في اصطمتها فهى مدينة» ..

والجوانب الإقتصادية للمعاش ، مع الجوانب الإجتماعية للإستيطان تكون المدينة ويكون عمران المدينة .

ولسنا هنا ـ في هذا الكتاب ـ بصدد دراسة ما ورد في كتب المؤرخين والجغرافيين واللغويين العرب والمسلمين ، ولكن ما نهدف إليه ـ ولو بشكل موجز ـ أن نؤكد أن المدينة العربية هى هيكل مقيد بنظم وقوانين ومؤسسات ومنظمات ، تستجيب لحضارة المجتمع وتتأثر بثقافته الدينية والإجتماعية وتركيباته الإقتصادية ، وتناقضاته السياسية .. أى أنها ليست حدثاً عفوياً أو إعتباطياً ، بل هي بعيدة كل البعد على أن تكون هيكلاً فوضويا ، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن جميع المدن العربية قد خطت حساب نظام واحد وثابت ، وبالتالي فإنها ليست متطابقة أو متشابهة تماما من حيث مظهرها الخارجى وتشكيلها الداخلى مادياً وفكرياً .. أو حتى من حيث ملامحها البنائية التفصيلية .. ففترات النمو العمراني ليست واحدة في كل مكان بالرغم من تقاربها . كما أن الضرورات الكامنة وراء المجتمعات وإستيطاناتها لم تكن تشبع دائما بنفس الطريقة بل يستجيب دائماً الشكل إلى المضمون فى تركيب متجانس ينسج الحياة اليومية ودورة حياة المجتمع الجارية فى نمط الثقافة والحضارة ، وفى مورفولوجية المكان والزمان .. كما تختلف تعريفات وتسميات تلك المستقرات العمرانية ـ عموماً ـ بين أمصار ، وقصبات ، ومدن أو مدائن ، ونواح ، وقرى[1] ولكنها جميعا ترتبط بالمسألة الفكرية والمضمون الفلسفي وراء ضرورة الإجتماع البشري ، وبالتالي فهي جميعا كتاب مفتوح يروى لمن نظر فيه ثقافة المجتمع وسلوكياته وتاريخه وحضارته من خلال العمران .




شكل رقم (1) مواقع بعض المدن العربية والإسلامية

(1) جدير بالاشارة هنا التنويه إلى إختلاف التسميات والتعاريف :
الأمصار : هى البلاد التى يقيم فيها السلطان ـ رئيس الدولة ـ وتجتمع فيها الدواوين الحكومية وتقلد فيها الأعمال وتضاف إليها مدن الأقاليم ومستقراتها .
القصبات : وهى عواصم الأقاليم وصنفها السلف بمقام الحجاب من الملوك .
المدن أو المدائن : وهي كما حددنا تعريفها في السرد فإنها إداريا تطلق على ما يتلو القصبة في الأقليم ، وهي بمقام الجند من الملوك .
النواحي : وهي تطلق على الجهات أو المناطق التابعة لغيرها من الوحدات الاقليمية التى هي أكبر منها .

ولكن ، للأسف ، تقتصر دراسة المدن العربية وعمرانها غالبا على مجرد سرد تاريخي لأحداث سياسية أو دينية أو ثقافية محشوة - أحياناً - بالعديد من الأساطير والخرافات أو أنها تتجه إلى توثيق وتسجيل المعالم التاريخية والحضارية ، أي أنها دراسات وصفية ، وقلما تحاول الدراسات تناول المدينة وعمرانها كظاهرة مجتمعية وإطار لحياة الإنسان والمجتمع . . ينسجم - كما حددنا - خلالها الشكل والمضمون ، والشكل هنا هو مادة العمران أو جسمه من معالم وملامح بنائية وشوارع ومساكن وأسواق . . . إلخ ، أما المضمون وهو فكر العمران ، أو روح العمران فيتمثل فى الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية وقبل ذلك البيئة الطبيعية . .

وهكذا فإن دراسة عمران المدينة العربية عموماً يتحتم أن ينطلق من دراسة المجتمع . . حضارته ووعاءه الثقافي الذي يحدد هويته وإنتمائه المحلي والقومي . . وكما حددنا سلفاً ، أن المجتمعات لا يمكن لها - بطبيعتها وظروفها المختلفة والمنفردة - أن تلبي إحتياجاتها العمرانية بنفس الإسلوب وبالتالي فإن المدن العربية بالرغم من إنتمائها القومي فهى تنفرد جزئياً بمحلية وإنتماء قطري .

إن التباين الطبيعي بين المدن العربية لا يعنى التنافر بينها بل هو ما يعرف بمبدأ «التنوع في الوحدة» أو «الوحدة في التنوع» . . ولنا هنا وقفة شخصية . . حيث يرى البعض ان إختلاف المحليات العمرانية العربية ومدنها هو ردة نحو القطرية السياسية والإجتماعية على حساب القومية والوحدة العربية ، ولكنها - كما يؤكد د. جمال حمدان في كتابه شخصية مصر[1] - «لسنا نقصد بهذا - يقصد الإختلاف والتنوع بين المحليات - أن نؤكد الفروق الطبيعية بين أقطارنا العربية لنطمس معالم التشابه بينها ، ولكننا نقول أن ثمة فروقاً ، وليس يجدى فى مواجهتها علميا أو قوميا أن نتجاهلها فى سبيل وحدة جغرافية منمطة أو تجانس طبيعي باهت موهوم ، إنما الشخصية الإقليمية (نسميها هنا المحلية) أشبه بالشخصية الإنسانية . . فالشخصية ، هذه وتلك ، مركب معقد للغاية في عدد ضخم من العناصر ، وتوليفة معينة من السمات والصفات والملامح والمعالم . . ولهذا فإن من الخلط أن نظن أن الحديث عن تفرد الشخصية لهذا القطر العربي أو ذاك ، يعني تدعيم الدعوة الإنفصالية ، وإن القول بتفرد أي أو كل قطر عربي هو تبرير للتجزئة السياسية أو سند للإنفصال مما يتعارض مع القومية والوحدة العربية . . وحقيقة الأمر أن الوحدة السياسية لا تأتي بالضرورة من الوحدة الطبيعية . . فالعبرة فى قيام دولة موحدة هي وحدة الناس ، أي وحدة القومية بمعنى تجانسهم في المقومات الأساسية من لغة مشتركة وتاريخ ملتحم ومصلحة مترابطة وعقيدة سائدة ، وهذه كلها أركان متوفرة فى القومية العربية بشكل لا يتوفر في قومية أخرى معروفة ، ولا عبرة بعد هذا بتجانس أو تباين . . ثم أن الوحدة السياسية وحدة وظيفية ، والوحدة الوظيفية في أي مجال لا تأتي من الوحدة التركيبية بل من التنوع التركيبي . . » .

إن منطقة الخليج وأقليمها واحدة من تلك المحليات العربية التى شكلت هذا التنوع التركيبي ، ونتجه بهذا الكتاب إلى دراسة عمران مدينة خليجية كمحلية عربية ضمن الإطار القومي لا تخرج عنه رغم تمايزها عن باقي تركيباته المتنوعة .

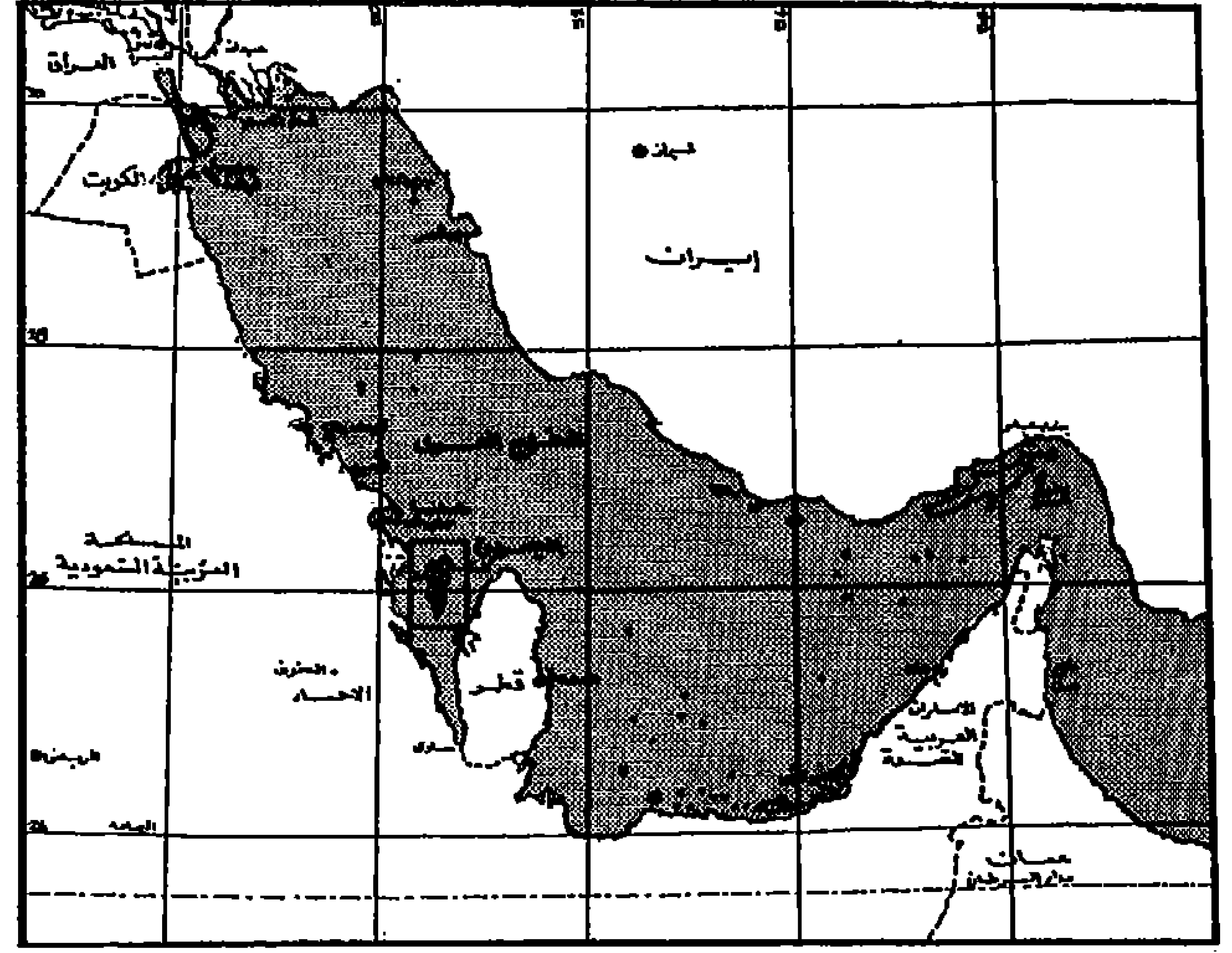
## عمران مدينة خليجية :

إن أهم ما يميز علاقة الإنسان الخليجي بأرضه هو التحدي الواضح الآتي من الصحراء وإستجابة لهذا التحدي ، كان الحل البحري ، فالعلاقة التراجيدية التى عاشها إنسان الخليج في علاقته بين الصحراء والماء (الخليج) هي علاقة أشبه بالموت والفناء عندما يتوجه إلى الصحراء ، وعلاقة حياة ومعرفة عندما يتوجه إلى الخليج علاقة سكون وإستاتيكية مع الصحراء ، وعلاقة حركة وديناميكية مع الخليج . . ويجمع طرفى الدرامة خيط رفيع هو ذلك المجهول الذى يكمن فيما وراء الصحراء والخليج . . وما يتطلبه هذا المجهول من خوف وإستسلام أو مغامرة وشجاعة . .

وليست هذه دراسة للإنسان الخليجي أو حتى للبيئة الخليجية ولكن هدف الكتاب هو دراسة عمران الخليج ، ومدينته هي الإطار - وبالرغم من التداخل الحتمي بين العمران والإنسان والمكان إلا أن دراسة عمران المدينة هو دراسة الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمجتمع في بيئته المكانية (الخليج) وما أفرزته هذه الجوانب مجتمعة أو منفردة من عمران وما يرتبط به من ملامح وتقنيات وحرف

(1) شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان ........................................................ ص 22 - 23

بنائية . . وليس الهدف أيضا هو التأريخ أو التوثيق المجرد ، ولكن الهدف هو إستقراء تاريخ المجتمعات خلال عمران المدن في بعديها الزماني والمكاني .




شكل رقم (2) موضع الخليج العربي

وهكذا فإن المدخل التنظيري - كما حددنا سلفا - يقوم على منهج تحليلي تركيبي يشرح الكيان المادي والفكري إلى أعضائه ومكوناته ، كما انه ينظر إلى هذا الكيان كوحدة واحدة للتعرف على خصائصه وهيئته ودوره . . .

وهذا التحليل يتحدد بمكان بعينه ضمن الوحدة . وكان إختيار مدينة المحرق بجزر البحرين كنموذج خليجي للعمران يرجع إلى أسباب خاصة بالدراسة وأخرى خارجة عنها . . أما الأسباب الخارجة عن الدراسة فترجع إلى أن تلك الطفرة الإقتصادية الآنية في السبعينات والثمانينات من هذا القرن والتغيرات السياسية والإجتماعية المصاحبة لها أدت بغالبية المدن الخليجية ولم يبق منها سوى بعض الأطلال أو الملامح المتناثرة التى لا يمكن إعتبارها كياناً مدينيا واحداً بإستثناء بعض المستقرات ومنها مدينة المحرق ، بالإضافة إلى أن غياب المراجع والمصادر والوثائق التاريخية والعلمية التى قد تساعدنا في القيام بدراسة العمران الخليجي بمثابة عائق جديد ، خاصة أن معظم هذه الكتب - كما يتضح من أسمائها الملحقة بهذه الدراسة - غير متخصصة فى مجال العمران أو الدراسات العمرانية وخاصة باقليم الخليج ومنطقته . أما عن أسباب إختيار مدينة المحرق نفسها ، فترجع إلى أن العلاقة الحيوية بين الخليج والصحراء هى روح المكان والبيئة المحلية وأبرز ما تكون هذه العلاقة وضوحا في جزر الخليج ، وأهمها جزر البحرين[1] ، وعلى إعتبار أن المحرق - المدينة والجزيرة - هى قصبة جزر البحرين تاريخيا وهي لا تزال تحتفظ بكياناتها التقليدية ، كان إختيار عمران مدينة المحرق نموذجا لدراسة عمران مدينة خليجية . .

وأخيراً ، فإن دراسة عمران مدينة المحرق تقوم على تحليل الجوانب المختلفة للمجتمع المحلي في البحرين للوصول إلى هذا التحديد الشامل والتفصيلي للعمران ، ولقد تم تركيب أجزاء الكتاب ومحتوياته فى أربعة أبواب أساسية هي :

(1) البيئة والمكان .
(2) الإستيطان .
(3) ملامح العمران .
(4) لغة العمران .

**أولا - البيئة والمكان :**

نتعرض في الدراسة هنا بإيجاز إلى التركيب البيئي للمدينة - بالمفهوم الشامل للبيئة من حيث العلاقات المكانية والطاقات الكامنة في موقعها وموضعها من خلال ثلاثة أبعاد عامة : الأرض ، الماء ، المناخ . . التي تتشكل منها أو تتعرض لها المدينة والمجتمع المستوطن لها . .

**ثانيا - الاستيطان :**

إن العملية الإستيطانية وتأسيس المدينة بكياناتها المادية ، لا تنفصل عن الجوانب المجتمعية التي إرتبطت بكيان الفرد

---

**(1) التعريف بالبحرين :**

البحرين عبارة عن أرخبيل من جزر عددها 33 جزيرة متباينة في مساحتها وأشكالها وعدد سكانها وثرواتها الطبيعية وبالتالي في أهميتها العمرانية . وجزر البحرين بأرضها وسكانها قطراً من أقطار أقصى مشرقنا العربي ومن أقطار شبه الجزيرة العربية وهى الآن إحدى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بعد الإستقلال من الإحتلال البريطاني في عام 1971 الميلادية . كما تعتبر البحرين ضمن أقطار الشرق الأوسط في التقسيمات السياسية الكبرى في العالم ، وضمن بلدان الشرق الأدنى قبل الحرب العالمية الثانية .

وتختلف المساحة الإجمالية لهذه الجزر من وقت لآخر لإرتباطها بظاهرة المد والجزر في مياهها الإقليمية ، إذ إنها تزداد في حالة الجزر حين تتحول مساحات واسعة من الرصيف القاري وفى أعلى حد للمد تصل مساحتها نحو 687,75 كيلومتر مربع (سبتمبر 1984) موزعة على جزرها بإختلاف كبير ، وتقسم جزر البحرين إلى مجموعتين ، أولهما : جزيرة المنامة وتوابعها وعددها سبع عشرة جزيرة . وثانيهما : جزيرة حوار وتوابعها وعددها ست عشرة جزيرة .

والمجتمع وممارسته وأنشطته . . من هنا تتطرق الدراسة إلى الجوانب الثلاثة العامة السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، ونتعرض لها بالعرض والتحليل لنخلص إلى تحديد الأنساق التي عبرت عن كيان المجتمع وتطوره وظروف هذا التطور ، وشكلت هذه الأنساق في علاقاتها التبادلية الصورة العامة لعمران وإستيطان المدينة ، بل والتتابع الزمني لهذا الإستيطان (سيناريو الإستيطان) .

**ثالثا ـ ملامح العمران :**

إن ما ندركه من المدينة هو التعبيرات المادية التى يشكلها إستيطان المجتمع على هيئة كيانات مختلفة تعبر عن ملامح هي التى تكسب المدينة ذاتيتها ، ونتعرف على هذه الملامح من خلال تحليل النسيج العمراني الأساسي وفك إدماج خطوطه ودراستها بشقيها أو بقطبيها ـ الكتلة والخواء ـ وبتحليل هذا النسيج يمكن التعرف على ملامح وكيانات المدينة في مستواها الشمولي ، ثم يمكن التعرف على الملامح التفصيلية لكل كيان من هذه الكيانات الأساسية والتى ترتبط عموماً بأنشطة الإنسان في السكن والسوق . . .

**رابعا ـ لغة العمران :**

تتركب كيانات المدينة وتشكيلاتها العمرانية المادية من عناصر أساسية تتكرر وتتواتر إستعمالاتها على كافة المستويات العمرانية ، وهي بهذا تشكل في مجموعها مفردات لغة عمرانية ، وإن كانت ترتبط نسبيا بالبيئة والمجتمع المحلي للمدينة ، إلا أن لكل من هذه المفردات بعده المطلق المجرد الذى يمكن أن يظهر بشكل أو بآخر في بيئات وثقافات ومجتمعات أخرى . . ولكن الذي يربط هذه المفردات ببيئة معينة هو الملامح الأساسية لعمران المدينة والتي ترتبط بالجوانب المجتمعية للإستيطان من جهة وبالبيئة والمكان من جهة أخرى . . وهى تنتهى عند الإنسان إبن المجتمع ، وتتركب تلك المفردات مع بعضها من خلال قانون للعمران له أبعاده المحلية والذاتية .

وهكذا ، ومن خلال هذه الأبواب الأربعة يمكن التعرف على عمران المدينة والمجتمع لنؤكد من جديد أن المدينة العربية والإسلامية عموماً ـ على عكس كل الإفتراضات المغرضة ـ هي مدينة تستجيب لنظام المجتمع وحضارته وثقافته ، وهي بمثابة كتاب مفتوح يروى لمن يحاول قراءته الحلول والأساليب التي إجتهد فيها السلف لحل مشاكلهم الفردية والجمعية ، وعلى كافة المستويات من الشمولية إلى التفصيلية ، وعسى أن يجد فيها الخلف عبرة ومثالا أو مرجعا يكملوا بعده ما بدأ بالأمس ، وليستوعبوا من الماضي مقومات المستقبل .

والمدينة الخليجية هنا تنتمي إلى نفس المبدأ الحضاري الأساسي للمدينة العربية قديماً وحديثاً ، فهى لم تخرج عن الإطار العمراني إلا في حدود ما فرضته ذاتية المكان . . قديماً إنتظمت من خلال إرتباطها بالتركيبات التقليدية القبلية ، وحديثاً تعاني من ذات المشاكل التي أفقدت المدينة العربية توازنها . . تقليديتها وهويتها . .

وبعد ، فإن عملاً بحثياً بهذا الحجم وتلك الطبيعة يأخذ طابعاً ملحمياً ، إلا أنه لا بد أن يكون علمياً أكاديميا يعتمد على المصادر والمراجع المتاحة أو الممكنة ، كما انه نسق فكري قد يكون فيه جديد ، ولكن من المؤكد أنه يرتبط بالأصيل من القديم . . وإن كان الحكم هنا متوقفا على رأي القارىء ـ الدارس والباحث والمثقف عامة ـ فنحن نأمل أن يجد كل واحد من هؤلاء نفسه وذاته في هذا الكتاب ، وأن يجد فيه إجابة عن تساؤل لديه أو يجد فيه تساؤل يحتاج البحث له عن إجابة . . وهكذا يكون الكتاب المطروح إضافة متواضعة إلى مكتبتنا العربية إذا كان المستهدف بناء مكتبة قومية بالمعنى العالمي ، ننطلق بها ومنها لبناء حضارة مستقبلية عربية وإسلامية . .

طـارق والي

# الباب الأول

# البيئة و المكان

لكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية ، المناخية والجيولوجية ، الأركيولوجية ، والأنثروبولوجية . . بإختصار لها ذاتيتها الجغرافية كما أن لها ذاتيتها التاريخية ، وقد تكون تلك الخصائص قوى كامنة لم تستغل بعد ، كما قد تكون فى حد ذاتها إمكانيات غير محدودة وهي عموماً تعطى الذاتية الشخصية من جهة وتحقق الراحة والإئتمان من جهة أخرى لسكان هذه البيئة المكانية بما يتلاءم مع إحتياجات الفرد والمجتمع . . ويطلق المختصون إسم الشخصية الإقليمية على تلك الذاتية المكانية ، وهي حسب تعريفهم شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص المكان ، إلى شيء أكبر من مجرد جسم الإقليم وحسب . فهي إنما تتساءل عما يُعطى لمنطقة مكانية معينة تفردها وتميزها بين سائر المناطق ، محاولة أن تنفذ إلى روح المكان لتستشف عبقريته الذاتية التى تحدد شخصيته الكامنة . . وهذا ما يعرف كاصطلاح عام «بعبقرية المكان»[1] .

وهكذا ، فإن مثل هذه النظرة إلى المكان ، ليست تحليلية وحسب وإنما هي تركيبية أيضا ، نظرة كلية عامة رغم تخصصها . إن هدف هذا الكتاب إنما هو فهم عمران المجتمع بل فهم المجتمع من خلال عمرانه ، وهنا فنحن ندخل إلى العمران من خلال روح المكان الذي نمسك به وهو فوار نابض بالحياة حتى نضع أيدينا على كلمة السر في المكان والعمران ، المجتمع والإنسان . . أو على الكلمات التي تمنح هذا أو ذلك أخص خصائصه وتفتح أعمق أعماقه . .

وبتدارس البيئة الإقليمية عموماً يمكن التأكيد على أن الماء هو المحرك لحياة الإنسان ومحدد العمران وروح المكان . . فالماء هو نقطة الإرتكاز الحقيقية أو أكاد أقول الوحيدة لإستيطان المجتمعات وعمران المكان . . ومن هنا كان وجود الماء هو القوى الكامنة في تشكيل المجتمع ولكن ما مصدر تلك القوى ؟ .

يجب أن ندرك ماهية المصدر حتى نعرف ماهية القوى. ومن جهة أخرى كانت طبيعة المناخ ، فحرارة الجو وشدة وقسوة الشمس هما المحركان لحياة المجتمع فلولا تلك الظروف ما كانت الملائمة الإجتماعية للإنسان . . نعنى أن قسوة المناخ فرضت على هذا المجتمع صورة وشكل معين للحياة ، يلزم معها تلبية لإحتياجات فرضها المجتمع من وحى البيئة وروح المكان والذى يمكن فهمه من خلال ثلاثة أبعاد عامة :

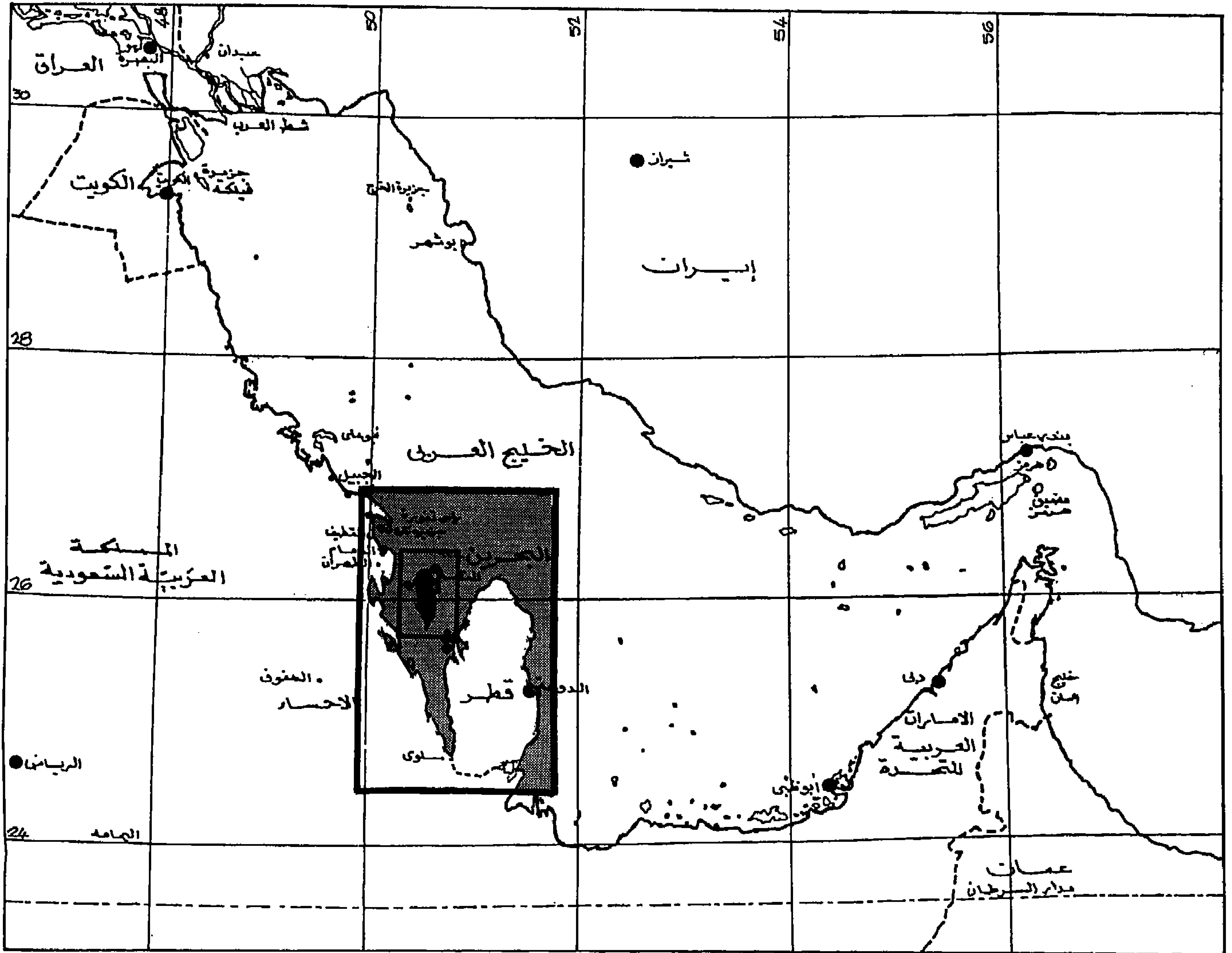
(1) الأرض .
(2) المـــاء .
(3) المنـــاخ .

ليس هدفنا أن نشرح المكان ونصف البيئة لنقدم من أجزائها موسوعة كتالوجية وصفية ، فهذا ليس مجال هذا الكتاب كما أنه ليس منهج البحث هنا ، ولكن الهدف أن نعتصر روح المكان ، ثم نستقطره حتى نستقطب فى أدق مقولة علمية مقبولة ، بها أو من خلالها نتعرف على المجتمع وعمرانه . فالدراسة لا تقف عند حدود وصف المكان ـ على أهميته ـ بل تتعداه إلى فلسفة المكان . . وعموماً فإن النظرة

(1) شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان ............ ص 11-12

العامة التي تقدم في تفسير المكان والتعرف عليه وعلى أبعاده الثلاثة إنما هي التفاعل بين قطبين أساسيين للمكان هما الموضع والموقع[1] ، الموضع : ونقصد به البيئة بخصائصها وحجمها ومواردها وإمكاناتها في ذاتها ، أما الموقع : فهو صفة نسبية تتحدد بالنسبة إلى توزيعات الأرض والإنسان والإنتاج حول المكان وتضبطه العلائق المكانية التى تربطه به . . فالموضع هنا خاصية محلية داخلية ملموسة لذات المكان ، والموقع فكرة هندسية غير منظورة . ومن خلال هذان القطبان والعلاقة بينهما تتحدد للمكان ملامحه وشخصيته .

وهكذا . . فدراسة مجتمع من المجتمعات يتحتم معه التعرف على البيئة المكانية فى أبعادها الثلاثة : الأرض والماء والمناخ ومن خلال قطبي الموقع والموضع . . دون الدخول للمجالات التخصصية التى قد تخرجنا عن مجال الكتاب ـ عمران المجتمع المحلي لمدينة المحرق ضمن جزر البحرين ـ قد تتشابه طبيعة تلك الجزر إلى حد التطابق في خصائصها البيئية والمكانية ، ولهذا فدراسة عمران المحرق ومجتمعها المحلي لا ينفصل مكانيا عن مجموع أرخبيل جزر البحرين ، أي أنه يمكن تعميم الدراسة هنا على أرخبيل الجزر كوحدة إقليمية ثم تخصيص الدراسة على جزيرة المحرق ومدينتها عند وقوع إختلاف أو تمايز بين المحرق وباقي جزر البحرين بشكل عام . وقبل التعرض لتلك الأبعاد الثلاثة للمكان يمكن أن نحدد هنا في هذه التوطئة قطبي المكان لمجموع أرخبيل الجزر[2] :




شكل رقم (3) موقع جزر البحرين في الخليج العربي

(1) شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان ........................ ص 33

(2) الجغرافيا الإقتصادية لجزر البحرين ........................ ص 27-30

**(1) الموقــع :**

تقع البحرين فلكيا بين خطي طول 25´ 50° 45´ 50° شرقا ، وبين خطى عرض 32´ 25° 18´ 26° شمالاً ، وضمن النطاق الشمالي للصحاري الحارة ، أما بالنسبة لآسيا ، فتقع جزر البحرين ضمن أقطارها الجنوبية الغربية ، ثم أنها والخليج عموما يعتبران النهاية الشرقية للوطن العربي بأرضه وسكانه . . وقد أثبتت الأحداث الإقليمية أن موقع جزر البحرين قد أعطاها إمتيازاً في تاريخها ، وأهمية سياسية وإستراتيجية وإقتصادية منذ القدم . . وتحتل البحرين موقعاً جغرافياً هاماً بالنسبة لمياه الخليج وبلدانه العربية وإيران ، لموضعها ضمن غرب منتصف الخليج العربي في خليج يسمى البحرين أو «دوحة




شكل رقم (4) موقع جزر البحرين في دوحة سلوى

سلوى» ، الذى تتصف مياهه بقلة عمقها إذ لا تزيد في أعمق مناطقها على 6 أمتار في أعلى حالات المد ، كما تدل خرائط الأعماق أن قاع هذا الخليج يقع ضمن الرصيف القاري الشرقي لشبه الجزيرة العربية (الرصيف العربي) . ولقد ساعدت تلك الخصائص في أن تكتسب جزر البحرين أهميتها الإقليمية في الملاحة البحرية حيث أستغل أحد ممراتها العميقة ويسمى «خور القليعة» في الملاحة قديما وحديثا وكانت البحرين عندئذ نقطة إتصال هامة بين الشرق والغرب أو محطة ملاحية على خطوط تجارة أوروبا وشرق آسيا .

**(2) الموضــع :**

تتميز غالبية جزر البحرين بإستقامة شكل سواحلها نسبيا ، إلا في بعض المواضع في شمال وجنوب جزيرة البحرين (جزيرة المنامة) وجنوب جزيرة المحرق وبعض المواضع في جزر حوار ، حيث توجد النتوءات في اليابس على شكل رؤوس كبيرة نسبيا . كما تتصف سواحل الجزر بإنخفاضها بحيث لا يزيد ارتفاعها عن 3,50 متر ، مما أفقدها أهميتها في إنشاء الموانىء الطبيعية العميقة ، ولهذا إعتمدت البحرين منذ القدم على إنشاء موانىء ومراسي إصطناعية ، ويلي السواحل من الداخل السهول التى تدخل جميعها في مفهوم السهول الساحلية والتى تعم جميع يابس هذه الجزر . . ويتخلل هذه السهول في الجزيرة الأم عشرات من التلال في وسطها يبلغ أقصاها ارتفاعا 133 متراً أو نحو 76 متراً من فوق قاعدته ، وهو ما يطلق عليه اسم جبل الدخان . وقد ثبت أن هذه التلال من بقايا عوامل التعرية والنحت التي نشطت أعمالها فوق تكوينات وسط هذه الجزيرة ، ويطلق عليها اسم الهضبة الوسطى ويتراوح إرتفاعها ما بين 6-60 متراً . أما سائر الجزر فهي في غالبيتها مسطحة ، فيما عدا القليل ومنها جزيرة المحرق التى ترتفع في وسطها وتعرف باسم ربوة المحرق .

وتخلو جميع جزر البحرين من الانهار والأودية الدائمة الجريان ، ولكن توجد بها بعض الأودية الجافة وأهمها وادي الصخير ووادي باربار بالإضافة إلى بعض المنخفضات .

لعل حقائق موقع وموضع الجزر وحدودها هذه توضح وتؤكد مدى أهميتها وقد عبر عن تلك الأهمية الرحالة اللبناني أمين الريحانى قائلا : «ليس بين مسقط والبصرة أجمل من مركز البحرين ، وليس أصلح منه للتجارة أو للحرب ،

حيث انها تقع في وسط الخليج العربي في زاوية أمينة منه وكأنها باخرة راسية بجانب الساحل الذهبي للإحساء ، رافعة لعلم التجارة والسلم»[1]

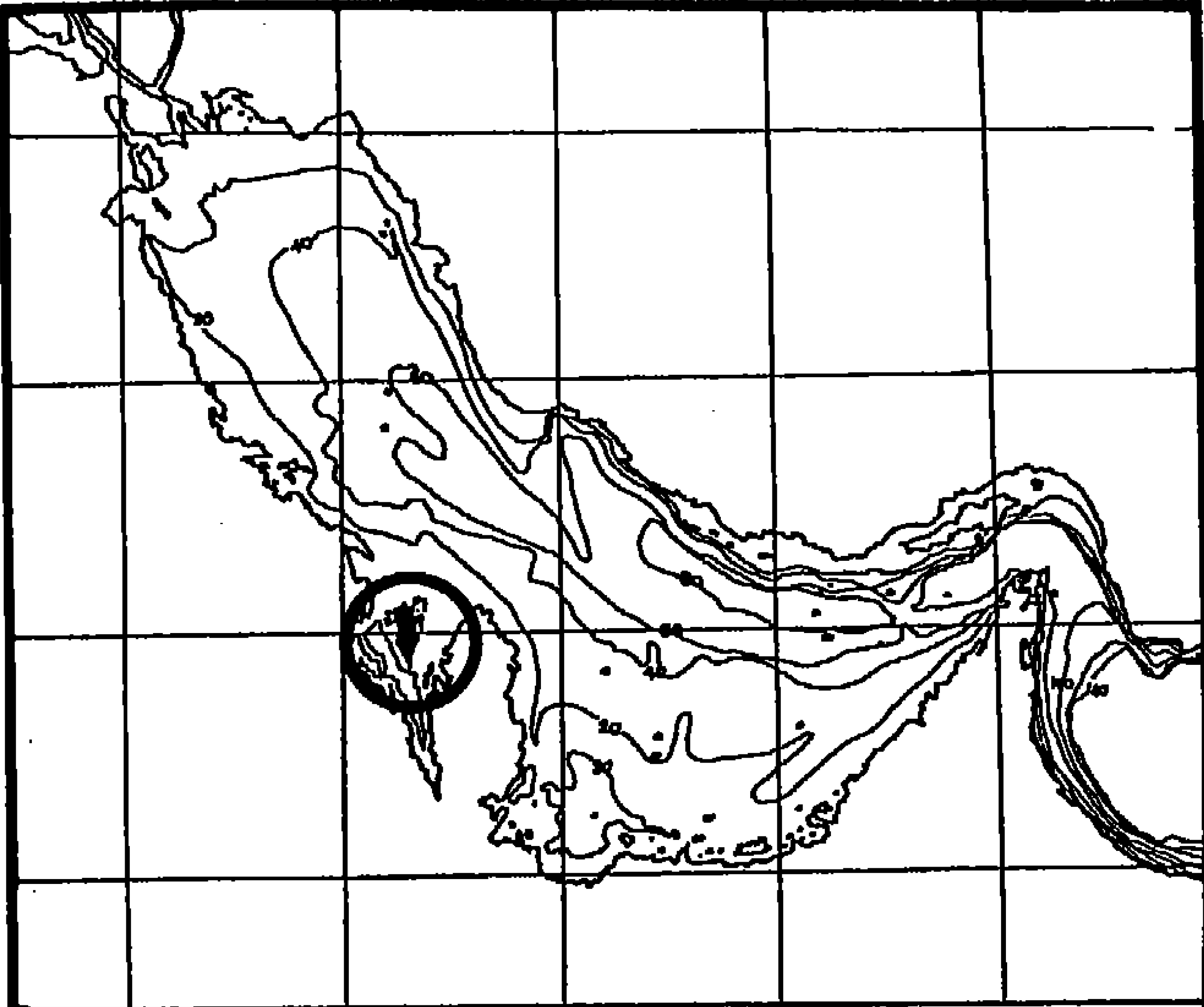
إن البيئة بإختلاف أبعادها الثلاثة : الأرض والماء والمناخ ناتجة عن قطبي المكان ، وتفرض تلك الأبعاد إختلافات وتفرد نسبي ، فالجغرافيا لا تعيد أو تكرر نفسها ، وتتكرس عادة تلك الإختلافات في التركيب العمراني للمجتمع ، وحتى ـ أحيانا ـ في التكوين البيولوجي للإنسان ، وما على الباحث إلا أن يتقصى مظاهر تلك الإختلافات ، ليس في الشكل الخارجي إنما في النوازع الداخلية ، وهذه التأثيرات البيئية يعرفها المتخصصون وعلماء البيئة والجغرافيا ، حقاً أن الإختلافات ليست بعيدة بين مجتمع ومجتمع فهي من القرب بحيث يسهل نكرانها أو تجاهلها ، لذا يجدر بنا أن نقف متأملين في طبيعة المكان للكشف عن ماهية الطاقات الكامنة لمكان بعينه والمشكلة لعمران المجتمع والمحركة له . .

وموضوع شخصية الإنسان في أي مكان تتداخل مع فكرة الطوابع الإقليمية التي لا تزال حتى الآن في دائرة البحث والدراسة ، فهي لا تزال غامضة بدرجة مقلقة لا تزيد أحيانا عن إنطباعات ذاتية أو سطحية عابرة ، والموضوع برمته فضلا عن هذا يمنح نفسه بنفسه بسهولة لأغراض الدعاية الشيفونية أو الحرب الدعائية المضادة . . وهكذا . . ما زال الموضوع ـ علميا ـ في مرحلة جدلية قائمة ، ولا نقصد بها الهلامية ولكن لم يتوصل فيه العلم والفكر العلمي إلى اليقينية حتى الآن[2] .

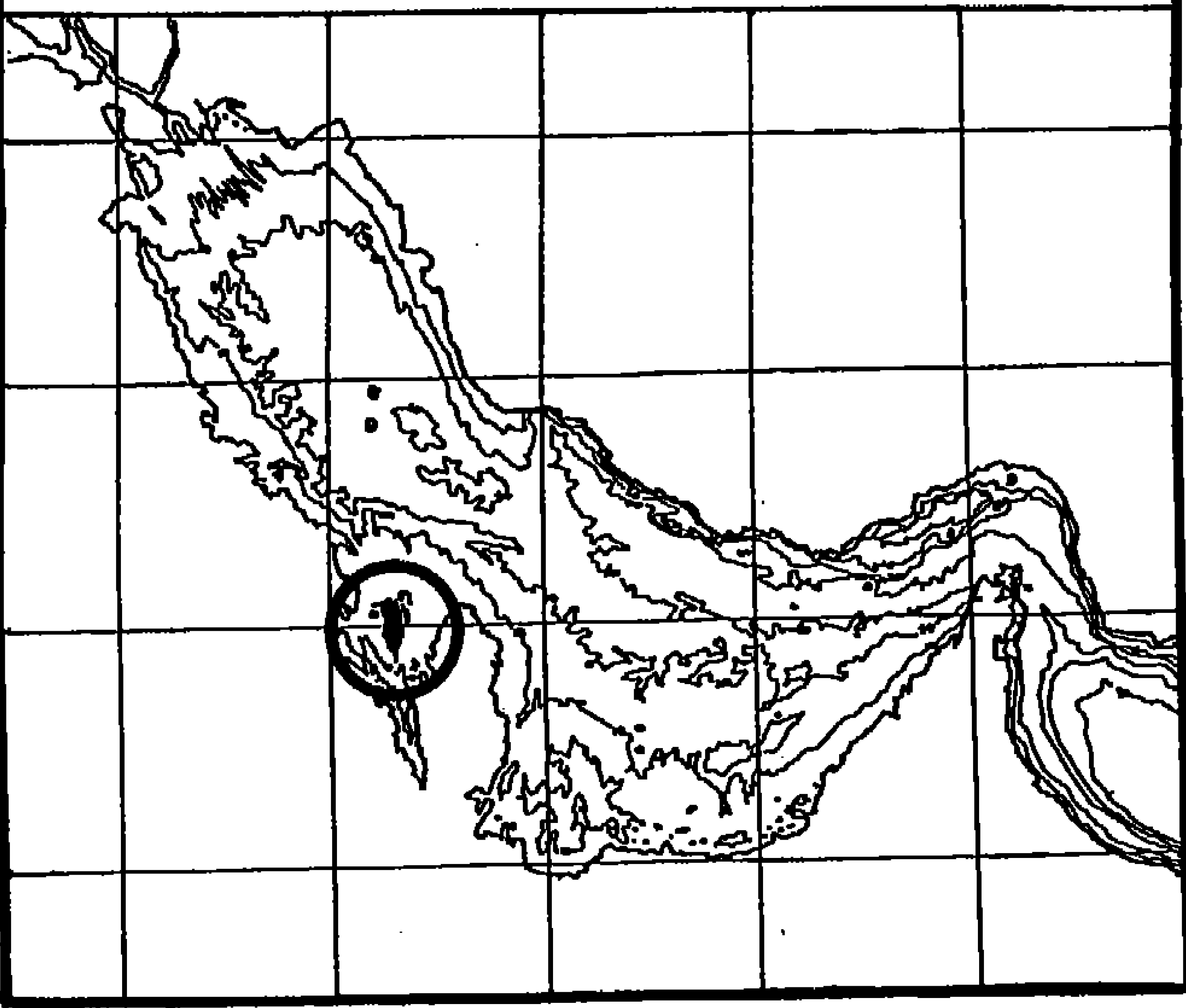
سنتعرض في الباب الأول من الكتاب هنا إلى الأبعاد الثلاثة للمكان دون الخوض في تفاصيل تخصصية يثار من حولها الجدل ، مع مراعاة ألا يضر الإيجاز بتحديد السمات العامة للشخصية المكانية لجزر البحرين عامة ومنها جزيرة المحرق . . ولعرض هذه السمات ، فنحن لا نعرض الأبعاد الثلاثة عرضاً تقليدياً رتيباً لفصول جغرافية الجزر الطبيعية أو البشرية ، فليس هذا هدفنا ، وإنما علينا كما كررنا سابقا أن نتحسس هذه السمات والملامح ونتقصاها أنىّ كانت . . دراسة للمكان للتعرف على العمران .

**البعد الأول للمكان ـ الأرض :**

إن التعرف على البعد الأول للمكان ـ الأرض ـ يعنى التعرف على موقع الجزر من حيث الشكل والتضاريس والتربة ، والمظهر البارز في مجموعة جزر البحرين هو إنخفاض وإستواء أرضها وضحالة مياهها بالخليج المحيط بها من رأس ركان إلى رأس تنورة والبالغ طوله حوالي 73 ميلا وهو كتلة من الشعب الصخرية قليلة الغور ، بإستثناء مجرى واضح متوسط الإتساع يجرى شمالا وجنوبياً من الساحل الشرقي لجزيرة المحرق والشمالي الغربي لجزيرة المنامة . . وكثير من شعب جزر البحرين الصخرية لها حافة جزئيا في



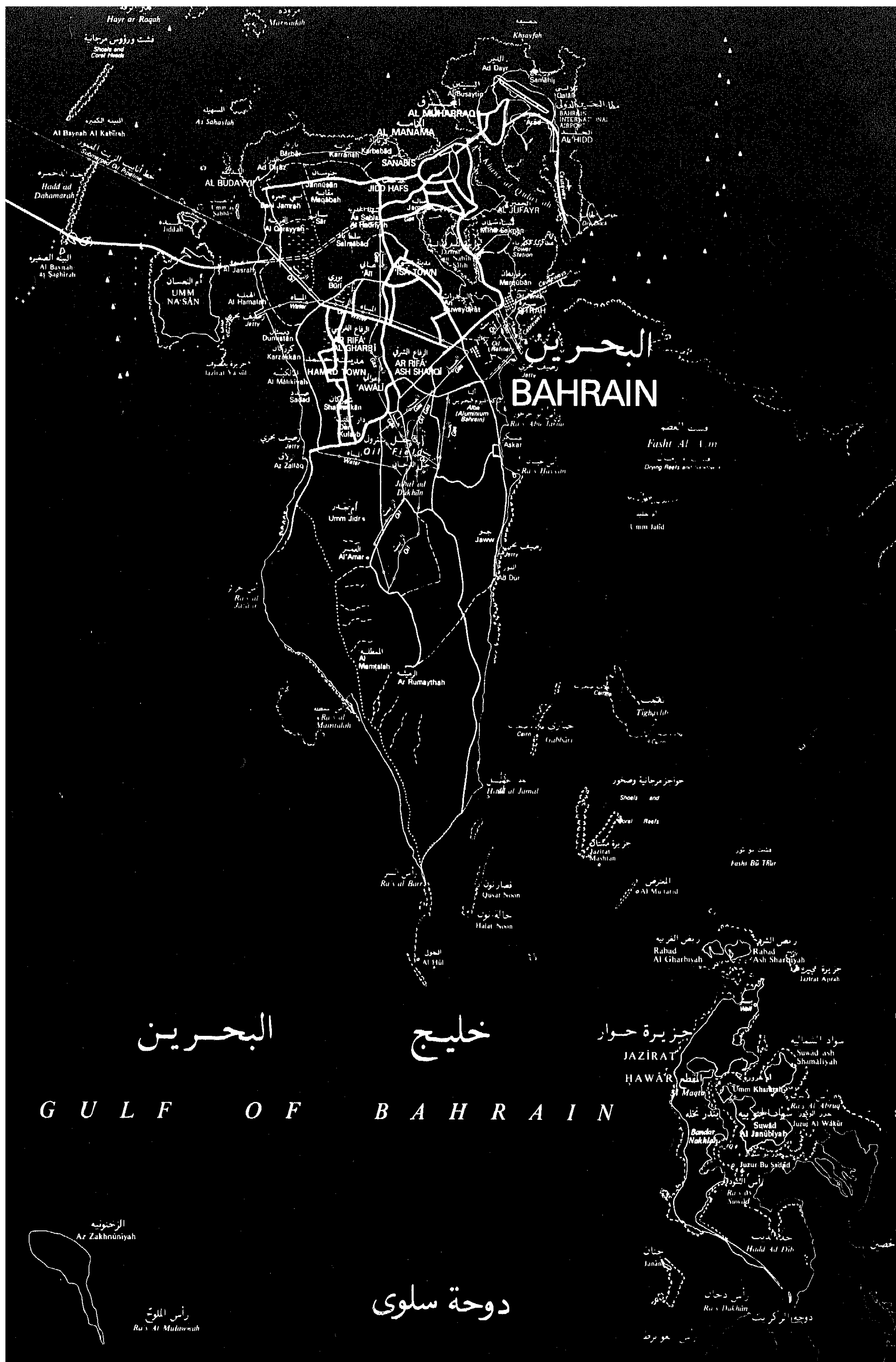
أ شكل رقم (5) خريطة توضيحية لقياس أعماق الخليج العربي
إ شكل رقم (6) خريطة توضيحية للتركيب المورفولوجي للخليج العربي



شكل رقم (7) موضع جزر البحرين (1983 الميلادية) ←

(1) ملوك العرب ..............................................................

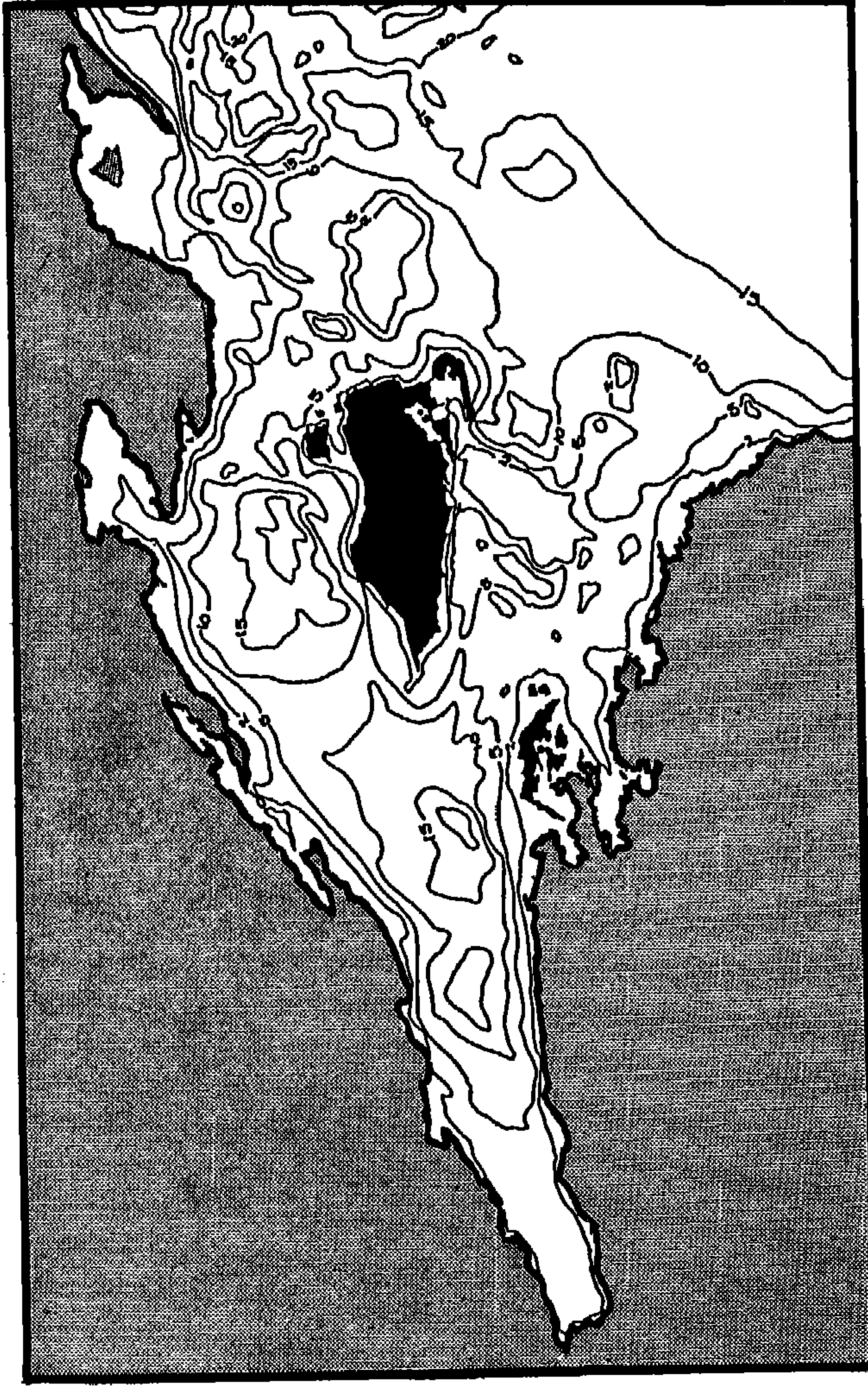
(2) شخصية مصر ـ دراسة في عبقرية المكان .............................................. ص 33


البحـريـن
BAHRAIN
AL MUHARRAQ
AL MANAMA
AL BUDAYYI'
JIDD HAFS
SANABIS
AL JUFAYR
AL HIDD
'ISA TOWN
SITRAH
UMM NA'SAN
AR RIFA' AL GHARBI
AR RIFA' ASH SHARQI
HAMAD TOWN
'AWALI
Oil Field
خليج البحـريـن
GULF OF BAHRAIN
جزيرة حوار
JAZĪRAT HAWĀR
دوحة سلوى

الماء الضحل ، أما في الجانب الواقع تجاه البحر المفتوح من الخليج تنتهي مياه البحرين الضحلة على بعد حوالي 54 ميلا عن شمال جزيرة المحرق .[1]

ومن جهة أخرى ، تنتهي الدراسات التخصصية إلى : «إن تشكيل سطح الأرض في الجزر والمياه الإقليمية وما فيهما من صور تضاريسية متنوعة لهو من نتائج الحركات الأفقية والرأسية للأرض في المنطقة ، والتي صاحبتها مجموعة من الصور الجيولوجية التي تمتد فيما بين حقب ما قبل الكمبرى حتى عصور الزمن الرابع المعاصرة ، كما حددت هذه الأبحاث أصل التربة في البحرين على انها تربة محلية (موضعية) ، لأنها من المفتتات الچيولوچية للتكوينات السطحية التي تنتج عن عوامل النحت والتعرية والترسيب الظاهرية النشطة منذ عصر المايوسين مبتدأة بتكوينات البلايوسين حتى أصبحت تكوينات عصور الزمن الثالث ظاهرة مباشرة فوق السطح مثل تكوينات عصري الايوسين والمايوسين وقليل من النيوجين ، وأهم هذه التكوينات الصلصال والطفل والحجر الجيري والتكوينات الطباشيرية التي تظهر مباشرة فوق سطح الأرض في جزيرتي أم النعسان والمنامة» .[2]

أما جزيرة المحرق تتكون من شريط منخفض من الرمل يحدها شريط عريض من الصخور المرجانية[3]. وعموما


شكل رقم (8) خريطة كونتوريه لقياس أعماق دوحة سلوى



شكل رقم (9) المناطق المورفولوجيه لجزيرة البحرين



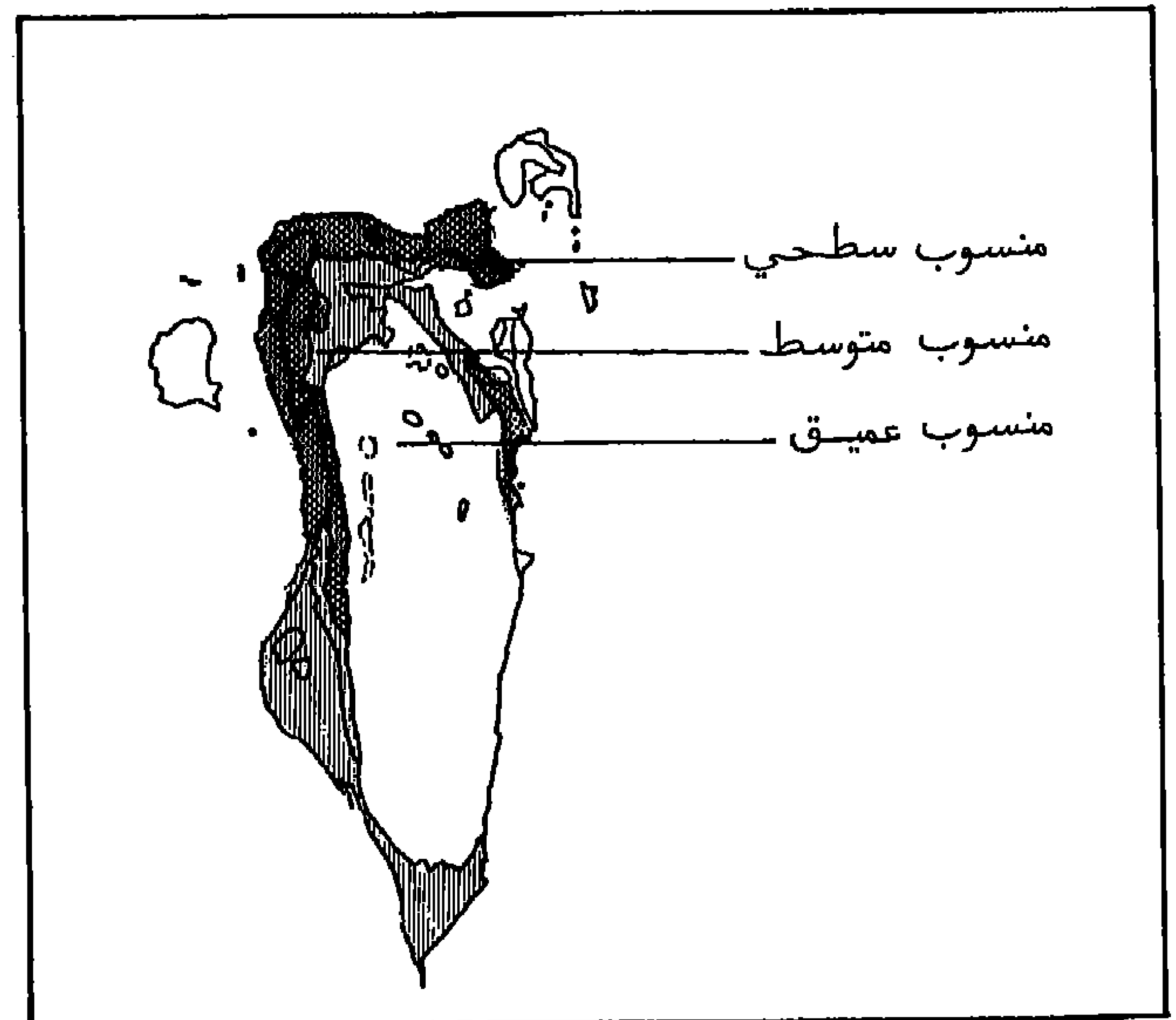
شكل رقم (10) ارتفاعات السطح لجزيرة البحرين

(1) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي ........ ص 297
(2) الجغرافيا الإقتصادية لجزر البحرين ........ ص 77
(3) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي ........ ص 1604-1605

تتغير تشكيلات الجزر وشواطئها مع حركات المد والجزر المتابعة ، ولقد كان لهذه التغييرات تأثيراتها المباشرة على تشكيل الإستيطان كما سنوضحه فيما بعد ، ولكن الجدير بالإشارة هنا هو تلك التأثيرات غير المباشرة بتشكيل الأرض على طبيعة موقع الجزر وبالتالي على أنماط النشاط الإنساني فوق هذه الأرض من إستيطان وإنتاج معيشي وحياة إرتبطت تاريخيا بموقع الجزر .

**البعد الثاني للمكان ـ الماء :**

الماء هو أحد الدعامات الأساسية لتواجد الإنسان في بيئة معينة دون غيرها فهو أصل الحياة ومصدرها . . والبحرين بإعتبارها أرخبيل من الجزر قد تميزت بمظاهر طبيعية لا توجد لدى بقية مناطق الخليج ، مثل وجود ينابيع من المياه الحلوة في قاع البحر . . وكانت تقدر خلال القرن التاسع عشر الميلادي بمائتي ينبوع ، وفي الساحل بخمسة وعشرين ينبوعاً . . كما توجد بحيرات صغيرة تسمى عيوناً[1]. وقد وصفها قديماً ديوراند فيقول : « . . . وتملك البحرين ينابيع الماء النقية التي تظهر خلال الماء الأجاج عند مدخل الميناء وفي أماكن متفرقة» . . كما ذكر المقيم البريطاني في الخليج عند زيارته للبحرين عام 1865 الميلادية ما يلي : « . . . وجدنا مياه عذبة في جزر البحرين وينابيع عذبة في البحر على عمق ثلاث إلى ست قامات»[2] . . وتشبه هذه الينابيع من حيث الصفات الطبيعية ينابيع سواحل الجزيرة العربية المقابلة لجزر



شكل رقم (12) منسوب المياه الجوفية لجزيرة البحرين

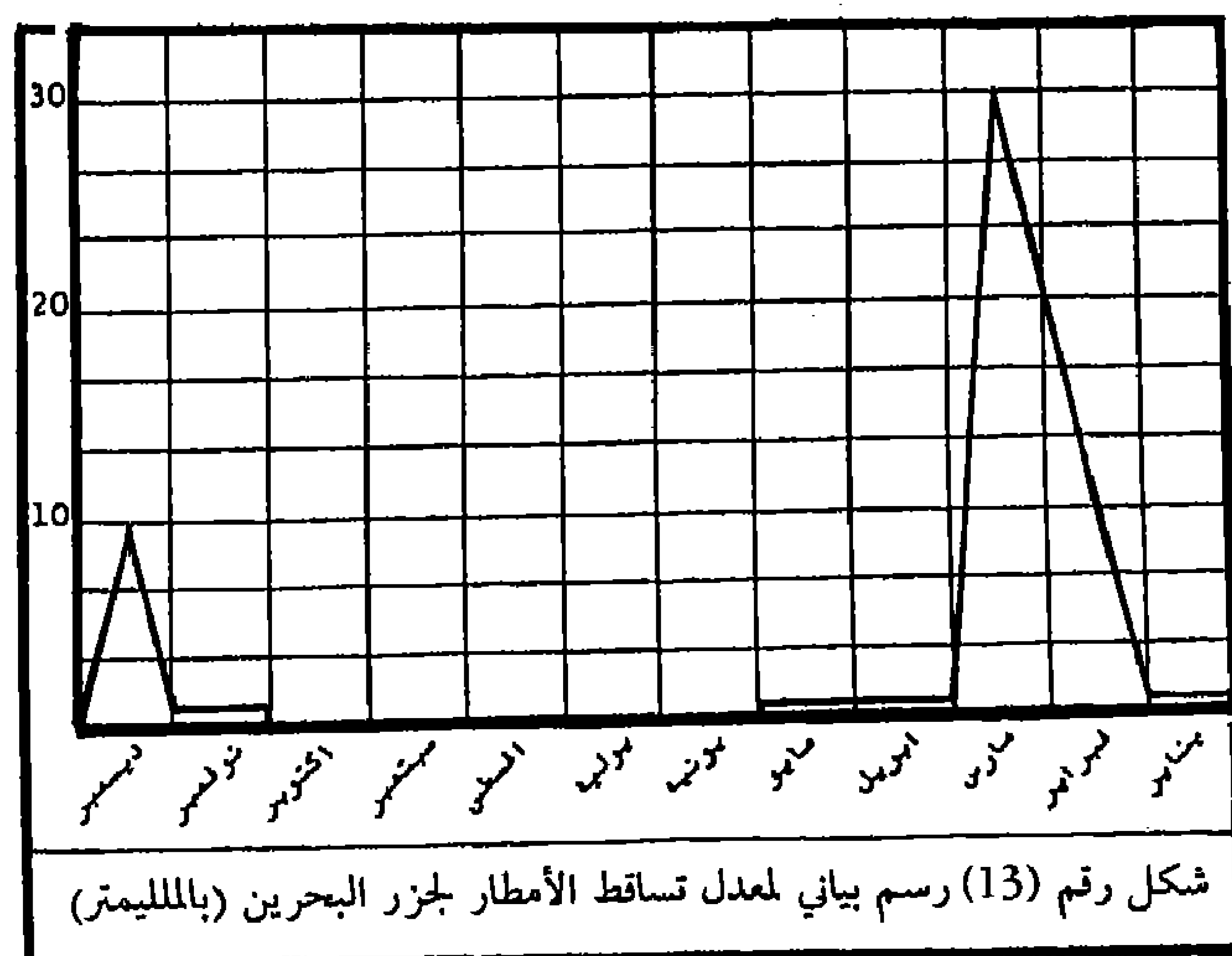

شكل رقم (11) توزيع آبار وعيون الماء لجزر البحرين

البحرين . ويعتقد أن المصدر واحد وهو نهر افتان المُثبت على الخرائط القديمة للجزيرة العربية ، وهو نهر داخلي معروف لدى علماء الجغرافيا القدماء ويصب قديماً مقابل الجزر ، ومن المعتقد أن منابعه كانت تقع عند مرتفعات نجد من وراء الدهناء ، حيث أن الرياض تعلو عن البحر حوالي 1800 قدم ، وجبال العارض فوق الرياض وهي كلسية تمتص كل ما يتبخر من المياه فيجرى تحت الأرض ويصب في وادي حنيفة ، بل أن مياه العارض ووادي حنيفة تجتاز الدهناء لتصل إلى الخليج . ويقول المستر هوجاريس في كتابه "التوغل في البلاد العربية" : «لا شك أن قسماً من هذه المياه ـ أي مياه العارض واليمامة ـ عملا بإنحدار الأرض ترشح تحت ما يعترضها من ظهور الجبال فتجرى خلال الطبقات الحصوية وتظهر على الساحل فتسقي واحات الإحساء والقطيف وتتكون منها الينابيع العذبة في مياه البحرين الإقليمية . . . »[3]

(1) البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ........ ص 13
(2) تاريخ البحرين السياسي ........ ص 27
(3) ملوك العرب ........ ص 234-235

وهكذا . . كانت البحرين كثيرة المياه العذبة لكثرة ينابيعها وعيونها البرية وذلك بفعل مشترك من كل من موقعها وموضعها . . وهناك رأي آخر ، أن بعض من عيون الماء الداخلية ترجع مياهها في الأصل إلى مياه الأمطار المحلية التي إستطاعت التسرب إلى ما تحت سطح التربة وتجمعت فوق الطبقة المائية المالحة مكونة مصائد للمياه العذبة .(1)

وتأتي الأمطار من حيث الأهمية فى مرتبة متأخرة كمصدر من مصادر المياه لجزر البحرين الصحراوية لندرتها ، وإن نزلت فإن معدلها محدود جداً وتتصف فترات سقوطها عموماً بعدم الإنتظام في موعدها وكميتها مثلها في ذلك مثل أمطار واحة القطيف للساحل الشرقي لجزيرة العرب . وتسقط الأمطار ضمن أيام فصلي الشتاء والربيع وهي الأيام المحصورة ما بين منتصف شهر أكتوبر إلى منتصف شهر فبراير ، ويتراوح معدل الأمطار السنوية ما بين 33-49 ملم ، وعلى هذا فالبحرين على أساس علاقة الصحارى بالمعدل العام للأمطار تقع ضمن الهوامش الداخلية للصحارى الحارة لأن معدل أمطارها أقل من 127 ملم(2) ، ثم أنها غير منتظمة في سقوطها وكميتها ويصل فصل الجفاف الذى يليها إلى أكثر من تسعة شهور .



شكل رقم (13) رسم بياني لمعدل تساقط الأمطار لجزر البحرين (بالمليمتر)

وهكذا كان الماء مشكلا لحياة المجتمع المحلي ، سواء في تركيب الجزر من كونها جزر ، أو في انتشار الينابيع والعيون ، أو في ندرة مياه الأمطار وإنعدام الأنهار ومسطحات المياه الداخلية الجارية ، كل هذه العوامل المرتبطة بالماء أثرت على إرتحال السكان وإستيطانهم للجزر على مدى التاريخ القديم والحديث لعمران الجزر . . هذا بالإضافة إلى تشكيل النشاط الاقتصادي للمجتمعات الساكنة وحصر هذا النشاط في أنماط إنتاجية تقليدية ترتبط أساساً بالماء . فلقد عرفت الجزر منذ أقدم العصور الغوص في ماء الخليج لإستخراج اللؤلؤ ، كما عرفت المجتمعات الزراعة كحرفة محلية حول ينابيع المياه المنتشرة . أما التجارة ـ النمط الثالث للإقتصاد التقليدي المحلي ـ تعد من أهم الأنماط التي إرتبطت بالموقع الإستراتيجي للجزر وعلاقاتها الملاحية كمحطة إتصال متوسطة في وسط الخليج . .

**البعد الثالث للمكان ـ المناخ :**

إن دراسة المناخ له أهميته الكبرى ليس فقط كظاهرة بيئية وجغرافية ، ولكن كعامل أساسي لعمران المكان . وجزر البحرين تقع ضمن الأقاليم المناخية الحارة وبالتحديد ضمن نطاق الصحارى الحارة منها ، والتي يزيد معدل حرارتها السنوية عن 18° م . . بل أنها تقع ضمن أكثر مناطق العالم جدباً وهذا ما يؤكده موقعها الفلكي فيما وراء المدارين وموقعها الجغرافي بالنسبة لصحاري الجزيرة العربية في الغرب والإيرانية في الشرق ، بالإضافة إلى ما أثبتته التسجيلات الحديثة ـ للمعدلات اليومية والشهرية لعناصر مناخها خاصة عنصري الحرارة والأمطار .

ولتوضيح أهمية ودور المناخ كبعد ثالث للمكان على عمران المجتمعات المحلية ، لا بد من بحث عناصره من حيث أوضاعها التقليدية ولو بشكل موجز وسريع ، ونحدد تلك في ثلاث عناصر بالإضافة إلى الأمطار وما تعرضنا له في البعد الثاني للمكان : أما العناصر الثلاثة الأخرى هي : الحرارة والرطوبة والرياح .

**الحـــرارة :**

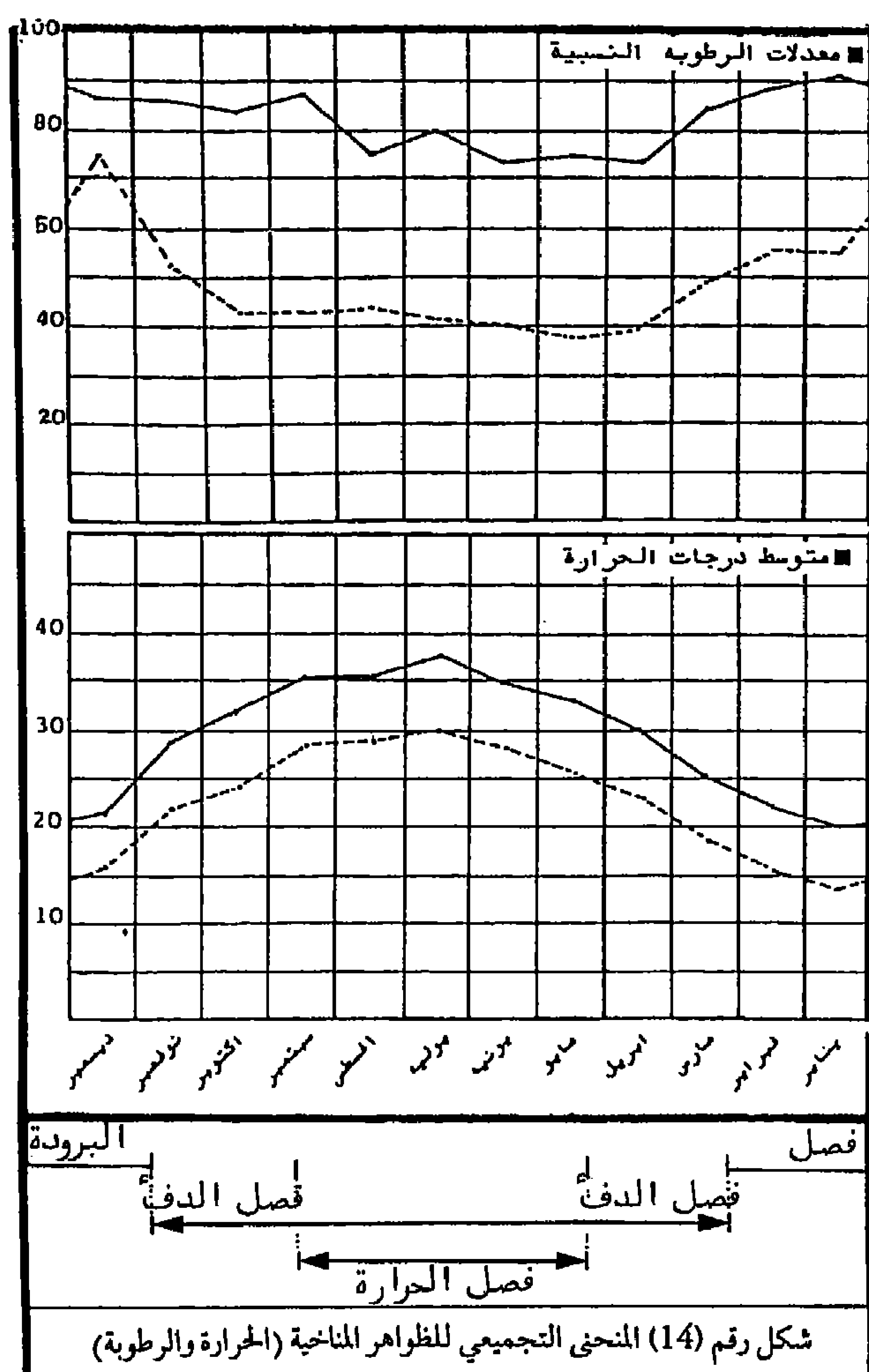
لا شك أن عنصر الحرارة من أهم عناصر المناخ وأكثرها تأثيراً على الإنسان وحياته ، وعلى أثر إختلاف معدلات الحرارة من فترة لأخرى فلقد قسمها المتخصصون ، على أساس ثلاث فترات حرارية لكل منها أربعة أشهر ، لأن نظام الفصول الأربعة ليس واضحاً في هذه الجزر الصحراوية والخاضعة لعدة تأثيرات جغرافيـة . أول الفصول : فصل البرودة ويمتد من ديسمبر إلى مارس ومعدل

(1) الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ........................ ص 101
(2) الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ........................ ص 95-98

حرارته 13°م وهي ألطف الفترات المناخية ، ثم فصل الدفء ويشمل شهري إبريل ومايو ثم أكتوبر ونوفمبر من كل عام ، أي على فترتين مناخيتين منفصلتين ، ويبلغ معدل درجة حرارته 22°م وفيه تزداد الرطوبة الهوائية . وأخيراً فصل الحرارة ويشمل الفترة الممتدة بين مايو وسبتمبر ، ويصل معدل حرارته إلى 40°م وتعتبر هذه الفترة أسوأ الفترات المناخية الثلاث في جزر البحرين ، فبالإضافة إلى إرتفاع حرارتها تكون مصحوبة بإرتفاع كبير في نسبة الرطوبة[1] ويوضح الجدول التجميعي رقم ( 1 ) معدلات درجات الحرارة والرطوبة النسبية لجزر البحرين حسب إحصائيات عام 1984 ونخلص من هذا الجدول إلى المنحنى التجميعي شكل رقم (14) والذي يعبر عن الظواهر المناخية الحرارية على مدار العام ويحدد الفصول الثلاث السابق تحديدها .

## الرطـــوبة :

يأتي عنصر الرطوبة في تأثيره على العمران ونشاط الإنسان الحياتي بعد عنصر الحرارة ، فجزر البحرين تعرف بإرتفاع رطوبتها النسبية والحقيقية كأبرز عناصرها المناخية وذلك في معظم أشهر السنة خاصة شهر أغسطس وما يليه ، حيث



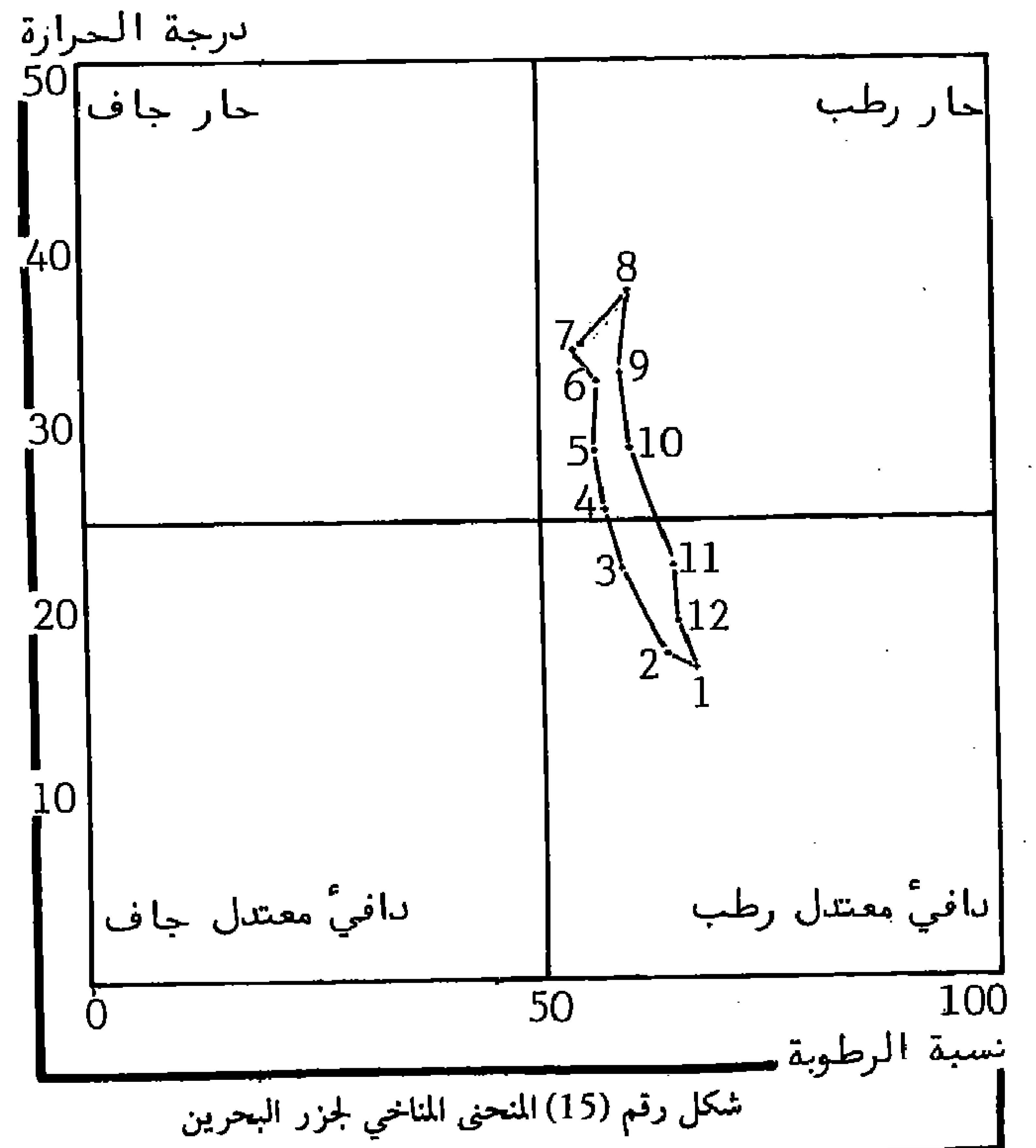
شكل رقم (14) المنحنى التجميعي للظواهر المناخية (الحرارة والرطوبة)

| | يناير | فبراير | مارس | إبريل | مايو | يونيو | يوليو | أغسطس | سبتمبر | أكتوبر | نوفمبر | ديسمبر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| معـــدل درجـــات الحـــرارة العظمى | 20,1 | 21,7 | 25,4 | 30,1 | 32,9 | 34,8 | 37,7 | 35,6 | 35,5 | 31,8 | 28,3 | 21,5 |
| معـــدل درجـــات الحـــرارة الصغرى | 13,2 | 15,3 | 18,1 | 22,2 | 25,3 | 27,8 | 29,8 | 29 | 27,5 | 23,9 | 21,5 | 15,6 |
| أقصى درجة حرارة | 24,5 | 29,3 | 33,5 | 38,2 | 39,4 | 37,4 | 41,6 | 37,5 | 40,5 | 36,8 | 32,4 | 26,4 |
| المعـــدل الأعـــلى للرطوبة النســـبية | 91 | 89 | 85 | 74 | 75 | 73 | 80 | 75 | 87 | 84 | 86 | 86 |
| المعـــدل الأدنـــى للرطوبة النســـبية | 56 | 56 | 49 | 39 | 37 | 40 | 41 | 44 | 43 | 43 | 53 | 75 |
| المعـدل الشـــهري للرطوبة النســـبية | 75 | 75 | 68 | 57 | 56 | 55 | 61 | 58 | 66 | 65 | 71 | 73 |

جدول رقم (1) معدلات درجات الحرارة والرطوبة النسبية لجزر البحرين (احصائيات عام 1984 ميلادية)

(1) الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ........................................ ص 85

تحمل الرياح البحرية السطحية معها كميات كبيرة من الرطوبة نحو يابسها خاصة في الليل حيث تبدأ مياه الخليج في إشعاع الحرارة التي إكتسبتها في النهار ، وتتخلص منها ومعها كميات هائلة من بخار مياهها حتى تصل الرطوبة النسبية إلى 100% أو أقل بقليل الجدول رقم ( 1 ) ورغم إرتفاع معدل الرطوبة النسبية فإن كميتها الحقيقية ونسبتها تختلف من فصل لآخر . . ويوضح المنحنى المناخي شكل رقم (15) العلاقة بين عنصرى الحرارة والرطوبة في جزر البحرين لمعدلاتها .



شكل رقم (15) المنحنى المناخي لجزر البحرين

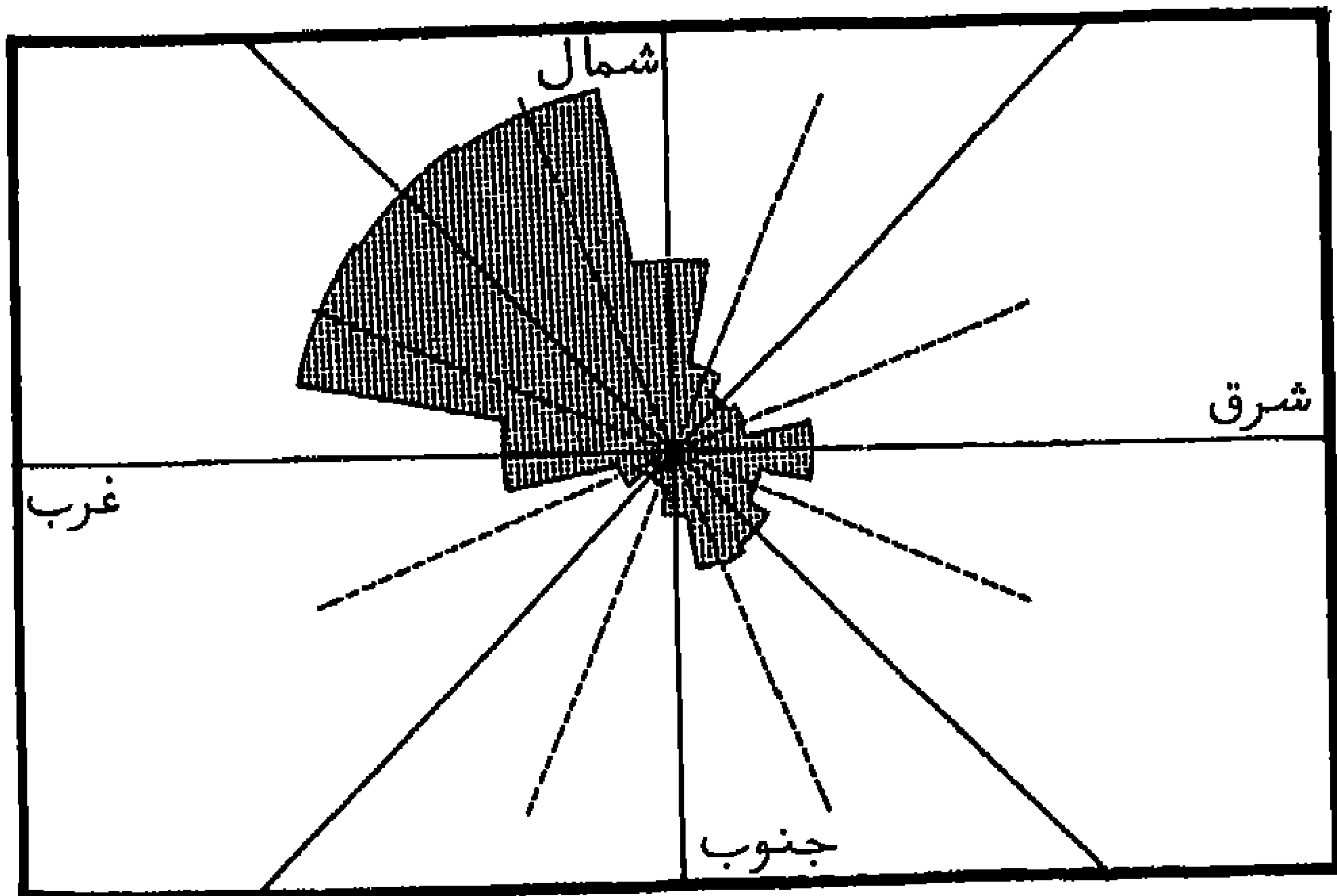
## الريـــــاح :

تتميز الرياح بتعدد أنواعها وإتجاهاتها طيلة فصول السنة المناخية وبالتالي خضوع البحرين لتأثير مصادر الرياح المارة حولها أو من فوقها كالصحراء العربية وغرب إيران ومياه الخليج العربي والبحر المتوسط وحتى شمال المحيط الأطلسي . . إن البحرين مثلها مثل جميع مناطق الخليج العربي تخضع لمناطق عديدة من مناطق الضغط الجوي المرتفع أو المنخفض الرئيسية منها أو الثانوية سواء المتمركزة فوق المحيط الهندي أو اليابس الآسيوي أو الضغط الأزودي ، وتتوزع مناطق الضغط على فصول السنة . وقد أطلق السكان أسماء محلية على جميع الرياح الهابة على البحرين ـ الدائمة والمحلية ـ وقد اشتقت هذه الأسماء من إتجاهات الرياح أو من أسماء النجوم أو بالنسبة لفترة هبوبها وهم في هذا كغيرهم من سكان الخليج . . وأهم أنواع وإتجاهات الرياح التي تخضع لها هذه الجزر على مدار السنة وفي فتراتها المختلفة ما يلي[1] :

**الرياح الشمالية** : تهب في فصل الصيف من منطقة الضغط الأزوري وتكون في إتجاهها شمالية غربية منعشة وملطفة لدرجة الحرارة لمدة 40 يوماً ، ويطلق عليها رياح الأربعين . بينما تهب فى فصل الشتاء وتستمر في إتجاهها الشمالي الغربي وتؤدي إلى إنخفاض درجة الحرارة وزيادة البرودة ، وسرعان ما تتأثر هذه بالإنخفاضات الجوية التي تصاحب هبوب الرياح العكسية الغربية مما يسبب سقوط الأمطار على البحرين وجميع مناطق وسط وشمال الخليج .

**رياح الكوس** : وهو اسم محلي يطلق على رياح محلية تأتي من الجنوب أو الجنوب الشرقي وأحيانا من الشمال حسب الموسم المناخي ، وتهب في الفترة ما بين نوفمبر وديسمبر ، ثم إبريل وأغسطس من كل عام . وتسبب إرتفاع في درجة الحرارة مع عواصف هوجاء ـ أحياناً ـ لأنها بقوتها قادرة على حمل وإثارة الأتربة .

**الرياح الغربية** : وتسمى أحيانا الجنوبية الغربية ، وهي رياح محلية ذات أثر سيء مصدرها صحراء شرق الجزيرة العربية تأتي محملة بالأتربة والرمال ، ولكنها أحيانا تكون صافية وهي رياح ـ لطبيعة مصدرها ـ ترفع من درجة الحرارة وتكون ذات أثر سيء مناخياً ومعيشياً بالتالي .



شكل رقم (16) وردة الرياح لجزر البحرين

(1) الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ........ ص 104-106

وهكذا ، فمن البيئة الطبيعية هذه نشأت ذاتية المكان وذاتية الإنسان ساكن الجزر ، ووفقا لهذه الذاتية تكونت للمجتمع المحلي أخلاقيات وأعراف وعادات وتقاليد ومؤسسات قد تتشابه وقد تختلف عن المجتمعات الأخرى ، وبهذه الذاتية إنتظم هذا المجتمع وترسخت ثقافته المحلية وتشكلت مظاهر وأنماط لحضارة محلية عُرفت قوانينها وسلوكياتها الخاصة ، أي إنه بهذه الذاتية تشكلت مقدمة العمران بجوانب متعددة سياسية وإقتصادية وإجتماعية .

وسنتعرض في الباب الثاني من هذا الكتاب بالدراسة والتحليل لتلك الجوانب ودورها في عمران مدينة المحرق خاصة ، والمجتمع المحلي للجزر عامة . . دون التعرض لتقييم هذا المجتمع وعمرانه تقييما أخلاقياً أو حتى جمالياً ، ولكنها كما حددنا نظرة تحليلية تركيبية ـ نقرأ بها ومن خلالها ذاتية المجتمع وثقافته ، حضارته وهـويته . . تـاريخه وجغرافيته . . عمرانه . .

ومن هنا فإن دراسة البيئة والمكان ليست مجرد تقرير لحقيقة علمية مطلقة تخضع للقياس العلمي والإحصائي ، وذلك على الرغم من إنها تعتمد أساساً ـ وما ينبغي لها غير ذلك ـ على مادة علمية موضوعية بحتة ، ولكنها إستقراء لتلك الأنساق المكانية العامة التي شكلت عمران المجتمع ، إنها دراسة المكان لتحديد روح هذا المكان ، حسب تعبير د. جمال حمدان ، بل إننا نذهب إلى أبعد من ذلك للوصول من آلاف التفاصيل ودقائق الجزيئات وركام العلوم إلى الكليات العامة والمعادلات المركبة أو البسيطة الضابطة ، والقوانين الأساسية الحاكمة ـ وهذا هو هدف العلم ـ أي علم ـ وهو أيضا مقياسه ومحكه كعلم حقيقي ـ وهذا إينشتين ، على سبيل المثال ، حاول أن يختزل الكون كله في معادلة رياضية واحدة .

وتعقيبا لهذا العرض الموجز للبيئة والمكان لجزر البحرين ـ عموماً ـ نعرض بشكل محدد لتلك الكليات العامة التي تشكل المعادلة الأساسية أو مجموعة القوانين التي أثرت على العمران . وفيما يلي نعدد بعض هذه العموميات :

(1) الإنعزال المكاني ـ أو الكونية المصغرة (Micro) كنتيجة لطبيعة الجزر وذاتيتها كإقليم جغرافي منعزل رغم إرتباطها بالسواحل الخليجية سواء الشرقية منها أو الغربية ـ مما أدى إلى تميز طبيعة الإستيطان المحلي بأنماط عمرانية مختلفة نسبياً ، وليست متناقضة أو متنافرة مع الثقافات الإقليمية المزامنة لها . . وأكد تفرد الجزر ، إختلاف تشكيل الماء كبعد ثاني للمكان ، وما يتبعه من مستقرات عمرانية وإستيطانات شبه دائمة .

(2) التوازن الأيكولوجي بين الأبعاد الثلاثة للمكان : الأرض والماء والمناخ . . أن هذا التوازن شكل المنظومة العامة للنشاط الإنساني في الجزر ، سواء على الأرض في بناء المستقرات العمرانية ، وفي نشاط زراعي إقتصادي ، أو للغوص بحثاً عن اللؤلؤ نشاط السكان الأساسي منذ أقدم التاريخ ، وأدت هذه المنظومة الأيكولوجية إلى توازن آخر بين إستعمالات المكان وإستغلال موارده الطبيعية وإمكاناته وطاقاته الكامنة .

(3) التكامل بين الأضداد في تتابعات متواترة خلقت إيقاعات ثابتة رغم تغيرات نغماتها سواء في حركات المد والجزر أو التغيرات المرتبطة بها في سواحل وشواطىء الجزر منذ أقدم العصور المعروفة ، أو في تغيرات الرياح أو الحرارة أو الرطوبة ، (كما أوردنا في عرض عناصر المناخ ـ البعد الثالث للمكان) على مدار السنة ، ولقد أدى هذا التضاد إلى إيجاد محور ثابت تتكامل حوله تلك المتغيرات للأبعاد الثلاثة : في الأرض والماء والمناخ .

(4) الإئتلاف بين كل من الموقع والموضع لمجموع جزر البحرين عموماً ولكل منها منفردة . . وهو توافق بين محلية الموضع ومادته المكانية وبين علاقات الموقع وفكرته الهندسية غير المنظورة . . ولقد أدى هذا الائتلاف إلى تواتر الهجرات الإستيطانية للجزر على مدى التاريخ القديم والحديث وما يرتبط بهذه الإستيطانات من عمران للجزر .

هذا إذن عن جانب البيئة والمكان ، عن جغرافية المكان غير أن تلك الجغرافية الطبيعية لا تكفى لفهم الذاتية المحلية للإنسان والتعرف على العمران ، فشخصية أي مجتمع هي كجبل الجليد الطافي لا يظهر منه إلا قلة وهو تلك الجغرافية الطبيعية أو حتى البشرية . أما الجسم الغاطس الأكبر فهو البعد أو العمق أو الوراء التاريخي ، وهو مشكل مقدمة العمران بجوانبهـا الثلاثـة : السياسيـة والإقتصاديـة والإجتماعية . . والأمر في هذا ليس مجرد إهتمامات أنتيكية أو ولع بأمجاد الماضي أو تراث السلف وإنما هو محصلة تفاعل الكل . . المكان في الزمان والإنسان على العمران . .

# الإستيطان

ينشأ الإنسان في حياة جمعية أياً كان نطاقها أو الأهداف التي تسعى إليها ، وهناك مجموعة من الظواهر والأوضاع والقوالب تنشأ مع إجتماع الأفراد ، من تقابل عواطفهم ، وتبادل أفكارهم ، وتتبلور هذه الظواهر في العادات والتقاليد وقـواعد السلوك والآداب العـامة . . ثم في النـظم والتشريعات ، فليس المجتمع على هذا النحو مجرد حشد من الأفراد كيفما إتفق ، لكنه إجتماع قد ينشأ تلقائياً إلا أنه من الضروري تدخل العقل والإرادة التنظيمية لتقرير أوضاعه وفقا لإتجاه العقل الجمعي ، وما يرتضيه شعور الجماعة وما يتطلبه تحقيق المصالح والأهداف . . [1]

إذن فهذا الإجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من إعتمار العالم بهم وإستخلافه إياهم . . حسب تعريف العلامة إبن خلدون في مقدمته :

«الإنسان مدنى بالطبع أى لابد له من الإجتماع الذى هو المدنية . . وهو معنى العمران» [2]

بعد إستقرار المجتمع وحين تنسجم رغبات الإنسان ويتحول السلبى مع الإيجابى إلى إتجاه إجتماعى تعاونى بناء يأتمن له الأفراد . . عندئذ يكون العمران المتمثل في الأنماط المختلفة من السلوك والتفكير والمعاملات التي إصطلحت عليها الجماعة في حياتها ، والتى قد تتناقلها الأجيال عن طريق الأتصال أو التفاعل الإجتماعي . . ويستمر عمران المجتمع من خلال أنواع من التنظيم فيما يعرف بالمنظمات الإجتماعية ، والمنظمة الإجتماعية حسب تعريف المختصين ليست بالضرورة مرتبطة ـ كما هو المفهوم الشائع ـ بمكان مادي ، إنما هي جملة من المواصفات والمصطلحات تتصل بإحتياج من الإحتياجات الإجتماعية . . وهي أيضا نوع أو نمط أو نسق من التفكير والسلوك ومنها ما يعرف بالعادات والتقاليد . . [3]

يتشكل عمران المجتمع من مجموعات كثيرة من هذه المنظمات الإجتماعية ولكل منها ميدانه ومجاله في تنظيم النشاط الإنسانى داخل المجتمع . . وإصطلح علماء الإجتماع على تقسيم المنظمات إلى ما يتصل بجوانب الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية . . والمهم في كل هذا ، أن هذه المنظمات ـ وما يرتبط بها من جماعات الناس التي تباشر تنظيمها ، وما ترسمه من قواعد وسلوكيات وتنظيمات وقيم وإبداعيات مادية ووجدانية ـ هى التي تمثل نسيج الحضارة للمجتمع وهو في إصطلاحنا هنا . . عمران المجتمع . ومن العسير إجلاء ماهية عمران مجتمع ما ، دون الرجوع إلى الظروف التاريخية السابقة والمعاصرة لنشأة المجتمع وتطوره بالإضافة إلى التعرف على منظماته . . بجوانبها الثلاثة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية .

وتبدأ دراسة الجوانب المجتمعية للإستيطان للمجتمع المحلي في البحرين من الخلفية التاريخية برافديها (المكان والزمان) ، فالعامل التاريخي هو الدعامة الأولى التي تهيىء التعرف على الجوانب المجتمعية وعلى ممارسات هذا المجتمع . ويمتد تاريخ البحرين إلى الألف الثالث قبل الميلاد

(1) المدخل إلى علم الإجتماع ........ ص 114
(2) كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر ........ ص 33 - 34
(3) بعض مفاهيم علم الاجتماع ........ ص 14

إذ تدل الحفائر القليلة على إحتمال أن هنالك عمران وإستيطان لهذه الجزر على شكل تجمعات تجارية ، كانت هي رائدة التجارة في مياه الخليج والهند وتدعى هذه باسم «ديلمون» ، ويقال أن المؤرخ بليني هو الذي أطلق على الجزر هذا الأسم مشيراً إلى لآلئها وأحجارها الكريمة .[1] ولا نسمع شيئا عن ديلمون (جزر البحرين) من بعد سقوط الأمبراطورية الأشورية في القرن السابع قبل الميلاد ، حتى مغامرات الأسكندر المقدوني في الشرق ، حيث يرد ذكر جزر البحرين بأسماء تيلوس وأرادوس ، وذلك في الخريطة التى رسمها بطليموس .

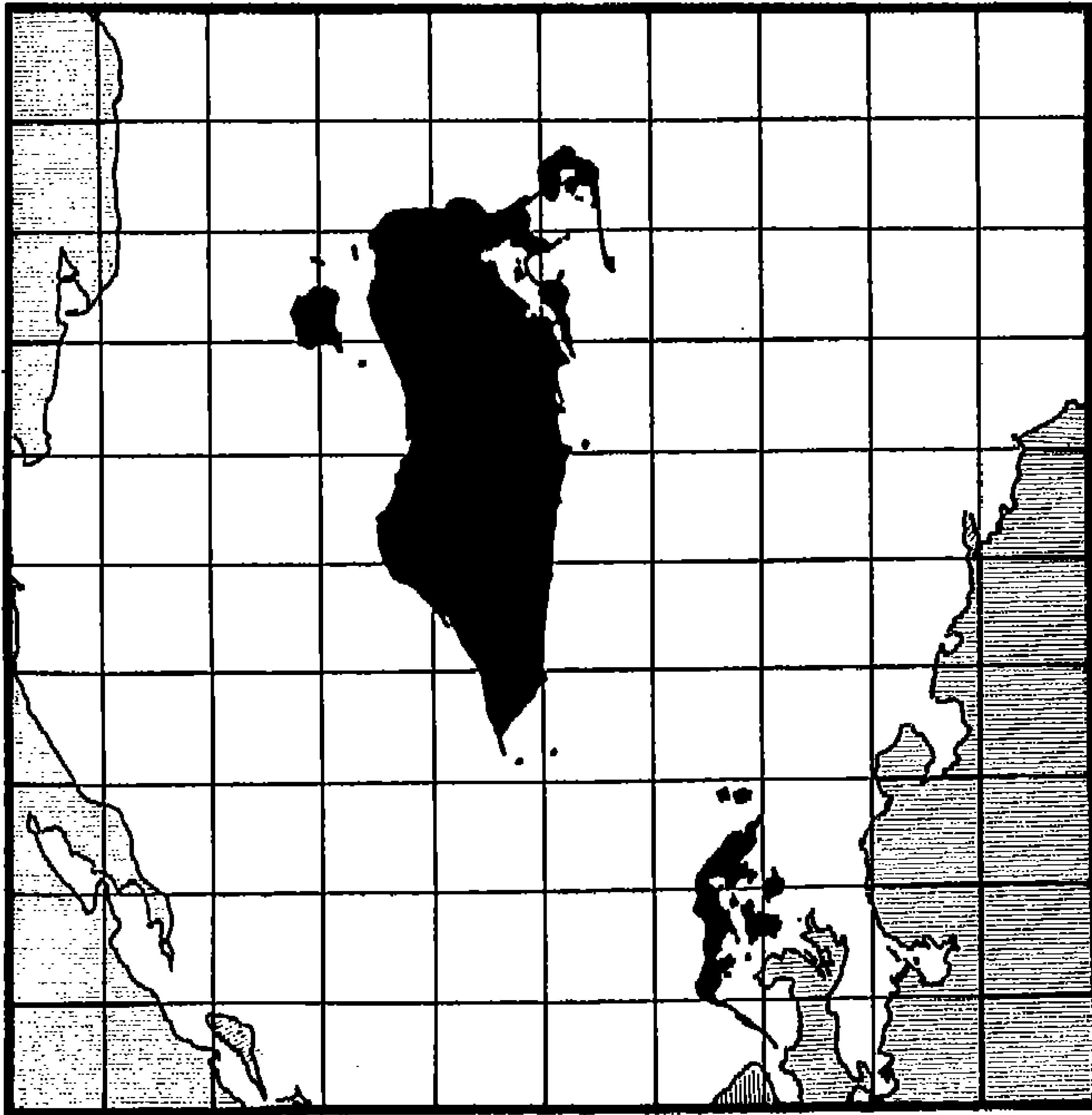
ويسجل القرن الثالث قبل الميلاد دخول القبائل العربية إلى الجزر حين عرفت كبراها بأسم "أوال" نسبة إلى صنم أوال لقبيلة بكر بن وائل العربية ، والتي أستوطنت الجزر وحكمت فيها خلال تلك الفترة .[2]

إنه أمر محير في تاريخ جزر البحرين ذلك التغيير في التسمية الذي مرت به منذ التاريخ القديم المعروف وحتى الحقبة الحديثة من التاريخ :

ديلمون / تيلوون / تلمون .
نيدوك - كي .
انكي .
نينخور ساك .
بيت نسبانو .
تايلوس / أرادوس .
ايكارا .
أوال / المحرق .
البحـــرين .

وليس هناك تفسيراً محدداً تاريخياً لهذه التغييرات ، ولكن يمكن وضع فرضية من استقراء التاريخ الحديث والمعاصر للمنطقة بأن هذه الجزر عاشت تاريخ هجرات مستمرة ، وكانت نقطة إستيطان شبه دائم لتركيبات متفرقة من المجتمعات إستوطنتها فترة ثم هجرتها لمناطق أخرى . . وتكررت تلك العمليات الإستيطانية والهجرات ، ويبدو أن هناك فترات تاريخية تتعدى عمر الجيل أو الجيلين بين هذه الإستيطانات . . وتقبل هذه الفرضية ضمنيا أن يكون هناك مجتمع محلي سكن الجزر على مدى هذا التاريخ ، وكان لإستيطانه صفة الديمومة النسبية ، ويؤكد هذا ، الأهمية الإقتصادية للجزر ضمن إطار الإقليم . . وبالتالي ثبات النظم الأقتصادية على مدى التاريخ القديم والوسيط . . ولكن عملية الإستيطان المتواترة هذه كان لها البعد السياسي لحكم الجزر ، وتبقى هذه الفرضية تقبل الشك إلى أن تثبتها أو تفندها الدراسات التاريخية والجغرافية المتخصصة ، وإن كان مما يرجح صحة الفرضية ما يستنتج من حديث البلاذري في فتوح البلدان عن أنه لم يكن للبحرين قبل الفتح الإسلامي سلطة ثابتة تنتمي إلى أى من الدول الكبرى .

وترجع أهمية الفرضية السابقة إلى أن نمط الإستيطان السياسي القائم على الهجرة هو نسق تاريخي لجزر البحرين ولهذا أهميته في تحليل وفهم المنظمات السياسية في الحقبة الحديثة والمعاصرة ، حيث لم يتغير هذا النسق السياسي في جوهره وإن إختلفت أشكاله وظواهره .


شكل رقم (17) خريطة أرخبيل جزر البحرين

ويحدد عام 630 للميلاد دخول البحرين في الإسلام على يد أبي العلاء الخضرمي الذي أرسله النبي ﷺ لهذا الهدف ، وبطبيعة الحال كان دخول الإسلام نقطة تحول تاريخية في مسار جزر البحرين مثلها مثل سائر المجتمعات التي دخلت

(1) البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ........ ص 38
(2) ملوك العرب ........ 236

الإسلام .. وعندما آتى المسلمون إلى شرق الجزيرة العربية عند سواحل الخليج وجدوا أناساً مختلطي العقائد بشكل غريب فكانوا مسيحيون ويهود ومجوس وبدو عرب من الوثنيين .(1) وظلت جزر البحرين وشرق الجزيرة العربية خلال الثلاثمائة والخمسين عاماً التالية محكومة بولاة من قبل الخلفاء ، ولكن من وقت لآخر كانت تحدث هناك ثورات سياسية دينية ضد السلطة المركزية ، والواقع أن البحرين عموماً تأثرت بحركات المعارضة الإسلامية من حركة الخوارج وحركة الزنج وثورة القرامطة .. وكانت جزر البحرين لانعزالها بالبحر عن باقى جزيرة العرب خلال التاريخ الإسلامي ، ملجأ للمعارضين السياسيين أو الخارجين عن السلطة المركزية ، أو كانت منفى لهم .. وذلك حسب الحالة العمرانية لهذه الجزر من ازدهار أو تدهور خاصة الجوانب السياسية للعمران .(2) . تعاقب على البحرين بعد هذا حكم القبائل العربية والمغول .. حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وللأسف فإن التاريخ المكتوب عن هذه الفترات قليل ولا يعطى الصورة الدقيقة لطبيعية الحكم والمنظمات السياسية وممارستها للسلطة .. ولكن تعتبر الإكتشافات الجغرافية في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي على يد البرتغالين هى نقطة التحول الثانية لتاريخ الجزر حيث دخول البحرين في الإسلام نقطة التحول الأولى .. وعموماً يمكن تقسيم المرحلة التاريخية لجزر البحرين إلى ثلاث حقبات رئيسية هي :

حقبة التاريخ القديم .......... ديلمون / تايلوس
حقبة التاريخ الوسيط الإسلامي ............ أوال
حقبة التاريخ الحديث ............... البحرين

وبناءًا على الفرضية الأولى الأساسية للنسق التاريخي للإستيطان السياسي فيمكن الفصل الأعتبارى لكل حقبة من هذه الحقبات عن سابقتها بحيث يؤكد هذا الفصل حدث له صفة الشمولية ، كظهور الإسلام أو كالإكتشافات الجغرافية ، ولكن في ذات الوقت يرتبط الحدث بصلة جوهرية في تشكيل أو تغيير المنظمات السياسية لتلك الجزر .. وبطبيعة الحال يمكن تقسيم كل حقبة إلى تقسيمات فرعية ومتشعبة تحدد كل منها فترة حكم أو حقبة إستطيان سياسي معين ، ونظراً لغياب الدراسات التاريخية المتخصصة عن الحقبتين الأوليتين للتاريخ القديم والوسيط من جهة ، ولإرتباط الأوضاع المعاصرة للعمران ـ موضوع الكتاب ـ بجذور مباشرة بالحقبة الحديثة من جهة أخرى فسنركز هنا على حقبة التاريخ الحديث باعتبار أن القرن السادس عشر أو نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين هما الميلاد التاريخي لهذه الحقبة .

---

(1) البحرين في صدر الإسلام .................... ص 46 - 47
(2) ذكر كثيرون من الكتاب والمؤرخين استعمال أوال أو جزر البحرين الحالية كمنفى سياسي راجع في ذلك :
التحفة النبهانيه .................... ص 39
ساحل الذهب الأسود .................... ص 148
البحرين عبر التاريخ ....................

الفصل الأول

# الجوانب المجتمعية للإستيطان

**تمهيد ..**

إكتشف الرحالة البرتغالي ڤاسكو داجاما - بفضل الملاح العربي أحمد بن ماجد - الطريق للهند عام 1498 ميلادية وأصبحت السفن تجوبه للتجارة أو للطمع والإستعمار وقد ترتب على هذا نتيجتين هامتين بالنسبة لإقليم الخليج[1]:

**الأولى** - أنه وضع حداً للسيطرة العربية والإسلامية في تلك المنطقة ، إذ بدأ الأوروبيون يغزون سوق الشرق وينافسون القوة البحرية العربية .

**الثانية** - ان المستوطنات العربية أصبحت الجسر الذى تعبر عليه تجارة الهند وأوروبا ، وهذا بدوره فتح العيون الأستعمارية على أسواق ومستعمرات جديدة لهم في المنطقة العربية .

إن أول من لفت نظر الأوروبيين للمنطقة عامة والخليج خاصة ، وحثهم على إحتلاله كان القائد البرتغالي «البوكيرك» ، الذى ذكر في إحدى رسائله أنه باحتلال هرمز والبحرين يستطيع أن يضع الخليج بأكمله تحت إدارته ، وبالفعل في عام 1521 الميلادية تعرضت البحرين للإحتلال من طرف البرتغاليين الذين تغلبوا على سلطان عمان واستولوا على البحرين منه .[2] وفي نهاية القرن السادس عشر خضعت البرتغال للأسبان وبدأت قوتها تتضاءل في الخليج ، ثم استطاع شاه فارس عباس الأول بمساعدة شركة الهند الشرقية الإنجليزية من طرد البرتغاليين من هرمز وجزر البحرين ، وحكمت عندئذ من قبل القبائل العربية التي تستوطن سواحل إيران الجنوبية ، وفي غضون ذلك إتجهت أنظار بريطانيا إلى الشرق ، خاصة بعد سحق الأسطول الإسباني في معركة الأرمادا عام 1588 الميلادية ، وتم تأسيس ما يعرف بشركة الهند الشرقية الإنجليزية عام 1600 الميلادية [3] وبدأت بريطانيا في تعزيز نفوذها والقضاء على المنافسين لها في المنطقة فتخلصت من هولندا ، وتأكدت بإن إنشاء إمبراطورية لها في الهند يحتاج إلى المحافظة على الطريق المؤدى إليها ، فتحول نشاطها التجاري إلى نشاط سياسي ، وأخذت تعمل لتعزيز قبضتها وسلطتها على دول وأمارات المنطقة . . وكانت البحرين أولى الأماكن التي إجتذبت أهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج [4] .

وباستعراضنا السريع للظروف السياسية لمنطقة الخليج خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين نجد أن هذه الفترة أمتازت بصراع عانى منه الخليج كله بدءًا باضمحلال النفوذ البرتغالي حتى نشطت التجارة الهولندية التي ورثتها القوة البريطانية ولكنها واجهت مشاكل عديدة نتيجة الفوضى التي عمت فارس وانعكس ذلك على أوضاع الخليج الاقتصادية التي شجعت بعض القبائل العربية من وسط جزيرة العرب ، ومنهم العتوب [5] بالتوجه شرقا

(1) تاريخ البحرين السياسي ........ ص 52-53
(2) الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ........ ص 34
(3) لم تكن شركة الهند الشرقية ، شركة تجارية إذ أن عقود أمتيازها تمنحها حق حشد الجيوش وتكوين الأساطيل البحرية الحربية في مناطق إحتكارها وعقد المعاهدات وإعلان الحرب وإبرام الصلح وغيرها من الإمتيازات الملكية .

(4) تاريخ البحرين السياسي ........ ص 84-86
(5) العتوب : هم قبائل عربية كانوا يسكنون بأرض الهدار من بلدان الأفلاج بنجد نزحوا إلى الكويت في أوائل القرن الثامن عشر ، وكان آل خليفة أحد عشائر بنى عتبة ، وقد هاجر آل خليفة بزعامة شيخهم محمد بن خليفة من الكويت إلى الزبارة حيث أقاموا مجتمعهم السياسى المستقل الأول هناك عام 1776 الميلادية .

ليثبتوا وجودهم أقتصاديا وسياسيا وليستفيدوا من الظروف المعاصرة في الخليج .

يعتبر إستيطان القبائل والعشائر العربية هذه ، لسواحل الخليج نقطة تحول تاريخية ، وبشكل خاص يعتبر الإستيطان الأول لبنى عتبة في الكويت عام 1716 الميلادية ثم هجرة آل خليفة منهم وإستيطانهم للزبارة عام1776 الميلادية ، هي بمثابة مرحلة حاسمة لتاريخ المنظمات السياسية حيث ظهر على ساحل الخليج نسق سياسي هام خلال هذا وهو دويلات المدن التى كانت على العموم تظهر بين فترة وأخرى باشتداد شكيمة إحدى القبائل أو تندثر بضعفها ، وكان آل خليفة قبيل بداية الربع الأخير من القرن الثامن عشر في الزبارة ـ بشبه جزيرة قطر ـ يشكلون بداية إزدهار إحدى دويلات المدن[1] .

ويعتبر نسق دويلات المدن هذا من الظواهر السياسية التي لها أرتباط وثيق ومؤثر على العمران ، فكانت هناك المدينة المركزية المتميزة بموقعها الحربي ومركزها الإداري السياسي وتكثيف كافة المنظمات الأقتصادية خاصة التجارية بها ، ويتبع ذلك المركز السياسي مجموعة من التوابع في مجال نفوذه الذي يصغر ويكبر حسب قوة وضعف القبيلة صاحبة السلطة السياسية الإجتماعية ، ومن هذه الحواضر السياسية الكويت في بداية القرن الثامن عشر ثم الزبارة قبيل نهاية نفس القرن ثم المحرق مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي . . وغيرها من الحواضر الخليجية التي عاصرتهم أو تلتهم .

بعد أن استقر إستيطان آل خليفة في مدينة الزبارة الجديدة ، كان اهتمامهم بتثبيت تجارتهم وتنميتها خاصة صناعة اللؤلؤ وتجارته ، وكانت زياراتهم الأولى لجزر البحرين من الزبارة تتم على أساس تجاري لغرض شراء اللؤلؤ ، وفي عام 1783 ميلادية . . توجه الشيخ احمد بن خليفة الى جزر البحرين حيث فتح الجزر دون مقاومة تذكر . . وأقام الشيخ أحمد عاملاً من قبله على البحرين ، وعاد هو إلى عاصمته الزبارة .

وقد أدى فتح عتوب آل خليفة لجزر البحرين إلى تنشيط التجارة ، وأصبحوا يقومون بعملية نقل البضائع ما بين مسقط والبصرة وغيرها من الساحل الغربي للخليج . . وهذا بدوره لفت إنتباه بريطانيا من جديد إلى أهمية جزر البحرين من حيث الموقع والنشاط التجاري مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي . . [2]

عموما يمكن تقسيم الحقبة الحديثة لتاريخ المنظمات السياسية بجزر البحرين الى التفريعات التالية :

(1) بداية الحقبة ـ فترة حكم البرتغاليين : 1600 - 1521
(2) ظهور الأطماع البريطانية في الخليج : 1613 - 1752
(3) ظهور دويلات المدن بسواحل الخليج : 1783 - 1716
(4) إستيطان آل خليفة وإستقلالهم بجزر البحرين : 1820 - 1783
(5) فترة الإضطرابات السياسية الداخلية : 1869 - 1820
(6) بداية الحماية البريطانية الخارجية في الخليج : 1869
(7) التدخل المباشر للسلطات البريطانية في السياسات الداخلية لجزر البحرين : 1923
(8) مرحلة ما بعد الإستقلال السياسي : 1971

هكذا مرت البحرين خلال هذه الحقبة بثمان مراحل أساسية إعتبارية ، تميزت خلال كل منها المنظمات السياسية بشكل يختلف في بعض الجوانب ـ ولو جزئيا ـ عن سائر المراحل . وتبدأ دراسة عمران مدينة المحرق بشكل تفصيلي ، عند ظهور النسق السياسي العام دويلات المدن مع بداية القرن الثامن عشر ، لما له من دور أساسي وجوهري في تغيير الخريطة السياسية للمنطقة . . ولم تعرف هذه الدويلات حدوداً معلنة أو معينة ولكن كانت الحدود تخضع لقوة وسلطة كل قبيلة في مد نفوذها وسلطتها"[3] . وقد عانت المنطقة كثيراً من شرعية المنظمات السياسية وخاصة شرعية الحكم [4].

---

(1) مشكلات التغير السياسي والاجتماعي ........ ص 11
(2) تاريخ البحرين السياسي ........ ص 84-86
(3) الخليج العربي (بيربي) ........ ص 57
(4) المرأة في دول الخليج ........ ص 46

## الجوانب السياسية للاستيطان 1783 - 1971 . .

إن دراسة الجوانب السياسية للمجتمع المحلي في البحرين خلال الحقبة التاريخية الحديثة يلزم معه دراسة بعدين رئيسيين تتضح بهما الصورة ، ويمكن تسميتهما للتعارف والتحديد :

البعد الأول ـ السلطة الحاكمة . .

البعد الثاني ـ السلطة الإدارية . .

وترجع أهمية البعدين السابقين هنا لأرتباطهما وتأثيرهما في العمران والإستيطان بشكل مباشر ، وسنتعرض لتحليلهما في حدود العلاقات المتبادلة بينهما من جهة وبين العمران بشكل عام وعمران مدينة المحرق بشكل خاص من جهة أخرى . . بإعتبار المحرق نموذج لعمران المجتمعات المحلية في الخليج في الحقبة الحديثة من التاريخ .

### السلطة الحاكمة

إن تأثير البنية الإجتماعية والإقتصادية والمؤسسات التنظيمية المرتبطة بها على نظام الحكم والسلطة الحاكمة في جزر البحرين يتفاوت بتفاوت المراحل المتعاقبة ، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد عدداً من الوقفات الهامة حسب المراحل التاريخية السابق الإشارة إليها :

**الوقفة الأولى** . . مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر تم إرساء السلطة السياسية في أيدي فصائل قبلية إستطاعت السيطرة على مراكز التجارة والغوص في الخليج عموماً والبحرين خصوصاً . . واهتمت هذه القبائل بتماسك القبيلة والمحافظة على إستقلالها كوحدة إجتماعية بحد ذاتها بغض النظر عن الأرض التي تعمل فيها ، وكانت سيادة الأرض عندهم بالدرجة الثانية من الأهمية بعد وحدة القبيلة ، غير أن هذا النسق السياسي للإنتماء القبلي بدأ يتغير في مظهره بعد الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي نتيجة المعاهدة الموقعة عام 1820 بين السلطات البريطانية وشيوخ قبائل الخليج ومنهم شيوخ البحرين ، والتي بموجبها تثبتت القبائل وبطونها كل في اقليم معين ، وكان هدف السلطات البريطانية المعلن ، هو فرض بعض الإستقرار السياسي لتنشيط التجارة وإنتاج اللؤلؤ إذ أن الحروب بين القبائل تعيق الأنتاج وتشل التجارة[1] . . وبالطبع لم يكن هدفها تحديث المجتمعات أو تحضرها . . وكانت تلك هي بوادر الاستقرار ، وبالتالي الإستيطان وعمران التجمعات الحضرية . . في مقابل العمران البدوي السابق . .

كان الحكم ـ كما كان عند سائر قبائل الخليج ـ حكما قبليا ، ووراثيا ، كما تبنى الحكم نسق ثنائية الحكم حيث الأب يُساعد في الحكم من قبل إبنه أو أخوه ، وعند وفاته يكمل الأبناء والأحفاد تقاسم المسئولية والسلطة . وقد بدأ هذا النسق السياسي أثناء حكم آل خليفة للزبارة ولكن بشكل محدود واستمر بعد ذلك معهم في حكم جزر البحرين . .

**الوقفة الثانية** . . بعد أن عاشت البحرين في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر فترة من الحروب والاضطرابات وعدم الإستقرار نظراً لزيادة الأطماع الخارجية في فرض النفوذ والسلطة السياسية على هذه الجزر لأهمية موقعها الإستراتيجي . . أستقر الحكم لآل خليفة في الجزر عام 1809 الميلادية . . وأختار الأخان الحاكمان سلمان وعبدالله إبني أحمد الفاتح إستيطان كل من الرفاع والمحرق ـ بالتوالي ـ حيث جعل الشيخ سلمان من بلدة الرفاع قصبة حكمه فنزل بها وسكنها مع أهله وحلفائه وبن بها قلعة على أساس قلعة فرير بن رحال وزير الشيخ الجبرى ، وهي قلعة قديمة . . بينما أختار الشيخ عبدالله سكن المحرق ونزلها وبنى بها قلعة في أبي ماهر ، وسميت هذه نزول المحرق بعد الزبارة[2]. وعودة إلى النسق السياسي ـ ثنائية الحكم ـ نجد أن المحرق أكتسبت دورها وأهميتها من هذا النسق حيث أصبحت مقر للحكم وعاصمة سياسية في العقد الأول من القرن التاسع عشر وأخذت تزداد أهميتها السياسية بعد وفاة الشيخ سلمان بن أحمد وإنتقال السلطة الى الشيخ عبدالله عام 1825 الميلادية . . وتفردت المحرق بمركز السلطة القبلية لجزر البحرين . . ولكن كانت كثرة المنازعات الداخلية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي حول شرعية السلطة ، مما أدى الى

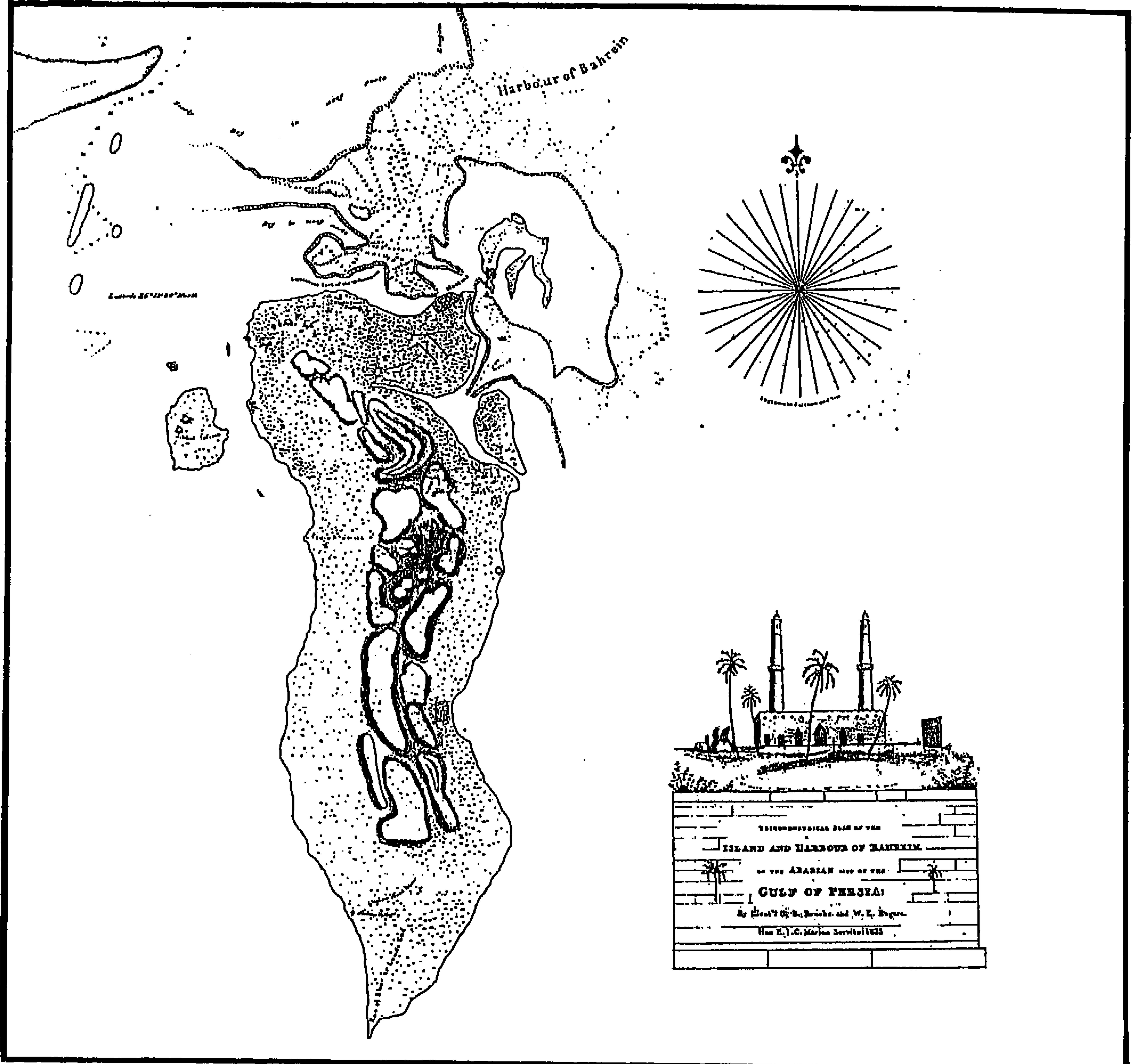
---

(1) القبيلة والدولة ........................ ص 16

(2) التحفة النبهانية ........................ ص 126 - 140

حالة من الأضطراب وبالتالي هجرة بعض القبائل المستوطنة للجزر إلى مناطق مختلفة من الخليج ، فعم خراب ، وأمست المدن في حالة من الفوضى . .[1] ونظراً للأهمية السياسية والإقتصادية والعمرانية لإستيطان هذه القبائل كان تعلق السلطة الحاكمة وعلى رأسها الشيخ عبدالله بن أحمد حاكم الجزر إلى إسترجاع هذه القبائل المهاجرة مرة أخرى لإستيطان البحرين وعمرانها . .[2]

**الوقفة الثالثة** . . بعد أن تم تحييد القوى الخارجية وإحتواء الصراعات الداخلية بدأت البحرين منذ عام 1869 الميلادية تتمتع بحكم قبلي مستقر ، وكان هذا الحكم في شكله ومضمونه أقرب إلى النظام الإقطاعي منه إلى النظام القبلي الذي يعتمد على التجزؤ وتوازن الأجزاء ، وضعفت السلطة المركزية وتفرعت . ويتجلى تنظيم السلطة[3] في البحرين خلال هذه المرحلة في مؤسستين أساسيتين يمثلان

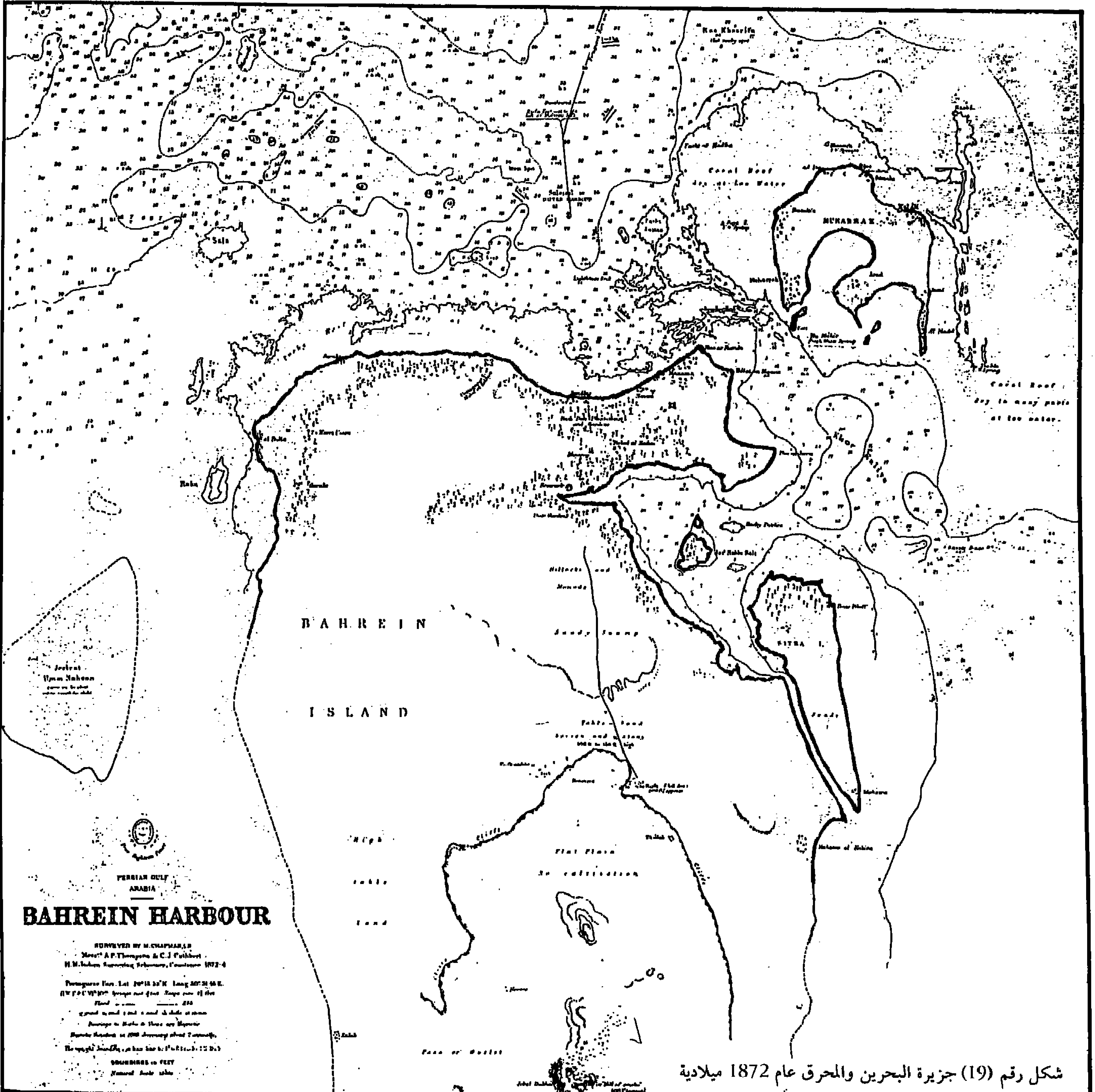



شكل رقم (18) جزيرة البحرين وملحقاتها (دون جزر حوار) عام 1825 ميلادية

(1) مشكلات التغير السياسي والاجتماعي ............ ص 14
(2) دليل الخليج ـ القسم التاريخي ............ ص 1302 - 1303
(3) القبيلة والدولة ............ ص 60

السلطة التقليدية هما :
المجالس القبلية .
المحاكم الشرعية .

أشرفت المجالس القبلية على الموارد والمصادر الأقتصادية كالغوص للبحث عن اللؤلؤ ، والتجارة ، والزراعة ، وصيد الأسماك ، أي أنها أشرفت على عمليات الأنتاج والتوزيع . . بينما أختصت المحاكم الدينية بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والأرث والديون - وقبل أن نتعرض لدور المجالس القبلية كنسق سياسي للحكم علينا أن نفصل هنا بين المجتمع الذى يعتمد مبدأ الأنساب والتناسب المتمثل بتنظيم العشائر وتمايزها ، وبين المجتمع التعددي الذي تسيطر عليه القبائل . . فالأول تنظيم قبلي والثاني حكم قبلي . . ومن الممكن أن يتواجد الحكم القبلي في المجتمعات القبلية كما أنه يتواجد في المجتمعات الحضرية ، فهو نظام حكم وليس مجتمعاً متكاملاً ، وكنظام حكم يتبدل ويتغير وفقاً للأوضاع والظروف القائمة ، وبذلك يكتسب خصائص جديدة تتلائم مع هذه الأوضاع . . فالتنظيم القبلى في المجتمع القبلي نظام قائم



شكل رقم (19) جزيرة البحرين والمحرق عام 1872 ميلادية

بـذاته يستمـد سلطته من التنـظيم العشائـري ومن الأعراف . . أما الحكم القبلي في المجتمع المدني (أو القبلي) فهو فريق سياسي كتبت له الغلبة في الحكم ، ومن هنا يمكن القول أن التنظيم القبلي في البحرين كان نسقاً أساسيا للمجتمع خلال هذه المرحلة . .[1] .

ويستحيل على الدارس للخليج عموماً الفصل بين المنظمات السياسية وبين دور بريطانيا السياسي في الخليج عامة ، والبحرين خاصة ـ خلال المرحلة ما بين عامي 1897 - 1914 الميلادية . .[2] ويبدو أن بريطانيا التى خرجت من الحرب العالمية الأولى منتصرة أرادت أن تؤكد سيطرتها على مناطق نفوذها في العالم ومنها جزر البحرين كمركز سياسي هام في منطقة الخليج . . وبالتالي تشكلت هنا في الجزر السلطة الحاكمة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى من سلطة ثلاثية : وطنية (محلية) ، وأجنبية (خارجية) ، ومختلطة . . كان الشيخ عيسى بن علي يومئذ يدير الأولى (عام 1922 الميلادية) ، والوكيل السياسي البريطاني يدير الثانية ، ورئيس البلدية العجمي يدير الثالثة[3] . .

**الوقفة الرابعة** . . في منتصف مايو عام 1923 الميلادية وصل المقيم السياسي في الخليج إلى البحرين على سفينتين حربيتين وتفاوض مع الشيخين حمد وعبدالله حول تنازل أبيهما عن الحكم . .[4] ومن هذا التاريخ أخذ الوكيل السياسي الميجر ديلي والشيخ حمد بن عيسى بن علي على عاتقيهما الرئاسة المشتركة للإدارة المدنية المستحدثة ، وأمست السلطة الثلاثية أو الحكومة المثلثة ـ كنسق سياسي ـ حكومة مزدوجة ، وتحولت السطة الحاكمة من نسق ثنائية الحكم إلى تشكيل مختلف في مظهره وتركيبه خارجياً . . ولكن مع ذلك أستمر داخليا هذا النسق مع التشكيلات المتواترة للسلطة الحاكمة ، حيث إستمر من خلال السلطة الوطنية في السلطة الحاكمة الثلاثية ، أو مع الحاكم الوطني في الحكومة المزدوجة . . هكذا إستمرت مدينة المحرق مركزاً سياسياً منذ تأسيسها مع نسق ثنائية الحكم على يد الشيخ عبدالله بن أحمد حتى الربع الأول من القرن العشرين بالرغم من ظهور النسق السياسي السلطة الثلاثية وما يمثله من تغييرات تشكيلية على خريطة جزر البحرين العمرانية ، حيث كانت الحكومة المثلثة تلك رأسها في مدينة المحرق ـ العاصمة السياسية والإدارية ومقر الحاكم الوطني ـ وقاعدة المثلث كانت في المنامة ـ مركز الوكالة السياسية البريطانية والإدارة المختلطة متمثلة في البلدية . . ولكن مع تغيير هذا النسق إلى إزدواجية الحكم ومركزية السياسة والإدارة والسلطة تحولت المنامة سياسياً وإدارياً لتكون العاصمة للإمارة . . بالإضافة إلى كونها المركز التجاري والإقتصادي خاصة بعد إنشاء الدوائر الإقتصادية الجديدة المصاحبة لتلك

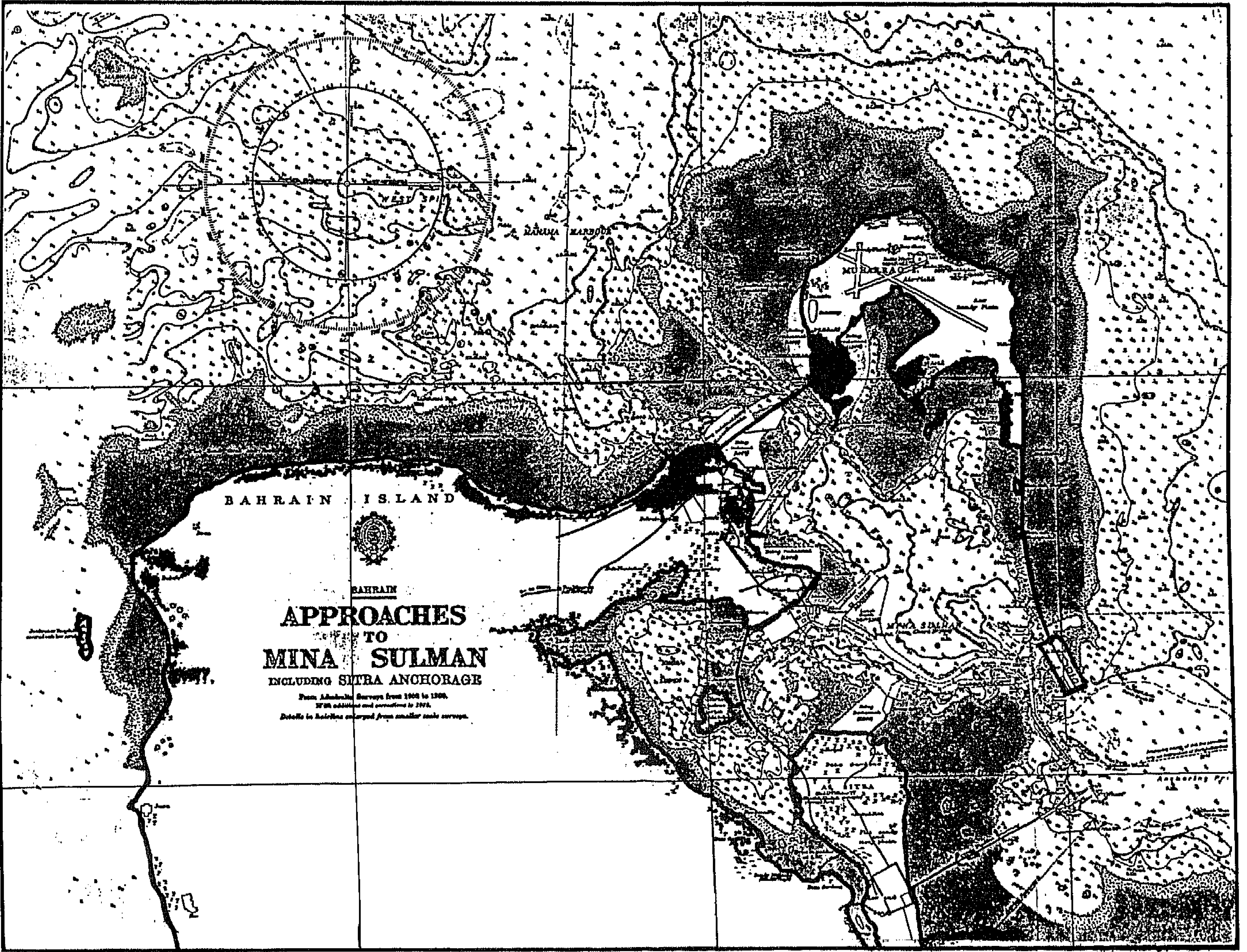

شكل رقم (20) جزيرة البحرين وملحقاتها دون جزر حوار عام 1904 ميلادية

(1) القبلية والدولة ........................ ص 357 - 358
(2) البحرين بين الإستقلال السياسي والإنطلاق الدولي ........................ ص 82 - 85
(3) ملوك العـرب ........................ ص 285
(4) مشكلات التغير السياسي والإجتماعي ........................ ص 200

التغييرات - كدائرة الجمارك والبنك البريطاني - أي أن تغيير النسق السياسي كان له تأثيره السلبي على تغيير العمران في مدينة المحرق خاصة ، وعموماً في البحرين . . ويمكن أعتبار تغييرات عام 1923 الميلادية هي إحدى نقط الأنقلاب العمراني على مسار الحركة العمرانية في جزر البحرين سلبا وإيجاباً .

**الوقفة الخامسة** . . بدأ الشيخ حمد تطبيق إصلاحات كثيرة في الإدارة المالية والشرطة والتعليم ، وكان على السياسة البريطانية أن ترشد الحاكم إلى إمكانات الإصلاح[1]، وفي خلال السنوات التالية للحركة الإصلاحية تلك؛ ظهر واضحاً أن التغييرات والإصلاحات قد أدت إلى السيطرة البريطانية في البحرين وفيها يبدو أن بريطانيا قد تعمدت إثارة الصراعات الطائفية في المجتمع المحلي خلال هذه الفترة[2] .

ونظراً لعصبية الشيخ عيسى بن علي - المعزول عن سلطته - في مدينة المحرق حيث تستوطن غالبية الأسرة الحاكم والقبائل الموالية لها . . بالإضافة إلى إعتبار المحرق بؤرة رئيسية لنمو الحركة الوطنية خلال الفترة السابقة للإصلاحات . . وتوجه السلطات البريطانية إلى تحجيم نفوذ الطبقات المختلفة خاصة القبلية الأرستقراطية والتجار والقضاة الشرعيين (الزعامات الوطنية المحلية) . . لهذين السببين معاً توجهت السطات البريطانية ضمن الإصلاحات إلى تقوية دور المنامة كمركز عمراني (إداري وسياسي واقتصادي) في مواجهة دور المحرق المتنامي ضد رغبة ومصلحة السلطة البريطانية ، وبالمقابل إضعاف دور المحرق




شكل رقم (21) جزيرة البحرين والمحرق عام 1939 ميلادية

---

(1) الخليج العربي (جمال زكريا) ........ ص 213 - 216
(2) دراسة لتاريخ الإمارات العربية ........ ص 219 - 220

في تحريك المنظمات الإجتماعية بجوانبها المختلفة .. والمقصود بإضعاف دور المحرق هو إضعاف دور الزعامة الوطنية في القبائل المستوطنة للمدينة ، وإستبدال الطبقات الإجتماعية وتنظيماتها بمؤسسات جديدة تدين بالولاء إلى الحكومة المزدوجة الجديدة .. وعلى العكس أدت هذه التغييرات لتصعيد الحركة الوطنية التي دخلت مرحلة جديدة ، خاصة بعد قيام مشاريع إستثمارية كبيرة برؤوس أموال إحتكارية تابعة للكارتل الدولي المتمثل بشركات النفط والشركات الإحتكارية الأخرى كشركة الكهرباء وشركة البرق واللاسلكي ووكالة كري مكنزي والبنوك .

وقد ساهمت الإصلاحات الإدارية والتغييرات معززة بالتحولات الإقتصادية والإجتماعية، في تغيير نمط التفاعل الإجتماعي بين المجموعات القبلية وبين الفئات الإجتماعية الأخرى، حين زادت من إنغلاق الحكم القبلى على نفسه إجتماعياً وسياسياً ودفعت بالقطاع القبلي الآخر الى الذوبان ولو تدريجيا في المجتمع المدنى ، ومن جهة أخرى أفرزت تلك التغييرات نسقاً جديداً للتفاعل الأجتماعي والسياسي يتمثل في المؤسسات الطوعية كالنوادي والجمعيات التي تأسست - ظاهرياً - لتكون نوادي وجمعيات رياضية ومهنية إلا أنها سرعان ما تطورت بسرعة إلى بؤر للفكر السياسي ولتبادل الأفكار والآراء خاصة بعد إغلاق نادي المحرق الأدبي في أواخر العشرينات ضمن موجة التغييرات والإصلاحات .. وهنا فقد النسق السياسي التعبير العمراني بالمجالس القبلية في المجتمع المدني وخاصة مدينة المحرق .. وجدير بالإشارة أن غالبية تلك المؤسسات الجديدة نمت خارج عمران مدينة المحرق التي أخذت تفقد دورها السياسي والإداري وكذلك دورها الوطني ثم مركزها العمراني بالتدريج ، وكثير من المؤسسات السياسية الإجتماعية تلك ، إتخذت من مدينة المنامة مركزاً عمرانياً لتطوير ذاتها وتأكيد وممارسة دورها الوطني المحلي ..

**الوقفة السادسة** .. نظراً للمتغيرات الدولية المتشعبة خلال الخمسينات وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتغيير موازين القوى العالمية ، بالإضافة إلى زيادة الحركات التحررية الوطنية في دول العالم الثالث ومنها أو في مقدمتها الدول العربية ، كل هذا أدى بمسألة إحتفاظ السلطات البريطانية بوجودها العسكري فيما يسمى «شرق السويس» بأن تصبح موضع جدل ونقاش في الأوساط السياسية البريطانية نفسها خصوصاً على ضوء حالة الإقتصاد البريطاني المتدهورة وفقدها أهم مستعمراتها في الشرق .. وفي النهاية أضطرت تلك السلطات في يناير عام 1968 الميلادية أن تقرر سحب قواتها العسكرية وحمايتها قبل نهاية عام 1971 الميلادية .. ومع هذا التاريخ وبعد الإعتراف الدولي بالبحرين كدولة مستقلة سياسيا ، أعلنت الحكومة البحرينية رسميا في الرابع عشر من أغسطس عام 1971 الميلادية استقلال البحرين كدولة عربية[1] .

وهكذا ، إنتهت مرحلة الحماية العسكرية للبحرين لتدخل الجزر مرحلة ما بعد الإستقلال السياسي المعلن في نمط جديد من الممارسات تدور في فلك عملية التغريب لمنظمات المجتمع ، التي كانت لها دوافعها ووسائلها المعروفة .. بالتالي كان النتاج الطبيعي هو تغريب كامل أو شبه كامل للعمران وتغيير جذري لخريطته في البحرين وأصبح النموذج الأوروبي عامة هو النموذج المثالي لكل من الطبقة العليا والطبقة البرجوازية - للأسف - بينما كانت الطبقات والفئات الأخرى لديها الفرصة للإحتفاظ بشيء من هويتها وأصالة تركيب نسيجها العمراني لولا التدخل المتكرر والمستمر لإعادة تركيب هذه الأنسجة باسم التطوير والتحديث والتجديد والتنمية ..!! وقد بدأت هذه التأثيرات خلال فترة الستينات ، وإستمرت وزادت حدتها في المرحلة اللاحقة - ما بعد الإستقلال السياسي - في السبعينات ، وحتى الآن في الثمانينات .. لكن مع إختلاف وهو أن النموذج الواحد تعدد إلى نماذج كثيرة ومختلفة ، كلها شاذة وتعبر في غالبيتها عن نزوات أو تطلعات برجوازية أو عن مراهقة فكرية وعمرانية أفقدت جزر البحرين عمرانها ، وكان من الطبيعي والمنطقي أن يواكب التغييرات الأدارية والسياسية تغيير في الشكل الظاهري للعمران وتعبيراته وهي مفردات لغته ولكن مع الإحتفاظ بجوهره وهويته كما حدث في تغيير التعبير الخارجي للسلطة الحاكمة مع الإحتفاظ بجوهرها .. ولكن الكارثة أن العمران في البحرين وفي مدينة المحرق خاصة مع تغيير مظهره فقد جوهره ، وبالتالي توالد عمرانا جديداً مظهريا بلا جوهر .. على عكس المنظمات السياسية حين ولدت مؤسسات جديدة في المظهر تحتفظ بجوهرها التقليدي .

(1) البحرين بين الإستقلال السياسي والإنطلاق الدولي ........................ ص 112 - 114

**السلطة الادارية :**

لا تتوفر لدينا وثيقة عن التنظيم الإداري في البحرين قبل القرن الثامن عشر الميلادي ، جل ما نعلمه أن جزر البحرين كانت تابعة من توابع إيران يحكمها مباشرة « آل مذكور » القبيلة السنية التي يرجع أصلها إلى عرب عمان وسكنت بوشهر ، ومن هناك سيطرت على البحرين محتفظة بوجود رمزي لها في الجزر ، ومن المؤكد أنها كانت تجمع الضرائب والأعشار وتدفع قسطا منها للسلطات الإيرانية . . ومن جهة أخرى ، فإنه لدى بعض السكان تفسير ذهني لبعض التساؤلات الخاصة بالتنظيم والتركيب الإداري للجزر في العصر الوسيط : إن البحرين كانت تتألف من ثلاثمائة قرية وثلاثين مدينة وبلدة ، وكان يحكم كل منها قاضي ضالع في الفقه ، وكان القضاة الثلاثمائة والثلاثين ينتظمون في ترتيب متسلسل على رأسه مجلس من ثلاثة تنتخبه هيئة مؤلفة من ثلاث وثلاثين قاضياً ، وكان يشارك جميع القضاة في إختيار هذه الهيئة وحملهم إلى مركز السلطة . وكان المواطنون يحتفظون بملكية الأرض وغيرها من الممتلكات طبقا لمبدأ الإحياء في الشريعة الاسلامية .[1] ومن الصعب دعم النظرية السابقة للتنظيم الإداري للمجتمع المحلي قبل نهاية القرن الثامن عشر ، كما أنه من الصعب إثباب بطلانها تاريخيا لغياب الوثائق التاريخية الخاصة بتلك الحقبات . . !!

وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبعد دخول آل خليفة جزر البحرين بقيادة شيخهم أحمد الفاتح ، أقام الشيخ أحمد عاملا من قبله على البحرين ، وعاد هو إلى عاصمته الزبارة ، حيث أخذ عامله من قلعة الديوان جنوب المنامة مقراً له وصار الشيخ أحمد يأتي البحرين في زمن الصيف من كل عام ، ولم تزل هذه عادته إلى أن مات ودفن في مقبرة المنامة عام 1800 الميلادية ، كما دفن كل من الشيخ مقرن والشيخ علي أشقاء أحمد الفاتح في مقبرة المحرق .[2] ويبدو أن الشيخ أحمد لم يتوجه إلى تغيير التنظيم الإداري القائم بالمجتمع المحلي للجزر عند فتحه إياها ، بل إكتفى بفرض نفوذه السياسي والعسكري بما يضمن له جمع الضرائب والجباية للإستفادة الإقتصادية . . ولنا هنا وقفات محددة خلال الحقبة الحديثة من تاريخ المجتمع المحلي لجزر البحرين . .

**الوقفة الأولى** . . يبدو أن جزر البحرين خلال المرحلة السابقة على فرض الحماية البريطانية أي في الفترة ما بين عامي 1810 – 1880 الميلادية ، كانت تتشكل من مجموعة من المقاطعات الرئيسية لكل منها حاكم مستقل ذاتيا في تنظيم مقاطعته حسب ما يتراءى له دون المساس بالعلاقات الخارجية ، ولكل مقاطعة مواردها الإقتصادية الخاصة . . بينما كان حاكم الإمارة هو الرئيس الأعلى لهذا التنظيم الإداري ـ بالإضافة إلى أملاكه الخاصة بمقاطعته . كانت العوائد الاقتصادية من موارد خاصة : كتجارة اللؤلؤ أو المكوس والضرائب أو الجمارك . . الخ تعود إلى حاكم المقاطعة ، نستدل على ذلك مما ذكره لوريمر وغيره في متناول حديثهم[3] . .

وكان حاكم الجزر يمنح المقاطعات للشيوخ من آل خليفة كهبة ، مما يعطيهم الحق في تدبيرها وإدارتها وإستغلال إنتاجها ولا يمنح الحق في ملكيتها ، فإذا حدث أن توفى حاكم المقاطعة لا يحق لأولاده الإحتفاظ بالأرض ، عندها يمنح الأمير الأرض لشيخ آخر حسب ما تقتضيه إعتبارات التوازن السياسي في السلطة ، وإختلفت أحجام المقاطعات وإعدادها حسب نفوذ ومكانة حكامها . . وعندما يتوفى الأمير حاكم الجزر نفسه أو يخلفه آخر تبدأ عملية شاملة لإعادة توزيع المقاطعات من جديد حسب التوازن الإجتماعي والسياسي للسلطة القبلية الجديدة ، وأنه يجب ألا يتبادر إلى الذهن أن كل حاكم مقاطعة هو مقيم ضمن حدودها ولكن لكل مقاطعة هيئة إدارية مستقلة تألفت من الوزراء وجباة الضرائب والفداوية ، وكان معظم شيوخ آل خليفة يستوطنون خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في مدينة المحرق قريبين من مركز السلطة السياسية .[4] وهكذا ، تميزت جزر البحرين كنظام مقاطعات إدارية بمركزية سياسية ، إرتبطت بها مركزية عمرانية لمدينة المحرق كبؤرة متوسطة خلال القرن التاسع عشر الميلادي .

**الوقفة الثانية** . . كانت تولية الشيخ عيسى بن علي عام 1869 الميلادية مقاليد الحكم ، نقطة من نقط التغيير

---

(1) القبيلة والدولة ........................ ص 48 – 49
(2) التحفة النبهانية ........................ ص 127
(3) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي ........................ ص 1312 – 1315
(4) القبيلة والدولة ........................ ص 79

الإداري لتركيب المقاطعات وتوزيعها ، فعندما إستتب له الحكم أخذ ينعم على القبائل التي كانت معه في قطر وأعاد تقسيم البحرين إلى مقاطعات أنعم بها على بني عمه حتى أنهم أجمعوا على أنه « أندى الملوك راحة وأرحبهم ساحة » [1]. وكان الشيخ عيسى بن علي يحتل المركز الأول بين حكام المقاطعات ، ينسق بينهم ويرأس بنفسه الديوان وهو المجلس القبلي الأعلى في الإمارة والتي يمثلها في العلاقات الخارجية . . واستعان الشيخ بهيئة إدارية تعمل تحت أمرته لإدارة مقاطعاته وتنظيم الأسواق وتدبير الموانيء في مدينتي المحرق والمنامة ، وهما مركز التجارة وصناعة اللؤلؤ وكانت تعرف هذه المؤسسة الإدارية بالإمارة كناية عن « أمير » تحت أمرته مجموعة من الفداوية يبلغ عددهم 200 من الرجال المسلحين بالاضافة الى مجموعة من خمسين رجلا لأمير سوق المحرق وخمسين آخرين لأمير سوق المنامة . [2] وكان أمير هذه الجماعة نفسه من طبقة الفداوية وصل إلى رتبة عالية بفضل ثقة الحاكم ، وكان الفداوية عموما مؤسسة يستعملها الحاكم لتنفيذ إرادته أو إرادة من ينوب عنه ، وكانوا يطبقون النظام في الأسواق يعتقلون ويستجوبون ويعاقبون المشاغبين دون الرجوع لسلطة أخرى . . . ، وأقاموا مراكزهم في العراء قريبا من السوق حيث وضعوا لوحا كبيرا من الخشب علقوا عليه عددا من الأقفال يستخدمونها كالسجن لربط أرجل المجرمين عند جلدهم . . ويمكن إعتباره إمارة السوق شكلا للمحتسب ، مع الأخذ في الإعتبار إختلاف المنهج والمنطلق التشريعي بين المحتسب وإمارة السوق من جهة ، وتأثير التنظيم القبلي للمجتمع المحلي على إمارة السوق خاصة سوق المحرق من جهة أخرى . . كما إستعان الحاكم بالفداوية الخاصة له لجمع الضرائب والجزية وإيجارات المحلات والبيوت . . بينما إعتمد في إدارة الميناء على مؤسسة هندية حتى عام 1924 الميلادية[3] . . .

ومن جهة أخرى سيطرت القبائل العربية المستوطنة للجزر على صناعة اللؤلؤ ، وكانت تتمتع هذه القبائل بإستقلال ذاتي تام في إدارة شئونها ، وكان العرف والعادة يقتضيان بأن شيخ القبيلة هو المنوط به حل منازعات أفراد قبيلته ، وتتركز المنازعات في أحوال شخصية ومدنية غير معقدة ـ وإتخذت كل قبيلة لها حيا سكنيا منفردا ، وحكم شيوخ القبائل بمساعدة مجلس من المقربين ولم تختلف إستقلالية كل منهم في تجمعه القبلي عن إستقلال وسيادة الحاكم وشيوخ آل خليفة الآخرين في مقاطعاتهم إلا فيما يختص بجمع الضرائب . وكان يرمز إلى هذه الإستقلالية بإقتنائهم « لوح الأقفال » الذي كانوا يستعملونه لتأديب الخارجين على العرف والقانون القبلي ، وكان لكل منهم فداويته الخاصة يستعملها لغرض الأمن وتنفيذ الأحكام القبلية ضمن التجمع أو المستقرة القبلية التي يشرف عليها ، وضمت تلك المستقرات مجموعة متنوعة من السكان المستوطنين ، من أهل القبائل ومن مواليهم من عمال الغوص وغيرهم . [4] وغالبا ما تميزت هذه المستقرات بأنها تجمعات مدينية ـ خاصة مدينة المحرق ـ وتم التعاون بين المستقرات القبلية ذات السيادة الذاتية تلك وبين الشيخ عيسى بن علي حاكم الجزر عن طريق المشاورات المتبادلة والتي كانت تجري في مجلس الحاكم ويحضرها شيوخ القبائل بإنتظام .

أدى هذا النسق إلى تنظيم العلاقات العمرانية داخل المدن وخارجها خاصة مدينة المحرق مركز إستيطان الحكام من آل خليفة والقبائل العربية بمستقراتها القبلية متجاورة أو متداخلة حسب إستقلاليتها الذاتية[5] .

**الوقفة الثالثة** . . في نهاية عام 1923 الميلادية وبعد عزل الشيخ عيسى بن علي قامت السلطات البريطانية بفرض الإصلاحات في الإدارة وبالرغم من تنوعها إلا إنه يمكن حصرها في بعدين أساسيين هما :

(1) إلغاء نظام المقاطعات والإمارات . .
(2) تنظيم الإدارة في هيكل بيروقراطي متدرج ومتخصص . .

**(1) إلغاء نظام المقاطعات :**

يشكل إلغاء نظام المقاطعات والإمارة ونوع التنظيم القبلي المرتبط بهما الخطوة الأولى في بناء التنظيمات البيروقراطية التي رأت السلطات البريطانية إقامتها . فإستبدلت الإمارة

---

(1) نبذة تاريخية عن البحرين . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 26
(2) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 318
(3) القبيلة والدولة . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 82 – 83
(4) القبيلة والدولة . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 102 – 103
(5) قاسم بن مهزع . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 51 – 52

بالمجالس البلدية وأخضعت المدن الكبرى لسلطة هذه المجالس التشريعية ، وقام الحرس البلدي مقام الفداوية ، وألغي منصب الأمير ( أمير الفداوية ) وأعطيت صلاحياته لمجلس نصفه معين من قبل الحاكم والنصف الآخر منتخب . . كما ألغى إشراف الحاكم المباشر على تأجير الموانيء وأضيفت مداخيلها إلى الخزينة العامة ، وتم تعيين مسئول بريطاني للجمارك . كذلك ألغي إشراف الحاكم على تأجير المحلات في الأسواق وأضيفت مداخيلها إلى ميزانية البلدية . . وأنشئت البلدية الأولى في المنامة عام1919 الميلادية وبلدية المحرق 1927 الميلادية ، وتبعتها البلديات الأخرى في أوقات مختلفة ، وفي عام 1951 أنشئت الإدارة المركزية للإشراف على كل النشاطات البلدية وقسمت البلاد إلى أربع عشر دائرة يشرف على إدارة كل منها ممثل رسمي تعينه الحكومة . . كما أنشيء مجلس بلدي يضم جميع هؤلاء الممثلين .[1]

(2) تنظيم الهيكل البيروقراطي :

يتطلب تشريع القوانين الجديدة أجهزة إدارية جديدة تشرف على تنفيذها وإلا أصبحت هذه القوانين أعرافا لا تختلف عن الممارسات الإجتماعية السائدة . . ومن هذا المنطلق ، فرضت القوانين التي صدرت في البحرين خلال العشرينات تأسيس الدوائر والمحاكم المختصة ، فأصبح لذلك شيوخ القبائل والقضاة الشرعيين موظفين إداريين في القطاع العام يتقاضون الرواتب المحددة ، وألغيت الممارسات الإقطاعية والإدارة القبلية التي إرتبطت بتلك الممارسات وأخضعت الحكومة لنظام سلطة مركزية واحدة تعمل حسب قوانين موحدة وشاملة .

ولم تكن عملية الإنتقال من حكومة شبه إقطاعية إلى حكومة مركزية ، عملية سهلة وبسيطة إذ برزت صعوبات كثيرة في التطبيق مما حتم إعادة النظر المستمرة في القراءات والتوصيات ، وظهرت الدوائر الإدارية فوراً بعد تنفيذ الإصلاحات ، وكانت تقتصر على المكاتب التي تتعلق بأعمال تسجيل الأراضي وتأجير البساتين وتنظيم الغوص والإشراف على الجمارك . . وكانت هذه الدوائر بسيطة جداً يعمل بها عدد قليل من الموظفين ، ومرت البيروقراطية في البحرين بثلاث مراحل هي :



شكل رقم (22) صورة بلدية المنامة القديمة وسوق الاربعاء

(1) مرحلة تصريف الأعمال والخدمات التي بدأت في العشرينات وإستمرت حتى الخمسينات .
(2) مرحلة الإنماء والحقوق المدنية التي ظهرت في الخمسينات .
(3) مرحلة الإستقلال ومؤسسات الدولة التي ظهرت منذ عام 1968 الميلادية مع إعلان بريطانيا عن خطتها للإنسحاب من البحرين والخليج مع عام 1971 الميلادية .

تميزت المرحلة الأخيرة والتي تطورت في فترة ما بعد الإستقلال بتفرع وتنوع بيروقراطي متزايد يقابله إزدياد هائل في عدد الإدارات الجديدة . . .

لم تنفصل المراحل الثلاثة السابقة الواحدة عن الأخرى ، وإنما كانت مترابطة ومتداخلة مع بعضها البعض . وجدير بالإشارة هنا ، أن تلك التغييرات والإصلاحات الإدارية خلال المرحلة ما بين عامى 1923 – 1971 الميلادية والتي إستحدثت مؤسسات إدارية جديدة ، قد أكدت بدورها على السلطة المركزية بدلا من نظام المقاطعات التقليدي ، وبالتالي أحدثت تغييرات في العمران بعضها مباشر وغالبيتها غير مباشر . . ونظرا لتوجه السلطات إلى إعتبار المنامة هي

(1) القبيلة والدولة . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 156 – 157

المركز السياسي الإداري والإقتصادي لجزر البحرين لأسباب سبق ذكر بعضها ـ وما تبعه من تركيز الدوائر المستحدثة هناك ، فقدت كثير من المستقرات الحضرية ـ وخاصة المحرق ·أهميتها الإدارية كما فقدت دورها السياسي والإقتصادي ، وفقدت معها سائر المقاطعات وجودها وتنظيماتها . . وبالتالي ، ظهرت بوادر تغيير للخريطة العمرانية للجزر ، وبالرغم من إستمرار النسق السياسي الإداري دويلات المدن ـ إلا أن مدينة المنامة هي الحاضرة الوحيدة التي إستمرت في هذا النسق بينما خرجت سائر الحواضر وأولها مدينة المحرق عنه ، وما بقى منها هو ملامح مادية لعمران كتل بنائية وفراغات متهالكة فقدت جميعها جوهرها الحقيقي ومضمونها ودورها ، بعد أن إستمرت مدينة المحرق أكثر من مائة عام . . ( 1810 – 1923 الميلادية ) . .



شكل رقم (23) صورة مدينة المحرق في النصف الأول للقرن العشرين

## الجوانب الأقتصادية للإستيطان 1783 – 1971 . .

إن الجوانب الإقتصادية لدى أى مجتمع من المجتمعات هى أسبق ظهورا وتطورا مع بوادر الإستيطان عن سائر الجوانب الأخرى، نتيجة لإتصالها بالنواحي المادية من جهة ، وأهميتها في ضمان أستمرارية ونمو عملية الإستيطان الجماعى من جهة أخرى. . وبالتالى ترتبط الجوانب الإقتصادية ومؤسساتها المختلفة بعمران المجتمع أرتباطا أساسيا. ولذلك فإن تتبع عمران المجتمع لا ينفصل عن تحديد تلك المؤسسات الإقتصادية التى مارس من خلالها السكان أنشطتهم الحياتية حسب المراحل الأساسية للنمو والتطور الإقتصادي للإنسان. ويصعب تحديد أحقاب زمنية محددة البداية والنهاية لتطور المنظمات الإقتصادية للمجتمع ، نظراً لتداخل مراحل التطور نفسها وتوالد بعضها من بعض ، وللتتبع تلك المنظمات للمجتمع المحلي بالبحرين على مدى التاريخ هناك مدخلين أساسيين . .

أولها ـ أتخاذ حقبات أو عصور زمنية لعملية تطور ما، ولتكن هي نفسها تلك التقسيمات والأحقاب التى سبق تحديدها في دراسة الجوانب السياسية، ثم تتبع الأنماط والأنشطة الإقتصادية السائدة لكل حقبة لتدارسها.

ثانيها ـ تتبع مراحل التطور والتغيير للمنظمات الإقتصادية في المجتمع، بغض النظر عن المقياس الزمني التاريخي لكل مرحلة . . وهذا لا يتعارض مع تحديد أحداث رئيسية لها أهميتها تاريخياً في مسار المنظمات، مع الأخذ في الأعتبار أن تلك الأحداث لا تعنى أنها نقطة تحول رئيسية لأن عملية التغيير في هذا المجال تكون تدريجية لها مقدماتها المسبقة التى قد تقصر أو تطول . .

وهنا، عند دراسة المجتمع المحلي للبحرين يمكن تبنى المدخل الثاني، معه يمكن التمييز بين مرحلتين رئيسيتين مرت بها المنظمات الإقتصادية وذلك في ضوء أنماط الهياكل الإنتاجية السائدة في كل مرحلة . . ومن الصعوبة وضع ذلك الحد الفاصل بين المرحلتين إلا أن هناك تميز واضح وبارز ومؤثر على النواحى الإقتصادية والإجتماعية، ويمكن بشكل عام تصنيفها كما يلي :

(1) المرحلة التقليدية

(2) المرحلة الحديثة .

### أولا ـ المرحلة التقليدية..

إعتمد سكان البحرين منذ القدم في معيشتهم على الزراعة والأعمال البحرية بمختلف أنواعها كصيد السمك والنقل البحري ، وبشكل رئيسي على صيد اللؤلؤ الذي كان يعتبر حتى منتصف هذا القرن مادة تجارية مطلوبة في الأسواق العالمية. وكان صيد اللؤلؤ والزراعة والتجارة هى الأنشطة الإنتاجية والإقتصادية البارزة لمجتمع البحرين المحلي منذ فجر التاريخ ، ونجد إشارة إلى ذلك عند المؤرخ بلليني الذي عاش في القرن الأول الميلادي ، وعند الكثيرين ممن جاءوا بعده. . فيقول إبن بطوطه عن جزر البحرين : «ومغاص الجوهر بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فإذا كان شهر أبريل ومايو تأتى إليه القوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف. . » كما وصف الجغرافي إبن خرد ذابة البحرين بأنها مدينة هامة تحيط بها مزارع النخيل ويمارس سكانها الغوص على اللؤلؤ في بحرها، ومياهها عذبة وقريبة من سطح الأرض مما ساعد على تقدمها الزراعي [1]، هذا. . كما نجد مخطوطة آشورية سابقة على كل هذا حيث تعود إلى أربعين قرناً خلت بها إشارة إلى لآلىء البحرين. وسنتعرض بالتفصيل ـ وفي حدود الدراسة العمرانية لمدينة المحرق ـ لنمطي الإنتاج الرئيسيين لتلك المرحلة التقليدية وهما :

(1) صناعة الغوص وصيد اللؤلؤ. .

(2) التجـــارة. .

### (1) صناعة الغوص وصيد اللؤلؤ :

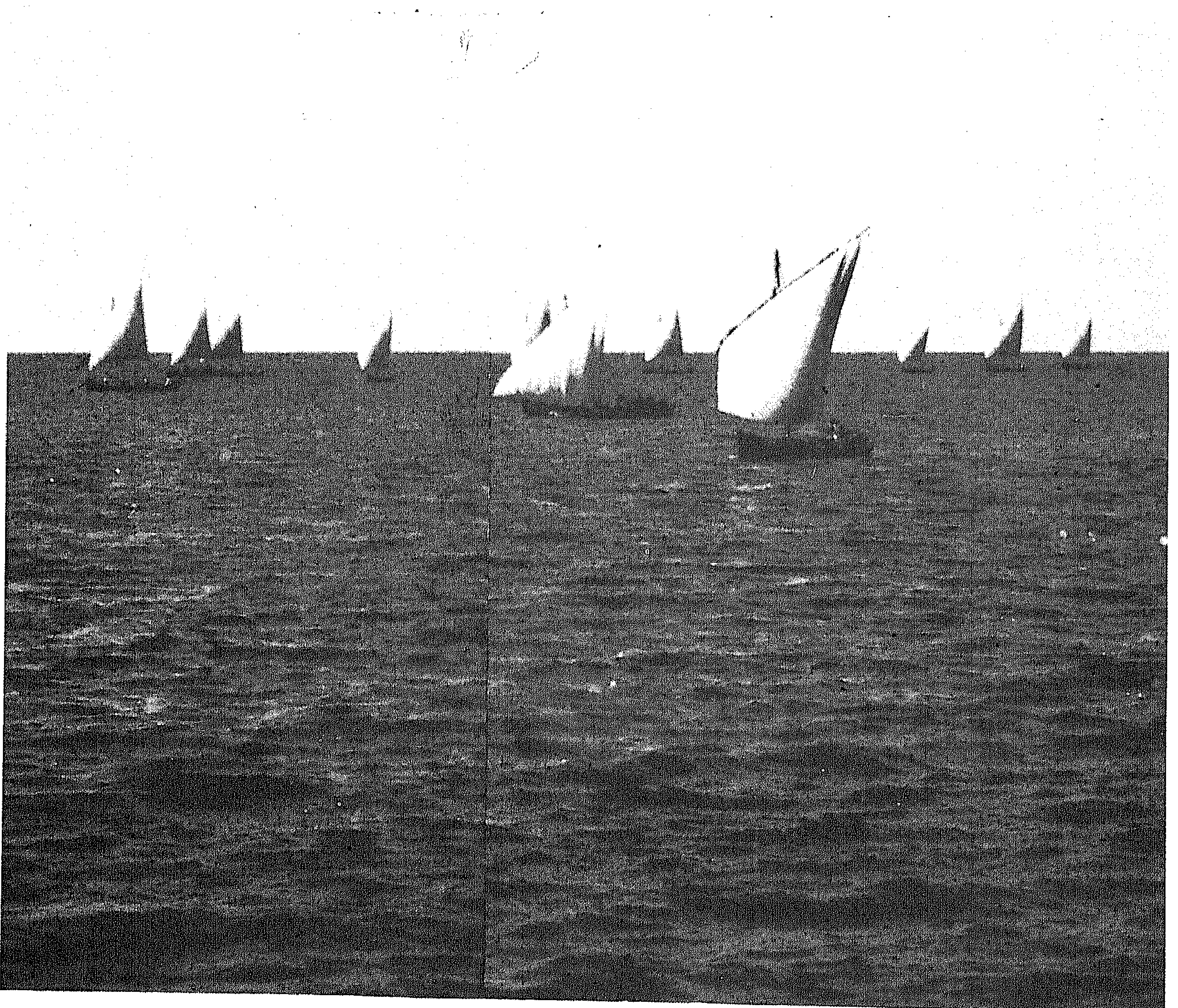
صيد اللؤلؤ هو أقدم صناعة في البحرين، ولقد إشتهرت البحرين منذ فجر تاريخها بلؤلؤها ففي مخطوط يرجع تاريخه الى عام 2000 قبل الميلاد رسم لمجموعة من عيون السمك من ديلمون يعتقد أنها أول إشارة إلى لآلىء البحرين، وفي سنين متأخرة يذكر أحد الرحالة العرب (التاجر سليمان) عاش في القرن التاسع الميلادي ـ مصائد اللؤلؤ في البحرين، بينما في القرن العاشر الميلادى ظهر أول وصف لوسائل الغوص تركه رجل يدعى «أبو زيد حسن»، وبالرجوع إليه نرى أن وسائل الصيد لم تتغير إلا القليل جداً خلال الألف عام التالية. وكثير ممن آتوا بعد ذلك من الرحالة والجغرافيين

(1) حضارة الكويت ........................ ص 165

أهتموا بتلك المصائد، ومنهم الإدريسي الجغرافي الشهير فهو بعد أن ذكر الحالة السياسية يصف طريقة الغوص.. والبكرى في عام 1273 الميلادية وأبو الفدا في أوائل القرن الرابع عشر الميلادى.. وإبن بطوطة وجميعهم يذكرون مصائد اللؤلؤ وأهميتها محليا وأقليميا.. وفي عام 1485 الميلادية يقول دوارت باربوسا - وهو رحالة برتغالي - عن البحرين: «.. ينمو حولها كثير من حبات اللؤلؤ، واللؤلؤ من النوع الكبير الجيد، وتجار الجزيرة نفسها يصطادون هذه اللآلىء ويجنون من ورائها أرباحاً عظيمة» [1].

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين أصبحت مصائد اللؤلؤ معروفة أكثر مما جذب القبائل العربية للهجرة إلى سواحل الخليج والجزر الخليجية، ومنهم العتوب حين إستوطنوا الكويت ثم هاجر آل خليفة عنهم إلى الزبارة ثم إلى جزر البحرين بعد أنتصارهم على آل مذكور.. وعلى الرغم من أن البريطانيين أصبحوا في القرن التاسع عشر الميلادي السادة - سياسيا - في الخليج فأنهم لم يتدخلوا في صناعة اللؤلؤ على الأطلاق بل على العكس ساعدوا على الأحتفاظ بالقاعدة التى تقول إن سكان الخليج فقط هم الذين يمكنهم الصيد على شواطىء اللؤلؤ.. فلقد كانت صناعة الغوص حرفة تقليدية محلية لمنطقة الخليج..

**مغاصات اللؤلؤ**: يبدو أن التكوين الجيولوجي لقاع الخليج وحرارة وضحالة المياه مواتية بدرجة عالية وملائمة



شكل رقم (24)صورة لاسطول صيد اللؤلؤ البحريني في بداية القرن العشرين (موسم الغوص الكبير)

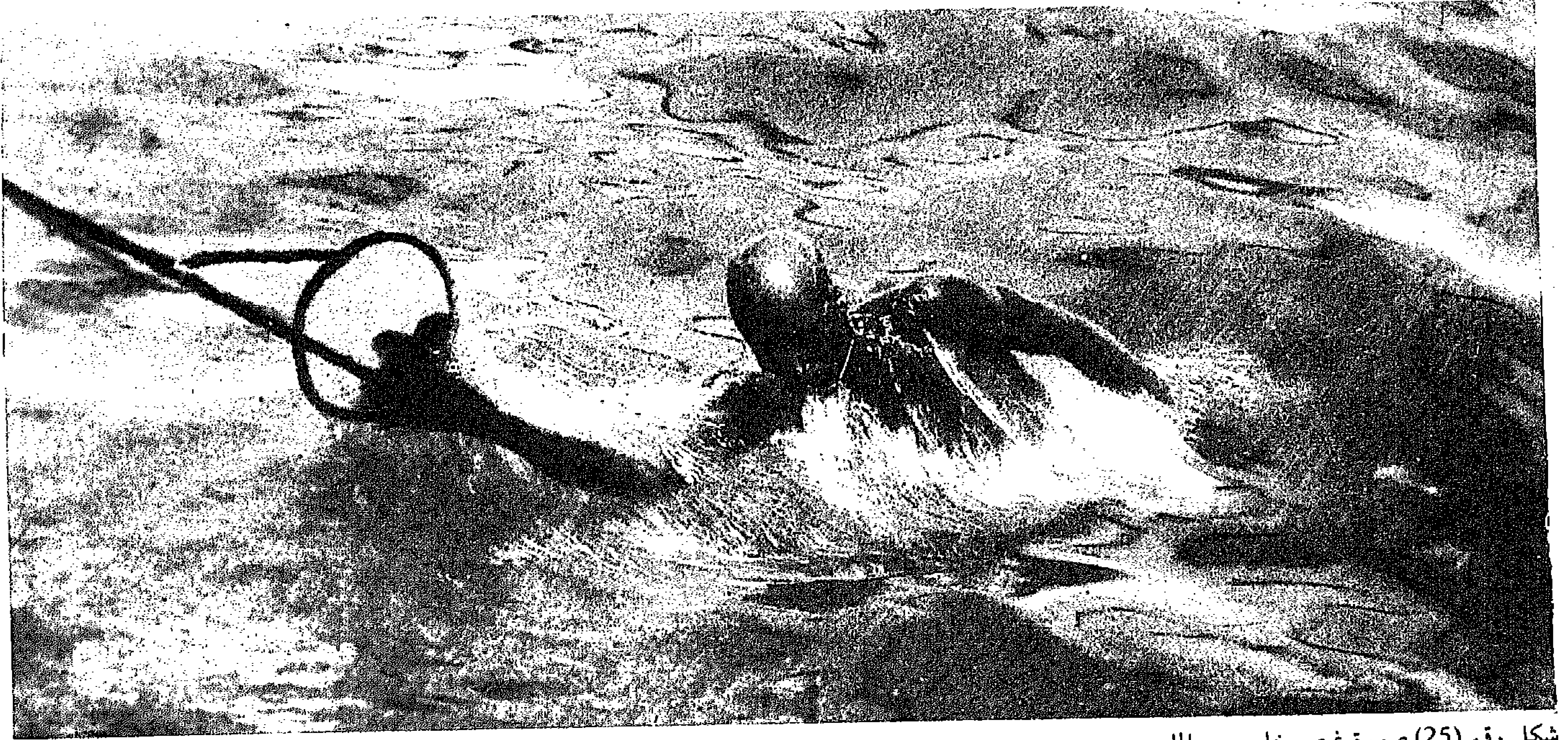
(1) البحرين ترحب بكم ............................................................ ص 57-58

لتربية أصداف اللؤلؤ، وقد حددت مواقع مغاصات اللؤلؤ مع بداية القرن العشرين بمعرفة النقيب البحري «و. هور»، وهي موضحة على خريطة قدمتها السلطات البريطانية البحرية إلى إدارة الشئون الخارجية بحكومة الهند عام 1906 الميلادية - والخريطة رقم ( 26 ) توضح توزيع مغاصات اللؤلؤ من بلدة دبي إلى رأس تنورة[1]. ويحدد هذه المغاصات من الخارج من جهة الخليج خط على بعد أميال قليلة من غربي بلدة دبي ويسير بإتجاه الشمال من صير بونعير ثم ينحنى على بعد 20 - 30 ميلاً من أقرب موقع على الأرض حول رأس قطر وأرخبيل جزر البحرين.. وشمال جزر البحرين ينقص عرض الحزام ويمكن أعتباره منتهيا عند جزيرة أبو علي مع وجود بعض المغاصات الأقل أهمية شمال هذا الموقع..

ويمتد موسم الغوص الرئيسي أو الكبير من يونيو إلى أوائل أكتوبر، ولكن قبل وبعد هذا الموسم يوجد موسم آخر هو الغوص البارد وتكون مدته مرهونة بالظروف الجوية ولكن ليس معترفاً بأنه الفصل الزاهر للغوص، وفي الأيام التى تسبق الموسم الكبير يهرع أصحاب السفن إلى الأستعداد لبدء الموسم بإنزال السفن إلى البحر بعد أن تُركت على الشاطىء خلال الفترة السابقة للموسم، وتكون هي بداية أنطلاق الأحتفال بالحدث الشعبي الموسمي، ويعرف أول الموسم بأسم «الركبة»، فكان موسم الغوص الكبير حدث إجتماعي كما أنه نسق أقتصادي أساسي للمجتمع المحلي.. فمع إستكمال الإستعدادات للرحيل يتجمع سكان المدينة على الشاطىء لتوديع البحارة، وجرت العادة على أن يحضر الحاكم إلى شاطىء المحرق للمشاركة في توديع الرجال وأعطاء الإشارة بالبدء فى التحرك وتبحر السفن لتلحق بها السفن الآتية من الشواطىء الأخرى بالجزر، ويبدأ الأسطول في التقدم نحو المغاصات حيث يختار كل قارب مرساه الخاص ويستعد لعملية الغوص.. ويوم عودة السفن يسمى «القفال» وهو يوم مشهود يستعد له الجميع ويستقبلونه إستقبال الأعياد، وتعمر المدينة التى ران عليها الصمت طوال شهور الغوص وتدب الحياة في كل مكان إبتهاجاً بهذا الحدث الإجتماعي - الإقتصادي..

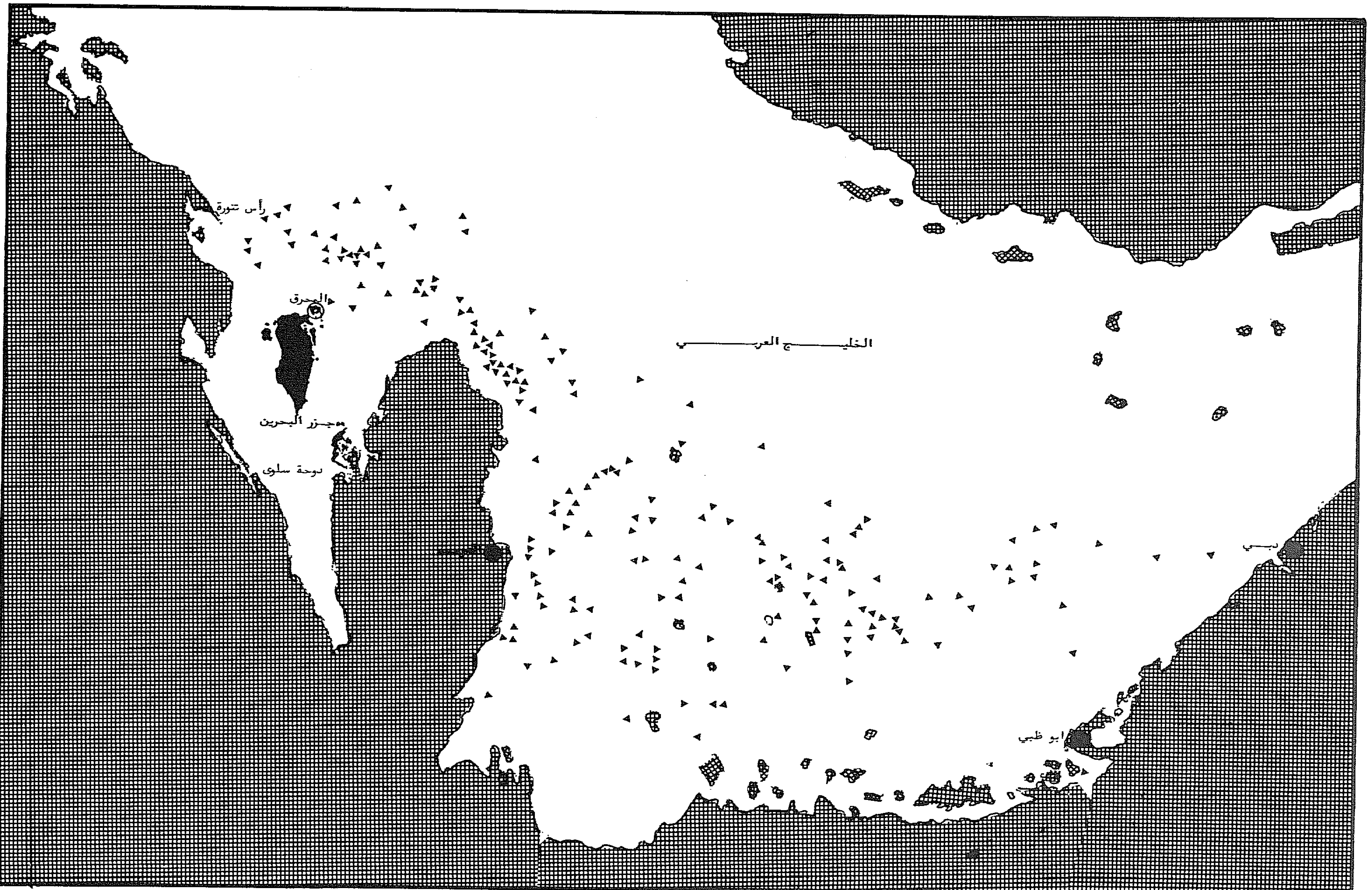
وينقسم العاملون في هذا الحقل إلى قسمين هما الممولون، والعاملون، وهو إن لم يكن تقسيما طبقيا بمعنى الكلمة، فهو تقسيم إقتصادي - إجتماعي للحرفة والقائمين عليها..

(1) الممولون.. المال اللازم لإعداد السفن والرجال المشتغلين في هذا الحقل والقيام بنفقاتهم يدفع قسماً منه الرجال المشتغلون فعلاً في صناعة الغوص، والقسم الآخر يؤخذ من ممولين يسمون المسقمين (المفرد مسقم) وهم عادة من الموسرين، وبعضهم ممن لا يملكون المال الكافي لإعداد الموسم يقترضون الأموال اللازمة بفائدة



شكل رقم (25) صورة غيص خارج من الماء

(1) دليل الخليج - القسم التاريخي ............ ص 3260-3269




شكل رقم (26) خريطة مواضع مغاصات اللؤلؤ من الساحل العربي للخليج من رأس تنورة الى بلدة دبي عام 1904 ميلادية

15 – 20% عن الموسم الواحد. وفي الأحقاب السابقة كانت قبضة هؤلاء المسقمين قوية جداً على هذه الصناعة، وكانوا يعاونون في تجهيز سفن كثيرة للصيد ولكن أخذ هذا المركز يضعف في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتناقص عددهم حتى وصل فى عام 1906 الميلادية إلى ثلاثة مسقمين فقط وهم لا يتعاملون مع أكثر من 10% من سفن الغوص في البحرين [1].

(2) العاملون.. تتألف وحدة الغوص من بحارة السفينة والمسئول عنهم هو النوخذا (الجمع نواخذة) - وهو المسئول الأول عن جميع الأعمال وفي سبع أو ثماني من كل عشرة سفن يكون مالك السفينة هو النوخذا التى يقودها، وفي بعض الأحيان يكون هو المستأجر للسفينة، وأحياناً أخرى عاملاً عند مالك السفينة. ويأتى بعد النوخذا في درجة الأهمية الغاصة (المفرد غيص أى غياص)، ويليهم السيوب (المفرد سيب) ثم واحد أو أكثر رضفة (المفرد رضيف) أو عمال زائدون لمساعدة السيب، وأحيانا يكون معهم أولاداً تحت التمرن ويسمى المفرد تباباً وعمله صيد السمك وطبخ الطعام وبعض الأعمال الصغيرة الأخرى [2]. والغاصة، ينحصر عملهم في الغوص وكانوا في الغالب من فقراء العرب أو العبيد الأحرار أو الزنوج، كما كان من بينهم بعض الإيرانيين. [3]. وخلال فترة القرن التاسع عشر الميلادى مع بداية إستيطان القبائل العربية لجزر البحرين، سيطرت مجموعات هذه القبائل على صناعة الغوص، وكانت كل مجموعة من هذه المجموعات تتمتع بإستقلال ذاتي في إدارة شئونها يشرف عليها شيخ القبيلة أو عدة شيوخ يساعدهم مجلس من رجال القبائل والمقربين. وجدير بالإشارة أن العائلة الحاكمة لم تحاول مطلقاً فرض سيطرتها المباشرة على إنتاج اللؤلؤ بل تحاشت بقدر الإمكان التدخل في شئون تلك المجموعات القبلية.. وكان الهدف من هذا أجتذاب أكبر عدد ممكن من القبائل للعمل في صناعة اللؤلؤ والغوص في الجزر، وبالتالي أزياد حجم الصادرات والواردات وتنشيط حركة التجارة، فتزداد نسبة الضرائب، هذا بالإضافة إلى تنشيط السوق المحلي وإرتفاع إيجارات المحلات والمخازن، وأستمر هذا الوضع حتى العقد الثاني من القرن العشرين حين تدخلت السلطة بما يسمى الإصلاحات الإدارية، وكانت القبائل العربية حتى هذا التاريخ تقاوم كل تدخل في شئونها معتبرة أياه مساً بسيادتها واستقلالها الذاتي.. [4] وكانت تشكل سفن كل قبيلة أو مجموعة قبلية معاً أسطولاً واحداً يعين عليه شيخ هذه القبيلة أحد النوخذة أميرالاً له ومن أهم إختصاصاته تحديد تاريخ وقف العمل والعودة إلى الميناء.. ولا تجد غواصاً كان راغباً فى التخلف عن أسطوله، كما أن عودة سفينة واحدة مبكرة مهما كان نصيبها في الصيد قد يؤدي إلى إضراب الأسطول في مغاصاته ولذلك لا يسمح الأميرالاي لأى سفينة بالعودة قبل أن يعلن هو أشارة العودة، كما أن السفن التى تسبق الأميرالاي في عودتها إلى الشاطىء يؤاخذها شيخ القبيلة مالكة الأسطول بشدة، ما لم يكن لديها عذر مقبول وجميع المغاصات مباحة لجميع غواصو اللؤلؤ دون تمييز، وكانت بعض السفن تتردد على مناطق معينة أكثر من غيرها، وهي إن قامت بذلك فبإختيارها وليس بطريق الإلزام.

وكان الحكام يتقاضون دخلاً من مصائد اللؤلؤ وذلك بفرض الضرائب على المجموعات القبلية في دائرة نفوذهم وسلطانهم، وكانت تسمى «النوب» وهي مخصصة لتشغيل أربع سفن مسلحة لحماية أسطول الغوص البحريني، وبعد الإستقرار تحت سيطرة السلطات البريطانية على الخليج في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، لم يعد هناك مجال لسفن الحماية هذه، إلا إن نظام الضريبة ظل مستمراً وكان مقدارها بمعدل نصيب غواص واحد عن كل سفينة، وفي الفترة من حكم الشيخ عيسى بن علي فرضت ضريبة أخرى بإسم «طراز» بنسبة نصيب غواص عن كل سفينة أولاً، ثم حددت بمعدل يتراوح بين 10 – 80، روبية حسب حجم السفينة وعدد البحارة وظروف النوخذا، وكان الأمر يرجع لرأي الشيخ الحاكم. وكان المقصود منها هو

---

(1) دليل الخليج ـ القسم التاريخي ........ ص 3202
(2) التحفة النبهانية ........ ص 15-18
(3) دليل الخليج ـ القسم التاريخي ........ ص 3203
(4) القبيلة والدولة ........ ص 103-104

تعيين الحراس في المدن والقرى بالأجر في فترة غياب الرجال القادرين على العمل بموسم الغوص الكبير ويسمون الحراس «المتراضية» [1]. وأحيانا تعفى سفن بعض القبائل أو الأفراد من الضرائب وذلك طبقاً لرأى الحاكم.

وتوزع الأرباح في نهاية الموسم عن عائد الصيد بشكل شبه تعاوني ، فعند العودة من البحر يلتزم النواخذة بتسليم جميع المحصول إلى دائنه أولاً ـ إذا كان مموله مسقماً مع جميع اللآلىء التي أحضرها وذلك بأسعار متفق عليها من ذي قبل ، وتقل عن الأسعار المتداولة في السوق بنسبة تتفاوت بين 15—20% تمثل ربح المسقم ، ويقسم باقي المبلغ بين صاحب السفينة والنواخذة وبحارة السفينة نفسها . . على أنه ليس هناك ما يمنع النواخذة من بيع اللؤلؤ إلى فريق ثالث إذا كان سعر البيع يمكنه من الوفاء بإلتزاماته للمسقم ، وجرت العادة على أن النواخذة لا يزيد الثمن عن التاجر لأنه دائماً يبيع له ، وعند البيع يستصحب النواخذة دائماً أثنين من بحارة سفينته منعا لأي تلاعب ، وعمليات البيع تجرى بطريقة غير عادية ، فإذا كان النواخذة والمشترى أو السمسار لا يريدان أن يعرف الحضور قيمة المبالغ المعروضة لشراء اللآلىء ، وحيث أن عمليات البيع تجرى في حي سماسرة اللآلىء ويوجد دائماً مراقبون مهتمون بهذا النوع من الصفقات ، فإن الجانبين المتساومين يبسطان قطعة من القماش على أيديهما ويتساومان عن طريق هز الأيدى من وراء قطعة القماش بلغة صماء بكماء . . وعندما يتفقان يتحتم على النواخذة أن يحصل على تصديق أثنين من الشهود حتى تعتبر البيعة قانونية[2] يسدد النواخذة إلى المسقم ما دفعه ، والمبالغ المتبقية يأخذ منها صاحب السفينة الخمس ثم يستقطع ثمن الأطعمة والمواد التي إستهلكتها البحارة مدة الموسم ، والباقي بعد ذلك يقسم بين الرجال العاملين ، فيأخذ النواخذة وكل من الغواصين ثلاثة أسهم للفرد ، وكل سيب سهمين وكل رضيف سهم واحد ، ولا يستحق التباب أي سهم ، وقد يكون النواخذة إلى جانب قيادته للسفينة هو مالكها أو يقوم أيضا بالغوص وفي هذه الحالة كان يستحق النصيب المقدر لكل منها .

كانت المديونية من أهم الأنساق الإقتصادية للتنظيمات المالية لصناعة الغوص ، ولإيضاح هذا النسق يجب أن يكون مفهوماً أن النواخذة ـ خاصة ممن لا يملكون السفن ـ مديونيون بأكثر مما يستطيعون دفعه إلى المسقمين ، نظراً لمصاريف تجهيز وإعداد سفنهم وإعطاء دفعات نقدية مقدماً للغواصين . والحال كذلك مع الغواصين الذين غالباً ما يكونون مديونين للنواخذة نظير السلفيات . . ومن الواضح أن ضمان الديون في مثل هذا المجتمع ومثل هذه النظم المالية لا بد أن يستند إلى عرف بالغ الشدة والتأثير ، ومن جهة أخرى إتصف أو إرتبط هذا النسق بأنماط من الظلم .

وكان يتعامل في تجارة اللؤلؤ خلال القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين ، إما التجار أو الطواويش ، أما التجار فهم الذين يتعاملون بالجملة وتصل اللآلىء إلى مساكنهم يشترونها نقداً ويرسلونها للأسواق الخارجية وخاصة الهند . . بينما الطواويش (ومفردها طواش) ـ وهي طائفة صغار التجار ـ ويشترونها إما بالنقد على البر ، أو في البحر على سبيل مبادلة اللؤلؤ بمواد التموين ، وهم غالباً يبيعون ما يشترونه إلى التجار . . وغالباً يتم إتفاق التاجر مع الطواش وأحياناً مع المسقم بواسطة الدلال الذي كان يأخذ عمولته من الطرفين ، وهو في أغلب الأحوال كان يميل لخدمة التاجر عن الطواش ، وفي مطلع القرن العشرين الميلادي كان ثلاثة أرباع تجارة اللؤلؤ في أيدى القبائل العربية المستوطنة لجزر البحرين وخاصة مدينة المحرق[3].

ووصل مجموع السفن التي تعمل في صيد اللؤلؤ بالبحرين حوالي 917 سفينة وذلك في عام 1907 الميلادية يعمل عليها حوالي 17633 رجلاً ، وبمقارنتها بما كان عليه أسطول البحرين في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي نلاحظ إنخفاضاً ملحوظاً في عدد السفن ، حيث كان عددها عام 1833 الميلادية حوالي 1500 سفينة . . !![4]. وفي هذا دلالة على بداية تدهور حرفة الغوص وتجارة اللؤلؤ كنمط إنتاجي تقليدي للمنظمات الإقتصادية المحلية ، وتختلف هنا أسباب تراجع الحرفة خلال القرن التاسع عشر عنها في القرن العشرين حين وصل عدد السفن عام 1948 الميلادية إلى حوالي 83 سفينة فقط .

(1) دليل الخليج ـ القسم التاريخي ........ ص 3224-3225
(2) البحرين ترحب بكم ........ ص 62-63
(3) دليل الخليج ـ القسم التاريخي ........ ص 3217
(4) البحرين ترحب بكم ........ ص 63

وفي خلال القرن التاسع عشر كانت الصراعات القبلية والمنازعات السياسية داخل وخارج الجزر ، من أهم أسباب تدهور وركود صناعة الغوص نسبياً ، هذا بالإضافة إلى الهجرة الجماعية المتكررة للقبائل المسيطرة على إنتاج اللؤلؤ من البحرين إلى مناطق أخرى من الخليج ، كل هذا وغيره من الدوافع والأسباب ـ يمكن أن نرجعها في مجموعها إلى الجوانب السياسية التي أدت إلى هذا التدهور . . . بينما كانت أهم العوامل التي أدت أو ساعدت على تدهور الحرفة في جملتها خلال القرن العشرين الميلادي ترجع للجوانب الإقتصادية ، حيث كان الكساد العالمي في الثلاثينات بداية الكساد العالمي لتجارة اللؤلؤ ، بالإضافة إلى ظهور اللؤلؤ المصَّنع الذي روجت له اليابان والذي يقل في تكاليفه وثمنه عن اللؤلؤ الطبيعي ، ومن جهة أخرى كان القضاء على طبقة المهراجات في الهند بعد الإستقلال عام 1947 الميلادية حرم تجارة اللؤلؤ من أهم سوق وأكبر عملاء للؤلؤ الطبيعي ـ أما بالنسبة للمتغيرات الإقتصادية الداخلية فكان إكتشاف النفط في البحرين يتزامن مع المتغيرات الإقتصادية الخارجية لتجارة اللؤلؤ مما دفع العاملين والقائمين على التوجه لأنماط الإنتاج الجديدة . .

بالرجوع إلى صناعة الغوص في بداية القرن العشرين عام 1907 الميلادية . حسب ما ذكره لوريمر ـ نجد أن منطقة جزيرة المحرق تمثل القوة الأساسية في الأسطول البحريني للغوص جدول رقم ( 2 ) ، ويرجع هذا إلى إستيطان غالبية القبائل العربية المحتكرة لتلك التجارة والحرفة لجزيرة المحرق، وخاصة مدينة المحرق ، حيث يمثل إجمالي عدد السفن بالمدينة حوالى ثلث سفن أسطول البحرين في جملته [1] .

نستخلص من الجدول السابق أهمية مدينة المحرق الإقتصادية في مجال تجارة وإنتاج اللؤلؤ بأعتبارها ـ كما حددنا ـ مركز الإستيطان الرئيسي للقبائل العربية . . وهي بذلك تمثل مقاطعة رئيسية في هذا المجال لها إستقلالها الإقتصادي وذاتيتها ويشرف عليها شيوخ القبائل المستوطنة لها . . وإستمر الوضع هذا حتى ما يسمى بإصلاحات عام 1923 الميلادية، والتى شملت تغييرات إدارية وسياسية وإقتصادية ، فتعرضت للمنظمات الاقتصادية المحلية ومنها صناعة الغوص . . ومن أهم التغييرات التى أحدثتها هذه الأصلاحات :[2] .

| | | عدد السفن | عدد الرجال |
|---|---|---|---|
| 1 | البسيتين | 32 | 629 |
| 2 | الدير | 21 | 378 |
| 3 | الحد | 167 | 3146 |
| 4 | بلدة المحرق | 282 | 5582 |
| 5 | النعيم والسلطة | 51 | 1172 |
| 6 | قلالي | 21 | 441 |
| 7 | سماهيج | 11 | 186 |
| 8 | أم الشجر | 12 | 231 |
| | أسطول جزيرة المحرق | 597 | 11555 |
| | أسطول البحرين جملة | 917 | 17633 |

شكل رقم (27) التجمعات العمرانية بجزيرة المحرق عام 1904 ميلادية

جدول رقم (2) توزيع اسطول الغوص للتجمعات العمرانية بجزيرة المحرق عام 1904 ميلادية (عن لوريمر)

(1) دليل الخليج ـ القسم التاريخي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 3251
(2) مشكلات التغير السياسي والأجتماعي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 62 - 63

(1) لا دين يورث بحيث إذا مات المدين مات معه دينه .

(2) تحدد الحكومة السلفية التي تُعطي للغواص وكذلك نسبة الأرباح، ولا يمكن أن تحسب أية مبالغ خارج هذا التحديد .

(3) يحتفظ الممولون وأصحاب السفن بدفاتر تبين المبالغ التى قدموها للغواصين، وتراجع هذه الدفاتر من قبل كتاب تعينهم الحكومة .

(4) منع النواخذة من بيع اللؤلؤ بشكل سري، بل يجب أن يحضر البيع ثلاثة من الغواصين .

(5) أُعطى الغواص الحرية في أن يلتحق بعمل آخر، أو مع صاحب سفينة أخرى، على شرط أن يسدد دينه في وقت لاحق، وكذلك لا يجبر على العمل لدى صاحب السفينة خلال فصل الشتاء .

(6) أُصلحت محكمة السالفة، وكذلك أُعطي للغواص الحق في أن يطالب بحقه من محكمة أخرى .

وهكذا، تبدو الإصلاحات في ظاهرها لمصلحة الطبقة الكادحة من عمال الغوص ولدفع بعض الظلم عن هذه الفئة، ولكن باطنها يختلف عن هذا . . فصناعة وتجارة اللؤلؤ كانت حجر الزاوية الإقتصادية للوجود القبلي الذي رفض وقاوم بشدة الأصلاحات الأدارية، وقبلها التدخل البريطاني في شئون البحرين الداخلية . . وأول ما أقامت به الإصلاحات هو الفصل بين عملية إنتاج اللؤلؤ وبين التجارة الناتجة عنه، الأمر الذي حد من إحتكار التجار لهذا الإنتاج وهنا فصلت الإصلاحات بين العملية الإنتاجية، وعملية توزيع الإنتاج، ولم يخص هذا النسق صناعة الغوص فقط، بل أصبح نسقا عاما في المنظمات الإقتصادية الحديثة أو التي أستحدثت في النصف الثاني من القرن العشرين . . ومع هذه المتغيرات بدأت تتقلص بعد المستقرات القبلية أو المقاطعات التي كانت تعيش فيها وتستوطنها القبائل العربية المحتكرة لصناعة الغوص . [1] وعلى رأس تلك المستقرات القبلية تقع مدينة المحرق - المقاطعة الرئيسية لإنتاج اللؤلؤ - وأخذت صناعة الغوص في تدهور وتقلص مستمر حتى الخمسينات حين أندثرت نهائيا وأصبحت أثرا وذكرى، والقضية هنا ليست مجرد أندثار حرفة أو حتى إنهيار مجموعة أنساق إقتصادية أو تغييرها، ولكن النتائج المترتبة على هذه التغييرات من إخلال في التركيب الإجتماعي وإنهيار شبه كامل للتنظيم الأقتصادي المحلي للمجتمع، وقبل كل هذا وبعده تبعية المجتمع إلى تنظيمات أقتصادية خارجة عنه أو مفروضة عليه، ومنه يتحول النمط الأنتاجي للمجتمع إلى نمط أستهلاكي، كل هذا أدى في النهاية إلى تهتك في الأنسجة العمرانية لكيانات المجتمع خاصة للمقاطعات القبلية لصناعة الغوص، كما أخل بالتوازن العمراني بين تركيبات تلك الكيانات وعلاقات مؤسساتها وتنظيماتها العمرانية - الأقتصادية والأجتماعية .

## (2) التجارة :

ترجع أهمية جزر البحرين في التاريخ القديم أساساً إلى أنها ميناء لتجارة العبور، وكانت تنقل إليه البضائع في السفن الشراعية الكبيرة ثم يعاد شحنها في سفن ساحلية أو مراكب شراعية لنقلها إلى جزيرة العرب أو موانىء الخليج الأخرى، وكان يتم تخزينها على الساحل ويعاد تصدير بعضها أو كلها فيما بعد . . وتعتبر التجارة أحد أهم أسباب شهرة جزر البحرين، فحضارة ديلمون قديما، أعتمدت على علاقاتها التجارية، وبالتالي إحتكاكها بالحضارات المعاصرة لها حيث كان الخليج صلة الوصل الرئيسية بين الشرق والغرب، ولا يساويه أو يوازيه في الأهمية سوى البحر الأحمر .

وتطورت الملاحة في الخليج تطوراً تكنولوجيا هائلاً قبل بداية العصر المسيحي وبعده . . ولكن أخذت بعد هذا التجارة عموماً في منطقة الخليج تتقهقر حتى قيام الدولة العباسية الإسلامية في العراق حيث عادت التجارة الخليجية إلى سابق مجدها . . ودخلت بذلك عصرها الذهبي الذي إستمر حتى قدوم البرتغاليون في القرن السادس عشر الميلادي حين كانت السيادة العربية على المحيط الهندي، واكتشف البرتغاليون عام 1498 الطريق البحري إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح، عندئذ بدأ العرب تدريجيا يفقدون سيادتهم في المحيط الهندي . . وتركز أهتمام البرتغاليون بالدرجة الأولى على تجارة التوابل، وأهملوا تجارة اللؤلؤ فكان هم أولاً وأخيراً حماة خطوط التجارة الشرقية، وحكم البرتغاليون أمبراطوريتهم التجارية بحد السيف، سحقوا التجارة المحلية وحددوا الأسعار وأجبروا المواطنين على الشراء من مخازنهم وشحن البضائع على سفنهم . ومع نهاية القرن السادس عشر الميلادي أرسل البرتغاليون بعثة

(1) القبيلة والدولة . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 210 - 211

خاصة إلى منطقة المحيط الهندي لدراسة الأمكانيات التجارية وتبعهم بعد خمس سنوات الهولنديون لنفس الغرض . وأسفرت هذه الجهود الأولية التي قامت بها القوى التجارية الأوروبية عن حملة ديبلوماسية مركزة كانت الغاية منها الحصول على أفضل الأمتيازات . . ونشأت على أثر ذلك سلسلة من المراكز التجارية، التى أشتد عليها الصراع بين القوى الأوروبية كما قامت عدة حروب وصراعات داخلية ومحلية، كان نهايتها بانتهاء دور الأحتكار البرتغالي في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي وظهور الهولنديون في المسرح التجاري، ثم ظهور شركة الهند الشرقية البريطانية كقوة سياسية منافسة بعد أن كانت مجرد مؤسسة تجارية عادية ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر أصبحت بريطانيا بمعاونة إيران سيدة التجارة في الخليج . ومع أشتداد حركة التجارة الشرقية في مطلع القرن الثامن عشر بدأت القبائل العربية أو بطونها تتدفق من الجزيرة العربية والجنوب الإيراني مهاجرة إلى السواحل الخليجية وتؤسس مراكز تجارية على طول الشاطىء تخضع كل منها على حدة لسيطرة القبائل وشيوخها ومنها الكويت، والزبارة، وجزر البحرين ـ المنامة والمحرق، ودبي و . . . غيرها من الحواضر التجارية .(1)

ومما ساعد على تنشيط التجارة في القرن التاسع عشر الميلادي في جزر البحرين ، بالإضافة إلى العوامل الخارجية ، أن القبائل العربية المهاجرة إستوطنت الجزر وسرعان ما أصبح لها أسطولاً بحرياً تجارياً ، وجدير بالإشارة أن غالبية القبائل العربية هذه أستوطنت مدينة المحرق ، وأتخذت منها مركزاً لها . . وأصبحوا هم الذين يقومون بعملية التجارة ما بين مسقط التي كانت في ذلك الوقت القاعدة التجارية المحلية الرئيسية، وبين البصرة وغيرها على الساحل العربي للخليج ، ومن جهة أخرى لم يكن الحكام يتقاضون رسوما على الإستيراد في بداية الأمر ، وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة .

وليس هناك تحديد مؤكد لحجم الأسطول التجارى البحرى لجزر البحرين خلال القرن التاسع عشر ، ولكن لوريمر يذكر القوة الملاحية والبحرية للأسطول البحريني التجاري عند بداية القرن العشرين ـ حوالى عام 1906 الميلادية . ويوضح الجدول رقم ( 3 ) توزيع هذا الأسطول حسب نوع السفن المستخدمة وتوزيعها في مدينة المحرق وإجمالي الأسطول لجزر البحرين :(2)

| | بغلة | بتيل | بوم | بقارة | سمبوك | شوعي | مجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مدينة المحرق | - | 40 | 14 | 68 | 189 | 396 | 707 |
| جزر البحرين | 3 | 60 | 22 | 160 | 789 | 694 | 1760 |
| مجموع العاملين | 99 | 2010 | 167 | 3090 | 9748 | 2942 | 18390 |
| مجموع الحمولة | 365 | 1847 | 563 | 3482 | 9615 | 4473 | 20720 |

جدول رقم (3) توزيع الاسطول البحريني للغوص حسب نوع السفن المستخدمة



شكل رقم (28) صورة فرضة المحرق حوالى عام 1919 ميلادية

(1) تاريخ شرقي الجزيرة العربية . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 220 - 221
(2) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 307 - 309

يلاحظ أن التدخل البريطاني في الشئون الخليجية بدأ يزداد بشكل بارز إبتداءاً من القرن التاسع عشر الميلادي بفعل إشتداد الثورة الصناعية في أوروبا، والتحولات الأقتصادية التى رافقت هذه الثورة. وظهور النظام الرأسمالي الصناعي، الذي يقوم بشكل خاص على توفير الأسواق الخارجية للبضائع المصنعة وأعداد المواد الخام للصناعة الأوروبية ، وهكذا تحول الأوروبيون المتواجدون في الشرق من تجار متجولين إلى مستعمرين مقيمين . . وأضطرت بريطانيا ، خصوصا بعد سيطرتها على طرق المواصلات البحرية وإعتماد صناعتها على الأسواق الخارجية والمواد الخام من البلاد المستعمرة ، إلى تشديد قبضتها مباشرة على الأمور السياسية والأقتصادية للخليج فأبرمت المعاهدات المتتالية اعوام 1853 - 1835 - 1861 الميلادية ، ثم زاد من هذا التدخل المباشر فتح قناة السويس عام 1869 الميلادية الذي عزز التجارة وشجع القوى الأوروبية الأخرى على المشاركة في التجارة الشرقية السريعة النمو ، ففي نفس عام أفتتاح القناة أمام التجارة العالمية تدخل البريطانيون في جزر البحرين مباشرة لوضع حد للخلاف والصراع الداخلي على الحكم، لتأمين خطوط تجارتهم في الخليج وإتخاذ البحرين مركزا أساسيا على هذه الخطوط ، وهذا ما أكدته تطورات الموقف فيما بعد . .

وقد تحولت منطقة الخليج أثناء الحرب العالمية الأولى إلى ساحة قتال بين الدول الكبرى فشلّت حركة التجارة بصورة عامة ، ولكن سرعان ما بدأت التجارة بالأنتعاش مرة أخرى بعد إنتهاء الحرب وخروج بريطانيا منتصرة ، وبدأت البحرين تدخل مرحلة جديدة من تطورها التجاري فأصبحت هي المركز التجاري الرئيسي في الخليج وخصوصاً أن شركة الهند الشرقية البريطانية أتخذت من البحرين مركزاً لتصريف البضائع وكادت تحتكر الشركة النقل التجاري ، وبجانب ذلك فإن البضائع التى كانت تصدرها للبحرين من الهند بدأت خلال الربع الأول من القرن العشرين تتغير من بضائع هندية إلى مصنوعات بريطانية . ونظرا لنمو التجارة من جهة، ومحاولة السلطات البريطانية في إعادة تشكيل المنظمات الأقتصادية المحلية للبحرين من جهة أخرى . . بدأت تلك السلطات في توجيه وتعديل السياسات الضريبية والجمركية . . وقامت السلطات البريطانية بفتح فرع لأول



شكل رقم (29) صورة باب البحرين في الأربعينات

بنك في الخليج وهو البنك الشرقي الذي فتح أبوابه عام 1920 الميلادية ، كما أعيد تنظيم الجمارك ضمن الأصلاحات الأدارية لعام 1923 الميلادية ووضعها تحت إشراف موظفين بريطانيين[1] .

ولقد أختص المجتمع القبلي بمدينة المحرق بنمطي الأنتاج : الغوص والتجارة ، وارتبط هذان النمطان بمجموعة من الحرف والصناعات المحلية والتي أتسمت بطبيعتها المدنية، وإشتهرت البحرين بالعديد من هذه الحرف أهمها صناعة السفن وإستمرت هذه الصناعة التقليدية حتى اليوم ولكن في حدود ضيقة وفردية . . ولقد قامت في السابق صناعة السفن في مدينتي المحرق والمنامة وما زالت بقاياها موجودة وعرفت البحرين أربعة عشر نوعاً من السفن الشراعية تختلف إختلافاً ملحوظاً فيما يخص الحجم ومقدمة السفينة وتشكيلها وطولها . . . بالإضافة إلى هذه الحرفة أو الصناعة الأساسية، إنتشرت في مدينة المحرق بعض الصناعات المعيشية أو الحرف الحياتية المرتبطة بطبيعة السكان المدنيين وإحتياجاتهم اليومية والمعاشية .

(1) دراسة لتاريخ الامارات العربية . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 214

وهكذا أعتمد المجتمع المحلي في البحرين في معيشته خلال المرحلة القبلية الأقطاعية على أنماط أنتاجية تقليدية إرتبطت بالمكان والبيئة كما إرتبطت بالزمان والمجتمع ، ولم تكن مجرد مصادر دخل ، وإنما كانت طريقة للحياة أيضا، ونتيجة للأعراف التي نشأ عليها المجتمع في هذا المجال فإن هذه الأنشطة الأقتصادية قد ربطت السكان المحليين بعلاقات وأعراف إجتماعية، كان من العسير التخلص منها أو تغييرها . . وتميزت مجمل الأنشطة الأقتصادية بمظاهر عامة، وهي أن أحداً من العاملين بها لم يكن يتقاضى مرتباً محدداً نتيجة بيع عمله، فقد كان حظ العامل من عمله متوقفا على ما يصادفه النشاط الإنتاجي نفسه من نجاح أو فشل ، لذلك فإن الأمر المعيشى الناتج عن تحديد سلم معروف ومحدد للأجور لم يكن موجوداً . . وهناك ظاهرة اخرى كانت مصاحبة لتلك الأنشطة وهي أن العاملين يمتلكون أدوات عملهم مما أوجد شعوراً ولو وهميا بحرية الأنتقال من عمل إلى آخر ، في حين أن الحقيقة إنه إذا التزم عامل بعمل ما فربما يقضى حياته كلها في ذلك العمل . . . [1] وثمة ظاهرة أخرى مرت بها أنشطة الأنتاج في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين، حيث إنتقل الإقتصاد المحلي من أقتصاد معيشي يكتفي بموارد الرزق البسيطة مما يضمن الأستقرار والبقاء ، إلى إقتصاد تسويقي يعتمد مبدأ تقلب الأسعار حسب العرض والطلب، ويمكن أعتبار هذا التحول في المنظمات الاقتصادية والذي سبق تحول أنماط الأنتاج وهو البداية الحقيقية لدخول الإقتصاد المحلي إلى مرحلة الرأسمالية، وإن كانت هذه تختلف جزئيا مع المفهوم السائد للمنظمات الرأسمالية الغربية ، ويرجع ذلك إلى إرتباط الإقتصاد المحلي عموما بالتنظيمات القبلية الإجتماعية مما أعطى لها مفهوما خاصا يمكن معه تسميتها بالمنظمات الرأسمالية القبلية . . وقد شاءت الظروف الإقتصادية العالمية السيئة في العشرينات من هذا القرن أن تنعكس على التطور الأقتصادي في البحرين، خاصة بعد أرتباطها بالأقتصاد العالمي وأسواقه التجارية ، وقد كانت تلك النكسة العالمية كأنها الضربة القاضية لمعظم أنماط الأنتاج الأقتصادية التقليدية : فالغوص وصناعة السفن ومعظم الصناعات التقليدية لم تقم لها قائمة بعد ذلك وظلت التجارة هي النشاط الوحيد الذي واصل تطوره ونموه (لا نقصد هنا التنمية ولكن النمو) ـ وأستفاد من المرحلة الجديدة التى دخلتها المنظمات الأقتصادية حيث أرتفع الطلب على البضائع الواردة أو المستوردة أرتفاعا كبيرا لسد حاجة الاقتصاد المحلي الرأسمالي النامي ، إلا أن الدور الأساسي للبحرين لم يتغير ، حيث ظلت تجارة العبور هي الطبيعة الأساسية لتجارة الدولة ، بل وتوسعت أهميتها وتطورت في الأربعينات من هذا القرن بدئا من إستغلال النفط وتكريره والإستفادة من عائداته المباشرة وغير المباشرة ، وزا من هذا أنشطة إقتصادية جديدة عمادها الصناعات التحويلية وما يرتبط بها ، بالأضافة إلى النشاط التجاري النامي بإضطراد نسبي ، وكان هذا إنتقالٌ حاسمٌ فهنا طرأ على شكل الأنتاج تحول أساسي من حيث الشكل والأسلوب فشكل الأنتاج تحول من الغوص والزراعة إلى الصناعة . . وأسلوب الأنتاج تحول من إحتكار القبلية الإقطاعية والممولين أو النواخذة والتجار إلى إحتكار الدولة لمصادر الأنتاج . ورغم ذلك الأختلاف الجوهري ظلت الأجتماعية القبلية هي الخيط الرفيع المشترك بين مرحلتي تطور المنظمات الأقتصادية .

## ثانيا ـ المرحلة الحديثة ..

كان لأكتشاف النفط في البحرين الدور الحاسم والنهائي لتغيير نمط الحياة الأقتصادية والأجتماعية ، وبالتالي العمرانية ، ويمكن القول بأن عام 1934 الميلادية الذي تم فيه إستخراج النفط بكميات تجارية [2] ، كان نقطة التحول لصالح النمط الجديد ، وقد شجع إنحسار النشاط الإقتصادي في المرحلة الأولى إنتقال أعداد كبيرة من القوى العاملة من الغوص إلى العمل في صناعة النفط وخاصة من أن العمل في النشاط الجديد كان يدر عائداً أفضل نسبياً ، ومن جهة أخرى ضغطت السلطة المحلية والسلطات البريطانية بشكل غير مباشر أو مباشر لتوجيه القوى الأنتاجية المحلية للأنشطة الجديدة .

ويمكن خلال هذا التغيير التمييز بين المنظمات الأقتصادية في مرحلتيها كما يلي :

المرحلة الأولى ـ أرتبطت فيها المنظمات الأقتصادية بالماء . . فكانت مظاهر الأنتاج هي الغوص والزراعة

(1) مشكلات التغير السياسي والإجتماعي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 49 - 50
(2) البحرين بين الإستقلال السياسي والأنطلاق الدولي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 26 -27

والتجارة الملاحية ، ويمكن توصيف المجتمع في هذه المرحلة بالمجتمع الأنتاجي ، وان كانت مصادر الأنتاج غالبا خارجة عن كيانات المجتمع إما مصادر طبيعة كالغوص ، أو علاقات اقليمية ودولية كالملاحة التجارية . . بينما كانت الزراعة هي المصدر الوحيد المرتبط بكيان المجتمع داخليا . . بمعنى آخر كان هناك توازن عام بين الموضع والموقع ، وبالتالي نشأت عن هذه المرحلة خريطة عمرانية للجزر يرتبط العمران فيها بالماء ليس كمصدر للحياة ولكن كنسق إقتصادي ، وكان هذا تعبير طبيعي عن بيئة الجزر .
كان التوجه العمراني دائما نحو الماء ، سواء كان الماء هو الخليج وما يضمه من مصادر رزق وحركة تجارية وعلاقات أقليمية غير منظورة ـ وهذا هو الموقع ، أو كان الماء هو ينابيع وعيون للرى والزراعة والمعيشية في باطن الأرض نفسها ـ وهذا هو الموضع . وبالتالي يمكن تصنيف المستقرات العمرانية حسب الطبيعة الأجتماعية والاقتصادية من فكرة الموضع والموقع المتوازنة ، فمدينة المحرق مثلا أرتبطت تركيباتها القبلية للسكان أوالمستوطنين بها بالعلاقات الخارجية وأرتبطت منظماتها الأقتصادية بأنماط من الأنتاج تتوافق وهذا النسق حيث إعتمدت على الغوص والتجارة وهنا تغلب الموقع ، ولكن ليس في هذا أخلال بالتوازن بين الموضع والموقع ، فنحن هنا بصدد تصنيف نظري من خلال محدد أو جانب واحد لعمران المجتمع ، فقد يتغلب الموضع على الموقع كنسق خلال جانب أو جوانب أخرى ، والمحصلة هي التوازن النهائي للمدينة أو عدم توازنها . . !!

المرحلة الثانية ـ أرتبطت فيها المنظمات الإقتصادية بالأرض . . ليس إرتباط هوية وإنتماء بقدر ما هو إرتباط منفعة ، فكان نشاط الأنتاج الأساسي هو أستخراج النفط ، ويمكن توصيف المجتمع في هذه المرحلة بالمجتمع الأستهلاكي ، حيث توجهت الطاقات لتوفير المادة الخام اللازمة لعملية الأنتاج الخارجية ، وبالرغم من إستمرار الحركة التجارية ولكن المظهر العام وجه هذه الأمكانية للإستهلاك والتبعية . إن التحول الجذري في أرتباط المنظمات الأقتصادية بالأرض بدلا من الماء كان له تأثيره على الخريطة العمرانية وأنماطها وتوجهاتها إلى عمق الجزيرة . . إلى الأرض ـ تغليب الموضع على الموقع ، ومع هذا التوجه بدأت المشاكل الأساسية مع الماء كمصدر للحياة وتغير التوازن الايكولوجي للجزر مع تغير فهم طبيعة هذه الجزر والقدرة على التفاعل معها .

خلال هذه المرحلة الأنتقالية للمنظمات الأقتصادية لم تواكب كثير من التجمعات العمرانية هذه المتغيرات كلها أو بعضها ، وكانت المحرق واحدة من تلك التجمعات التي فقدت مواكبتها للمتغيرات الحادثة أو الأنقلابات الواقعة من حولها ، حيث أستفردت جزيرة البحرين وخاصة مدينة المنامة بالتغييرات ، ويرجع تخلف المحرق عن ركب المتغيرات تلك إلى :

(1) فقدان المحرق للعمق الطبيعي للتوجه إلى الأرض في الداخل لصغر حجم الجزيرة نفسها .

(2) فقدان المحرق لمصادر الأنتاج الجديدة ـ النفط .

(3) الطبيعة الأجتماعية ـ الأقتصادية لبنية المجتمع المحلي للمحرق ، هذا بالأضافة إلى التوجه السياسي .

إن التحول من المجتمع الأقطاعي إلى مجتمع رأسمالي قد إنعكس بشكل حاد ومؤثر على كافة الجوانب الأجتماعية والسكانية والعمرانية . . فإلى جانب التغيير الذي حدث بظهور النفط في طبيعة النشاط المهني للسكان ، فقد برزت مجموعة من الظواهر الجديدة التي لم تكن واضحة أو بارزة في المرحلة التقليدية ، كدخول القوى العاملة الأجنبية للسوق المحلي خاصة منذ منتصف الستينات من هذا القرن عندما تبنت البحرين سياسة التنوع الاقتصادي والتوسع في بعض المشاريع الصناعية والخدمات التي إستقطبت اليد العاملة الأجنبية كمظهر مزامن للنمو الأقتصادي في المرحلة الرأسمالية .

وما من شأن هذه المشاريع الصناعية والأقتصادية ساهمت على تنشيط التجارة وقطاع الخدمات وزيادة دخل الجمارك ، ولكن إعتمادها على العمالة المستوردة يمثل عبئا ثقيلا على الخدمات بالإضافة إلى إنها تدفع البحريني الماهر وغير الماهر إلى ترك العمل في قطاع الأنتاج للعمل في قطاع الخدمات ، والتوظيف في الأدارة العامة . . . وهذه الخسارة الأقتصادية لا يمكن موازنتها بأى دخل ، بالإضافة إلى ترسيخ قيما أقتصادية ضارة بالمجتمع من تكاسل وأستهلاكية وتواكل على القوى العاملة غير الوطنية . . دون أي مردود حقيقي ـ أقتصادي أو أجتماعي .

## الجوانب الأجتماعية للاستيطان 1783 - 1971

يتميز كل مجتمع بأنماط وسلوكيات إجتماعية عامة ، هي نتاج طبيعي لتكيف الإنسان ضمن إطاره الإجتماعي والبيئي ، ولا تنفصل هذه السلوكيات عن الجوانب السياسية أو الأنشطة الإقتصادية ، بل هي تتأثر بهما وتؤثر فيهما بشكل تبادلي . . حتى ان التركيب الطبقي والبناء الإجتماعي يختلف بإختلاف أنماط الإنتاج ، وبالعكس فإن التركيب الإجتماعي يساعد على سرعة التغيير الإقتصادي والإداري والسياسي للمجتمع . . ومن جهة أخرى فإن الجوانب الإجتماعية بما تشمله من سلوكيات وقيم وعادات وتقاليد وأعراف ، تتمثل في البنية الأساسية للمجتمع ، وهي الأسرة ، سواء كانت الأسرة الممتدة سابقا أو الأسرة النووية بمفهومنا المعاصر والتى كانت نتيجة طبيعية لتغير المنظمات التعليمية والمؤسسات الإنتاجية لذلك فإن دراسة العمران للمجتمع لابد أن تتلازم مع دراسة الجوانب الإجتماعية .

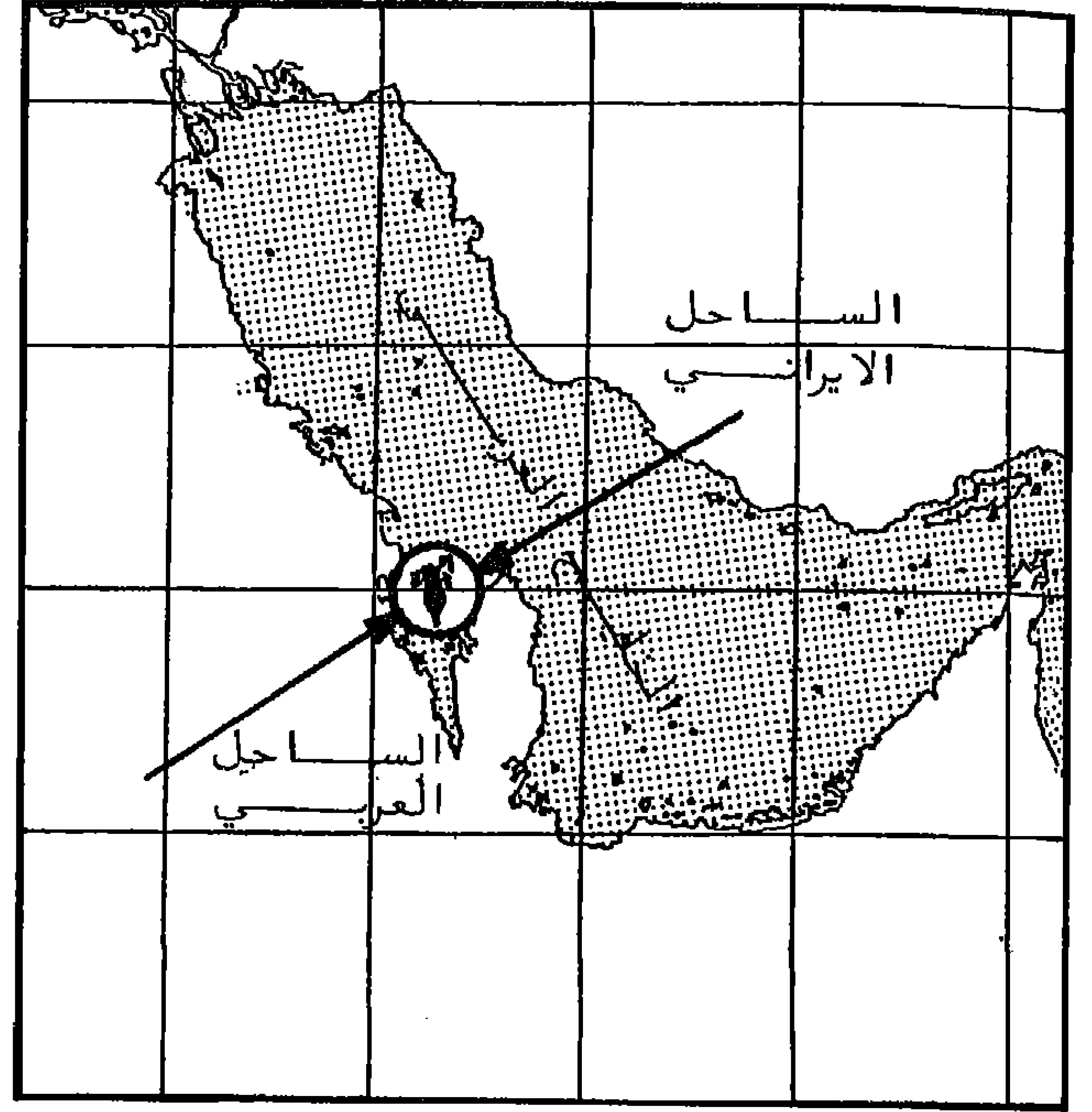
### العامل التاريخي للبنية الاجتماعية :

إن البنية الإجتماعية أو المؤسسات التنظيمية المرتبطة بها قد تختلف بتفاوت الحقبات وتطور المجتمع نفسه ، وكانت البحرين خلال التاريخ ـ بسبب الموقع ـ ملتقى أعراق مختلفة بين الفترة والأخرى ، فقد سكنها العرب والفرس وحتى الزنج ، ولكن على مدى التاريخ الطويل ـ نسبيا ـ كانت القبيلة ـ غالبا ـ هي النظام الإجتماعي السائد من قبل الإسلام وإلى ما بعد ظهوره ، وهذا ليس للبحرين فقط ولكن لمنطقة الخليج وجزيرة العرب ككل . . ومما يسترعى النظر قيام هذا النظام الإجتماعي على رباط قبلى ، فولاء الفرد لا يكون إلا لقبيلته وولاؤه لها لا يقف عند حد ، فأعداء القبيلة أعداؤه وبالعكس فإن أصدقائها أصدقاؤه ، وإذا كان الفرد يحمل هذا الولاء لقبيلته ، فالقبيلة تحمل له ولاء مماثل فهي المسئولة عن سلامته ، وهي التى تحميه من كل إعتداء دون قيد أو تحفظ وتضحي في سبيل نصرته بكل ما لديها من قوة . . وكانت كل قبيلة تختار زعيمها أو شيخها عن رضاء وقناعة لما تجده فيه من صفات السيد ، وهي الصفات التى تعتبرها ذروة فضائلها . لم يكن حاكم القبيلة مستبداً مسيطراً ، فالحياة القاسية تسوى بين الأفراد وقد كان لكل فرد في القبيلة حق الإشتراك في المناقشة المتصلة بمصالحها ومعارضة رأي الشيخ إذا بدا له أن رأيه غير حكيم أو غير مناسب للظروف . . . فالحرية والمساواة وكرامة الفرد كانت دعامات الحياة الإجتماعية بالنسبة للفرد ، ووحدة القبيلة وتضامنها وتكافلها وولاء كل فرد لمجموعها كانت دعامات الحياة الإجتماعية بالنسبة إلى القبيلة ، أما أسلوب الفرد في حياته الخاصة فكان مطلقا من كل قيد ، وكان مقياس القيم عند كل القبائل قائما على الإعتداد بالفضائل الإجتماعية . وهذه القيم التى تعارف عليها أفراد المجتمع أو القبيلة أصبحت ميراثاً لهم جميعا وكونت في مجموعها قانوناً عرفياً يخضعون له خضوعاً إختيارياً ويلتزمون حدوده من تلقاء أنفسهم والخروج عليه يعتبر شذوذاً شنيعاً يقابل بالإحتكار الجماعي وتوقيع العقاب المتعارف عليه . .[1] إن هذه السمات العامة قد شكلت النسق على مدى التاريخ القديم وليست لدينا دراسات مدققة لبدايته ولكن عاشه العرب قبل الإسلام وإستمر معهم حتى بعد دخولهم الإسلام وإلى التاريخ الحديث . . .

وقد عاشت البحرين نفس هذا النسق على مدي التاريخ القديم ولكن إختلفت مظاهره هنا ، من جهة لإختلاف البيئة الطبيعية ، فالبحرين أرخبيل من الجزر ، ولإختلاف التركيب الديمغرافي للمجتمع تاريخيا من جهة أخرى ، فقد كانت البحرين ملتقى وموطن لأعراف مختلفة ـ كما سبق أن أشرنا ـ فمن المحتمل أن سكان جزر البحرين قبل الإسلام كانوا عربا ينتمون إلى قبائل بني بكر ، وبني تميم ، وبني عبد قيس ، وبعد أن دخلت البحرين للإسلام كانت مركزا لتوافد مجموعات سكانية متباينة ، وإستمرت عمليات الإستيطان والهجرة نسقا إجتماعيا تعرفه الجزيرة العربية ويعيشه الخليج حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، وهو يعبر عن طبيعة الترحال الإقليمية للمنطقة ، حيث يُذكر أن البحرين خلال العصر الوسيط للحضارة الإسلامية تناوبت الهجرات السكانية بينها وبين القطيف من جهة أو جنوب إيران وساحل الخليج من جهة ثانية ، فإذا إرتبك الوضع السياسي في الجزر قذفت ببعض سكانها مهاجرين وبالعكس يكون الإستيطان . . . وهكذا كانت عمليات الهجرة والتنقل في الحدود الإقليمية الطبيعية نسقا عاما ، نتج عنه فقدان التمسك بالأرض كمفهوم إستيطاني عمراني كما كان النسق الإجتماعي الملازم والمزامن هو القبيلة . . وهنا

---

(1) حضارة الكويت ........ ص 7 - 8

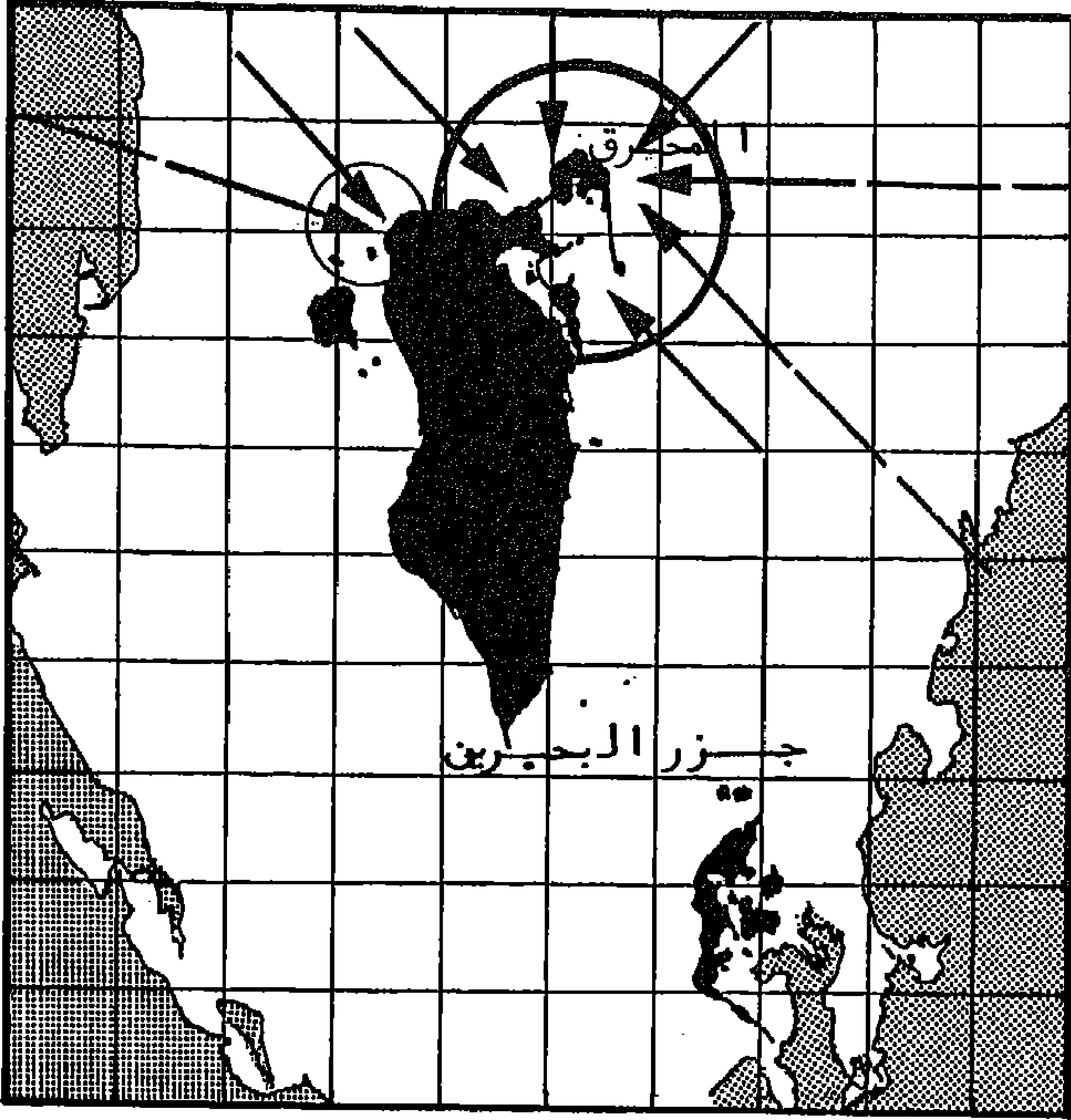



شكل رقم (30) هجرة القبائل العربية من سواحل الخليج الى جزر البحرين (الموقع)

أصبحت الهوية القبلية مترسخة بجذور المجتمع حتى بعد تغيير مفهوم الإستيطان ـ ولو شكليا ـ في الحقبة الحديثة فالمعاصرة . ولعل كل من موقع وموضع جزر البحرين جعلها مناطق جذب للهجرات السكانية ، فكانت هجرة القبائل العربية من السواحل الجنوبية لإيران مع بداية القرن السابع عشر الميلادي . . وكانت أيضا هجرة القبائل العربية من المنطقة الشرقية لجزيرة العرب مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر .

**البنية الأجتماعية :**

تواجدت في البحرين خلال الحقبة الحديثة من التاريخ الإجتماعي والتي يمكن لنا توصيفها بأنها تبدأ من القرن الثامن عشر ـ بصفة اعتبارية ـ(1) ، مجموعة متنوعة من القبائل والفلاحين وسكان المدن (المدينيين) وتعتبر هذه المجموعات البشرية فئات تطورية مستقلة عن بعضها البعض بالرغم من أرتباطها بأعراف وتنظيمات مختلفة ولقد سيطرت كل منها على مصادر خاصة من مصادر الإنتاج . فالقبائل تنظم علاقاتها على أساس من مبادىء الأنساب ، خصوصا فيما يتعلق بالزواج والتفاعل الإجتماعي وتوزيع السلطة والثروة




شكل رقم (31) مراكز استيطان القبائل العربية بجزر البحرين (الموضع)

والمكاسب العامة ، ويُنظم هذا كله وغيره عند القبائل حسب تفرع الأجيال السلالية ومدى إبتعادها أو قربها من أصولها . . فالقبيلة وحدة أجتماعية متماسكة رغم إمكانية إنتشار بطونها في أنحاء مختلفة داخل الجزر وخارجها في كل الخليج . . وهذا لا يعني أن القبيلة كتنظيم إجتماعي جامدة أو ساكنة لا تتبدل أو تتغير ، ولكنها تتطور ـ في حدود وفقاً للأوضاع الإقتصادية أو الإجتماعية المستجدة ، وهو تطور مشروط بتماسك القبيلة وكيانها الإجتماعي الأساسي . .

وبخلاف القبائل ، نجد الفلاحين ينتظمون في مجموعات قروية ترتبط ببعضها البعض بالعادات والتقاليد وبالعبادات والمعتقدات الدينية ، كما يرتبطون أيضا بنسبة عالية من التزاوج ضمن الطائفة الواحدة . . فبينما ترتكز البنية الإجتماعية عند القبائل على علاقات من القرابة والأنساب ، نجد الفلاحون ينتظمون في جماعات ومؤسسات دينية محلية متنوعة تستمد شرعيتها من التاريخ الديني والإجتماعي . . أما سكان المدن (المدينيين) فينتظمون في أحياء وتجمعات متجانسة دينيا أو أثنيا أو حرفيا ، أو يتجانسون في هذه الفعاليات كلها مختلطة بعضها بالبعض الأخر .(2)

(1) لم يكن تحديد الدراسة بالحقبة الحديثة بدءا بالقرن الثامن عشر الميلادي من منطلق التخصيص ، وإنما لغياب الدراسات التاريخية الإجتماعية أو لعدم إمكانية الحصول على الوثائق التاريخية الخاصة بالفترات أو الأحقاب السابقة ، والتى كان من الممكن أن تعطي أية تصور عن المجتمع وبناءه وتشكيله ، حيث تقتصر غالبية الدراسات على فترة معينة من التاريخ الإجتماعي للبحرين تبدأ دائما بالقرن الثامن عشر ، ولا يعني أن هذه الفترة هي بداية إستيطان وعمران الجزر ـ ولكن عرفت جزر البحرين العمران من الألف الثالث قبل الميلاد .

(2) القبيلة والدولة ........................................ ص 9 - 11

إن التكوين الإجتماعي للمجتمع المحلي يستدعى بالضرورة تقسيم السكان إلى عدة تقسيمات يمكن الإشارة اليها على الوجه التالي :

أولا : السنة : يتكونون من السكان الذين هاجروا إلى البحرين منذ القرن الثامن عشر الميلادي من نجد والأحساء أو من قطر ، كما يدخل في تكوين السنة أيضا عرب الهولة ، وهم ينتمون غالبا إلى قبائل بني كعب الذى يقطنون الساحل الإيراني وقد هاجروا إلى البحرين على مراحل تاريخية بدأت من القرن السابع عشر الميلادي ، ولكنها زادت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بعد أن أخضع الشاه رضا بهلوي إقليم عربستان عام 1925 الميلادية ، وعمل على إضطهاد العرب والقضاء على شخصيتهم القومية .

ثانيا : الشيعة : من الممكن تقسيمهم الى ثلاثة أقسام رئيسية :

(1) البحارنة : وهؤلاء من سكان الجزر الذين إستوطنوا البحرين عبر عصور مختلفة ، فرارا من الإضطهادات السياسية والدينية من بعض مراكز الخلافة الإسلامية على مدى التاريخ الوسيط للحضارة الإسلامية .

(2) شيعة القطيف والأحساء : وقد نزحوا إلى البحرين في الربع الأول من القرن العشرين .

(3) شيعة إيران : وهم قلة نزحوا إلى أرض البحرين عموما في الفترة ما بين عامي 1622 - 1783 وهي الفترة التى غزت فيها إيران الجزر بعد طرد البرتغاليين منها .

وهكذا فإن التكوين الإجتماعي لسكان جزيرة البحرين يمكن تصنيفه إلى نمطين أساسيين بغض النظر عن التقسيم الطائفي أو الأثني أو العنصري . . النمط الأول ـ مهاجرون إستوطنوا الجزر هربا من مظاهر إضطهاد وقهر في مواطنهم سواء على السواحل الإيرانية أو السواحل العربية .

النمط الثاني : مهاجرون إستوطنوا الجزر طلبا للثروة والسلطة . .

وكان لهذا التصنيف أثره في التكوين الإجتماعي والتركيب العمراني لمراكز الإستيطان ، وبناء عليه يمكن إعادة تصنيف هذه المراكز حسب طبيعة المهاجرين ودوافع هجرتهم ، ومن هذا على سبيل المثال والتخصيص مدينة المحرق والتى ضمت النمطين معا لفترة ، ولكن كان غالبية المستوطنين من القبائل متقاربة إلى النمط الثاني ، وبالتالي يمكن توصيف وتصنيف مدينة المحرق من هذه الزاوية كمدينة أرستقراطية قبلية .

ومن جهة أخرى ، يمكن توصيف المجتمع المحلي لجزر البحرين حسب التركيب الطبقي إلى خمسة طبقات تنبع أساسا من النشاط الإقتصادي والمكانة الإجتماعية ومدى السلطة السياسية والنفوذ داخل كيانات المجتمع نفسه خلال القرن الثامن عشر الميلادي والقرن التاسع عشر[1] :

(1) طبقة الشيوخ والحكام وملاك المقاطعات .

(2) طبقة كبار التجار (تجار اللؤلؤ) .

(3) طبقة القضاة الشرعيين وفقهاء الدين .

(4) طبقة أصحاب الحوانيت الصغيرة والحرفيين .

(5) طبقة العوام من عمال الغوص والمزارعين .

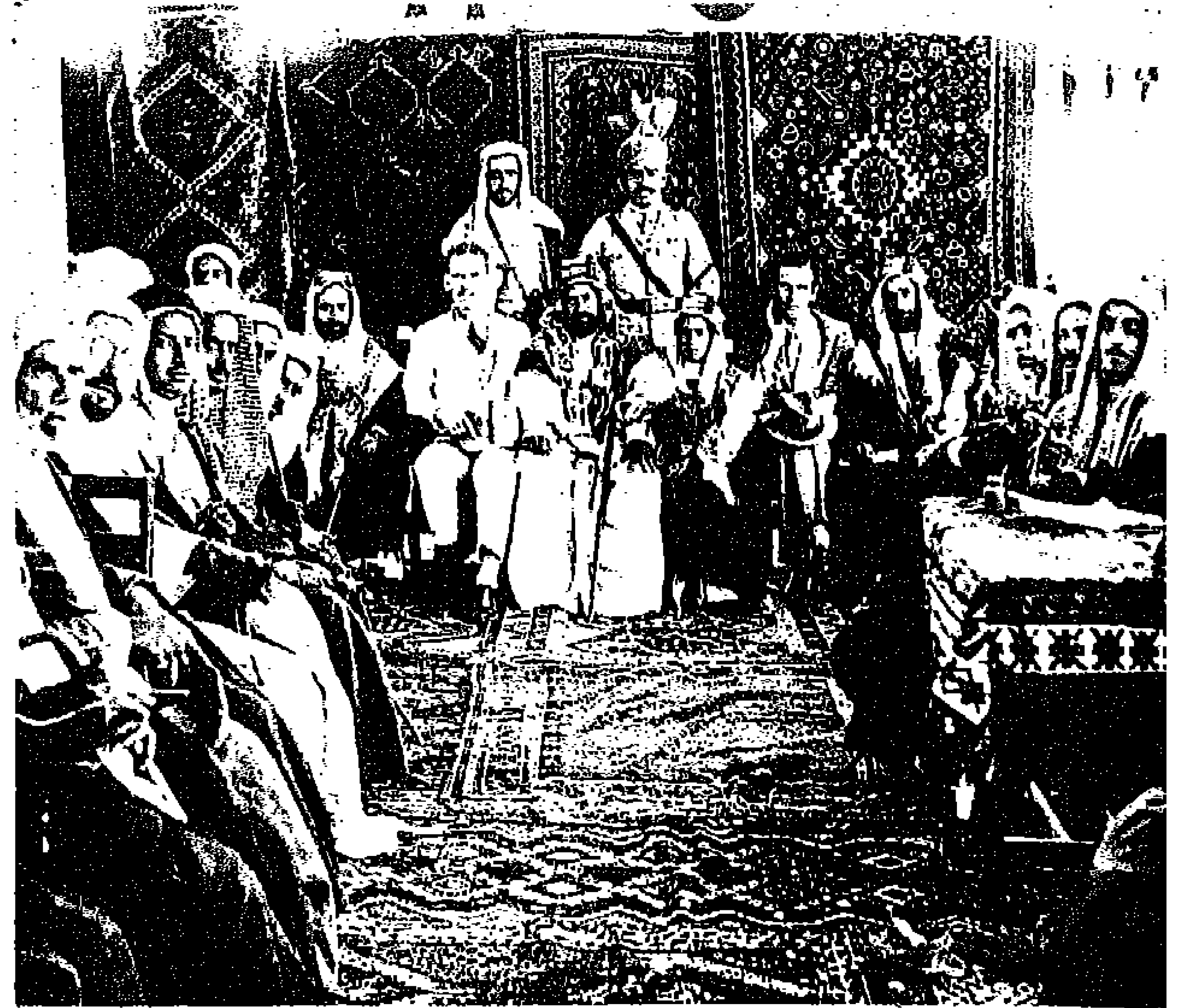
أفرز هذا التركيب الطبقي مؤسستين في المدينة (وسبق تحديدهما) وهما :

(1) المجالس القبلية .

(2) المحاكم الشرعية .

وكانت سلطة المجالس والمحاكم تقوم أساسا على إرتباطها بموارد الإقتصاد الهامة من جهة ، والسلطة التقليدية القائمة على شرعيتها الإجتماعية من جهة أخرى ، وكان مجلس الحاكم يمثل السلطة العليا في المجتمع وتتدرج باقي المجالس القبلية حسب المكانة الإجتماعية ، فأهمية المجالس السياسة والإجتماعية تختلف وفقا لمنزلة العائلة أو القبيلة ونفوذ صاحب المجلس وتعقد هذه المجالس إجتماعات دورية للتشاور في الأمور السياسية والإقتصادية ، أو عند إتخاذ القرارات أو الأحكام الملزمة للجميع . . ولكن تلك المجالس حين تتخذ قرارات ، تهتم بإدارة الموارد أكثر من إهتمامها بشئون الناس الشخصية والإجتماعية هذه الأمور التى كانت تعتبر من إختصاص رجال الدين والفقهاء ، وعلى هذا الأساس كانت كل فئة (أو طبقة) من الفئات الإجتماعية تتمتع بجزء من الحرية المشروطة بألا تمس هذه الحرية المصادر الإقتصادية وطرق إستغلالها .[2]

(1) الخليج العربي (جمال زكريا) .................................................... ص 204 - 205
(2) البحرين بين الإستقلال السياسي والأنطلاق الدولي ........................................ ص 32 - 34



شكل رقم (32) صورة مجلس للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة في الثلاثينات

وعموما ، فإنه من الظواهر الأساسية المميزة للبنية الإجتماعية المحلية هو التفتت الجزئي لكيانات المجتمع وعدم وجود شريحة متناسقة أو متماثلة لكل المجتمع فهم يخضعون لإختلافات - غير الطائفية والمذهبية - من حيث المنشأ والإنتماء والثروة ، وبمعنى آخر فيمكن تعريف المشكلة بغياب شبه كامل للعقل الجمعي الإجتماعي للمجتمع المحلي للجزر . . ويستدل على ذلك من أن المجتمع السني مثلا . . يتمون إلى فرق أو مجموعات والحد الفاصل بينهم غير واضح ولكنهم ينقسمون الى :

(1) المجموعة الأرستقراطية القبلية ، وهم تلك المجموعات من الناس الذين ينتمون إلى قبائل معروفة ويرتبطون برباط القرابة ويميلون تقليديا إلى الولاء لآل خليفة الحكام ، ومنهم الجلاهمة والفاضل وآل بن علي والسادة وآل بورميح وآل بوعينين والدواسر والمنانعة وآل بوكوارة وآل مسلم وآل نعيم . . . ونلاحظ إستيطان غالبية هذه القبائل في مدينة المحرق في شكل مستقرات محدودة حول مستقرات سكن آل خليفة ، وما يمثله هذا من تركيب إجتماعي طبقي لتقسيم وعمران المدينة . .
وعموما كان نفوذ هذه القبائل يقوم على أساسين : أولهما ذاتي داخلي ، أنهم يرتبطون ببعضهم بطريق أو بآخر عن طريق التصاهر مما يؤكد مفهوم عصبية الدم ، ثانيهما خارجي ، فقد كانوا على إتصال بالعائلة الحاكمة والدور الذى تلعبه هذه القبائل من عصبية الحكم وشكلت هذه القبائل في مجموعها الطبقة العليا للمجتمع القبلي التقليدي خلال القرن التاسع الميلادي والربع الأول من القرن العشرين .

(2) المجموعة الوسطى ، وهي مجموعة من السكان لا يرتبطون مع بعضهم برباط محدد - عصبية الدم - وهؤلاء يشكلون في مجموعهم «الحولة»[1] وهم أولئك العرب الذين نزحوا وإستقروا في الساحل الشرقي للخليج جنوب إيران وإكتسبوا كثيرا من العادات الإيرانية في المأكل والملبس وحتى طرق البناء إلا أنهم لم يتشيعوا ، ثم رجعوا مرة أخرى خلال القرن السابع عشر الميلادي وهاجروا إلى الشواطىء الغربية للخليج وإستقروا في الساحل العربي ، هؤلاء هم ما يمكن أن نطلق عليهم - تجاوزاً - نواة الطبقة المتوسطة في البحرين في العصر الحديث . والحولة لطول إستقرارهم وإستيطانهم الساحل الإيراني فإن العصبية القبلية بينهم قد خفت ، وأصبحوا في القرن التاسع عشر الميلادي يشكلون في إستيطانهم للساحل العربي ، عائلات ممتدة أكثر من كونهم بطون أو فخوذ قبائل وإستمروا خلال هذه الحقبة يزاولون تجارتهم البحرية ، ومن ثم أصبحوا أصحاب نفوذ سياسي .

(3) مجموعة العوام ، وهم الذين لا ينتمون إلى قبيلة محددة معروفة كما إنهم لا ينتمون للهولة أيضا وهم يسمون بني خضير ، وعليه فربما كانوا مهجنين من بقايا العبيد الذين إزدهرت تجارتهم في القرن الثامن عشر الميلادي ، أو أولئك الذين يسمون محليا بياسر ، وهم في الغالب ينتمون إلى عائلات غير معروفة الأصل في المجتمع القبلي التقليدي ، وهكذا فبني خضر والبياسر مصطلحات كثيرا ما تعني الدونية لذلك فمن العسير أن تجد عائلات تقبل أن توصف بهذه الألقاب .[2] .

وهكذا ، وبالرغم من أن هذه المجموعات الثلاث تكون شريحة للمجتمع ، لكنها لا يمكن أن تتناغم داخل كيان واحد يمكن أن نسميه مثلا المجتمع المديني أو المجتمع السني أو . . . . ، لكن ترابطها في النسيج الإجتماعي يأتي من بُعد تجميعي فرضته ظروف سياسية وإقتصادية وبيئية وجغرافية . . وهذا يفسر إلى حد ما هذا التنوع والإختلاف

(1) «الحولة» لفظ أطلق على المجموعات العربية المهاجرة لتحولهم الإستيطاني ويستعمل أحياناً «الهولة» .
(2) مشكلات التغير السياسي والإجتماعي ........................................ ص 36 - 39

في عناصر النسيج العمراني داخل المدينة الواحدة ـ مثل المحرق ـ بل أن هذا الإختلاف النوعي ساعد على ترسيخ التنوع في النسيج الإجتماعي والبناء الطبقي حتى داخل التناغم والتواجد الأثني أو الطائفي أو الفئوي .

إن التغير الإجتماعي هو عملية مستمرة ، قد تختلف حدتها وسرعتها ، ولكن لا تتجمد عندها المجتمعات لأن الجمود معناه الموت والفناء ، ولكن مادام المجتمع قائم وحي فمعناه أنه متطور ومتغير . . . وبالتالي فإن المجتمع المحلي للقرن التاسع عشر الميلادي لم يتوقف عن تطوره ، بل هو مر بمراحل تغيير جوهرية ونقط تحول خلال القرن العشرين الميلادي ، وأثرت عليه عدة عوامل :

(1) الإصلاحات الإدرية والتدخلات البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى .

(2) تغيير أنماط الإنتاج الإقتصادية مع إكتشاف النفط بشكل تجاري .

(3) دخول المؤسسات التعليمية الحديثة .

ولا بد لنا من خلال إستقراء البنية الإجتماعية من أن نأخذ في الإعتبار أن التغييرات لم تحدث كلها في نفس الوقت ، وان التغيير لم يكن بمعدل ثابت ، إذ أن للتغييرات الإجتماعية نتائج مختلفة على الفئات المتعددة في المجتمع الواحد ، فبعضها يطلب التغيير ويرحب به بينما بعضها الآخر يرفضه ويقاومه ، وهذه هي طبيعة أي مجتمع يمر بتغييرات جذرية على مدى التاريخ ، فنجد في المجتمع فئة تتزعم عمليات التغيير ، وفئة تتمسك بما هو قائم وتعارض التغيير ، وحسب قوة أي من الفئتين تكون سرعة التغيير وإتجاهه ومدى تأثيره ـ تقدمي أو سلفي . كما أن عمق التغيير في المجتمع المحلي بجزر البحرين خلال هذا القرن قد إختلف بين الحضر والريف (المدينة والقرية) ، بين الطبقات العليا والعامة ، أو حتى بين المتعلمين وغير المتعلمين داخل الأسرة الواحدة . . .

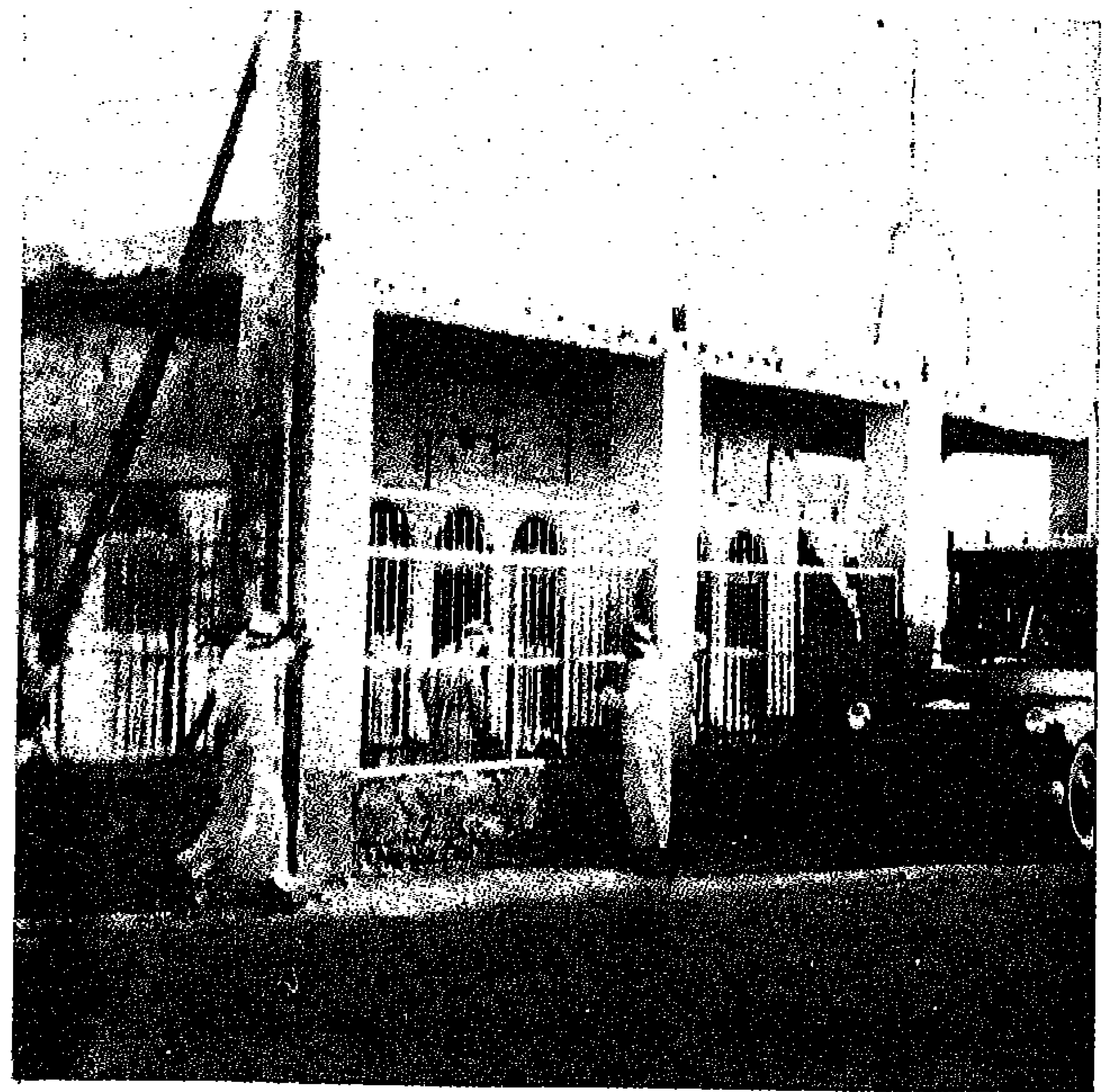
## البنية الاجتماعية الجديدة خلال القرن العشرين :

بدأ الموقف يتبلور بالنسبة لتشكيل الطبقات الإجتماعية الجديدة منذ العشرينات بعد الإصلاحات الإدارية التى أدت إلى إعادة تنظيم وتركيب القوى في الجزر ، ومما سهل هذا الأمر هو ضمور صناعة الغوص وتجارة اللؤلؤ التقليدية وفقدان طبقة التجار لقوتهم السياسية ، وأصبحت الطبقة العليا مكونة من الأسرة الحاكمة وملاك الأراضي . ومن جهة أخرى إستطاعت طبقة التجار فيما بعد ، من تطوير نفسها لتتلاءم مع الوضع الإقتصادي الجديد بعد إكتشاف النفط وبدء المشاريع الكبرى . . والإنفتاح على الغرب والدول الصناعية . . ولقد شكلت هذه الطبقة من التجار البحر يين نواة طبقة متوسطة عليا آخذة في الظهور ، كما أدت الحاجة إلى مزيد من الموظفين الإداريين نتيجة لتطوير الإدارة وظهور البيروقراطية التى أدت إلى تشكيل طبقة جديدة هي طبقة متوسطة دنيا ـ إن صح التعبير ـ ولعل ظهور هذه الطبقة الجديدة يعود الى ـ حد ما ـ للسياسة المتعمدة التى أتبعتها شركة نفط البحرين فقد قال الصحفي لي وايت عام 1946 الميلادية : « . . ان المستر ثورنبرج المدير المحلي لشركة بابكو (شركة نفط البحرين) قد حدد خلال مقابلة بينهما فكرة توسعة الطبقة المتوسطة في البحرين وذلك لخلق قوة سياسية تحفظ التوازن في الجزيرة » . . كما برزت فكرة جديدة ضمن الطبقة المتوسطة تتألف من المهنيين : من أطباء ومهندسين ومحامين وصحافيين . . . . وغيرهم ، وهم يمارسون تأثيرا ليبراليا على الطبقة المتوسطة نفسها ، هذا بالإضافة إلى طبقة صغار التجار ، ويمكن تصنيف هاتين الفئتين على أساس أنهما تشكلان الطبقة المتوسطة الدنيا أو البرجوازية الصغيرة ، ولم يكن لهما ثقلاً إقتصاديا أو سياسيا كبيرا ، أما فئات ملاك الأراضي وتجار الجملة وملاك العقارات و . . . فهي تشكل الطبقة المتوسطة العليا ، ويمكن القول بأنها تمثل نموذجا للبرجوازية العربية (القبلية) . . ولقد عبرت الطبقات الإجتماعية الإقتصادية الجديدة عن إنتماءاتها الفكرية وتوجهاتها عبر مفردات المجتمع الحضرية أو المدينية ، ورسمت بها ملامح جديدة ومختلفة للعمران المحلي في الجزر عموما وفي مدينتي المحرق والمنامة خصوصاً .

أما الطبقة الإجتماعية الأخرى التى برزت هي طبقة العمال الجديدة بالمعنى الواسع للكلمة ، فلقد كان التحول الإقتصادي لأنماط الإنتاج هو العامل الرئيسي في نشوء هذه الطبقة ذلك التحول الذى حول طبقة العوام أو العاملين كصيادين أو كغواصي اللؤلؤ أو كفلاحين يأخذون أجرهم على أساس الإنتاج إلى عمال يأخذون أجراً ثابتا مقابل عملهم لدى مؤسسة أو منظمة إدارية . . وكان من أهم نتائج هذا التحول عموما ، جمعه من فئات أو طبقات أو حتى إنتماءات

طائفية مختلفة أو متعددة داخل كيان طبقي جديد ، وهذا التحول كان تدريجيا من حيث وعي الأفراد وإحساسهم بهذا الإنتماء الجديد ، والدليل على ذلك محاولة الطبقة العمالية تكوين الإتحادات المهنية تحت رعاية الطبقة المتوسطة خاصة المثقفين منها . .

وهكذا ، تشكل المجتمع المحلي تشكلا جديداً في مظهره نتيجة لكافة التحولات التي تعرضنا لها بإيجاز شديد ، ولكن لم يفقد هذا المجتمع جذوره القبلية بإيجابياتها وسلبياتها لأنها جزء من ذلك التراث الإجتماعي الذى عاش مع المجتمع خلال مئات السنين .



شكل رقم (33) صورة للمنتدي الاسلامي بالمنامة

## التركيب الإجتماعي والعشائري والأسري :

إنقسم المجتمع المحلي (القبلي) حسب التقسيم العشائري ، فتمثل القبيلة والعشيرة والأسرة الممتدة بمستوياتها الثلاث لعلاقات القرابة في المجتمع المحلي القبلي عموما ، والمجتمع المديني خاصة ومنه مدينة المحرق . . وكانت الأسرة الممتدة هي أصغر هذه الوحدات القرابية ، ومن ثم فالأسر هي الأشكال أو الأطر التي تذوب فيها كيانات أفرادها . . والمجتمع القبلي العشائري يقسم الأسر إلى درجات متفاوتة ويحدد لكل منها مركزاً ودوراً إجتماعياً حسب الثروة والجاه والنسب . . . الخ . فالوضع الإقتصادي في المرحلة القبلية الإقطاعية كان يعتمد على نسق الإنتاج على مستوى الأسرة نظراً لطبيعة علاقات الإنتاج السائدة في المجتمع التقليدي ، وبالتالي فإن الروابط الأسرية للأسرة الممتدة تزداد تماسكاً لتحقيق هذا الوضع الإقتصادي فترى الأسرة تدخل صناعة الغوص بشكل جماعي تضامني ، مما دعم سلطة رب الأسرة المطلقة إجتماعياً وإقتصادياً ، وهكذا ترافق الوضع السياسي والوضع الإقتصادي مع الوضع الإجتماعي وتداخل وتلاءم معهما نسق الأسرة الممتدة كنمط إجتماعي سائد[1] . ومن ثم فقد درج كثير من الباحثين والمتخصصين إلى وصف هذا النسق عموماً بأنه أساساً وحدة إجتماعية إنتاجية تشكل نواة ومركزاً للنشاطات الإقتصادية والإجتماعية ، ويقوم على التعاون والإلتزام المتبادل والمودة ، كما انه أبوي من حيث تمركز السلطة والمسئوليات ومن حيث الإنتساب إضافة إلى انه هرمي على أساس الجنس والعمر[2] . . تلك هي الأسرة العربية الممتدة التقليدية التى عرفتها أغلب المناطق الإقليمية بالخليج كما عاشتها وتكونت بها مدينة المحرق خلال القرن التاسع عشر الميلادي .

ولم يعرف المجتمع القبلي التقليدي مؤسسات إجتماعية بمفهومها الحديث ، حيث كانت الأسرة هي المؤسسة الإجتماعية المتكاملة تقوم بمجموعة الوظائف الإجتماعية نذكر منها : الإعداد الإجتماعي للفرد بغرس قيم وعادات وتقاليد المجتمع فيه وبإعطاء الفرد مركزاً إجتماعياً نابعاً من مركز أسرته في المجتمع فلم يكن للفرد أي كياناً مستقلاً خارج أسرته . . لذلك نجدها تتركب من بنية معينة تحدد إطار وجودها ، وتميزها عن الأسر الأخرى في المجتمع . . ومن هذا يمكن تعريف الأسرة الممتدة على هذا النحو بكونها جماعة تربطهم قرابة تعيش في حدود معيشية داخل مسكن واحد ، وتمتد رأسيا لتضم أكثر من جيلين أو ثلاثة أجيال ، كما إنها تمتد أفقيا لتضم هؤلاء الذين تربطهم علاقات دم أو مصاهرة . .

وهكذا فالأسرة ـ كمؤسسة ـ هي تعبير عن المجتمع ومنظماته ، ففي حالة تكامل الجوانب الإجتماعية مع الجوانب الإقتصادية والسياسية في تركيب واحد خلال المرحلة التقليدية لتطور المجتمع ، ظهرت الأسرة الممتدة

---

(1) دراسة حول واقع الأسرة البحرينية ............ ص 13-14

(2) الدوحة ـ المدينة الدولة ............ ص 89

كنتاج إجتماعي إقتصادي سياسي . . ومن هنا كانت أهمية المسكن في عمران مدينة المحرق كمؤسسة إجتماعية حضرية (مدينية) إرتبطت بالجوانب السياسية والإقتصادية للمجتمع المحلي كما تشكلت من خلال الجوانب الإجتماعية لهذا المجتمع ساكن أو مستوطن المدينة .

وقد تأثر وضع الأسرة الممتدة نتيجة التحولات الإدارية وإصلاحات العشرينات من هذا القرن ، خاصة التحولات الإقتصادية التي ظهرت بتغيير أنماط الإنتاج التقليدية ودخول المجتمع لمرحلة الرأسمالية القبلية ، إلا أن التحول والتغيير لم يأخذ سبيله للأسرة كمؤسسة إجتماعية بنفس تلك السرعة وتفاوتت حدته في مختلف الفئات والطبقات أو الطوائف التي يتشكل منها المجتمع . . ويمكن تحديد العوامل التي أدت إلى تغيير التشكيل العشائري للمجتمع والتركيب الأسري إلى عاملين :

(1) الوضع الإقتصادي الجديد الذي فرضته صناعة النفط ، والتحول من إقتصاد تقليدي يتطلب مشاركة وفعالية كل أفراد الأسرة بشكل تكاملي ، إلى إقتصاد حديث يفرق أفراد الأسرة عن بعضهم البعض كل حسب كفاءته وخبرته ونزعاته الفردية فبدأت الأواصر الأسرية الممتدة والقبلية تنحل تدريجياً لتحل محلها روابط ما يسمى بالأسر النووية ، وهي تركيب إجتماعي محدود ـ وقد تغير النظام الإقتصادي ضمن هذه الأسرة الجديدة . ولقد ظهر هذا التحول فى بعض الفئات القبلية كما تعرضت له الطبقة المتوسطة الوليدة في المجتمع الحديث في البحرين[1] . . إلا أن التحول في الطبقة المتوسطة كان أكثر حدة بسبب إقتباس أبنائها للثقافة الغربية بشكل أسرع مما أفرز تبعية شبه كاملة داخل كيانات المجتمع ، إستمرت ضاربة بجذورها في أدق تفاصيل الممارسات اليومية للفرد والمجتمع . .

(2) تكوّن الشكل الحديث للدولة يختلف عن التركيب العشائري التقليدي الذي أعطى الأسرة مركزاً إجتماعياً ودوراً سياسياً دون غيرها ، فالإدارة الحديثة تطلبت أفرادا قادرين على إنجاز مسئوليات محددة ومحدودة داخل إطار عام لتنفيذ البرامج الحكومية للمجتمع ككل . . لذلك أخذت النظرة القديمة التي كانت تنظر للفرد من خلال العائلة أو القبيلة تتراجع لتعطى الأفراد كياناتهم حسب قدراتهم الذاتية[2] ومن جهة أخرى أخذت الأسرة الممتدة تفقد دورها لتحل محلها الدوائر السياسية المتخصصة ثم الوزارات فيما بعد والتي أنشأتها الدولة الحديثة مما قلل بالتالي من تأثير الأسرة كمؤسسة إجتماعية في المجتمع . . ويرى البعض أن هذا التحول ـ بالرغم من تفتيته لكيانات المجتمع التقليدي ـ خطوة تقدمية نسبة لما كانت عليه الأسرة الممتدة ، حيث يحصل الفرد على حرية التصرف والتحرك في المجتمع ويتفاعل معه مباشرة دون وجود أية أطر تحيط به وتوجه هذا التفاعل ، وأصبح هو كفرد بما يحمل من قدرات يحصل على المركز أو الدور الإجتماعي المتناسب معه مما فتح بالتالي المجال أمام كثير من الأفراد للتحرك في السلم الإجتماعي ولكن أدى هذا إلى نمو متزايد للنزعات البرجوازية وتطلعاتها ، وترسيخ لقيم لم يعرفها المجتمع التقليدي كالنزعات الفردية والتنافس غير الموضوعي والموجه في توجهات سلبية أحيانا ، ويبدو أن هذا نتيجة رواسب الماضي التي لم تنته فما زالت سلبياتها كامنة تطفو على السطح متى وجدت الفرص المواتية .

وقد تقلصت وظائف الأسرة كما قدمنا وإقتصرت على وظيفتى الإنجاب والتنشئة الإجتماعية نتيجة للتغيرات البنائية داخل كيان الأسرة ، وما صاحبها من تغييرات في المراكز والأدوار داخل الأسرة نفسها . . بين الأب رب الأسرة ، والأم والأبناء[3] . وجدير بالإشارة هنا أن هذه التحولات إرتبطت محليا بالمجتمعات المدينية أكثر من المجتمعات الريفية وتدل على ذلك دراسة للدكتور عبدالرحمن مصيقر في الثمانينات إستنتج فيها أن نسبة إنتشار الأسر النووية تصل إلى 70% في المدن مقابل 52,8% فى القرى[4] . وتدل هذه النتائج على إرتباط المجتمع المديني عموماً والمجتمع المحلي لمدينة المحرق خصوصاً بالتغييرات التي يعيشها المجتمع في

---

(1) مشكلات التغير السياسي والإجتماعي ........ ص 170-171
(2) دراسة حول واقع الأسرة البحرينية ........ ص 124-125
(3) الدوحة ـ المدينة الدولة ........ ص 105
(4) دراسة حول واقع الأسرة البحرينية ........ ص 126

جزر البحرين وبما تفرزه هذه التغيرات من قيم وممارسات وسلوكيات ، أو من مؤسسات وتنظيمات . . أي بما أفرزته المتغيرات وما تفرزه من عمران معاصر متغير ومختلف !! .

**المنظمات التعليمية :**

إرتباط التركيب الإجتماعي بمؤسسات المجتمع المختلفة حتمي لتطور المجتمع أو تخلفه . ولقد قامت الأسرة بكافة الوظائف الإجتماعية للفرد بإستثناء الوظيفة الدينية والوظيفة التعليمية ، وإرتبطتا هاتان الوظيفتان ببعضهما خلال التاريخ القديم للمجتمعات التقليدية ، وكانت تلك الظاهرة في القرن التاسع عشر بالمجتمع المحلي هي بقية للحركة الفكرية عموماً ، ولكن بصورة مصغرة . . فإنتشرت المدارس للتعليم ، ولم ينفصل التعليم هنا عن الدين فإرتبطت تلك المؤسسات بالتعليم الديني وتواجدت بشكل واسع في المجتمع المديني كالمحرق والمنامة منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وقد أوقف عليها المحسنون والموسورون الأوقاف والحبوس لتأمين ميزانيات للصرف ولتبقى تؤدى دورها ومسئولياتها في المجتمع(1)، وكانت هذه المدارس التقليدية على شكل كتاب أو (المطوع) ـ كما كانت تسمى تلك المدارس محليا ـ وكلا الأسمين يعنى التطويع أو التوجيه والتعليم وكانت المادة الدراسية هي حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، بينما كان تدريس الكتابة والحساب يلعب دوراً أقل أهمية ، وكان المسئول عن أي من هذه المؤسسات يسمى محلياً المطوع أو الملا وهو فى كثير من الأحوال مسئولاً عن أحد المساجد في الفريق السكنى أو جزء منه ، ومكان التدريس إما بيت المطوع أو زاوية في أحد الحوانيت العامة ، أما الرسوم فيدفعها الطلاب كل يوم خميس إما نقداً أو عيناً حسب ظروف أسرة الطالب وتسمى الخميسية ، ولم تكن مدة الدراسة محددة ، بل كانت تعتمد على سرعة الطالب أو الطالبة في حفظ القرآن الكريم(2) . وعندما يفلح في ذلك الطالب جرت العادة أن يقام إحتفال بهذه المناسبة وخلالها يرتدى أفضل ثيابه ثم يطوف بمنازل الجيران تتبعه الترانيم عند كل بوابة ، وكان هذا الاحتفال يسمى الختمة ، أما الترانيم فتسمى التحميدة .(3) وبعد إتمام هذه المرحلة التعليمية تعود الفتيات إلى منازلهن ، أما الأولاد فيبحثون عن عمل يكون غالبا مشابها لعمل آبائهم . أما من يطلب المزيد من العلم يتصل بأحد علماء عصره ، ويلازمه ويدرس على يديه من العلوم الدينية علم الحديث والفقه والتوحيد بالإضافة إلى النحو والصرف والعروض ، وإذا إمتحنه ونجح أجازه . . وقد يأخذ هذه العلوم من عدة علماء كل عالم يجيزه في فرع منها ، وإذا أُجيز في علم أصبح من علمائه .



شكل رقم (34) صورة المطوع

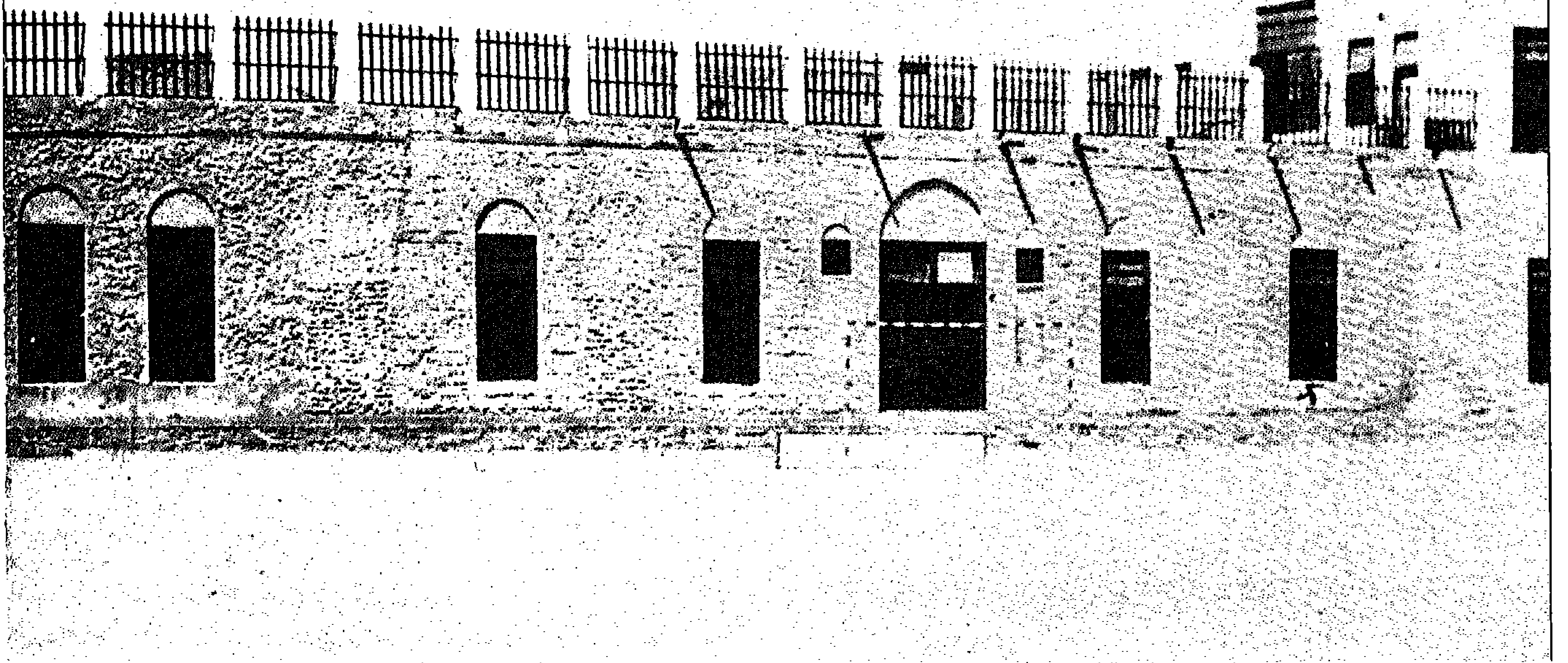
وإستمرت هذه الصورة حتى الربع الأول من القرن العشرين الميلادي ، يتساوى فيها الحضر والريف ، ولم يكن للمنظمات التعليمية كيان ذاتي مستقل فلم ينفصل التعليم عن الدين والحياة ، وتجسدوا جميعا في شخص المطوع ، ونظراً لغياب هذا الدور المستقل للتعليم كمؤسسة إجتماعية لم يفرز المجتمع لها كيانات بنائية متميزة كمدارس أو كتاتيب كالتى عرفتها المجتمعات التقليدية الإسلامية المتعددة . . وبالتالي عندما تطورت المؤسسات التعليمية ودخلت نظم التعليم الحديثة لم تجد لها مكاناً في النسيج العمراني القائم للمدن وخاصة المحرق فخرجت مدرسة الهداية الخليفية كأول مدرسة حديثة للبحرين كبناء خارج كيانات المستقرات

---

(1) قاسم بن مهزع ................................................ ص 25

(2) يصف شاهد عيان هذه المدارس التقليدية عام 1914/كتاب "لمحات من الخليج" .

(3) مشكلات التغير السياسي والإجتماعي ................................................ ص 126



شكل رقم (35) صورة مدرسة الهداية الخليفية بمدينة المحرق

القبلية لمدينة المحرق ، وهذا لم يقلل من دورها المباشر وتأثيراتها على المجتمع ، وكان سبق تأسيس مدرسة الهداية الخليفية تلك ، بوادر تحديث لنظام التعليم عندما تقدم مجموعة من الوجهاء والأعيان إلى حاكم الجزر الشيخ عيسى بن علي في عام 1919 الميلادية ، وطلبوا منه السماح لهم بفتح مدرسة أهلية في البحرين كنواة للتعليم وأجابهم الحاكم بالترحيب وقام أحدهم (هو السيد علي إبراهيم الزياني) بتقديم بيت له في مدينة المحرق لخدمة التعليم الأهلي وإستمرت المدرسة الأهلية حتى عام 1926 الميلادية عند أمر الحاكم بإقامة مدرسة الهداية الخليفية ونقل إليها الطلبة وهيئة التدريس من المدرسة الأهلية .[1] وكان تحديث المؤسسات التعليمية يرجع عندئذ لعاملين أساسيين :

(1) رد فعل للدور المتنامي الذي أخذته مدرسة الإرسالية الأمريكية (الحركة التبشيرية) والتي إتخذت من التعليم وسيلة لعمليات التبشير ، وكانت المنامة مقراً لها . .

(2) تواصل الحركات الفكرية وروادها المحليين مع الصحوات الوطنية والقومية في فروع الفكر والثقافة والتعليم في سائر البلاد العربية وخاصة مصر والعراق ولبنان .

وهكذا ، إنتقل التعليم في نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، من المؤسسات التقليدية إلى المنظمات التعليمية بمفهومها المعاصر ، ولكن كان إنتقالاً تدريجياً مر خلاله التعليم بثلاثة مراحل تاريخية هي بالمقياس التاريخي كما يلي :[2]

(1) فترة التأسيس خلال العشرينات والثلاثينات .

(2) فترة النمو خلال الأربعينات والخمسينات .

(3) فترة الإنطلاق الحديث بدءاً من الستينات .

بالرغم من أن هناك سمات واضحة تميز كل فترة من هذه الفترات ، وهي بالترتيب الأهلية ، والوطنية ، والحداثة والعالمية ، إلا انه من الصعب وضع خط فاصل واضح بين الفترات الثلاث . . وعموما كان التعليم خلال مراحله الثلاثة أحد العوامل الأساسية في إحداث التغيير الإجتماعي في الحقبة المعاصرة من تاريخ البحرين ، وخاصة فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بترسيخ إستعداد أكبر للتحرك من داخل المجتمع . .

(1) البحرين بين الإستقلال السياسي والإنطلاق الدولي ........ ص 120-121

(2) مشكلات التغير السياسي والإجتماعي ........ ص 128-148

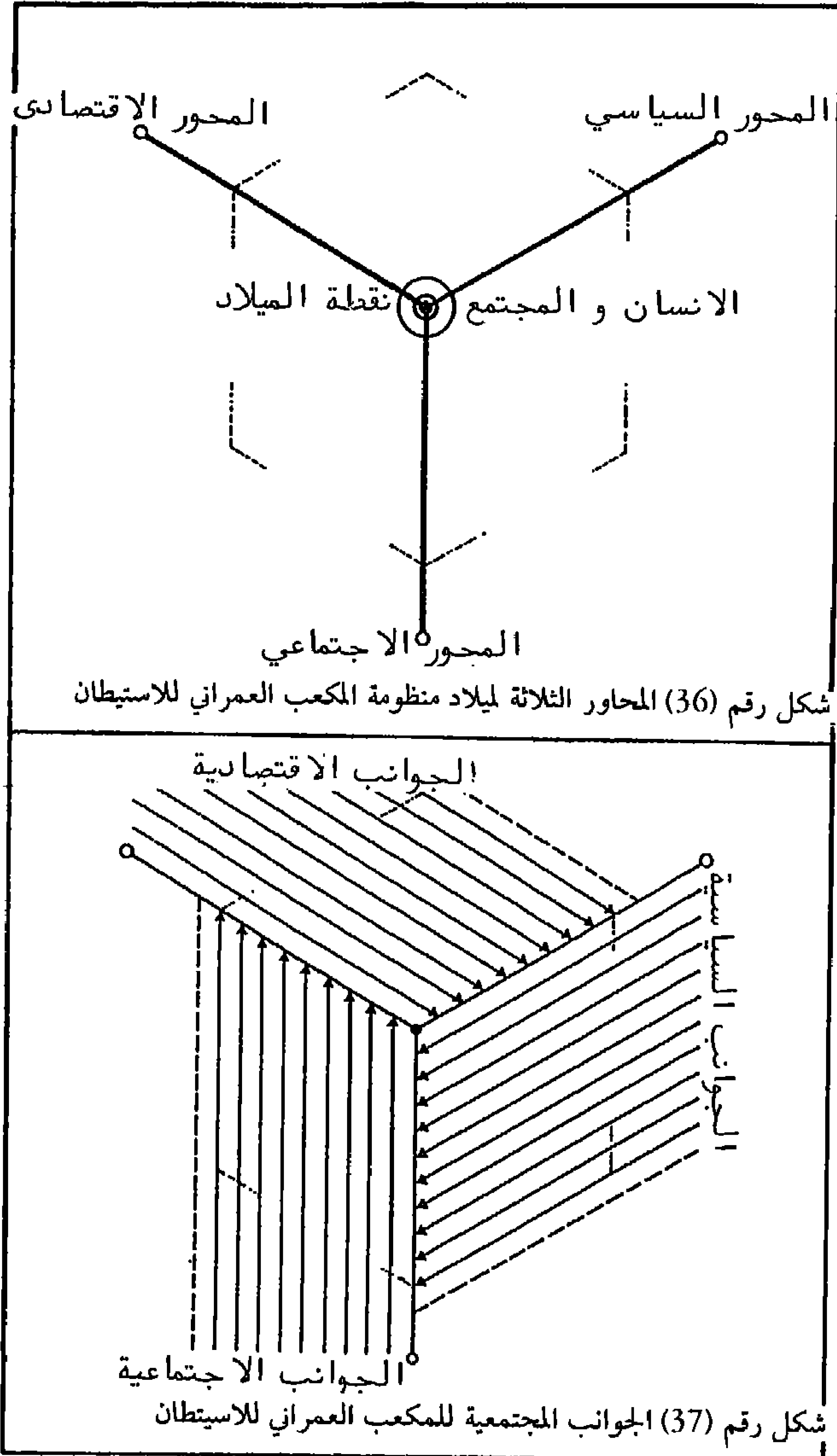
**تعقيـــب :**

تنتهي الجوانب المجتمعية الثلاثة للإستيطان إلى إستنباط الأنساق العامة والأساسية ، وتشكل هذه الأنساق في مجموعها وتكاملها الصورة العامة الأساسية للعمران والمجال الكلي لإبداع المجتمع عموما وعمرانيا خصوصا ، وهي تشكل بجوانبها الثلاثة ـ السياسية والإقتصادية والإجتماعية ـ ما نسميه هنا بالمكعب العمراني للإستيطان ، وهو منظور بنائي أكثر منه منظوراً وظيفياً بمعنى انه يهتم بالمكونات أو العناصر المكونة لمجال العمران وتفاعلها وهي الأنساق العامة السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، أكثر من إهتمامه بنشاط هذه الأنساق في ذاتها[1] ، ويعتمد المكعب العمراني هذا كمنظومة فكرية على ترجمة العلاقات الأساسية للجوانب الثلاثة على هيئة مصفوفة فراغية ثلاثية الأبعاد أو المحاور ـ وهو تصور نظري ـ يمثل كل محور منها جانباً من الجوانب المجتمعية الثلاثة ، بينما تشكل الأنساق العامة لتلك الجوانب الأوجه الثلاثة للمكعب ، وجدير بالإشارة هنا ، أن نقطة الميلاد الفراغية لتلك المحاور هي الإنسان والمجتمع .

وهكذا يتركب المكعب العمراني للإستيطان عموماً ، من خلايا عمرانية في منظومة نظرية نموذجية ، وبتحديد تلك الخلايا وفهم ترتيبها داخل النسيج الفراغي للمكعب نفسه يمكن أن نحدد مدى تأثير ودور كل خلية منفردة على المكعب العمراني ككل ، وتأثير وتأثر كل جانب من الجوانب الثلاثة (السياسية والإقتصادية والإجتماعية) بأى من هذه الخلايا . . وبالتالي يمكن تحليل وفهم عمران المجتمع وتحديد سلبياته وإيجابياته ، مميزاته ونواقصه . . أى إنه يمكن فك إدماج تلك المعادلة المركبة للعمران إلى جزئياتها وإعادة تركيب أو تغيير أو إستحداث جزئيات مما يتفق والهدف والتوجه الأساسي من البحث والتحليل . . يشترط لرسم المكعب العمراني لأى مجتمع محدودية الزمان والمكان ، فتلك المنظومة الفكرية تختلف بإختلاف المجتمعات ، وتتغير بتطور المجتمع وتغيير جوانبه السياسية والإقتصادية والإجتماعية كلها أو بعضها . أى أن منظومة المكعب العمراني بجوانبها الثلاثة ترتبط باشكاليات ثلاث أساسية :

(1) الإنســـــان
(2) الزمـــــان
(3) المكــــــان

ترمز نقطة ميلاد محاور المكعب العمراني إلى تلك الإشكاليات مجتمعة ومتداخلة ، وموجزة ومختصرة في النقطة . . ومن جهة أخرى ، يحتاج تشكيل المكعب إلى إشتراطات تفاعل أو قانون تركيب يحقق التكامل والتناغم والتفاعل بين أنساق الجوانب الثلاثة المتعددة لإبداع أو إنتاج الخلايا المشكلة في النهاية للمكعب ذاته . . وقد تكون هذه الإشتراطات خارج الجوانب نفسها منفصلة بذاتيتها أو قد تكون مرتبطة بأحد الجوانب أو كلها معاً .



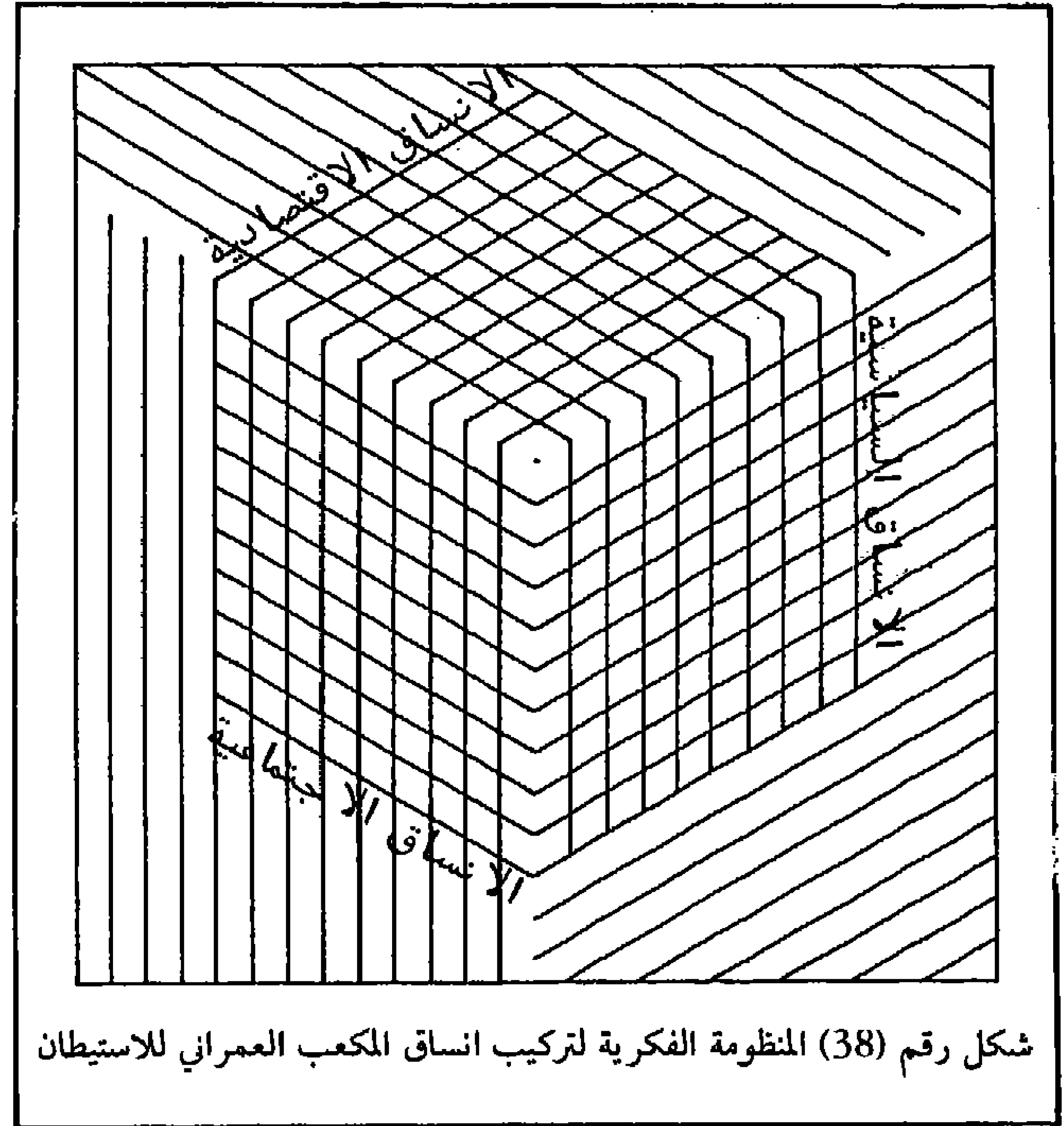
شكل رقم (36) المحاور الثلاثة لميلاد منظومة المكعب العمراني للاستيطان


شكل رقم (37) الجوانب المجتمعية للمكعب العمراني للاستيطان

(1) يشابه المكعب العمراني هذا المنحى العاملي الذي كان رائده في دراسات الإبداع عالم النفس الأمريكي جيلفور ، وقد قدم في خطابه الرئاسي لجمعية علم النفس الأمريكية عام 1950 الميلادية ، مجموعة من الفروض والتصورات المتعلقة بالقدرات الإبداعية المختلفة وصاغ بها فكرة منظوره البنائي للعملية الإبداعية .

**المكعب العمراني لإستيطان مدينة المحرق :**

بعد تدارس الجوانب الثلاثة المجتمعية لإستيطان المجتمع المحلي لجزر البحرين عموما ومدينة المحرق على وجه التخصيص ، والإستنباط التحليلي لعدد من الأنساق الأساسية لتلك الجوانب (تعرضنا لها أحياناً بالذكر المباشر ، وأحياناً أخرى إكتفينا بالتنويه إليها ضمنيا) . . يمكن رسم المنظور البنائي للمكعب العمراني لإستيطان المحرق ، ويلزم مع هذا تسمية وتحديد تلك الأنساق وترتيبها من نقطة الميلاد الأساسية لمحاور المكعب العمراني بإعتبار أن تلك هي نقطة البداية أو الصفر الحسابي للمنظومة الفكرية . نحدد تلك الأنساق مصنفة حسب الجوانب الثلاثة ومرتبة حسب دورها وأهميتها للأنساق والمجتمع المديني للمحرق ضمن محدودية الزمان والمكان .




شكل رقم (38) المنظومة الفكرية لتركيب انساق المكعب العمراني للاستيطان

**الأنســاق السياســية :**

(1) الإنتماء القبلي .
(2) الإستيطان السياسي .
(3) دويلات المدن .
(4) التنظيم القبلي .
(5) التنظيم السياسي والإداري .
(6) ثنائية الحكم القبلي .
(7) التجمع القبلي السكني ـ «الفريق» .

**الأنســاق الإقتصادية :**

(1) القبلية الإقطاعية .
(2) الموسمية الإنتاجية .
(3) الغـــوص .
(4) القبلية التجارية للؤلؤ .
(5) التجارة الإنتاجية .
(6) النظام التعاوني للمكسب .
(7) تجارة العبـور .

**الأنســاق الإجتماعية :**

(1) الإستيطان والهجرة .
(2) القبيلة ـ نظام إجتماعي .
(3) التكوين الإجتماعي والإستيطان .
(4) الإرستقراطية القبلية .
(5) الأسرة الممتدة .
(6) العدالة الإجتماعية .
(7) المطوع/المـلا .

هكذا ، يتكون المكعب العمراني لإستيطان مدينة المحرق منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي من مجموعة خلايا يبلغ عددها نظرياً 343 خلية (7 x 7 x 7) هي نتاج التراكب المتداخل بين الأنساق الأساسية بجوانبها الثلاث ، وتحمل كل خلية من هذه الخلايا صفات جزئية من المكعب كله وهي في ذاتيتها دينامية ومتطورة ومتغيرة ولكنها مرتبطة بالأنساق العامة المشكلة للمكعب ، ومن دراسة تلك الأنساق نفسها يمكن تحديد إشتراطات التفاعل أو قانون التركيب العمراني لخلايا المكعب ونسميه هنا «بالقبلية» :

| | |
|---|---|
| التنظيم القبلي | سـياسياً |
| القبلية الإقطاعية | إقتصادياً |
| البنية القبلية | إجتماعياً |

لقد تغيرت جوانب الإستيطان للمجتمع المحلي خلال الحقبة الحديثة وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي ، وتغيرت معها بعض أنساق تلك الجوانب ، وهنا فإن هذا المكعب العمراني لإستيطان مدينة المحرق لا يعبر بخلاياه عن المجتمع الحديث ومدينته وعمرانه . . ونحتاج لفهم هذا المجتمع الجديد إلى مكعب عمراني جديد قد تتفق بعض خلاياه مع المكعب العمراني السابق ، ولكن يختلف في جملته وتركيباته وإشتراطاته عن المكعب العمراني السابق . .

# الفصل الثاني تأسيس و إستيطان مدينة المحرق

**تمهيد ...**

إن كيان الإنسان الإجتماعى وكيانه العمرانى، كما حددنا فى الفصل السابق متلازمان ومتزامنان، فالذى يعطى الحياة للتكوينات العمرانية لمدينة أو قرية أو مستوطنة محدودة ليس هو التشكيل المادى بقدر ما هو الطاقات التى تضمن الإستمرارية والبقاء، وقبل ذلك الوجود والميلاد الذى هو الإستيطان، وهذه الطاقات تتمثل فى قانون تركيب المكعب العمرانى للإستيطان، كما يتمثل فى نقطة ميلاد المكعب نفسه مع الإنسان والمجتمع، وإرتبط الإستيطان البشرى - من هذا المعنى - عبر التاريخ بمواضع البيئات التى تتوافر فيها سبل الحصول على إحتياجات الإنسان.

إن الطبيعة الإجتماعية والكيان العمرانى لدى المجتمعات غير المستقرة والدائمة التنقل والترحال كالبدور والأسكيمو تختلف عن المجتمعات دائمة الإستيطان.

ويختلف العمران بإختلاف طبيعة الإستيطان لأى من المجتمعات ، من إستيطان دائم مستقر أو إستيطان مؤقت أو ترحال دائم، وهكذا، مادام الإستيطان وما يفرزه من كيان عمراني يتزامن والكيان الإجتماعى فإن كل منها يؤثر فى الآخر ويتأثر به، وهما فى هذا كالمحارة حين يفرز الجسم الحي الصدف ويشكله حسب الظروف الخاصة به، ثم يعود هو نفسه ليتشكل حسب التركيب الشكلى للصدف الخارجى . . حسب تعبير المهندس حسن فتحي . . . .

وإذا إتجهنا إلى دراسة عمران مدينة المحرق خاصة كمدينة خليجية فى جزر البحرين، فإن هذا يعنى دراسة أبعاد الإستيطان الذى أفرز وشكل هذا العمران. . . ونستدل مما سبق على تأثير الجوانب الثلاثة الأساسية (السياسية والإقتصادية والإجتماعية) على عمران المجتمع. . . ولكن كانت نقطة ميلاد تلك الجوانب - كما حددناها - هى الإنسان والمجتمع، بمعنى أدق كانت البداية مع إستيطان الإنسان وتشكيل المجتمع ضمن محدودية الزمان والمكان - إشكاليات المنظومة الفكرية للعمران، ومن هنا كانت تسمية المكعب العمرانى للإستيطان.

وقبل أن نتعرض بالتحليل والدراسة للأنساق المختلفة وعلاقاتها بالعملية الإستيطانية فى مدينة المحرق خلال الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة، يجب أن نلقى بعض الضوء على الخلفية التاريخية لإستيطان المدينة حتى نتمكن من تواصل الإستيطان المعاصر بالإستيطانات السابقة له - إذا كانت هناك صلة - حيث يخضع المجتمع المحلي بالمحرق لذات النسق العمراني العام من تواتر الإستيطان والهجرة على مدى فترات تاريخية متعاقبة.

**الخلفية التاريخية لإستيطان المحرق:**

كما سبق وأن أشرنا أن هناك نمطين للإستيطان، إستيطان دائم وإستيطان مؤقت، وتشير الدلائل التاريخية أن جزر البحرين ومنطقة الخليج عموما لم تعرف الإستيطان الدائم إلا فى الشمال عند شط العرب وجنوب العراق، أو فى جنوب الخليج واليمن، وكان الأرتحال المستمر ضمن حدود إقليم الخليج أو خارجه هى طبيعة المجتمعات، وإن إختلفت جزئيا جزر البحرين لطبيعتها الجغرافية من حيث الموضع والموقع، ولمصادرها الطبيعة بما ضمن إمكانية إستمرارية الإستيطان ولو لأحقاب طويلة نسبيا.. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الخليج مهد الجنس البشرى وأن سكانه الأقدمين - أى سكان الجزر فيه - هم أول من رفعوا شراعا فى البحر، وكانوا الصلة العاملة بين الشرق والغرب. . . وقال آخرون أن الفينيقيين من هذه الجزر، وقد جاء فى بعض كتابات المصريين القدماء ذكر النبط وهو إسم الفينيقيين قبل

أن يستوطنوا بلاد الشام، والظاهر أنهم من أصل عربي أستوطنوا الخليج وجزره قبل سواحل البحر المتوسط، بل أن هناك من المؤرخين من يقول أن الصينيين كذلك نشأوا جوار الخليج وظعنوا شرقا إلى البلاد التى هى اليوم بلادهم [1] بينما يؤكد صاحب منجد العلوم إلى إستيطان الكنعانيين على ساحل الخليج ـ وهم قبائل سامية إرتحل بعضهم بعد ذلك لإستيطان سواحل البحر المتوسط عند الشام ومنهم نشأ الفينيقيون، وبعضهم أستوطن الخليج وجزره وإشتغلوا بالزراعة والملاحة والرعي. . ويحدد المؤرخون إلى أن إقامتهم الأولي كانت فى تيروس، التى هى جزيرة تاروت، وآراد التى سميت عراد فيا بعد وهى جزيرة المحرق، ثم إنتشروا على الساحل. [2] ومهما يكن نصيب هذه الفرضيات أو الروايات التاريخية من الصحة فمما لا شك فيه أن التاريخ القديم شهد نوع من الإستيطان الدائم أو المؤقت لجزر الخليج ومنطقة الخليج عموما ومنها جزر البحرين الحالية وخاصة جزيرة المحرق. . . بدليل ما ذكره سترابو . . «ثمه بضائع أخرى يحتمل إنها وجدت سبيلها إلى بابل، وهى القطن لأنه إذا صحت معلومات ثيوفراستس فقد كان فى تيلوس مزارع ضخمة من شجيرات القطن تغطي جزءا كبيرا من الجزيرة، وحسب رواية بليني. . تيلوس الصغيرة أو أرادوس مازالت أكثر إنتاجا للقطن». [3] ويستدرك من ذلك على أن جزيرة أرادوس ـ جزيرة المحرق الحالية ـ كانت فى القرن الأول قبل الميلاد منتجة للقطن. . مأهولة بالسكان ومعمورة، لها تركيبها الإقتصادى والإجتماعى. ويبرز النسق الاجتماعى الأول إرتباط الإستيطان بالهجرة المتواترة على جزر البحرين فى تاريخها القديم والحديث، وأرتبطت حركة الهجرات السكانية بالأوضاع السياسية والإقتصادية الداخلية للجزر وللأقليم ككل، سواء السواحل الإيرانية أو السواحل العربية للخليج، ويصف الرحالة والجغرافيون حالة العمران لتلك الجزر خلال العصر الوسيط للدولة الإسلامية أمثال ناصرى خسرو فى عام 1051 الميلادية، وبعده بحوالى قرن يصفها الأدريسي بأنها مأهولة بالسكان وأراضيها المحيطة بها خصبة تنتج الأعشاب والنخيل بكميات كبيرة، وهناك عدة مصادر للماء العذب تشكل شلالات ذات قوة تكفى لأدارة طواحين. . ويحكم الجزر شيخ مستقل وسكان الشاطئين راضون بعدله وتقاه وحينما يموت يحل محلة شخص له نفس الخصائص والصفات. . [4] ويتكرر ذكر عمران جزر البحرين وطبيعة الإستيطان المستمر لها خلال هذه الحقبة، وهى وإن كانت تعم جزر البحرين بشكل شمولي إلا أن من الممكن تخصيص عموميتها على جزيرة المحرق.

أما التركيب العمرانى للمحرق، أو لجزر البحرين كلها، فللأسف لم يدون التاريخ القديم أو حتى الحديث بالشكل الذى يسمح للباحث المتخصص التعرف على هذا التركيب. . . ويبقى الإستقراء مبنى على التكهنات أو الفرضيات الخاصة، وبالتالى فإن الخلفية التاريخية هذه تعطينا تصورا عاما فقط عن الإستيطان حتى نهاية القرن الثامن عشر، ونخلص منه إلى أن المحرق الحالية ـ وهى الإمتداد لمدينة المحرق بالقرن التاسع عشر الميلادى ـ هى نفسها حلقة من سلسلة تاريخية لإستيطان الجزيرة وعمرانها ثم هجرها لأسباب معينة، وتبقى تلك التتابعات الإستيطانية والطبقات التاريخية القديمة لعمران المحرق مدفونة تحت أساسات المدينة الحالية إلى أن يأتى من يرفع النقاب عن تلك الطبقات التاريخية من خلال عملية تنقيب وبحث شاملة. .

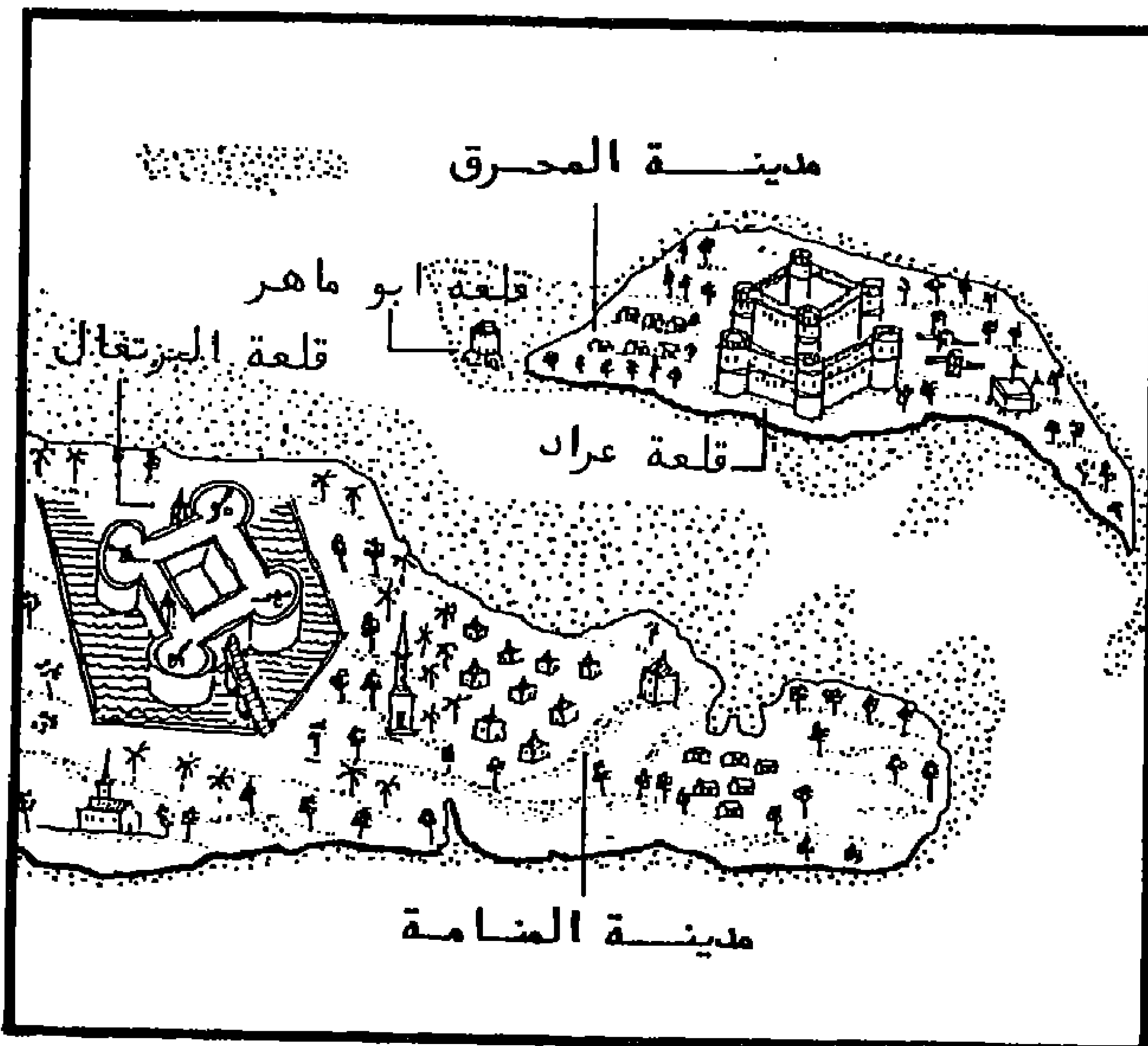
ويبقى قبل التعرض للحلقة المعاصرة من إستيطان مدينة المحرق، أن نتعرف على التسمية وأصلها، حتى تكتمل تلك الصورة العامة للخلفية التاريخية للمدينة، لقد ذكر العلامة «جواد على» جانباً من وصف المحرق مقرونا بإسم إمرىء القيس الذى كان يوصف بالمحرق، كما نعت أيضا بمحرق الحرب. ونصادف ألفاظ المحرق، ومحرق، وآل محرق فى مواضع من التاريخ المتعلقة بالحيرة، وقد أطلقها بعض الأخباريين على الغساسنة وهم يرون أن كلمة «محرق» لقب ألحق بأولئك الملوك لأنهم عاقبوا أعداءهم فى أثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار. ويروى روتشتاين إن هذا التفسير هو لظاهر الكلمة، وهو تفسير مغلوط من وجهة نظره، والصحيح عنده إنها إسم علم لأشخاص عرفوا بمحرق ولذلك قيل آل محرق، وليس آل المحرق ، والمنذر بن حارثه (المنذر الثانى الأصغر) جعل لقبه المحرق وذكر أنه هو الذى أحرق الحيرة وبه سمُوا آل محرق. . كما يستفاد فى هذا المقام ـ

(1) ملوك العرب . . . . . . . . . . ص 221-223
(2) ساحل الذهب الأسود . . . . . . . . . . ص 63
(3) الخليج العربى (ويلسون) . . . . . . . . . . ص 81-82
(4) الخليج العربى (ويلسون) . . . . . . . . . . ص 165-168

يضا ـ أن من بين أصنام الجاهليين صنم يدعى محرق المحرق، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل. . وقد رد بين أسماء الجاهليين إسم له علاقة لهذا الصنم هو عبدالمحرق، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا لصنم، كأن أتُخذ من باب التيمن أو التبرك للملك الذى عرف بالمحرق أو أنه قدم قربانا لهذه الآله الذى أحرقه على مذبحه بالنار وربما كانت تلك عادة معروفة عند العبرانيين فقيل له بالمحرق. . .[1].

ومن هذه الروايات نتأكد أن تسمية محرق أو المحرق تسمية قديمة، ومهما إختلفت الروايات التاريخية بين الحقيقة والأسطورة، إلا أنها تشير عن تواتر إستعمال التسمية فى المنطقة حول الخليج سواء فى شمال الخليج جنوب العراق أو على سواحل الخليج وجزره. . ومن هنا فإن تسمية المدينة والجزيرة الواقعة فيها بالمحرق لابد أنها أرتبطت بالتسميات القديمة والأسطورية، ومما يعضد هذا أن سكان جزر البحرين على مدى التاريخ القديم والحديث مهاجرين من سواحل الخليج أو من شمال الخليج وشط العرب إستوطنوا الجزر حاملين معهم حضارتهم وثقافاتهم بكل ما تحمله من تراث شعبي يترسخ فى وجدان المجتمع، ومن هؤلاء مثلا قبائل بكر بن وائل، والتى كان لها صنم يدعى محرق. . ونحن هنا، نميل إلى هذا الأصل فى تسمية المدينة لتزامنه مع تسمية أوال لجزيرة البحرين الحالية، وقد كان ـ أيضا ـ صنما لقبائل بكر بن وائل، ويبدو أن تسميات محرق، وأوال، و. . . أطلقتها القبائل العربية المستوطنة للجزر تيمنا وتقربا لآلهتهم وأصنامهم. . . وقد يكون فى هذه الفرضية دلالة أخرى هى أن كل جزيرة من أرخبيل الجزر سكنتها بطن أو عشيرة من القبائل كان لها صنما خاصا بها وأكتسبت الجزيرة تسميتها من إسم الصنم، وكأن الأساس الدينى الإجتماعى خلال هذه الفترة التاريخية بالإضافة إلى الجانب السياسي القبلي، هما الدعامة الأولى للإستيطان، وهذا ما يتفق مع طبيعة المجتمع القبلى الجاهلى عند العرب قبل الإسلام. . . ولكن تبقى هذه الفرضية تقبل الشك لعدم وجود السند التاريخي، وستبقى علامة الأستفهام حتى تكتمل الدراسات التاريخية المتخصصة حول تسمية المحرق وما يتبعها من دراسة أبعاد الإستيطان البشرى والعمران خلال الحضارة التاريخية القديمة وحتى الحديثة. . . ولعل هذه الفرضية قد تفتح باباً للمهتمين بدراسة هذا الموضوع بالرجوع إلى كتب الرحالة والمؤرخين ومضاهاتها مع الخرائط والوثائق والرسومات التاريخية المتاحة.

وكما ذكرنا فتاريخ المنطقة لم يوثق بشكل يساعد الباحث والدارس من رسم خريطة عمرانية لأى من المدن وتطورها، وحسب النسق الإجتماعي الذى يحدد أن طبيعة الإستيطان مؤقتة، وإن الإستيطان قائما على دينامية الهجرة المتواترة، فيمكن رسم منحنى تطورى للمحرق: تصاعداً وهبوطاً، إستطيان وهجرة، عمران وخراب. . ومن المحتمل أن يكون الهجومان العمانيان اللذان وقعا فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى عامي 1718-1738 كانا إحدى نقط الهبوط على هذا المنحنى، بمعنى أنهما سببا خراب الكثير من القرى والمدن وهجرة سكانها. . . وقد لاحظ نيبور ذلك فى جزر البحرين وقرر أن الحروب خفضت عدد 360 مدينة وقرية إلى 60 قرية بائسة. .[2] ومن شبه المؤكد أن تكون جزيرة المحرق ومدينتها إحدى هذه المستقرات التى عمها الخراب حيث يؤكد الرحالة أن سكان الجزيرة تركوها للغزاة العمانيين حتى رحلوا عنها، وتبرز إحدى الخرائط المأخوذة عن كتاب برتغالى[3] شكل رقم (39) وترجع إلى القرن السابع عشر الميلادى عام 1635 ـ قلعة عراد وعلى يسار القلعة مجموعة من المساكن تمثل المحرق، وهى غالبا من البرستى، ومع




شكل رقم (39) خريطة البحرية البرتغالية لمدينتي المحرق والمنامة عام 1635

---

(1) البحرين عبر التاريخ ........................................ ص 94-95
(2) البحرين ترحب بكم ........................................ ص 114
(3) «Demonstracao Dailha De Baren Ciraca»

هجرة السكان لمستوطنهم (المحرق) ظلت هذه مهجورة وخربة، ولم يبق لها أثرا ماديا أو أطلال عمرانية تدلنا عليها، نظرا لطبيعة التركيب البسيط البدائي لمساكنها. وليس هناك من يحدثنا عن طبيعة الإستيطان بالمحرق خلال القرن الثامن عشر مما يرجح أنها ظلت مهجورة أو شبه مهجورة تسكنها بعض التجمعات الصغيرة التى لم تكن لها ثقل سياسي أو تركيب إجتماعي معين، وإن صدقت هذه الفرضية فإنه لا يمكن إعتبار هذه المستقرات أو التجمعات عمرانا بالمفهوم الذى نقصده هنا بعمران المجتمعات.

وإستمرت هذه التجمعات المحدودة على مدى القرن الثامن عشر الميلادى وحتى نهايته، حيث يعتبر دخول آل خليفة إلى جزر البحرين عام 1783 الميلادية نقطة التحول الجذرية فى التاريخ الإستيطانى الحديث للجزر وخاصة المحرق، ولكن هذا التحول لا يعنى أن المحرق كانت تفتقد أهمية موقعها الأستراتيجي قبل ذلك، فوجود قلعة عراد المشرفة على خط من خطوط الملاحة البحرية يعطى للجزيرة أهميتها، وهذا يؤكده إن قوات العتوب عند هجومها توجهت للإستيلاء على المحرق والمنامة كمعقلين أساسيين لوجود قلعة عراد، وقلعة البرتغال بهما على التوالى . .[1] إن هجرة عتوب آل خليفة وإستيطانهم لجزر البحرين مع القبائل الموالية لهم له من أسبابه القبلية والإقتصادية ودوافعه السياسية ما سبق وأن أشرنا اليه فى الفصل السابق، ولكنه تزامن مع فترة ما يسمى بالقرصنة فى الخليج وظهور الحركات الإستعمارية التوسعية فى المنطقة - لذلك كانت عملية الإستيطان تتطلب أختيار مواقع يسهل الدفاع عنها أو التحرك السريع منها للدفاع عن المناطق الواقعة تحت نفوذها، ومن هنا كان إختيار العتوب للكويت ثم تأسيسهم الزبارة، وعندما نزل آل خليفة جزر البحرين إختاروا تلك المواقع التى تحقق الأهداف العسكرية الأستراتيجية، فكان إختيار الرفاع وإختيار المحرق. . . ويؤكد لوريمر بأن مدينة المحرق كانت موقعا مركزيا يمكن منه الحركة بسهولة وسرعة إلى كل من ميناء المنامة أو إلى خور القلعة بالقرب من جزيرة سترة. .[2] هذا بالإضافة إلى تأسيس آل خليفة لقلعة بوماهر جنوب المحرق عند إستيطانهم الجزيرة فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادى، لتحكم قلعة بوماهر مع قلعة عراد على خط الملاحة البحرية من جهة الشرق ، وتؤمن جزر البحرين ، بينما قامت قلعة البرتغال بهذا الدور من جهة جزيرة المنامة، ومن جهة أخرى كانت دواعى الأستقرار الداخلى بين القبائل المتنازعة أو البطون المتنافسة تستدعي تكتل عصبية القبائل المتحالفة والأنعزال عن القبائل المتنازعة معها، ومن هنا أيضا كان إختيار الرفاع والمحرق عند إستيطان القبائل العربية لجزر البحرين، هذا بالإضافة إلى إمكانات تلك المواقع للمعيشة والإستيطان وخاصة توافر المياه كمصدر أساسي للحياة والعمران. .



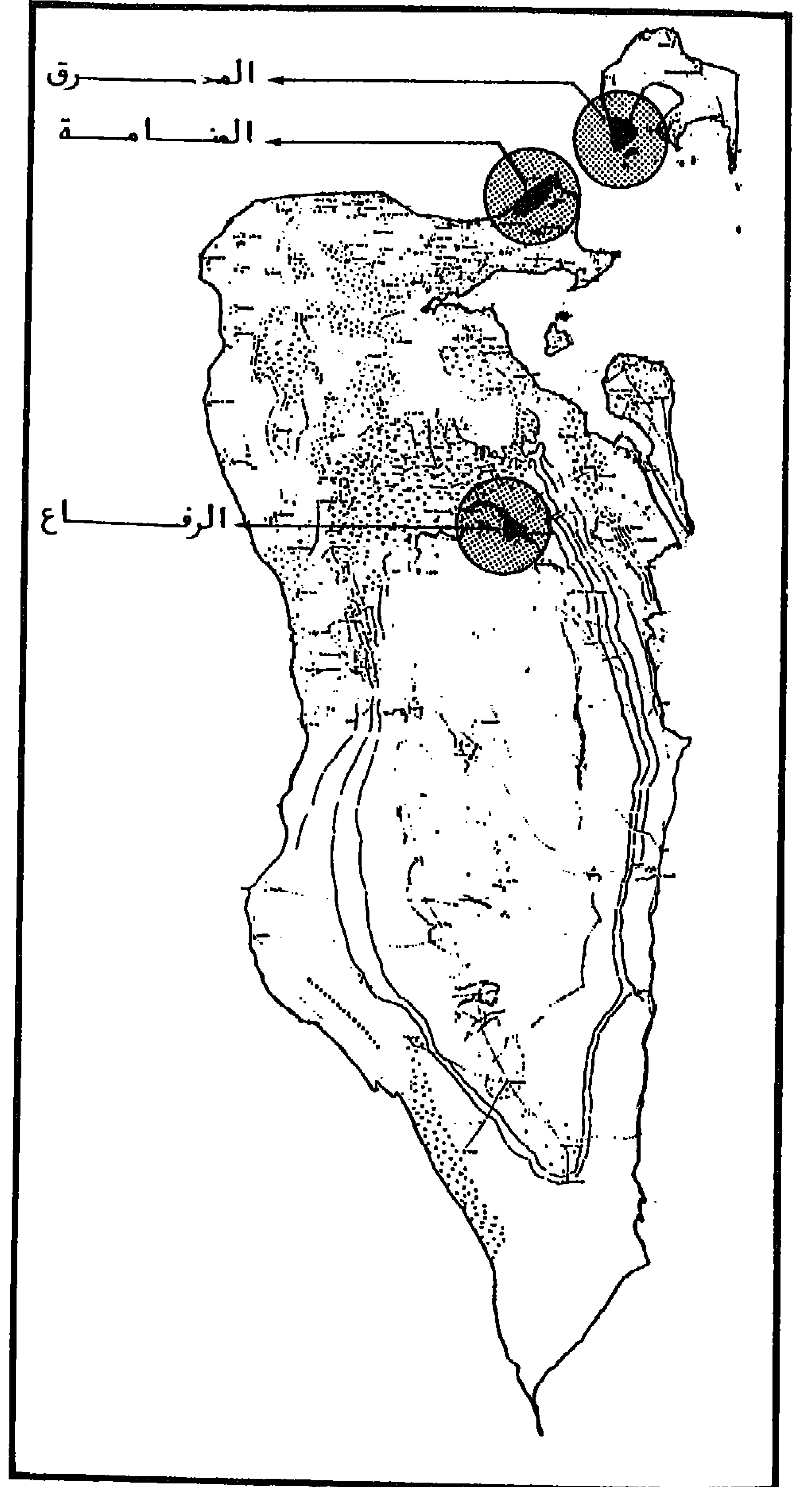

شكل رقم (40) توزيع القلاع العسكرية بجزيرتى المحرق والمنامة
القرن التاسع الميلادى

(1) تاريخ شرق الجزيرة العربية . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 150

(2) دليل الخليج - القسم التاريخى . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص 1291

## إستيطان وتأسيس المدينة

بعد أن فتح آل خليفة جزر البحرين عام 1783 الميلادية ، رأى الشيخ أحمد الفاتح حاكم الجزر الجديد أن يوزع الغنائم التى كسبها على حلفائه الذين ساعدوه ، بعدها بدأ الحلفاء يغادرون البحرين إلى بلادهم . . كما عاد الشيخ أحمد الفاتح نفسه إلى عاصمته الزبارة تاركاً أحد أقاربه يحكم البحرين ويقيم في مدينة المنامة [1] . . يعود إليها فترة أربعة شهور للمصيف ، وعندما توفى الشيخ أحمد عام 1796 الميلادية ، إنتقل الحكم للشيخ سلمان بن أحمد يؤازره أخوه




شكل رقم (41) توزيع الحواضر الرئيسية لجزر البحرين في القرن التاسع عشر الميلادى

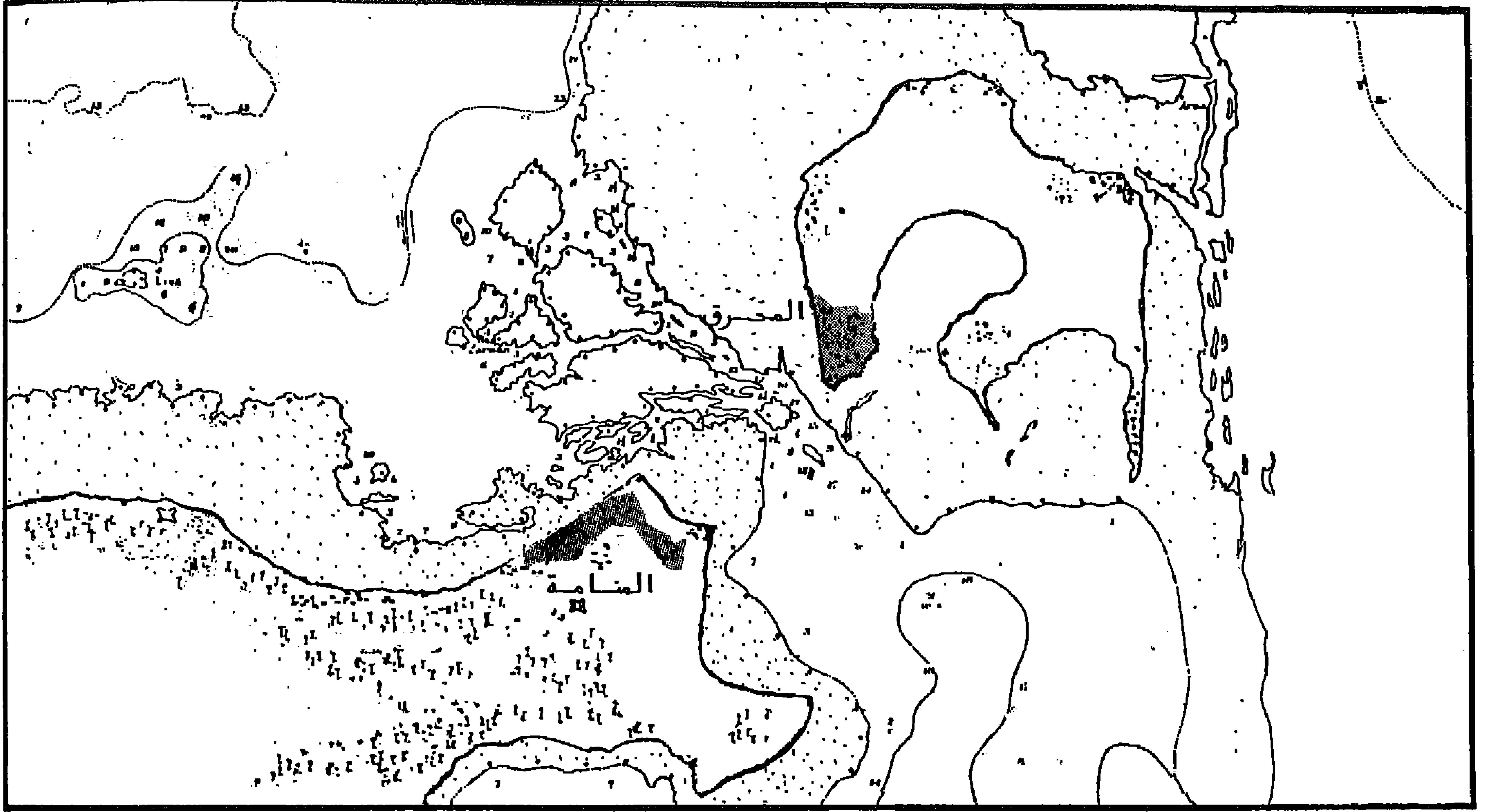
الشيخ عبدالله ، وإنتقل آل خليفة من الزبارة لسكن جزر البحرين وإتخاذها مركزاً سياسياً لحكمهم ، فسكن الشيخ سلمان الرفاع بينما سكن الشيخ عبدالله المحرق . . وبناءا على النسق السياسي السادس ـ ثنائية الحكم ـ إكتسبت كل من الرفاع والمحرق مركزهما كمقران للحكم والسلطة القبلية السياسية ، ويمكن من هذا المنطلق إعتبار عام 1796 الميلادية هو بداية أو إعادة تأسيس المحرق كمدينة ومركز للسلطة السياسية على يد الشيخ عبدالله بن أحمد الفاتح .

لكن شهد الخليج مع جزر البحرين منذ ذلك الحين عدد من الصراعات التى إستمرت حتى إنتهت عام 1810 الميلادية بموقعة خكيكرة وإنتصار آل خليفة ، وبعد أستتباب الأمن والإستقرار الخارجي عاد آل خليفة ثانية إلى البحرين ، وإستلموا زمام الحكم على الجزر وتسمى هذه «نزول المحرق بعد الزبارة» .[2] ويعتبر هذا إعلان تاريخي عن تأسيس المدينة الجديدة مدينة المحرق فى شكل عمراني متكامل وسكنها الشيخ عبدالله بن أحمد أخو الحاكم وشريكه في الحكم ، وبنى بها قلعة في حالة بوماهر جنوب المحرق تسمى قلعة بوماهر .

ومنذ ذلك الحين أخذت مدينة المحرق تكتسب أهميتها الحضرية على الخريطة العمرانية لجزر البحرين وسرعان ما أصبحت هي عاصمة الجزر ومركزها السياسي والعمراني وزا من التنظيم الإداري ـ الذى فرضته السلطة ـ كل من النسق الإقتصادي الأول الخاص بتنظيم المقاطعات القبلية الزراعية من جهة ، والنسق الإقتصادي الخامس الخاص بسيطرة القبائل العربية على تجارة اللؤلؤ من جهة أخرى ، كما زامن هذا دخول البحرين إلى المرحلة التقليدية ـ القبلية الإقطاعية ـ وأدى هذا كله إلى إرتباط المقاطعين الزراعيين وحكام المقاطعات بالأراضي الزراعية ، وإحتكار أعيان القبائل العربية لتجارة اللؤلؤ ، وصاحب هذا أو عاقب إستيطان الشيخ سلمان الرفاع والشيخ عبدالله المحرق . . [3]

وهنا ، برزت على الخريطة العمرانية ثلاثة حواضر رئيسية هي المحرق والرفاع بالإضافة إلى المنامة ويؤكد هذا أرتباط كل منها بنقطة دفاع إستراتيجية أو أكثر ـ غالبا قلعة ـ ، ويمكن إستقراء دور المحرق في هذه المرحلة من

(1) تاريخ البحرين السياسي ........ ص 50-51
(2) التحفة النبهانية ........ ص 137
(3) القبيلة والدولة ........ ص 47-48




شكل رقم (42) خريطة مدينتي المحرق والمنامة عام 1872 ميلادية

أرتباطها ـ كما ذكرنا في السابق ـ باستيطان القبائل العربية الموالية لآل خليفة في عصبية طبيعية ـ حسب تعبير ابن خلدون ـ أو بمعنى آخر إستيطان تجار اللؤلؤ وحكام المقاطعات مما أكسب الحاضرة الجديدة ـ مدينة المحرق ـ أهميتها الإقتصادية . والمدينة منذ تأسيسها في تركيبها الجديد وإستيطان هذه القبائل النازحة لها وأصبحت مدينة وثغراً بحرياً مهماً وهدفاً لتجارة البلاد الشرقية القريبة . .[1] أي أن تركيبها العمراني أخذ يتشكل من جوانبه السياسية والإقتصادية والإجتماعية . وفي عام 1825 الميلادية ، بعد وفاة الشيخ سلمان ، صار الحكم لأخيه الشيخ عبدالله ، وعندئذ أخذت مدينة المحرق تكتسب أهمية سياسية أكبر فجذبت الكثير من القبائل لإستيطانها مما ساعد على إزدهارها النسبي ، بينما بدأت الرفاع تفقد مكانتها كواحدة من الحواضر العمرانية لجزر البحرين وتركزت الأهمية السياسية والإقتصادية والإجتماعية في كل من مدينتي المحرق العاصمة السياسية ، والمنامة العاصمة التجارية هذا بالإضافة إلى باقي التجمعات العمرانية الأخرى المحدودة والمنتشرة على سواحل الجزر . ولكن ، عاشت الجزر خلال العقود الأربعة التالية فترة صراعات ومنازعات على شرعية الحكم ، ولم تفقد المحرق أثناء ذلك أهميتها أو دورها كقصبة جزر البحرين ، بل كانت هي العاصمة السياسية حتى عاد الشيخ عيسى بن علي عام 1896 الميلادية إلى جزر البحرين وإستلم السلطة السياسية وحكم الجزر وسكن المحرق[2] .

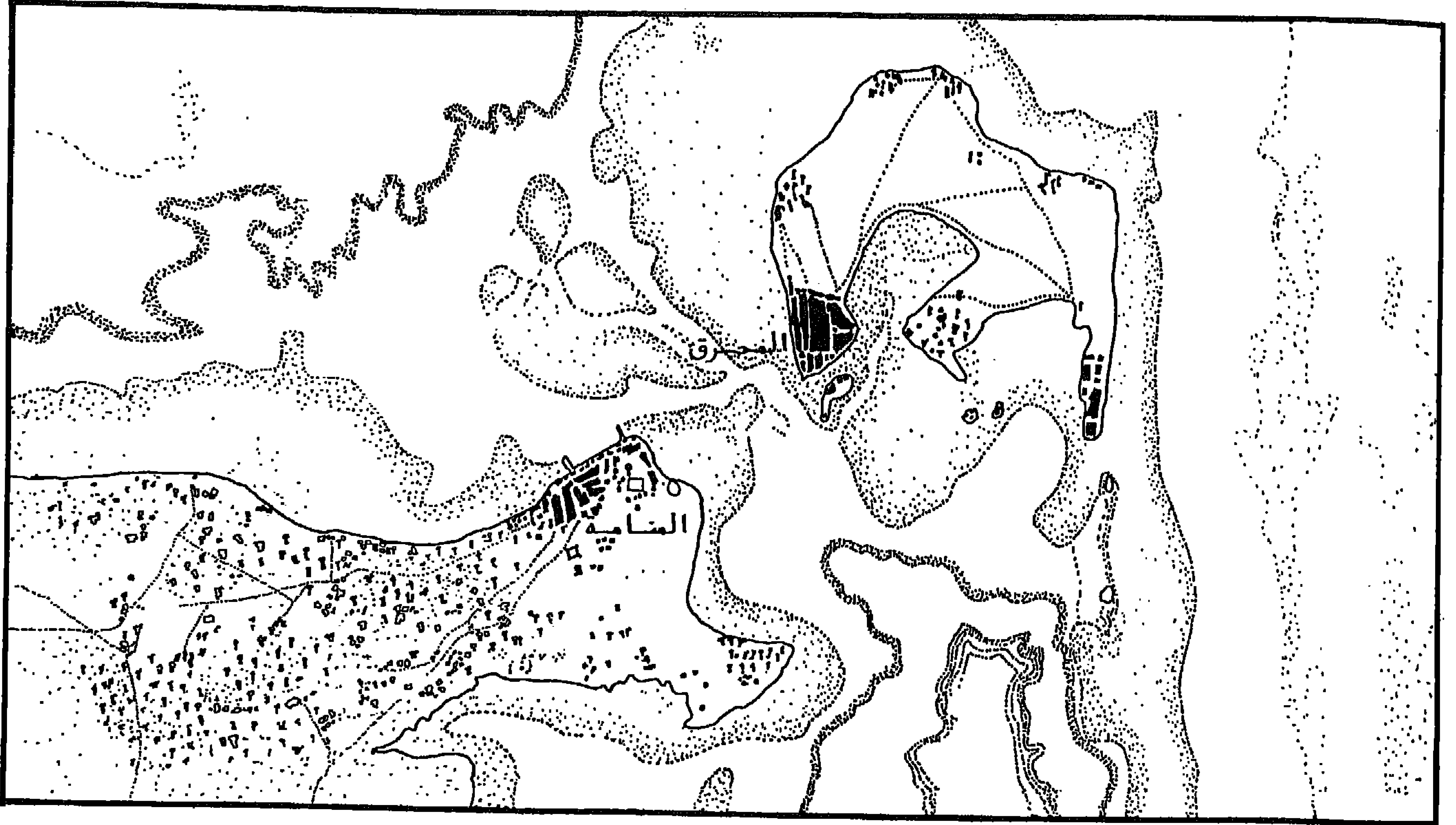
وإستتبت الأوضاع الداخلية سياسيا وبدأت القبائل التى هجرت البحرين في فترة الصراع الداخلي بين عامي 1850 - 1869 الميلادية في العودة لمستقراتها بالبحرين وخاصة مدينة المحرق بعد تولية الشيخ عيسى بن علي الحكم .

هكذا ، عاشت مدينة المحرق فترتي ازدهار خلال أقل من نصف قرن :

الأول ـ عام 1820 - 1825 الميلادية ، بعد إستقرار الأوضاع الخارجية في الخليج عامة وإستقرار الحكم في يد الشيخ عبدالله بن أحمد واتخاذه من مدينة المحرق عاصمة لمشيخته .

الثانية ـ عام 1869 وما بعدها ـ عند إستقرار الأوضاع الداخلية في جزر البحرين وتولى الشيخ عيسى بن علي الحكم ونزوله للمحرق كعاصمة له .

(1) قاسم بن مهزع ........ ص 33 - 34
(2) التحفة النبهانية ........ ص 164 - 165




شكل رقم (43) خريطة مدينتى المحرق والمنامة عام 1904 ميلادية

بينما عاشت المدينة بين هاتين الفترتين مرحلة إنتكاس نسبيا خاصة في الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي عندما إشتد الصراع الداخلي . . وكانت مدينة المحرق أثناء فترتي إزدهارها ملتقى ومستقرا لكثير من القبائل العربية المهاجرة من مناطق الخليج ، وإتخذ المهاجرون نمطين في هجرتهم لإستيطان مدينة المحرق هما :

الأول ـ النمط الجماعي : هجرة بطون وقبائل لإستيطان المدينة بشكل جماعي .

الثاني ـ النمط الفردي : هجرة أفراد أو عشائر أو أسر محدودة للإكتساب من البحر أو مزاولة أعمال مهنية وحرفية ثم الإستقرار وإستيطان المدينة .

أي أن النمط الأول بجماعيته إرتبط بالجوانب السياسية والإجتماعية بينما إرتبط النمط الثاني بالجوانب الإقتصادية ، وهكذا يتكامل النمطان لتكتمل الجوانب المجتمعية للإستيطان متداخلة مع بعضها البعض ، وجدير بالإشارة أن هذا التصنيف أو الفصل النمطي للدراسة ، وليس لتغليب أو لتأكيد جانب معين دون الآخر . . وكان لهذا النسق في الهجرة تأثيره على عمران وإستيطان المدينة حيث كانت كل قبيلة أو عشيرة من النمط الأول عند إستيطانها تتخذ لها حيا سكنيا ، فتأتي إلى موضع في العراء لا يشاركها فيه أحد وتبني فيه مساكنها ، وإن كان من المعتقد هو وجود عرف أو قانون ضمني يحكم علاقات الإستيطان والجوار بين تلك القبائل ، ويتداخل مع هذه المستقرات القبلية مساكن المستوطنين من أرباب الحرف والمنتمين إلى النمط الثاني للهجرة ، وذلك التداخل والتقارب فرضته حتمية التكامل بين الجوانب الثلاثة من جهة ، وضرورات العصبية القبلية لتلك المستقرات من جهة أخرى .

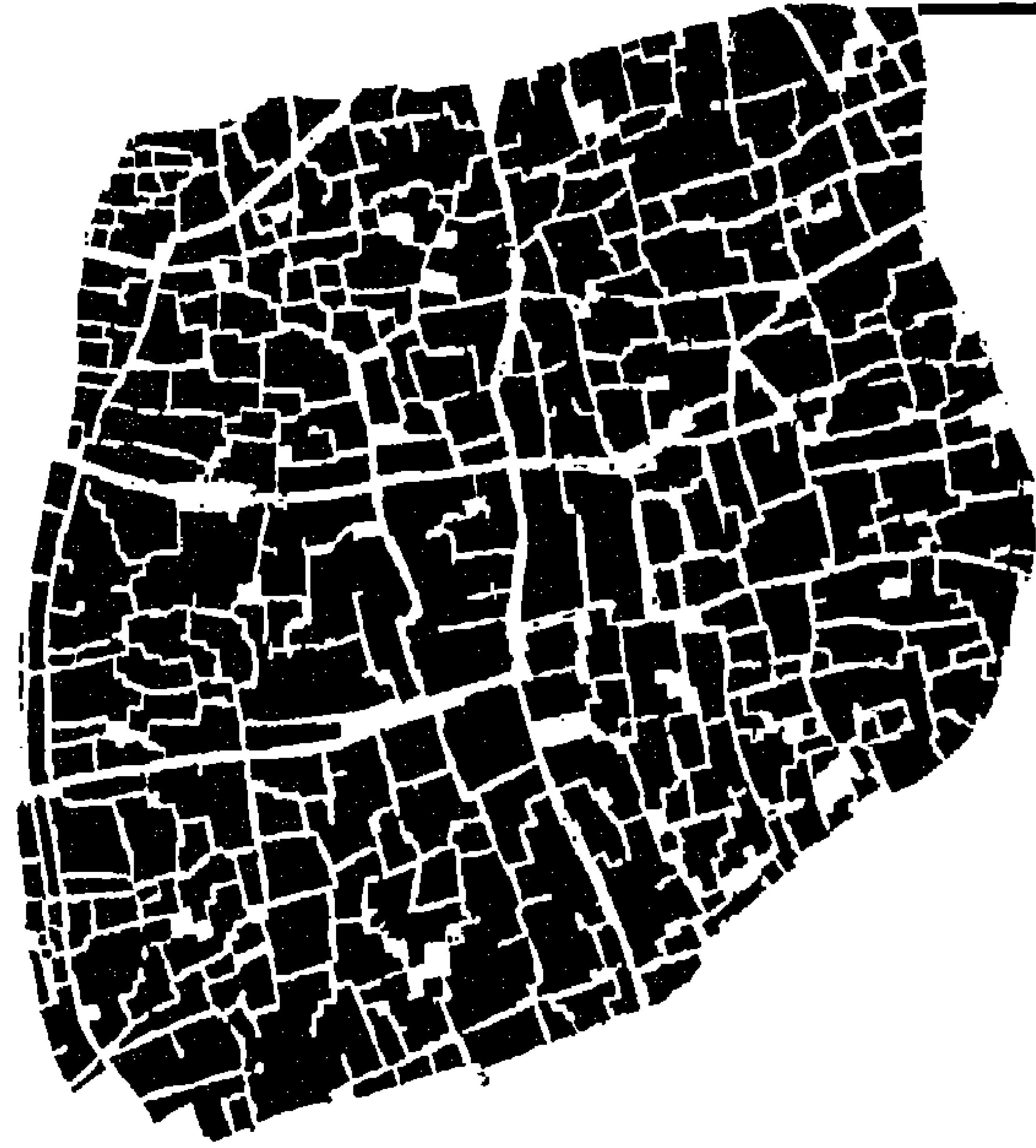
وقد بلغ عدد سكان مدينة المحرق عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حسب تقديرات خليفة النبهاني حوالي ثلاثون ألف نسمة[1] . بينما يحدد لوريمر تعداد سكان مدينة المحرق مع بداية القرن العشرين بحوالي عشرون ألف نسمة يستوطنون 4000 مسكناً[2] ، ولقد إعتمد لوريمر في تقديره على حساب معدل خمسة أفراد وهي فرضية غير واقعية للتركيب الأسري والعشائري للمجتمع المحلي حيث تشير الدلائل المعاصرة إلى أن متوسط حجم الأسرة المحلية لا يقل عن 6 - 7 أفراد ، ولهذا فمن المرجح أن تعداد سكان مدينة

(1) التحفة النبهانية ........ ص 57
(2) دليل الخليج ـ الجغرافي ........ ص 1610 - 1611

المحرق عند نهاية القرن التاسع عشر كان يتراوح ما بين 30,28 ألف نسمة يسكنون الأحياء السكنية التالية والتى ذكرها لوريمر :

* الشيخ عبدالله
* آل بن علي
* غــرار
* آل ضائق
* آل بوخميس
* آل بوكوارة
* المعــاودة
* آل يوسف بن ابراهيم
* العمامرة
* آل عصفور
* حيــاك
* خـــارو
* المنامة
* القمـرة
* الزيايينة

وحسب النسق السياسي السابع يتشكل إستيطان المدينة من مجموعات أو مستقرات قبلية في شكل أحياء تعرف محليا بإسم فرق ـ مفردها فريق ـ وإكتسب كل فريق سكني تسميته من إسم القبيلة التى تسكنه وكان غالبية السكان من القبائل العربية السنية على المذهب المالكي ـ وكان هو المذهب السائد ـ ولكن كان منهم شافعيو المذهب وأغلبهم من الهولة ، أما السكان من الشيعة فكانوا غالبا من أصحاب الحرف كالحياكين والبنائين والصاغة وإكتسبت أحياؤهم تسميتها من الحرف نفسها . هكذا ، وحسب النسق الإجتماعي الثاني الذى يبرز القبيلة كنظام إجتماعي ، كانت القبيلة هي أساس الإستيطان والتشكيل العمراني للمدينة ، كما كانت العصبية القبلية هي ضمان إستمرارية الإستيطان وتطور ونمو وعمران المدينة . . ويوضح الجدول رقم ( 4 ) والخريطة شكل رقم (44) التركيب القبلي لمدينة المحرق حسب ما وصفه لوريمر في كتابه دليل الخليج ـ القسم الجغرافي .





شكل رقم (44) خريطة (تصورية) لعمران مدينة المحرق عام 1904 ميلادية

| | القبيلة | عدد المساكن |
|---|---|---|
| ( 1 ) | آل بوعينين | 25 |
| ( 2 ) | آل بن علي | 400 |
| ( 3 ) | العمامرة | 40 |
| ( 4 ) | آل ضاعن | 10 |
| ( 5 ) | الهولة | 2000 |
| ( 6 ) | آل بوكوارة | 10 |
| ( 7 ) | المنانعة | 10 |
| ( 8 ) | المعاودة | 20 |
| ( 9 ) | آل مسلم | 15 |
| (10) | قمــارة | 10 |
| (11) | آل بورميح | 15 |
| (12) | العتوب : آل فاضل | 30 |
| | الجلاهمة | 30 |
| | آل خليفة | 500 |
| (13) | آل بوفلاسه | 10 |
| (14) | الزيايينة | 150 |
| (15) | البحارنة | 180 |
| (16) | الايرانيين | 20 |
| (17) | عبيد أحرار | 200 |
| (18) | عبيد لا يسكنون مع أسيادهم | 300 |
| (19) | عرب مختلفين | 30 |

جدول رقم (4) التركيب القبلي لمدينة المحرق عام 1906 ميلادية

وإستوطنت غالبية هذه القبائل ربوة المحرق من المدينة ، متداخلة مع العتوب إجتماعيا وعمرانيا[1]، ومما يستلفت النظر في المحرق هو أن عمران المدينة وطبيعة الإستيطان قاما - حسب النسق السياسي الرابع - على التنظيم القبلي للمجتمع المحلي ، وهو موضح بالخريطة التصورية ، حيث يتوسط المدينة مناطق إستيطان آل خليفة الحكام تحيطهم مستقرات سائر القبائل والتجمعات كما يحدده النسق الإجتماعي الثالث ، ويقع في مركز فريق آل خليفة قصر الحاكم تحيط به قصور أنجاله - ففي عهد الشيخ عيسى بن علي سكن الحاكم القصر الذى عرف بإسمه فيما بعد في مركز مدينة المحرق ، وفي جنوبه قصر الشيخ حمد إبن الحاكم وولي عهده وهو شرقي مسجد الجمعة القديم ، وفي الغرب قصر الشيخ عبدالله بن عيسى ، وفي الشمال قصر الشيخ محمد بن عيسى وبجانبه مجلسه العمومي وأمامه المجلس الخصوصي ، وفي جنوب هذا المجلس كان مجلس إبنه وحفيد الحاكم ، ومن الشرق قصر الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الحاكم ، وتحيط باقي قصور ومساكن آل خليفة بقصر الحاكم ومجلسه ، أما مجلس الشيخ حمد ولي العهد حينئذ فكان داخل قصره ويقال أنه كان أفخر أبنية البحرين عندئذ وبني عام 1912 الميلادية [2]ويذكر أمين الريحانى فى زيارته لجزر البحرين عام 1921 - 1922 الميلادية نزوله إلى المحرق من المنامة فيقول : « . . . سرنا إلى قصر الحاكم صاحب السمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ، فإذا بزقاق إلى أصل الحائط بعض الأعراب عاقدون الحبوه ، وإذا بالفناء الكبير وجمهور لا يقل عن مئة جالسون في مجالسهم من اللبن والحجر كل يحمل سيفه أو عصاه وقد خيم عليهم السكوت كأنهم الأصنام ، ومشيت في الفناء لا أدري أفي مجلس الحاكم أنا أم في معبر آخر إليه ولما وصلت إلى وسط تلك الساحة الرهيبة وقف أحد الجالسين في الصدر ، هو الشيخ عيسى بعينه» .[3] ويؤكد الريحاني في وصفه لرحلته عن وجود مجلسين للحاكم مجلس عمومي وهو خارج مسكنه في الفناء أو الساحة ومجلسا للخاصة من القوم لتتدارس الأمور المهمة والجوانب السياسية من شئون الإمارة وهو جزء من سكنه داخل قصره . . وكان لكل قبيلة من سائر القبائل



شكل رقم (45) صورة للشيخ عيسى بن علي بمجلسه بمدينة المحرق

أو العشائر مجلسا خاصا (أو أكثر) - وعموما كانت تختلف أهمية هذه المجالس السياسية والإجتماعية للقبائل وفقا ورب العائلة ، من هذا المنطلق كان مجلس الحاكم وشيوخ آل خليفة الآخرين تمثل المرتبة الأولى للمجالس القبلية في مدينة المحرق سياسيا وإجتماعيا وبالتالي عمرانيا .

وتتوسط المجالس القبلية المستقرات السكنية القبلية كنواة إستيطان مشكلة نسقا عاما للمدينة ، ونقطة ميلاد أساسية لإستيطان وعمران مدينة المحرق . . ويبدو أنه بالإمكان تتبع تاريخ القبائل المستوطنة للمدينة ، والموضحة بالجدول رقم ( 4 ) بتحديد تلك المراكز القبلية العمرانية . ولكن بناءاً على ما سبق تحديده من أن التنظيم القبلي يقوم على مؤسستين هما : المجالس القبلية والمحاكم الشرعية ، فقد إرتبطت الأخيرة بالمساجد بحكم مصدرها الديني في التشريع . . ومن هنا أنتشرت المساجد عموما كنمط إجتماعي عمراني في مراكز إستيطان القبائل كما هو موضح بالخريطة شكل رقم (45) فكان في مدينة المحرق خلال فترة حكم الشيخ عيسى بن علي مع بداية القرن العشرين الميلادي حوالي 42 مسجدا وجامعان أحدهما قرب قصر

(1) يرتفع موضع مدينة المحرق في الوسط بشكل منحدر بسيط تجاه البحر من جهة الشرق والغرب والجنوب ويسمى هذا الموضع ربوة المحرق ، وكان أول موضع يُسكن في المدينة عند بداية إستيطانها عام 1810 الميلادية .

(2) التحفة النبهانية ........ ص 235 - 237

(3) ملوك العرب ........ ص 214

المستوطنات القبلية
مناطق استيطان الاسرة الحاكمة
المسجد الجامع و قصر الحاكم الشيخ عيسى بن علي
المراكز العمرانية ( المساجد و المجالس القبلية )

شكل رقم (46) خريطة تصورية لتوزيع المستوطنات القبلية (ومراكزها العمرانية من مساجد ومجالس) بمدينة المحرق عام 1904 ميلادية

الحاكم ، أسسه الشيخ محمد بن جمعان ثم هُجر زمناً طويلاً ، وما تولى القضاء الشيخ شرف اليماني طلب من الحكام تجديد بنائه وإعادته جامعا كما كان ، وتم ذلك عام 1870 الميلادية ، والجامع الثاني أسسه الشيخ عبد الله بن أحمد الفاتح وهو الجامع الواقع غرب قصر الشيخ حمد بن عيسى إبن الحاكم عندئذ وولي عهده [1] .

إكتمل الجانب الإقتصادي بأنساقه الأساسية داخل كيان مدينة المحرق عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي من خلال سوق المدينة ، وكان يتكون من حوالي 300 دكانا . . وسكان المدينة ومستوطنيها من مهاجري النمط الثاني - الفردي - هم تجار عموميون وأصحاب متاجر وصيادو سمك وخبازون وحلاقون وترزية وجزارون وصناع أحذية وبناؤون وعمال تعليب وبائعوا ماء وغسالون [2] . . . أما مستوطني المدينة من مهاجري النمط الأول - الجماعي - فهم تجار لؤلؤ وأصحاب سفن مقسمين . . وشكل النمطان معا القوة الإقتصادية المحلية للمجتمع في المحرق وسوقه ، وعموما ، كان للسوق تنظيمه الإداري من أمير وفداوية كمؤسسة تنوب عن حاكم الجزر وهو مالك حوانيت السوق ، تنوب عنه في تنظيم الأعمال والفصل في المنازعات . . ونظرا للأبعاد الإجتماعية القبلية إرتبط السوق

(1) التحفة النبهانية.................................................... ص 57 - 58
(2) دليل الخليج - القسم الجغرافي.................................... ص 1611

عموما بالتجارة العمومية والإبحار بالسفن وخاصة تجارة اللؤلؤ ، ومن هنا كان حجم السوق وطبيعته تتوائم مع الجوانب الاجتماعية ، فلم يعرف السوق أنماط تجارة التجزئة إلا في حدود الإحتياجات المحلية للمستوطنين وسكان مدينة المحرق نفسها ، كما لم يعرف السوق التصنيف النوعي الواسع حسب أنماط التجارة أو الحرف نظرا لصغر حجمه من جهة وإرتباطه بالتجارة الخارجية من جهة أخرى ـ أي يمكن إعتبار سوق المحرق مركزا ونقطة تجمع إقتصادي ، لذلك عرف السوق أنماط من العمران محددة مثل الخان والعمارة ومجالس التجارة . . ولها طبيعتها المحلية المرتبطة بجزر البحرين والخليج عموما .

إستمرت حركة الإزدهار العمراني لمدينة المحرق حتى العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ، حين برزت تغييرات أساسية على المجتمع المحلي بالبحرين خاصة الجوانب السياسية والجوانب الإقتصادية ـ أولها هو تغيير التنظيم القبلي إلى الحكم القبلي ، وثانيها التحول من مرحلة القبلية الإقطاعية إلى مرحلة الرأسمالية القبلية ، وزا من هذا وتلاه التحول في البنية الإجتماعية . وكان لهذا التغيير ظواهره التى أثرت على الخريطة العمرانية لجزر البحرين ، وعلى إستيطان وعمران مدينة المحرق خاصة بشكل مباشر . . ففقدت المحرق دورها ومركزها على مستوى الجزر كما بدأت خيوط نسيجها العمراني تتهتك .

وهكذا يمكن رسم منحنى تقريبي لعمران مدينة المحرق عبر تاريخها الحديث مع بداية إستيطانها وتأسيسها عام 1796 حتى الحقبة المعاصرة عام 1971 الميلادية شكل رقم (••) ، ويرسم هذا المنحني التطوري للإستيطان وعمران المدينة السيناريو العام العمراني ، وبناءاً عليه يمكن إعتبار المرحلة الزمنية بين عامي 1810 - 1923 الميلادية فترة إزدهار لعمران المدينة ، بالرغم من فترة الإنتكاس المحدودة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، كما يمكن إعتبار المدينة خلال فترة إزدهارها «مدينة قبلية» ينتظم عمرانها على أساس الأبعاد الثلاثة التالية ، والتى ترتبط بالجوانب المجتمعية للإستيطان ، وما إنتهت إليه من أنساق عامة ، وشكلت الأبعاد أشتراط التفاعل أو قانون التركيب العمراني للمكعب العمراني للإستيطان في مدينة المحرق نفسها ، ونحدد هذه الأبعاد فيما يلي :

(1) التنظيم القبلي — الجوانب السياسية

(2) القبلية الإقطاعية — الجوانب الإقتصادية

(3) البنية القبلية — الجوانب الإجتماعية

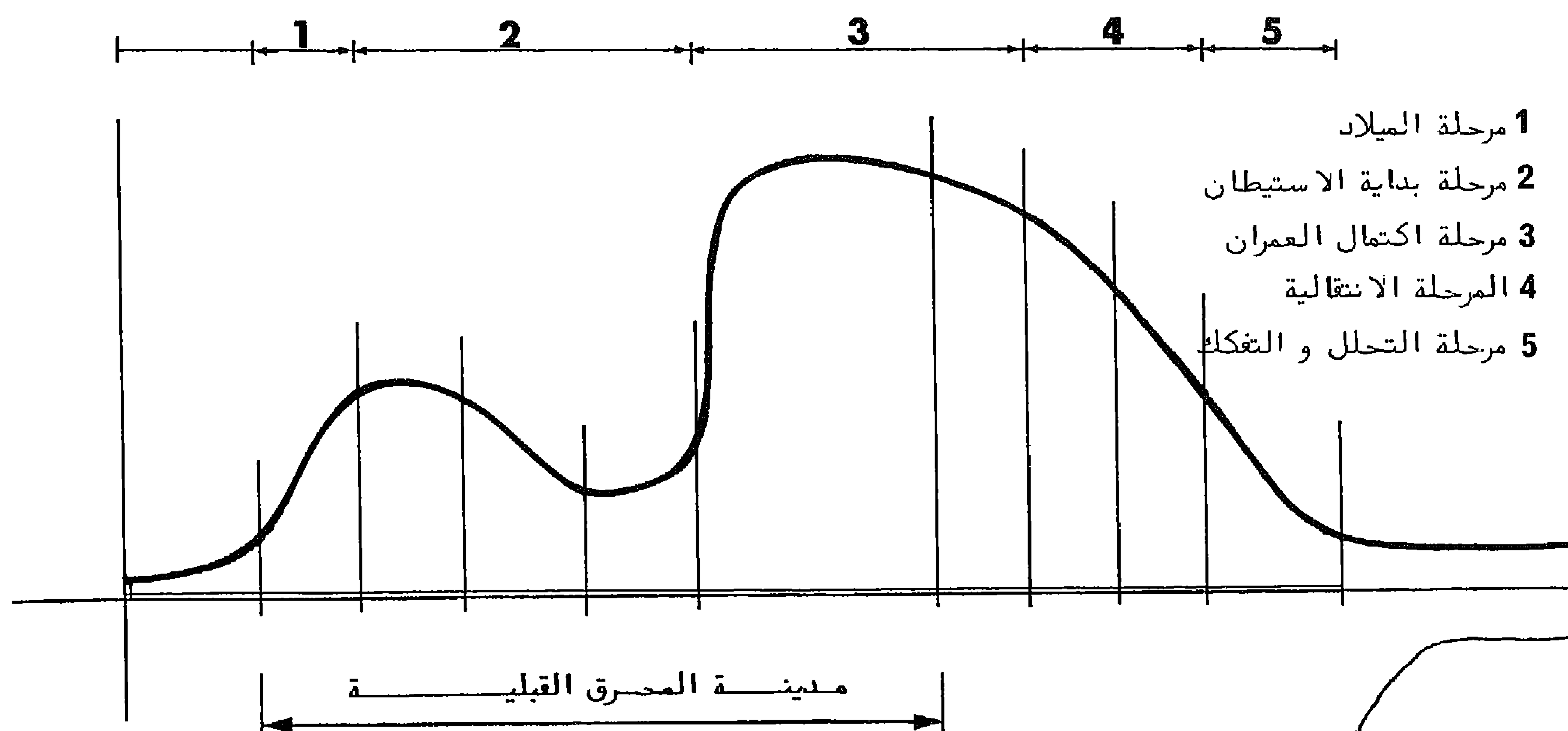
إرتبطت هذه الأبعاد بالمكعب العمراني للإستيطان خلال القرن التاسع عشر الميلادي وحتى النصف الأول من القرن العشرين ، بينما مرت المدينة في نهاية تلك المسافة الزمنية بمرحلة إنتقالية في الفترة ما بين عامي 1923 - 1951 الميلادية ، إمتد عمرانها ونمت مستقراتها الإستيطانية كإمتداد للأنماط السائدة في المرحلة السابقة معتمدة ـ شكليا ـ على بعض أنساق مكعب العمران للقرن التاسع عشر الميلادي ، ولكن تميزت هذه المرحلة بتغييرات جذرية طرأت على الجوانب الثلاثة السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، والتى أدت بمدينة المحرق التقليدية إلى التدهور خلال المرحلة الحديثة . . ويمكن تحديد تلك المتغيرات في :

(1) التغيير من التنظيم القبلي إلى الحكم القبلي .

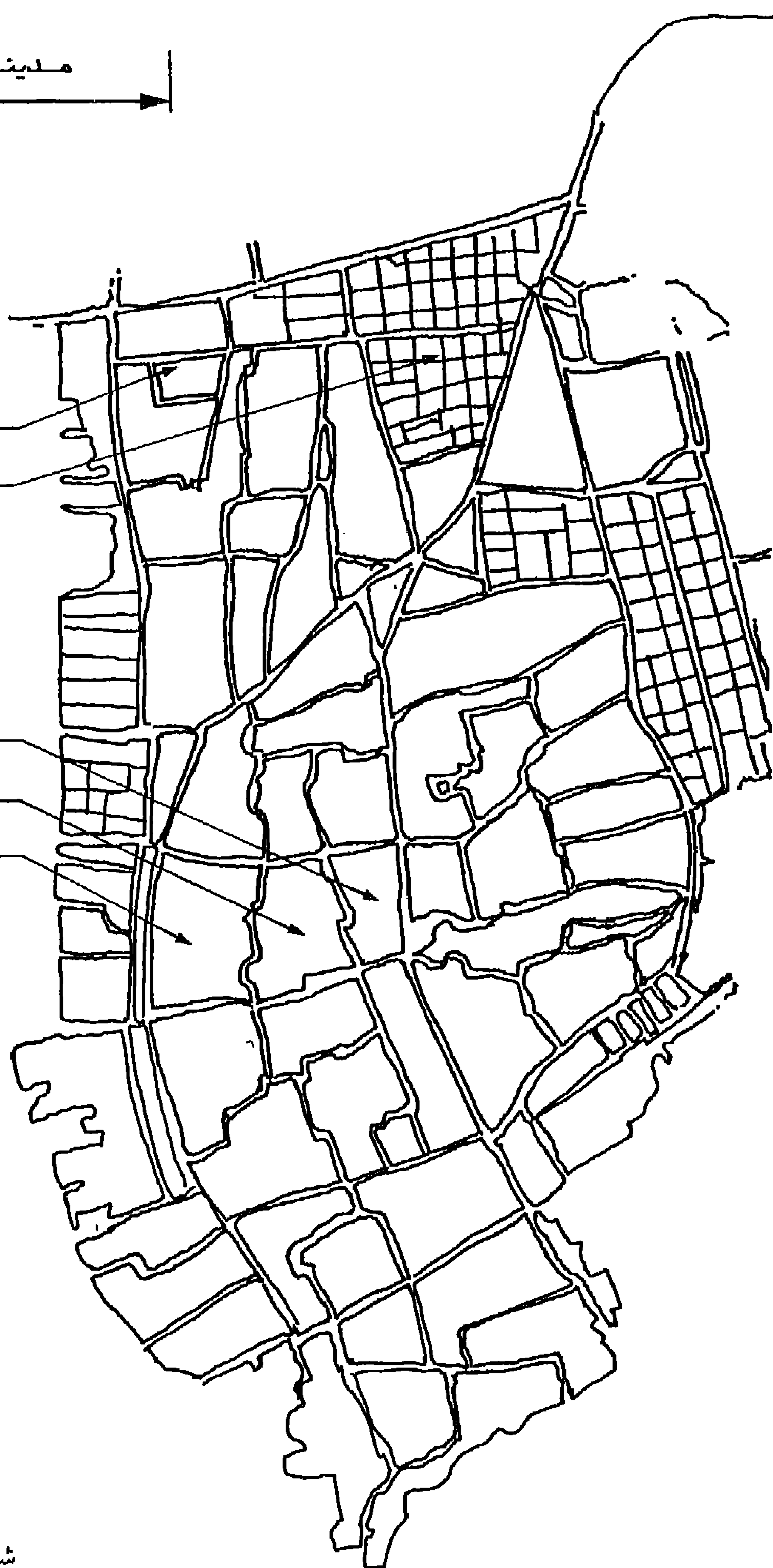
(2) التغيير من القبلية الإقطاعية إلى المرحلة الرأسمالية القبلية .

(3) التغيير من البنية القبلية والتركيب العشائري والأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية .

ولكن من أهم المتغيرات الحادثة في طبيعة الإستيطان خلال هذه المرحلة والمراحل اللاحقة ، هو ذلك التغيير الجذري على نسق الإستيطان والهجرة ، والذى إرتبط سابقاً في جوهره بالهجرة الخارجية ضمن حدود الأقليم ـ الخليج ـ بالإضافة إلى إرتباطه بمفهوم العصبية القبلية وفقدانها لمعنى الإنتماء المكاني للأرض وبالتالي الإستيطان الدائم . . أي أن نسق الإستيطان والهجرة قد تغير بشقيه «الإستيطان والهجرة» وأصبح الإستيطان دائما ، أو شبه دائم ، والهجرة داخلية ضمن حدود الجزر وليست إقليمية خارجية . وبالتالى إرتبطت عملية النمو العمراني عندئذ بالزيادات الطبيعية للسكان أكثر من إرتباطها بفكرة الإستيطان والهجرة . . . وكان لهذه المتغيرات إيجابيتها في تنمية المجتمع المحلي لمدينة المحرق ، وأيضا كان لها سلبياتها في هذا المجتمع . . ومن تأثيراتها المباشرة تغيير الطبيعية الإستيطانية للمجتمع وفقدان تلك التجمعات العمرانية ـ ومنها المحرق ـ أنساقها دون أن يوجد المجتمع لها بديلا . . بل مما زاد الطين بلة بعدئذ تغيير نظرة المجتمع نفسه إلى عمران المدينة وإستيطانها وتحول الإستيطان كعملية إنتاجية للعمران إلى إستهلاكية ، فقدت المدينة ـ نفسها معها ـ الإنتماء إلى المجتمع والتفاعل مع البيئة فتجمدت أو كادت . .




شكل رقم (47) منحنى تقريبي لتطور عمران مدينة المحرق القبلية خلال تاريخها الحدي




شكل رقم (48) خريطة تطور عمران مدينة المحرق بين عامي 1810 - 1971 ميلادية

## سيناريو الإستيطان 1810 - 1971

لم يكن إختيار مدينة المحرق إختيارا عفويا للإستيطان ، بقدر ما إرتبط بالأهمية الإستراتيجية للموضع ، وتحكمه في خطوط الملاحة البحرية . . ومن هنا إرتبطت عملية إستيطان المدينة ببناء القلعة الحربية ببوماهر جنوب المدينة مشرفة على الملاحة البحرية ، شكل رقم (49) .

ومدينة المحرق لم تولد متكاملة العمران ، ولكنها عاشت فترة ميلاد وتكوين عمراني ، ولم تكن عملية الإستيطان والعمران عفوية بشكل غير مقنن . . بل إرتبطت العملية الإستيطانية بعدد من القوانين والأعراف فرضتها وشكلتها أنساق المكعب العمراني . . وعموما يمكن تحديد مراحل إستيطان وعمران المدينة حسب ما حددناه في المنحني التطوري السابق ـ في خمس مراحل كما يلي :

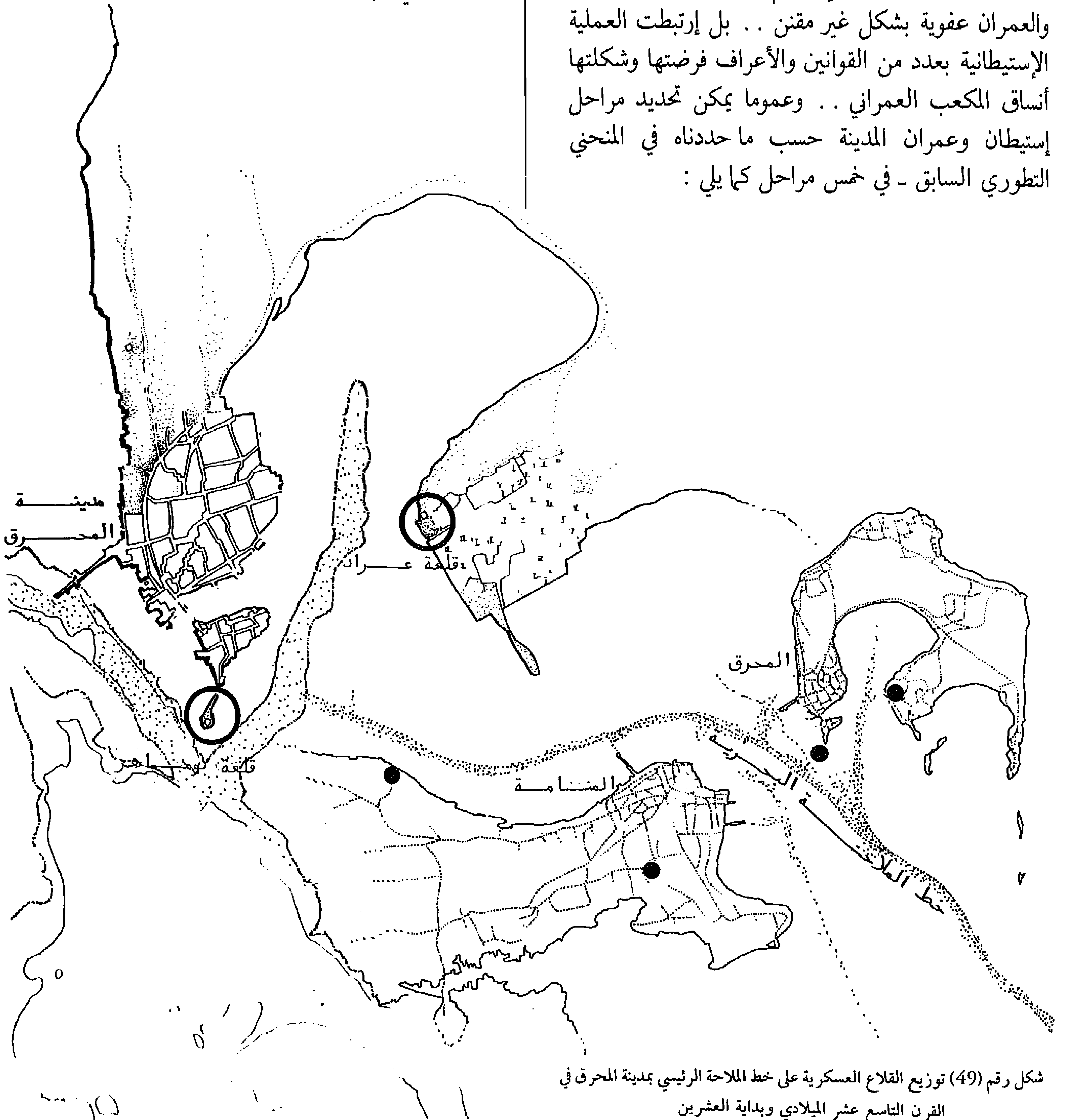
(1) ميلاد المدينة القبلية .

(2) بداية الإستيطان القبلي وعمران المدينة .

(3) إكتمال العمران والنمو الإستيطاني في شكل متكامل .

(4) النمو المضطرد والمتغيرات الإنتقالية لعمران المدينة القبلية .

(5) التحلل والتفكك العمراني للتقليدية وميلاد الأنماط الحديثة .




شكل رقم (49) توزيع القلاع العسكرية على خط الملاحة الرئيسي بمدينة المحرق في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية العشرين

## المرحلة الأولى . ميلاد المدينة

كما سبق وأن كررنا ـ بدأت عملية الإستيطان لأبعاد سياسية وإختيار الموقع لتأسيس المدينة يرتبط أساسا بالأسباب الإستراتيجية للموضع ، ونمط الاستيطان السياسي القائم على الهجرة هو نسق عرفته الجزر ومنطقة الخليج عموما ، ومن جهة أخرى كان تأسيس الشيخ عبدالله بن أحمد لمدينة المحرق متزامنا مع تأسيس أخاه الشيخ سلمان ـ شريكه في الحكم ـ للرفاع . وكان النسق السياسي السادس دوره في إبراز أهمية المستقرتين الجديدتين في تكامل سياسي ، وقد إكتسبت المحرق أهميتها نظرا لموقعها العسكري الهام . . وليس هناك تاريخا مكتوبا يوثق طبيعة ونوع الإستيطان الذى بدأت به المدينة ، ولكن بتتبع وإستقراء مكعب العمران فأنه يمكن تحديد بداية الإستيطان ببناء قلعة «بوماهر» ، وتأسيس أول مستقرة سكنية للحاكم متمثلة في مساكن الحاكم وذويه وعائلته والمجلس القبلي والمسجد الجامع ، ومساكن مواليه وأتباعه فوق ربوة المحرق . . وغير مؤكد أن المدينة كان لها أسواراً ، ولكن بعض الروايات المحفوظة تحكي عن أسوار المحرق القديمة .

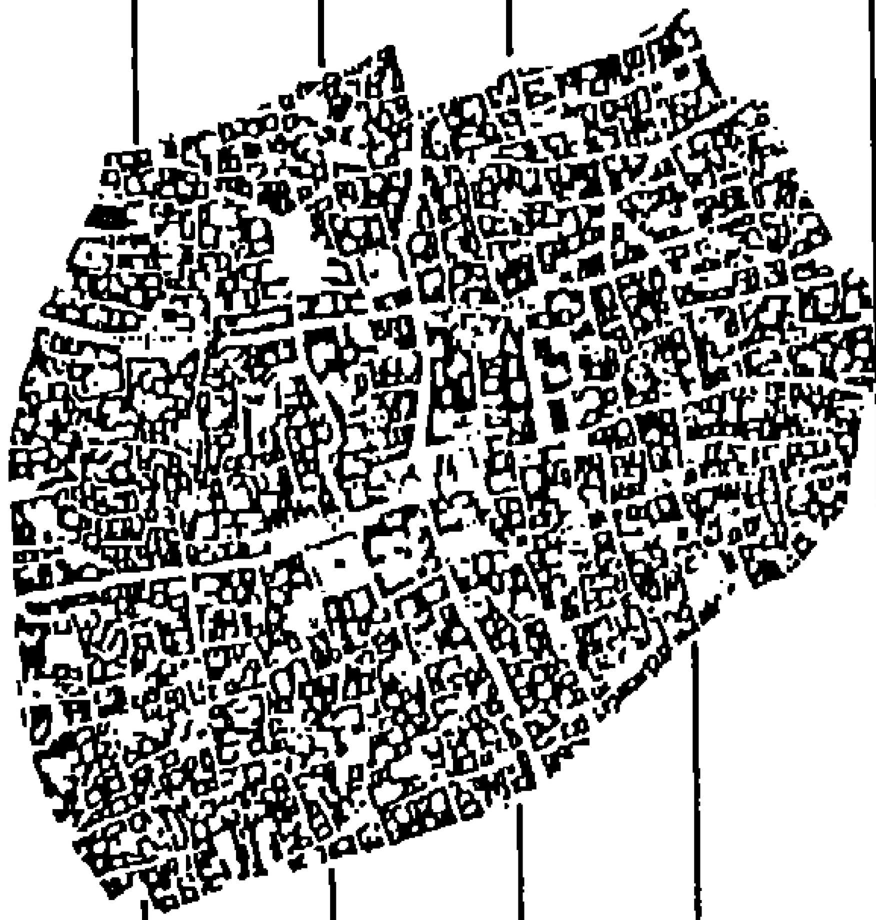


شكل رقم (50) عمران مدينة المحرق عام 1810 ميلادية

## المرحلة الثانية . بداية الإستيطان

أدت معاهدة 1820 بين السلطات البريطانية وشيوخ الخليج إلى الإستقرار النسبي في المستقرات القبلية ، وتثبيت القبائل في هذه المستقرات سياسيا ، مما أدى إلى بداية تشجيع الإستيطان من جانبه الإجتماعي القائم على الهجرة الجماعية أو الفردية ، وكانت المحرق المستقر الجديد أو الحاضرة الجديدة للسلطة السياسية النامية في جزر البحرين نقطة جذب لكثير من هذه القبائل ، التى هاجرت للبحرين طمعا في السلطة أو الثروة حسب النسق الإجتماعي الأول . . فكانت السلطة السياسية والحكم نقطة الجذب إلى الإستيطان ، وكانت تجارة اللؤلؤ ـ المزدهرة في البحرين ـ المجال الإقتصادي للثروة حسب النسق الإقتصادي الثالث .

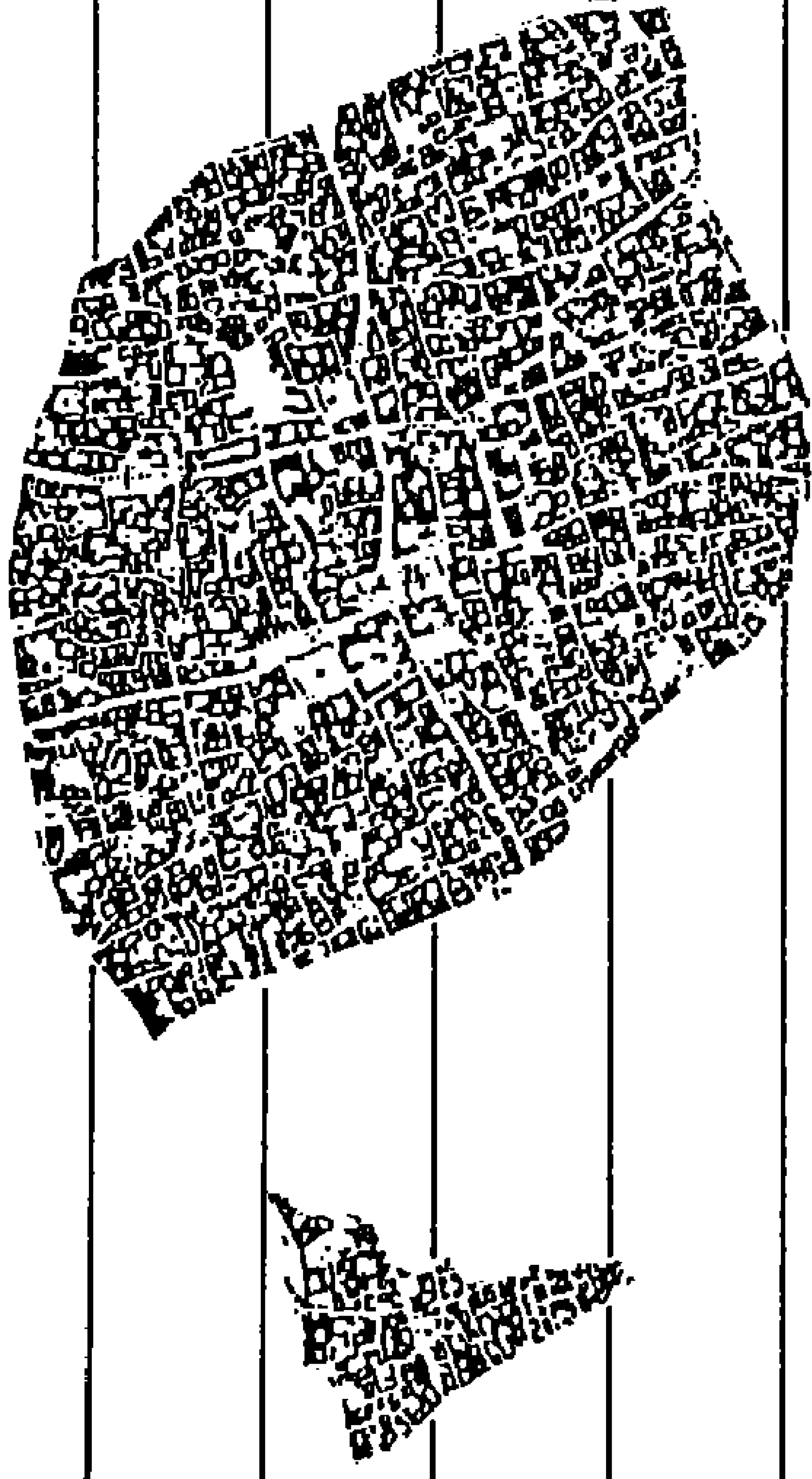
وبدأت تتشكل المقاطعات المحلية حسب النسق السياسي الخامس ، وكانت المحرق على رأس هذه المقاطعات ويحكمها حينئذ الشيخ عبدالله بن أحمد الفاتح حاكم الجزر وخاصة بعد أن إنفرد بالحكم إنفراداً شبه كامل بوفاة أخاه الشيخ سلمان عام 1825 الميلادية . . ويبدو من الخرائط التى بين أيدينا أن نزول القبائل العربية لم يأخذ تشكلا



شكل رقم (51) عمران مدينة المحرق عام 1825 ميلادية

عمرانيا محدداً ، ولكن كانت إستيطانات متفرقة أقرب بأنماط البدو للإستيطان منها إلى هيكل حضري لعمران مدينة ، ومما يؤكد هذا ، هو الخلفية التاريخية لكثير من القبائل المهاجرة من بيئة صحراوية من جهة ، وهذه القبائل هاجرت من مستقرات أصلية متفرقة جمعتها نقطة جذب واحدة ، أو بمعنى آخر أن هذه هاجرت من عصبيات متعددة وجمعتها مستقرة قبلية واحدة وعصبية واحدة ، وكان من الطبيعي مع هذا أن تتخذ كل قبيلة لنفسها مستقرا مقفولا على نفسه عمرانيا ينفصل عن القبائل الأخرى . . وهذه هي بداية التشكيل العمراني ، وليس في هذا عفوية مطلقة أو فوضوية بقدر ما كان العرف القبلي العام الذى يحكم كافة العلاقات والسلوكيات الفردية والجمعية القبلية .

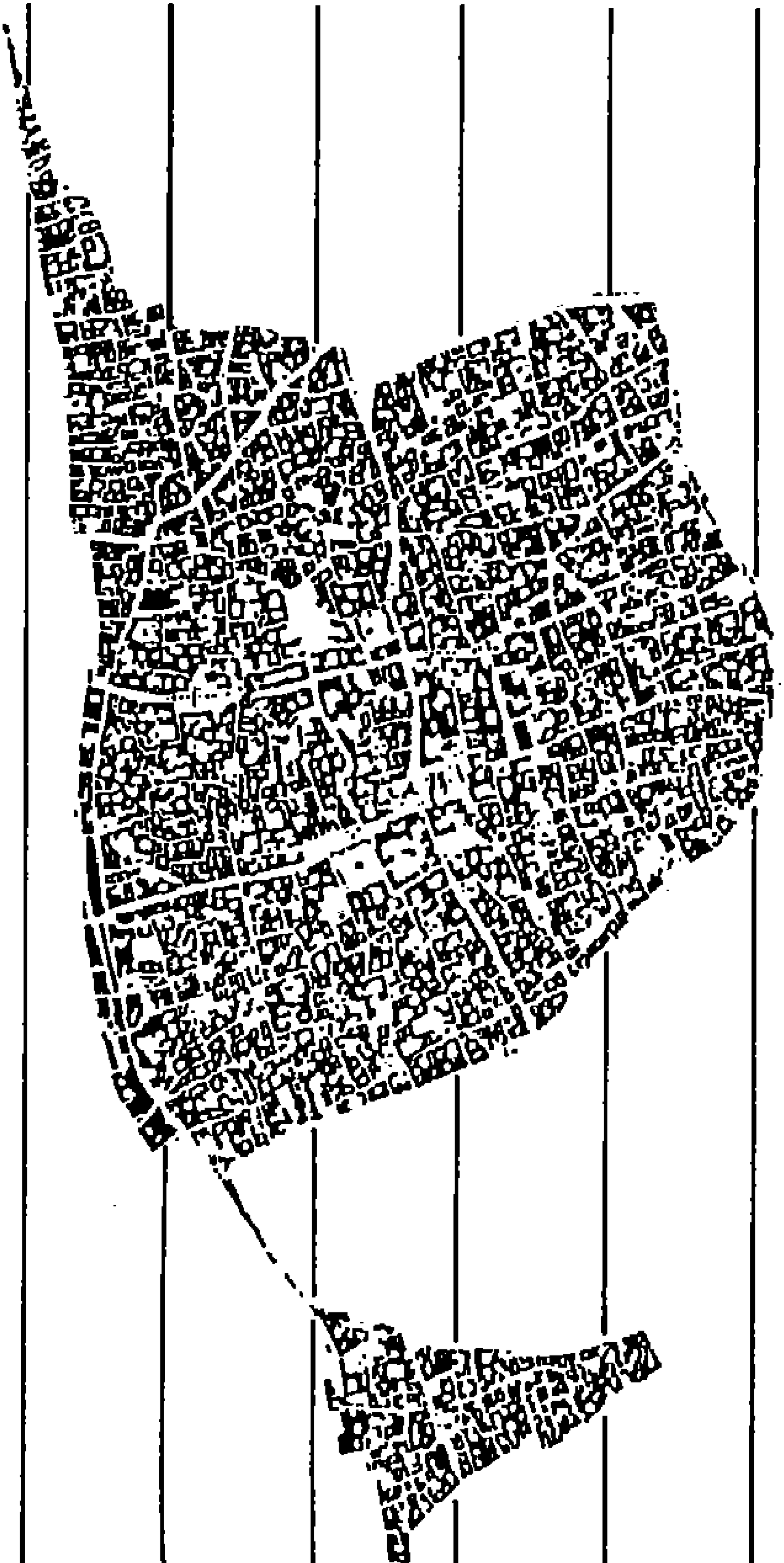
أما العنصر الأساسي الذى يبدو ظهوره أساسيا في هذه المرحلة هو السوق كمؤسسة إقتصادية ، تعتمد على صناعة الغوص وتجارة اللؤلؤ ، وللأسف ليس هناك أي دلائل تشير إلى ماهية السوق ، إلا أنه من المؤكد أن موقعه إرتبط بالبحر في إتجاه الغرب من المدينة في نفس الموقع من خط الملاحة الخارجي للتجارة في الخليج .



شكل رقم (52) عمران مدينة المحرق عام 1872 ميلادية

**المرحلة الثالثة ـ إكتمال العمران**

إستمرت هجرة القبائل المستوطنة للمحرق ، وساعد على ذلك إستقطاب السلطة الحاكمة لهذه القبائل وتشجيعها لهم ، بما تقدم من تسهيلات في الإستيطان وما توفره من خدمات تساعد على رواج التجارة والنشاط الإقتصادي الأساسي لهذه القبائل . . وإختلفت حدة وحجم الهجرة حسب الأوضاع الداخلية نتيجة الصراعات القبلية على السلطة وشرعية الحكم . . لكن عام 1869 الميلادية كان نقطة التحول الأساسية بعد تدخل السلطات البريطانية لضمان الإستقرار الداخلي حفاظا على مصالحها في المنطقة ، وبتعيين الشيخ عيسى بن علي حاكما على البحرين الذى جعل المحرق عاصمته السياسية والإدارية وإحدى مقاطعاته الخاصة ، فإستقطب القبائل الأخرى لسكن المحرق مع آل خليفة وتكونت بذلك المجموعة القبلية الأرستقراطية ـ النسق الإجتماعي الرابع ـ من هذه القبائل الموالية لآل خليفة وإتخذت مساكنها بالقرب من مساكن الحكام في تركيب عمراني إجتماعي طبقي ، وإتخذت كل منها لنفسها حيا سكنيا منفردا ـ الفريق ـ وكان لها إستقلالها الذاتي في تدبير شئونها القبلية إجتماعيا وإقتصاديا وعلى رأسها شيخ



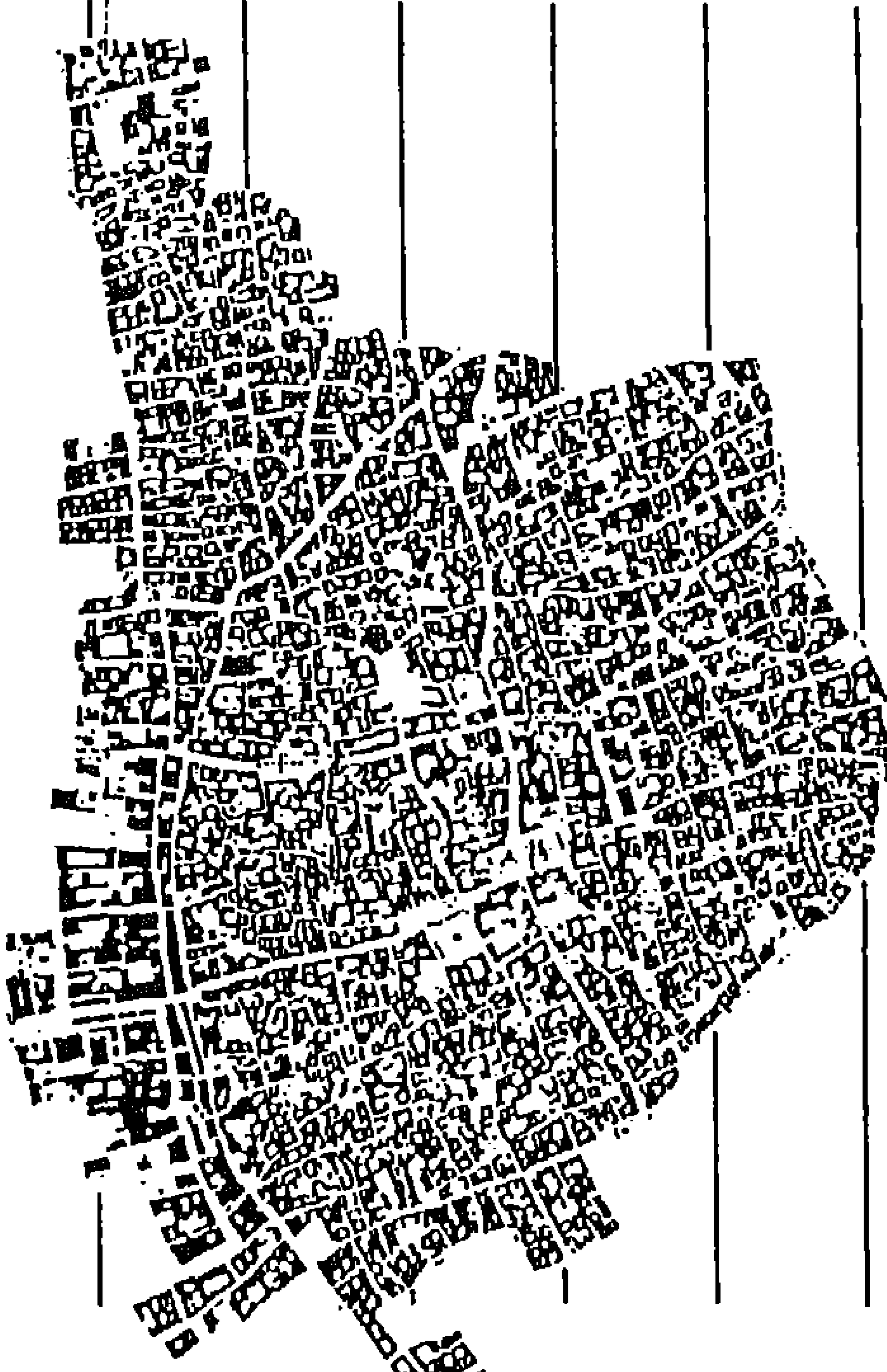
شكل رقم (53)عمران مدينة المحرق عام 1904 ميلادية

القبيلة الذى إتخذ لنفسه مجلسا ، هو المركز العمراني للفريق السكني للقبيلة ـ النسق السياسي السابع ـ وإكتملت بشكل سريع المؤسسات العمرانية لمدينة المحرق وتعقدت تركيباتها في نسيج متداخل ، وأصبحت المحرق حينئذ حاضرة جزر البحرين وقصبتها ، وواكبت الأبعاد الثلاثة : التنظيم القبلي .. القبيلة الاقطاعية .. البنية القبلية . وضمت مدينة المحرق بعد إكتمال عمرانها عددا من المؤسسات الأساسية تأثرت بالأبعاد الثلاثة السابقة وأثرت فيها ونصفها كما يلي :

(1) الأحياء السكنية بتركيبها القبلي .

(2) المجالس القبلية والمساجد «مؤسسات التنظيم القبلي» .

(3) السوق بتنظيماته الإقتصادية المتفرعة .



شكل رقم (54) عمران مدينة المحرق عام 1939 ميلادية

## المرحلة الرابعة ـ المرحلة الانتقالية

إستمرت المدينة القبلية في ممارستها العمرانية ما يزيد عن القرن ، ومن الصعب تحديد تاريخ معين لتغيير نمطها الإستيطاني ، ولكن يمكن إعتبار المرحلة ما بين عام 1927 الميلادية وعام 1951 بشكل تقريبي مرحلة إنتقالية ، فقدت المدينة خلالها أنساقها بشكل تدريجي وتغيرت أبعادها الثلاثة كما سبق أن أشرنا .. ومع أن الملامح العمرانية للمدينة لم يطرأ على تشكيلاتهاتغييرات جذرية في أول هذه المرحلة إلا أن الإستمرارية كانت بفعل القصور الذاتي لقوة الدفع التى عاشتها المدينة خلال المراحل الثلاثة الأولى من هذا السيناريو على مدى ما يزيد عن القرن .. ومن جهة أخرى كانت هذه الإستمرارية ظاهرية مظهرية وفي هذا الوقت بدأت المدينة تفقد جوهرها ومضمونها .



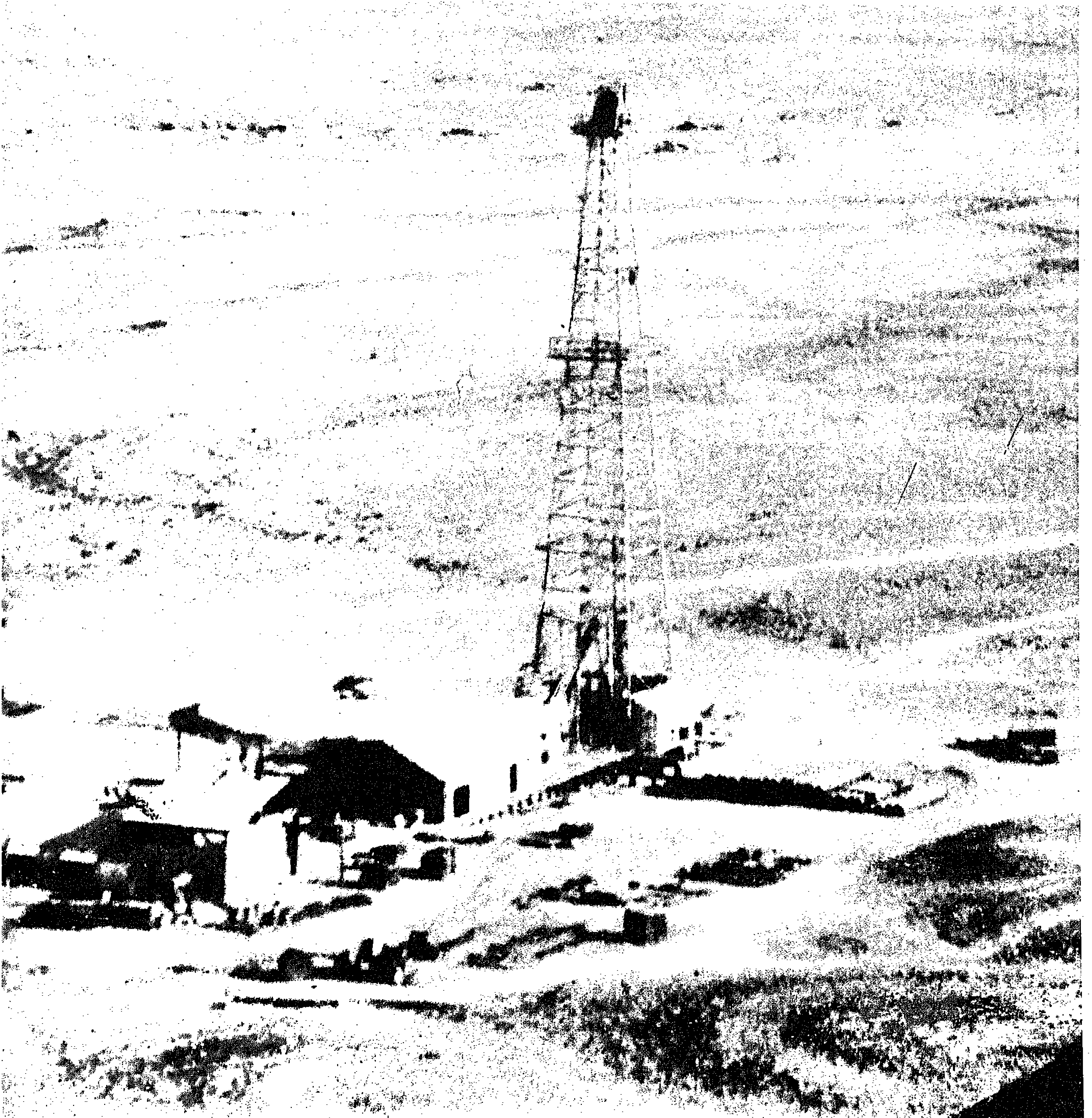
شكل رقم (55) عمران مدينة المحرق عام 1951 ميلادية

## المرحلة الخامسة ـ مرحلة تحلل


توالدت تجمعات عمرانية جديدة حول المدينة التقليدية بشكل شبه حلقي ، خرجت شكلاً ومضموناً ، ظاهرياً وجوهرياً عن عمران مدينة المحرق القبلية كنتيجة لإختلاف وتغير المكعب العمراني لإستيطان المدينة القديمة أو التجمعات الجديدة من حولها والمشكلة للمدينة الجديدة .. وواكب هذا التغير أو الميلاد الجديد عملية هجرة عكسية من تلك المدينة إلى مناطق وتجمعات عمرانية خارج المحرق أو حولها ، كنتيجة طبيعية للمتغيرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمجتمع المحلي ، ويتجدد هنا النسق



الإجتماعي الأول القائم على الإستيطان والهجرة ، وإن إختلفت طبيعة الهجرة في المجتمع المعاصر من حيث المنطلق والهدف والأسلوب . . وفقدت المدينة كحاضرة للجزر مكانتها ، ودورها السياسي ، كما تدهورت تنظيماتها الإقتصادية مع تغيير الأنشطة الأنتاجية ، وحافظت بشكل محدود جدا على بعض تركيباتها العمرانية الإجتماعية التقليدية بالرغم من تغيير البنية الإجتماعية والتحول إلى الأسرة النووية بدلا من الأسرة الممتدة . . والعشيرة . . والقبيلة . . هنا فقدت المدينة القبلية القديمة قدرتها على النمو الطبيعي ، وكادت تضمر أو تتجمد ، وهي معرضة للموت إن لم تتجدد الجوانب المجتمعية للإستيطان والعمران لتشكل مكعب العمران للإستيطان في الحقبة المعاصرة والمستقبلية .



شكل رقم (57) صورة أول بئر بترول بجزيرة البحرين في الثلاثينات



شكل رقم (58) صورة جوية لمدينة المحرق عام 1939 ميلادية

**تعقيب الاستيطان :**

وبناءًا على تتبع المراحل الخمسة لإستيطان مدينة المحرق وعمرانها في الفترة بين عام 1810 - 1971 الميلادية ، نستدل على دور المكعب العمراني في تشكيل طبيعة الملامح الأساسية والعامة التى تعطي للمدينة ذاتيتها ، والتى ضمنت للمدينة قدرتها على الإستمرارية إلى ما يزيد عن قرن ونصف القرن . . ولعل هذه السمات العامة يمكن إيجاز ما يرتبط منها بفترة إزدهار مدينة المحرق أي ما بين عامي 1810 - 1923 الميلادية كما يلي :

(1) عمران المدينة قائم على التقسيم القبلي حيث القبيلة أو العشيرة هي الوحدة الإستيطانية الأساسية ومركزها العمراني سكن شيخ القبيلة أو كبير العائلة ومجلسه القبلي والمسجد ، وتعرف هذه الوحدات الأساسية بلفظ «فريق» ـ أو «فريج» حسب اللهجة المحلية ـ وتوضح الخريطة شكل رقم (46) تصورا نظريا لتوزيع تلك الوحدات في العقد الثالث من القرن العشرين .

(2) تتجاور الوحدات العمرانية الإجتماعية (الفرجان) مع بعضها في تركيب متوالد من الوحدة الأساسية ـ الوحدة الأم ـ في قلب المدينة حيث مركز السلطة السياسية والحكم ، ممثلين في مساكن آل خليفة ومجالسهم القبلية والمسجدين الجامعين ، وتتدرج الوحدات في تفاوت من هذا المركز حسب مكانة وسلطة القبيلة سياسيا وإقتصادية وإجتماعيا وذلك في تشكيل شبه حلقي مقفول .

(3) تتناسب مناطق نفوذ الوحدة العمرانية (الفريق) مع سلطة القبيلة نفسها وسلطة شيخها من جهة ، ومع الحجم العددي للقبيلة من جهة أخرى بما يضمن التوازن النسبي للسكان بالمدينة .

(4) تتلاحم العناصر أو الوحدات السكنية الخاصة داخل إطار الفريق الواحد بما يتناسب مع النسق الأساسي للأسرة الممتدة ، ويعبر حجم المسكن ـ وحدة الإستيطان الأساسية ـ على المرتبة الإجتماعية والإقتصادية لرب الأسرة داخل عشيرته أو قبيلته نفسها ، أو على مستوى المدينة بوحداتها العمرانية المتجاورة الأخرى .

(5) تنفصل المؤسسات الإقتصادية بأنماطها عن كيانات المدينة العمرانية السكنية حتى لا تتخلل النسيج القبلي للمدينة عناصر خارجة عنه إجتماعيا وسياسيا وقبل ذلك عمرانيا . حتى إن توافقت مصالحها الاقتصادية ، لذلك كانت هذه المؤسسات ، عندما وجدت على الحدود الخارجية للمدينة ، وأكد هذا أيضا إرتباط هذه المؤسسات القبلية الإقطاعية الإقتصادية بالبحر ، وهي ما نعرفه في هذا المجال بالسوق ـ وهو ما تشير إليه الخريطة شكل رقم (63) .

(6) نظرا لإرتباط الأنماط الإقتصادية بأبعاد خارجية وعلاقات إجتماعية معينة إشتمل السوق ـ رغم صغر حجمه النسبي على أنماط عمرانية تلبي إحتياجات هذه العلاقات ، فقد عرف الخان (أو المسافرخانة) كنقطة لخدمة التجار وتجارة العبور خاصة أو التجارة الموسمية ، كما عرف السوق أيضا ـ محليا ـ العمارات وهي تشبه الى حد بعيد ما يعرف في بيئات أخرى بالوكالات ، وإن تنفرد هنا بخاصيته ، لإرتباط العمارات بالملاحة البحرية وصناعة الغوص .

(7) إرتبط السوق كتنظيم إقتصادي بنظام الإمارة والفداوية كتنظيم إداري عرفته المقاطعات في المرحلة التقليدية ـ القبلية الإقطاعية ، فكان لسوق المحرق أمير خاص به لتنظيم شئونه ، خاضع لسلطة الحاكم نفسه .

وهكذا ، يمكن طرح عمران مدينة المحرق كمدينة عربية خليجية من النظرة الشمولية خلال الفترة ما بين عامي 1810 - 1971 الميلادية ، على أنها مدينة قبلية إعتمدت على مقدمة ذاتية لعمرانها ، وبالطبع تختلف النتائج التنظيرية لهذا المدخل للتعرف على الملامح العمرانية للمدينة عن غيره من المداخل أو النظريات التخطيطية والعمرانية السائدة والتى قد تتناسب مع طبيعتنا الحضارية وهويتنا الثقافية كعرب ومسلمين . . فإنتماء مدينة المحرق هنا ، إقليميا لمنطقة الخليج وقوميا للأمة العربية وحضاريا للأمة الإسلامية ، يضعها في إطار هوية محددة ولا يمكن أن نفهم تركيبها العمراني إلا من خلال هذا الإطار الإقليمي القومي الحضاري . .

# الباب الثالث

# ملامح العمران

لقد برزت في العصر الحديث موجة من الدراسات والنظريات الخاصة بعمران المدينة العربية والإسلامية التقليدية على مستويات مختلفة ، ولكنها تكاد تجمع على نموذج وحيد لتخطيط وعمران هذه المدينة ، ويمكن رسم تصور عام لملامح هذا العمران كما يلي : «المدينة لها شكل هندسي منتظم أو شبه منتظم ، يحدد معالمه غالبا أسوار المدينة التى لها دورها الدفاعي العسكري ، وتحدد المداخل في الأسوار المحاور الرئيسية للحركة إلى كيانات المدينة . . أما المدينة نفسها فكانت مقسمة إلى أحياء سكنية (تختلف تسميتها من مجتمع إلى آخر) ، وتعد خلايا حضرية للسكن الإستيطاني حول المسجد وأحيانا السويقة . تتجمع الأحياء في تركيب مركزي حول المسجد الجامع ودار الأمارة أو قصر الحكم ـ حسب طبيعة المركز السياسي للمدينة نفسها ـ ويتمركز حول المسجد الجامع النشاط التجاري في شكل أسواق مرتبة حسب الحرف أو المواد السلعية في تتابع معين ، وهي أما تأخذ شكل تجميعي ، أو تأخذ الإتجاه الخطي حول الشرايين الرئيسية المتشعبة عند المسجد الجامع في إتجاهات محاور المدينة . . . » .

وهكذا ، نجد أن غالبة الدراسات والأبحاث المنشورة عن عمران المدينة العربية تكرر أي ماكس ڤيبر والقائل بأن مثل تلك المدن تضم أسواقا وقلاعا ولكنها تفتقر الى محاكم خاصة بها وإلى قانون مستقل جزئيا[1] ، ولقد بينا في الباب السابق من هذا الكتاب الرد أو بعض الرد بشكل غير مباشر على هذه الأطروحة ، وما أنتهينا إليه من منظومة فكرية لعمران المدينة تعالج موضوع العمران المديني كجزء لا يتجزأ من بنية الدولة وتشكيل المجتمع وإتجاهات الأمة العقلية والوجدانية والتشريعية والفكرية ، ومن المنطقي بعد هذا ، أنه لا يمكن تعميم التصور العام لملامح المدينة العربية حسب ما رسمه البعض بشكل مطلق ، وإن صحت بعض جوانبه أحيانا ـ ولا يمكن تطبيق هذا التصور على كافة المدن العربية التقليدية بغض النظر عن خلفيتها التاريخية وجوانبها المجتمعية للإستيطان السياسية والأقتصادية والأجتماعية ـ كما هو حادث الآن ـ حيث أن المكعب العمراني لكل مجتمع بالقطع يختلف عن باقي المجتمعات حسب ما عرضناه في الأبواب السابقة . ومما يؤكد هذا ما قدمنا به الكتاب كمدخل تنظيري لمفاهيم العمران وخاصة مفاهيم أبن خلدون عن العمران والملك والعصبية ، حيث ربط بين المؤسسات المختلفة المدينية وبين الدولة دون أن يسقط الهوية والأنتماء الأجتماعي .

والحقيقة أن مفاهيم أبن خلدون للملك والعمران ترتبط ارتباطا عضويا بالمعنى الرمزى والمعنى اللغوى للمدينة أي المكان الذى يجرى فيه القضاء أو الحكم [2] . والجدير بالذكر إن تعريف المدينة من هذا المنطلق يجمع بين التمدين والمدينية ومقومات المجتمع ، وبالتالي فإن ملامح عمران المدينة لا تستمد من الظروف السوقية كما هو الإتجاه السائد في تصنيف ودراسة وتحليل المدن في المجتمعات الغربية [3] ، حيث إن الحجم والكثافة وغيرها من المعايير للتمييز والتمايز بين المدن وملامحها تصبح أقل أهمية من تركيبة السلطة

(1) راجع في هذا كتاب : .The City; Max Weber (New York, Free Press 1958)

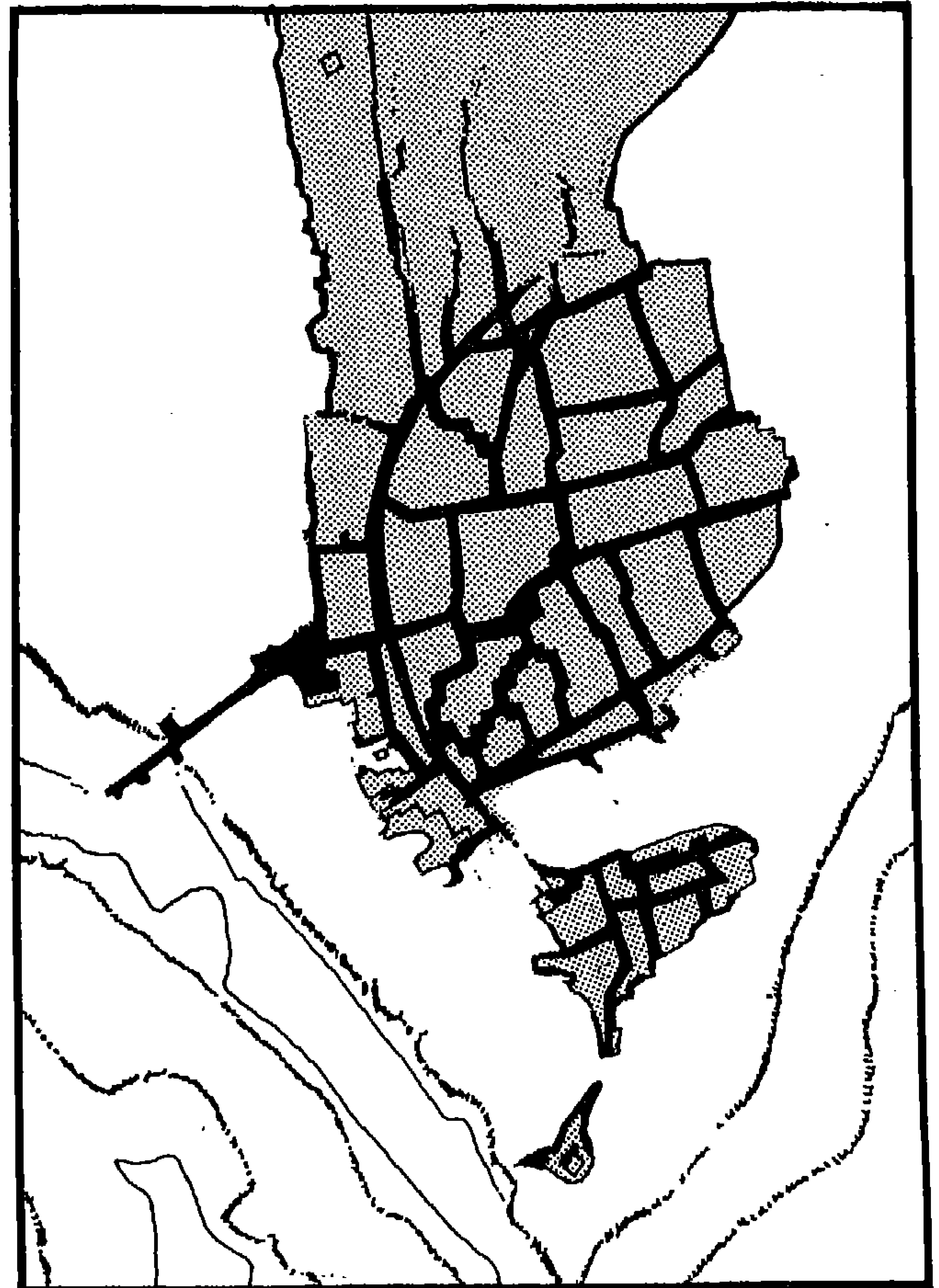
(2) إن لفظ «مدينة» مشتق من الفعل الثلاثي «دان» ومعناه قاض أو حاكم أو حكم عليه . . ومنها اسم المكان مدينة ، لذلك أطلق على يثرب حين أقام فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وأسس أول مجتمع اسلامي أسم المدينة .

(3) راجع كتاب : :The City in history; Lewis Mumford

وشرعية المؤسسات وأيديولوجيات الاقتصاد . . . لكن ، جمع المكعب العمراني هنا بين المعايير - كلها - متداخلة ومتكاملة .

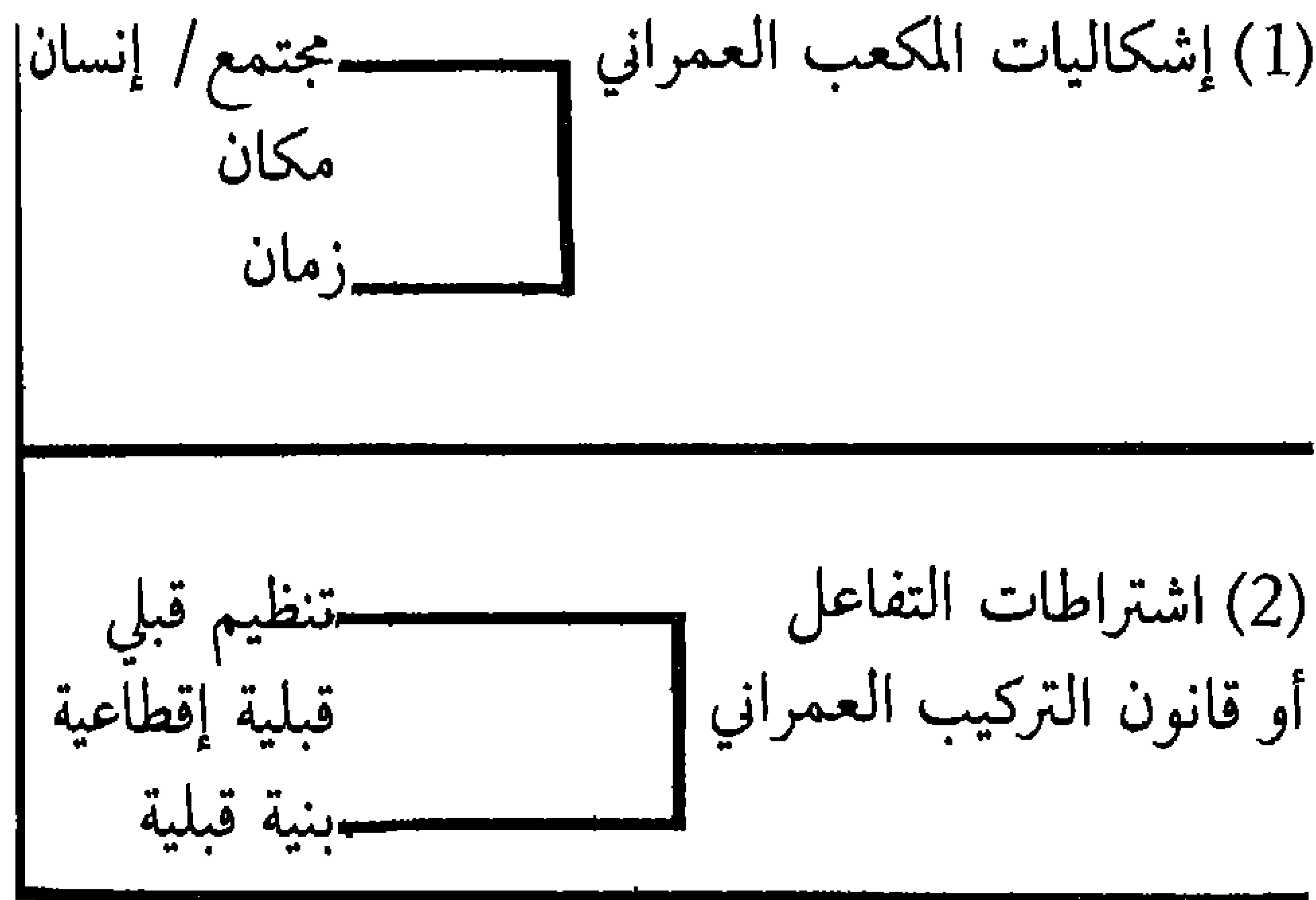
وهكذا ، وبالرغم من أن مدينة المحرق أحتفظت معالمها العمرانية ببعض التصور العام لعمران المدينة العربية كما قدمناه سابقا ، إلا أنها كما حددنا في مدخلنا التنظيري ، تميزت كغيرها من المدن العربية بخصوصية عمرانية ذاتية ترتبط بالمكعب العمراني لإستيطان ذات المدينة (الموقع والموضع) ، ويمكن توصيف سيناريو عام لعمران المحرق بشكل موجز ومحدد كما يلي :

« أحتفظت المدينة بشكل هندسي شبه منتظم فرضته طبيعة الموضع ، وتتركب المدينة من وحدات إستيطانية قبلية - فرق - مركزها العمراني المجلس القبلي لشيخ القبيلة مع المسجد كمركز للمؤسسة السياسية الأجتماعية ، وتتجاور تلك الوحدات الإستيطانية في تركيب طبقي يتوالد من الوحدة الإستيطانية المركزية التى يسكنها الشيوخ من حكام آل خليفة (العائلة الحاكمة) ، وترتبط علاقة الجوار



شكل رقم (59) خريطة تصورية لعمران المحرق في مرحلة ازدهارها عام 1939

الإستيطانية بين وحدات المدينة (المستقرات القبلية) بالبناء الأجتماعي والتركيب القبلي لسكان المدينة . . ويقع في مركز وحدة الإستيطان الأساسية لشيوخ آل خليفة مجلس حاكم الجزر ومسكنه الخاص والمسجد الجامع . . وينفصل هذا التركيب العمراني السياسي الأجتماعي عن المؤسسات الأخرى الأقتصادية متمثلة في السوق بأنماطه العمرانية المتعددة من حوانيت ووكالات وخانات ومجالس للتجارة وأسواق نوعية للحرفيين وقبل » ذلك الميناء أرتباطاتها الخارجية للموقع . وأنتظمت المدينة كمقاطعة ادارية ، لها تنظيماتها الذاتية ، وهي مؤسسة الأمارة والفداوية . . وأرتبطت هذه العناصر والمؤسسات العمرانية المدينية مع بعضها البعض متفاعلة ومتداخلة من خلال :




وهكذا ، تميزت مدينة المحرق كمدينة عربية تقليدية بخصوصية - أنها مدينة قبلية عاشت في الفترة ما بين عامي 1810 - 1923 ميلادي ، ثم كانت المرحلة الأنتقالية العمرانية حتى حوالي عام 1951 الميلادية ، فمرحلة التحلل والتفكك العمراني للمدينة القديمة ، وأكتسبت المدينة ملامحها العمرانية التقليدية خلال مراحل أزدهارها من مكعب العمران الإستيطاني ، ويمكن تحديد هذه المعالم في بعدين أساسيين للنشاط العمراني لمدينة المحرق القبلية هما :

(1) الســـكن .

(2) الســـوق .

وتتداخل الأبعاد في تشكيل كل من السكن والسوق ، وقبل التعرض لأي من النشاطين بالتحليل التفصيلي ، يتحتم أولا التعرف على التركيب المادي للمدينة بشكل شمولي وفهم طبيعة نسيجها العمراني بشقيه الكتلة والخواء .

# الفصل الأول

# التركيب العمراني للمدينة

ينظم التركيب العمراني الأساسي للمدينة ـ كتركيب حيوي ـ نفس القانون الضمني الذي يحقق التناغم والتكامل بين أنساق الجوانب الثلاثة للإستيطان ، ويمكن التعرف عليه بتحديد علاقة العناصر العمرانية المكونة للخلايا الأساسية للمكعب العمراني وفهم تنظيمها وترتيبها ذلك من جهة ، ومن جهة أخرى يمكن التعبير عن هذا التركيب بإيقاع المدينة حيث تتمثل تلك العلاقات الحيوية للكيان أو الكيانات العمرانية ، وتتناسب هذه العلاقات مع درجة خصوصية أي من هذه الكيانات . وتتجه عملية تحليل التركيب العمراني لمدينة المحرق من المستوى الشمولي إلى المستوى التفصيلي ، وهي تعتمد على أن المدينة نسيج متجانس متماسك لا يمكن التفريط في أي خيط من خيوطه حتى لا يتهتك النسيج كله ، أي أن عملية تحليل هذا التركيب تقوم على فك الخيوط بغرض التعرف على كل منها وإدراك العلاقات بين بعضها البعض ، وليس بغرض التخصيص أو التمييز بين أي من هذه الخيوط ، وتتحدد عموما ملامح النسيج العمراني للمدينة في مظهرين أساسيين يمثلان قطبا النسيج :

القطب الموجب للنسيج ـ الكتلة العمرانية .

القطب السالب للنسيج ـ الخواء العمراني .

ويتحرك هذان القطبان ـ الكتلة والخواء ـ في تتابع مستمر وليس في حلقة مفرغة ، يصعب تحديد أيهما يسبق الآخر : هل الكتلة ناتج للخواء الأساسي للنسيج ، أم أن الخواء هو الناتج . . وهذا مرجعه إلى الإدراك المطلق لكل منهما في بعده الكوني : فهل الكون كتلة أم خواء ؟ وهذا النسق الكوني يرتبط بمستويات الإدراك المتدرجة ، ولتقريب هذا المبدأ يمكن تعريف الكون بأنه الخواء المطلق يحتوي على كتلة هي الأرض (مع سائر الكواكب والنجوم والمجرات) . .

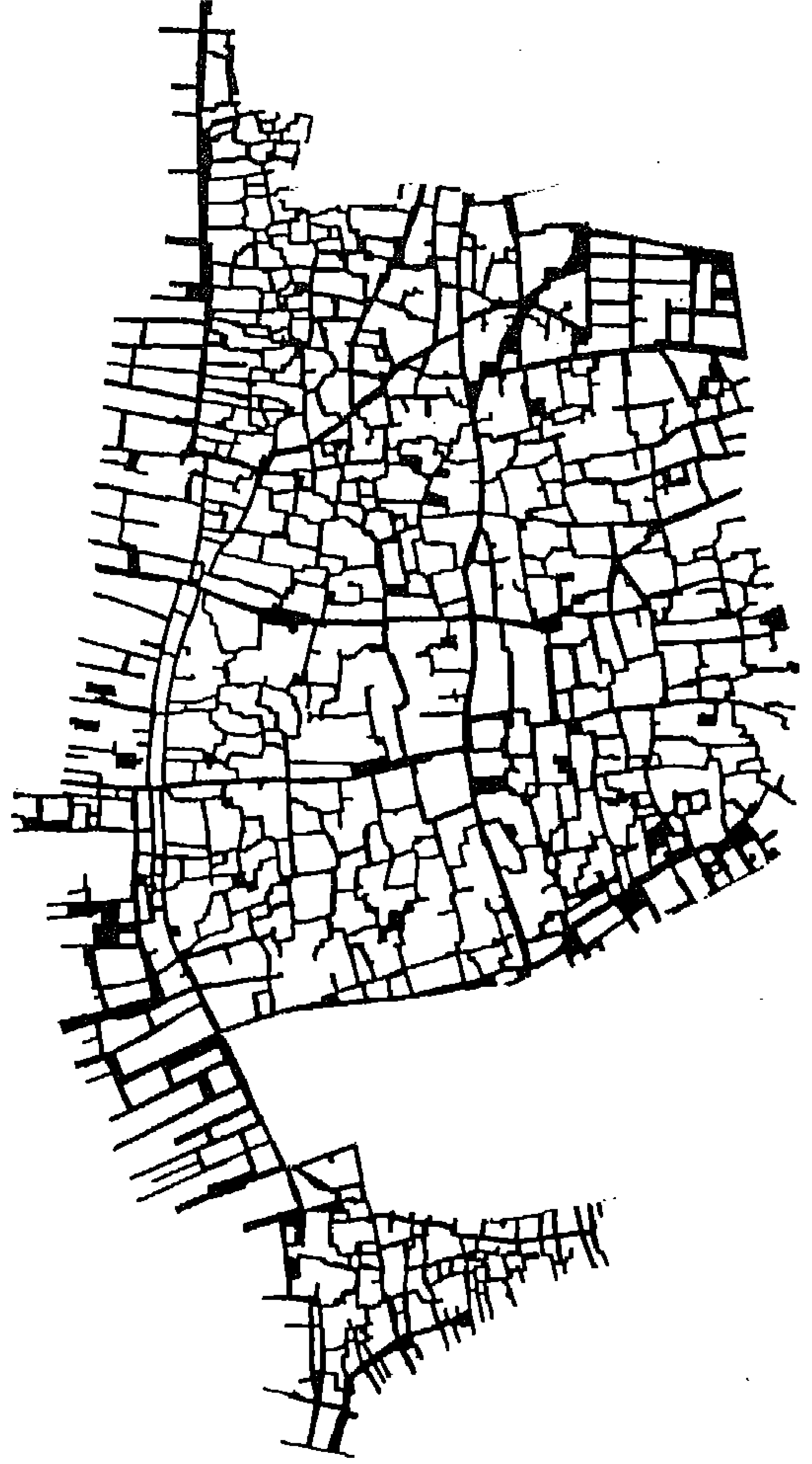
الأرض خواء نسبي يحتوي على كتلة المدينة . .

المدينة خواء نسبي يحتوي على كتلة المبنى . .

المبنى يحتوي على الخواء النسبي ـ الحوش المفتوح للخواء المطلق الكون . .

وتتدرج التتابعات في هذه المتوالية ويرتبط كل من الخواء والكتلة بمدى إدراك الإنسان النسبي للشيئيات . . فالأرض بالنسبة للكون كتلة . . والأرض بالنسبة لذاتها كتلة . . ولكن الأرض بالنسبة للإنسان ومدينته خواء . . وهكذا المدينة نفسها ، وإدراك الكتلة حقيقة مادية بينما إدراك الخواء إحساس نفسي . . ويتماثل هنا هذان القطبان للمدينة مع المادة والروح في الكيان الحي لا غنى لأحدهما عن الآخر حتى يكون هذا الكيان حياً . . فإذا فقدت المدينة أحد قطبيها فإنها تخرج عن إطارها العمراني بأنها مدينة لتدخل في تصنيف آخر ، أي أن المدينة لا يمكن لها أن توجد إلا من خلال التكامل والتناغم أيضا بين الكتلة والخواء على كافة المستويات . . وتتأثر الملامح الأساسية للعمران بطبيعة هذا التكامل ، كما أن الأنساق المشكلة لمكعب العمران هي التي تحدد نوعية العلاقة ونمط التناغم بين الكتلة والخواء . .

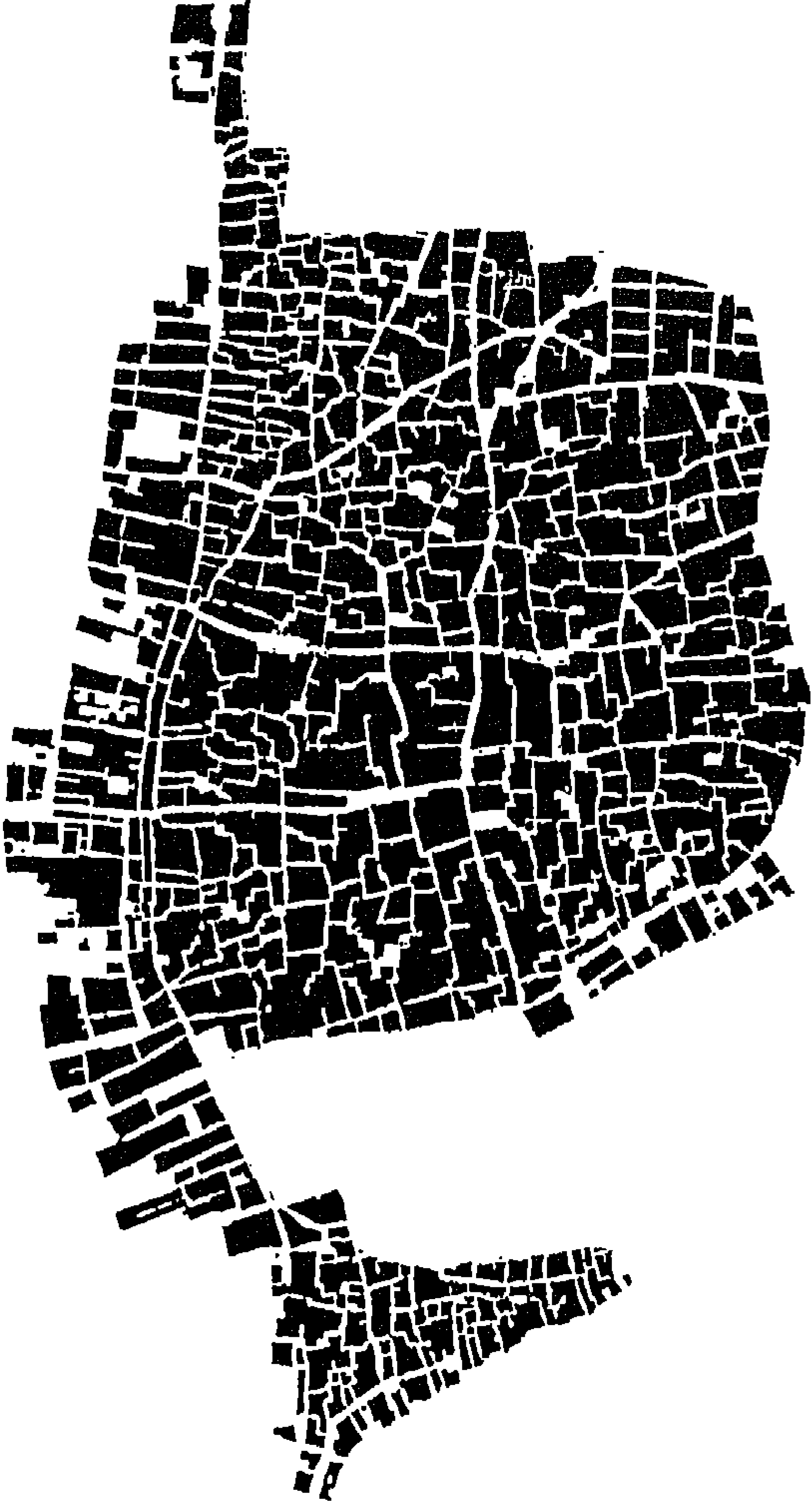
ولم يخرج نسيج مدينة المحرق العمراني على هذا النسق الأساسي ، بل عبر نسيجها بشكل دقيق على هذا التتابع بين الكتلة والخواء ، وسنتجه إلى قراءة الخيوط العامة من خلال هذا النسق ـ الكتلة والخواء . . ويمكن تحديد الخيوط الأساسية للنسيج العمراني لمدينة المحرق القبلية خلال مرحلتها ما بين عامي 1810 – 1971 ميلادي في الجدولة رقم (62) وجدير بالإشارة أن المدينة التقليدية خلال مراحل ازدهارها حافظت على التوازن بين خيوط النسيج



شكل رقم (60) القطب السالب للنسيج العمراني للمحرق عام 1939 ميلادية ـ الخواء العمراني .

بشكل تلقائي يتلائم مع دور كل خيط من الخيوط في تركيب هذا النسيج عمرانياً ، ومدى تأثير أنساق معكب العمراني بجوانبه الثلاثة السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، وكما حددنا سابقا ، فتحليل التركيب العمراني يتحتم معه فك إدماج هذه الخيوط ودراسة كل منها منفرداً ، وسنتعرض لدراسة كل من السكن والسوق كعنصرين أساسيين في الفصلين اللاحقين بشكل منفصل ، وذلك لأهميتها كخيوط أساسية للنسيج التقليدي لعمران مدينة المحرق القبلي ، بينما نكتفي في هذا الفصل بالتعرف على الخيوط التالية . .

(1) تشكيل العمران .
(2) الفراغات الداخلية والخارجية للخواء .



شكل رقم (61) القطب الموجب للنسيج العمراني للمحرق (عام 1939) الكتـ
العمرانية .

## الخيط الأول ـ تشكيل العمران :

يمكن تصور المدينة في تركيبها الشمولي ككتلة واحدة فرض تشكيلها المادي الأبعاد الطبيعية والبيئية للموضـ ـ المكان ـ حيث أن المحرق يحيط بها الماء من ثلاثـ جهات ، وقد إرتبطت المدينة حتى منتصف القرن العشرين بما تفرضه إيكولوجية هذا المكان . ومما سبق ، فإختيا المكان إرتبط بأبعاد إستراتيجية وعسكرية للموقع وبطبيعة الإستيطان وخاصة الجوانب السياسية حيث أدى كل من نسقي دويلات المدن وثنائية الحكم إلى إختيا موضع المدينة وموقعها ، حين قام الشيخ عبدالله بن أحمـ الفاتح آل خليفة بإختيار جزيرة المحرق للإستيطان ثـ لتأسيس مدينته التي أصبحت قصبة جزر البحرين

وعاصمتها السياسية . . ويمكن توصيف تشكيل مدينة المحرق عند إكتمال عمرانها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين ، بأنها منتظمة التشكيل رباعية غير قائمة الأضلاع أو متعامدة نظراً لإرتباط حدودها بالشاطىء الذي يصعب تشكيله في خطوط مستقيمة بل يتميز بالتعرجات والإنحناءات الناتجة عن حركة الأمواج وحركات المد والجزر . . ولهذا نجد الحد الشمالي للمدينة يتحرر من هذه العلاقة فيتميز بإستقامته نسبياً ، وعموما يمكن إعتبار مدينة المحرق من ناحية تشكيلها الخارجي مدينة حلقية حافظت تلقائيا خلال مراحل نموها [1] وحتى العصر الحديث على تشكيلها الحلقي ، بالرغم من أنها في المراحل المتتابعة فقدت أحيانا تشكيلها المربع أو شبه المربع المنتظم ، ولكن سرعان ما كانت تحاول أن تستعيد أو تستكمل حلقيتها دائما . .

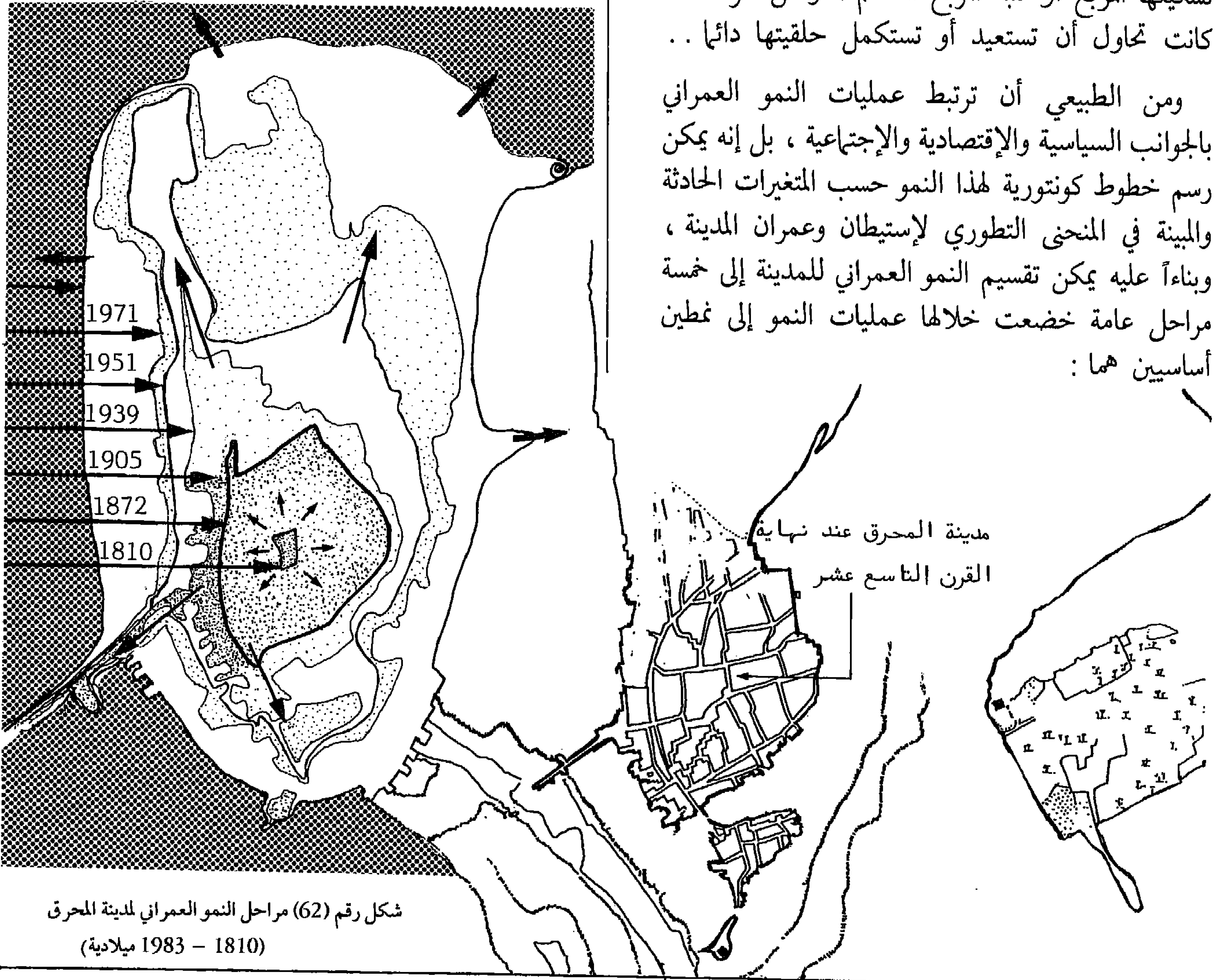
ومن الطبيعي أن ترتبط عمليات النمو العمراني بالجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، بل إنه يمكن رسم خطوط كونتورية لهذا النمو حسب المتغيرات الحادثة والمبينة في المنحنى التطوري لإستيطان وعمران المدينة ، وبناءاً عليه يمكن تقسيم النمو العمراني للمدينة إلى خمسة مراحل عامة خضعت خلالها عمليات النمو إلى نمطين أساسيين هما :

(1) النمط الإشعاعي :

منذ بداية ميلاد المدينة وبداية إستيطانها ، بدأت تتشكل عناصرها وأخذت المدينة عندئذ في النمو إشعاعيا من المركز في ربوة الجزيرة حيث سكن الحكام من شيوخ آل خليفة ومجالسهم القبلية والمسجد الجامع . . وإستمرت عملية النمو تلك حتى إكتمل للمدينة حلقيتها الأولى ، وتشكل ذلك النسق العمراني الذي إستمر معها خلال المراحل الأربعة التالية من نموها وحتى العصر الحديث . .

(2) النمط الشريطي :

أما النمو الشريطي فيبدأ في إتجاه نقطة جذب عمراني خارج حلقية عمران المدينة القائمة ، ويمتد




شكل رقم (62) مراحل النمو العمراني لمدينة المحرق
(1810 – 1983 ميلادية)

(1) من المعلوم أن دراسة النمو العمراني تستوجب توافر سلسلة من الخرائط الدقيقة والمتعاقبة في تسلسل تاريخي ، لتوضح كل خريطة حدود العمران وطبيعته لكل مرحلة من مراحل النمو ، ومن خلال هذه الخرائط يمكن أن يتكون لدينا سيناريو يحكي تاريخ هذا النمو ، ونظراً لعدم توفر هذه الخرائط لبعض الحقبات أو عدم دقة بعض آخر من هذه الخرائط ، فإنه كان يتحتم إستقراء حدود العمران ومراحل نموه المتواترة من خلال الدراسة العامة للعمران والإستيطان وأن نضع بعض الخرائط التصورية لذلك النمو حتى يمكن عرض الموضوع ودراسته ولو بشكل عام . . مرجئين التحليل المتعمق للنمو العمراني إلى دراسات متخصصة .

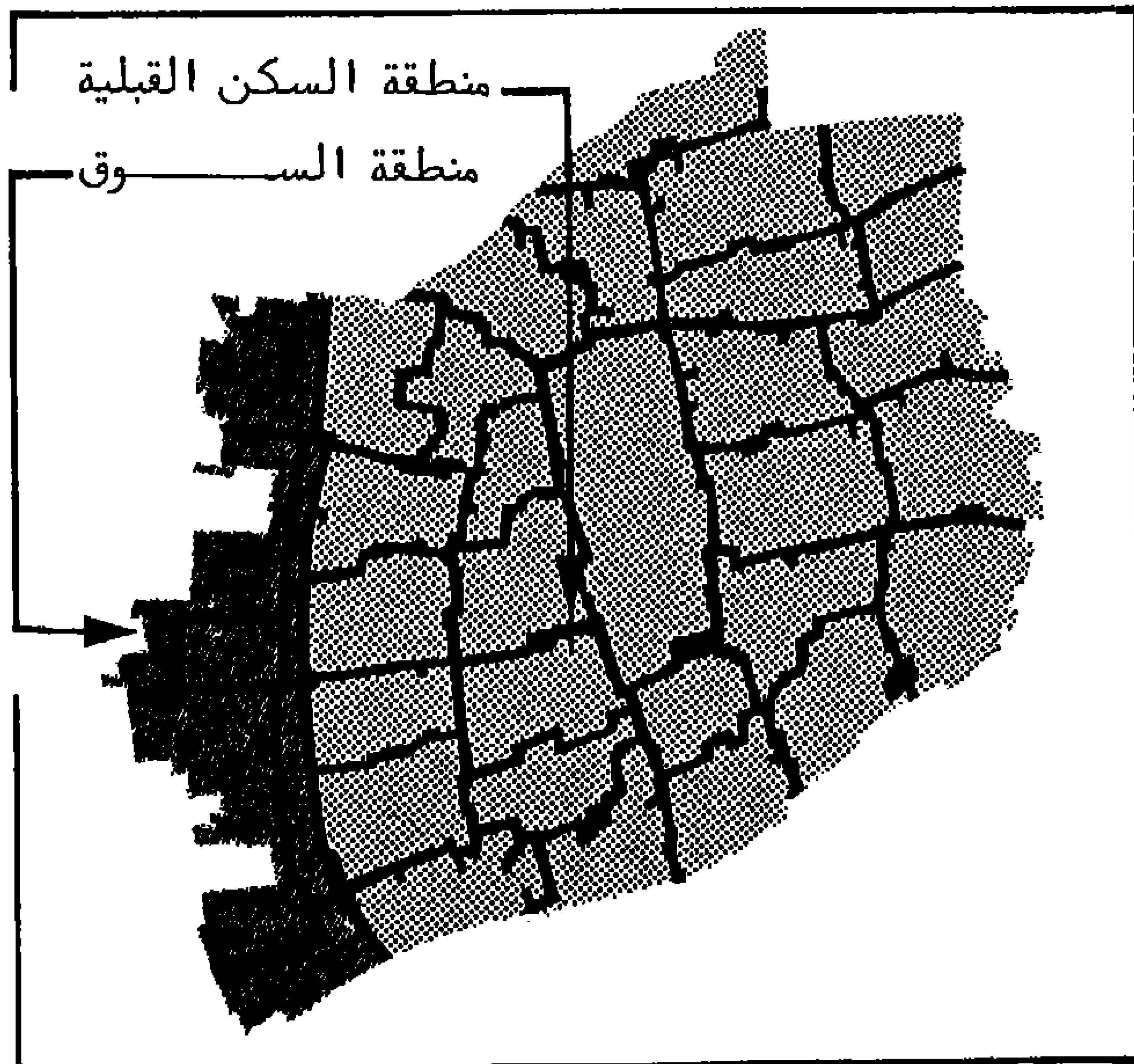
إليها العمران بشكل خطي أو شريطي ، ولكن لا تلبث المدينة بدافع من القانون الضمني الذي حافظ على أنساقها العمرانية أن تستكمل حلقيتها مع النمو المضطرد . . وتمثل بذلك مرحلة من مراحل النمو متكاملة الملامح في نسيج المدينة ، وإنحصرت نقط الجذب العمراني لمدينة المحرق في أربع نقاط أساسية شكلت الأربع مراحل التالية للنمو العمراني ، هذه النقاط مرتبة فيما يلي حسب تتابعها الزمني في سيناريو الإستيطان والنمو العمراني . وجدير بالإشارة هنا إرتباط كل منها بمرحلة من مراحل التغيير أو التطور للجوانب المجتمعية للإستيطان وخاصة الجوانب السياسية ، وهي كمايلي :

(1) حالة بوماهر والقلعة ـ نقطة الحماية البحرية للمدينة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . .
(2) مدينة المنامة ـ التوأم السياسي خلال حقبة الحكم المستقر . . نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .
(3) البسيتين والساحل الشمالي من جزيرة المحرق نفسها ـ الإمتداد الطبيعي للأرض . . بداية القرن العشرين .
(4) القاعدة الجوية البريطانية والمطار . . مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وهكذا إرتبط النمو الإشعاعي بمراحل ميلاد وتكوين المدينة الأساسية ، وبالتالي إرتبط بعمليات الهجرة وإستيطان القبائل سياسيا وإجتماعياً وبميلاد وتكوين السوق المعيشي إقتصاديا . . بينما إرتبط النمو الشريطي بإضطراد وزيادة النمو القبلي للمدينة أولا ، ثم بمراحل التغيير الأساسي لأبعاد العمران الثلاثة : التنظيم القبلي ، القبلية الإقطاعية ، البنية القبلية . ومن جهة أخرى إرتبط النمو الأشعاعي بنمط الهجرة الجماعية ، بينما إرتبط النمو الشريطي بنمط الهجرة الفردية أو المجموعات غالباً ، وكان لهذا تأثيره على التشكيل المادي لنمطي النمو العمراني ، حيث ظهرت التشكيلات العمرانية حول شرايين للحركة هي أعصاب النمو الشريطي وهذا يتفق مع طبيعة الإستيطان القائم على هجرات أفراد ، بينما ظهرت المستقرات العمرانية ذاتية التشكيل في هيئة وحدات إستيطان متجاورة مع النمو الإشعاعي أو مع إستكمال حلقية النمو العمراني عموما . .

ومن جهة أخرى ، أثرت أنماط النمو العمراني وما إرتبط بها من أنساق تشكيلية للنسيج على التركيب الإنتفاعي للمدينة ، بالإضافة إلى تأثير كل من البيئة الطبيعية للموضع ، وعلاقة المدينة في إطار الموقع بخطوط الملاحة التجارية ، بالإضافة إلى دور المكعب العمراني على الأنماط الإقتصادية الإنتاجية للمجتمع ، ورسمت هذه المؤثرات مجتمعة الخريطة الإنتفاعية للمدينة خلال مرحلة إزدهارها حتى بداية القرن العشرين والتي تميزت بسمات معينة نبرز منها :

(1) تنقسم المدينة عمرانيا ـ إنتفاعيا ـ إلى تجمع سكني يشتمل على عدد من الأحياء القبلية لسكنى القبائل وتوابعهم ، ثم منطقة السوق بمؤسساته الإقتصادية والإنتاجية .
(2) تتمايز كل من منطقة السكن والسوق وتنفصل كل منهما عن الأخرى مكانيا وإنتفاعيا ، وإن كانت تجمعهما لغة واحدة لحرفة البناء والعمران .
(3) إرتبط السوق مكانياً بأهمية «الموقع» حيث خطوط الملاحة البحرية والمركز التجاري بالمنامة ، كما واكب ميلاده زمانيا مرحلة النمو الشريطي العمراني في إتجاه المنامة كنقطة جذب عمراني . . بينما إرتبط السكن مكانياً بأهمية «الموضع» وخصائصه الطبيعية . .



شكل رقم (63) التوزيع الانتفاعي لمدينة المحرق القبلية بين السوق والمسكن

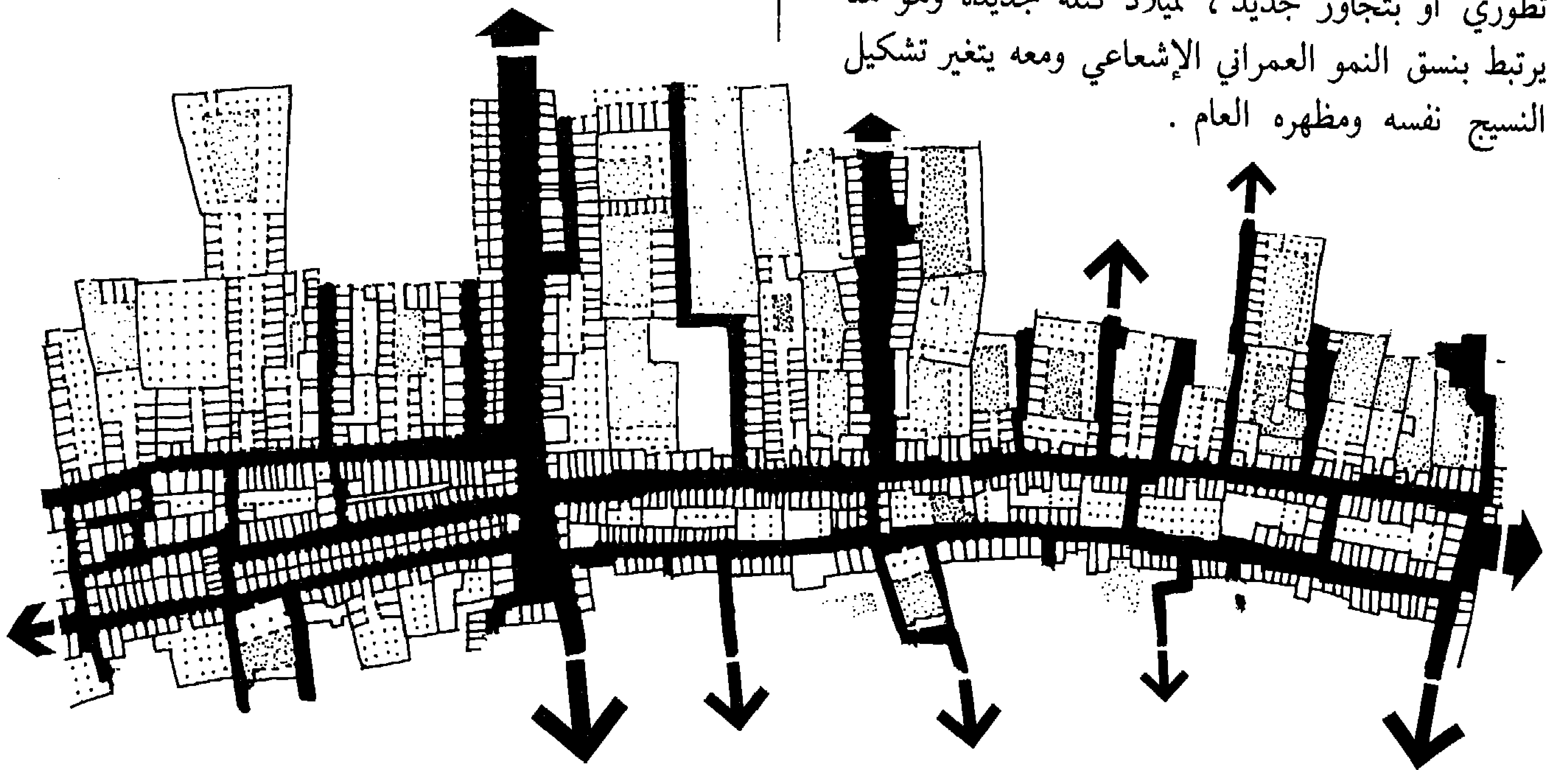
ومن هنا إنفصلت كتلة السكن عن كتلة السوق ، وإنفصلت كتلة السكن الإجتماعية السياسية . . عن كتلة السوق الإقتصادية السياسية ، وهما وإن كان يجمعهما

الجانب السياسي ، فإن الجانب الإجتماعي يبرز تأثيره على الكتلة السكنية أكثر من الجانب الإقتصادي ـ ونحدد هذا في البنية القبلية كأحد أبعاد الإستيطان الثلاثة ، وعلى العكس يبرز تأثير الجانب الإقتصادي على كتلة السوق من خلال البعد الآخر للإستيطان ـ القبلية الإقطاعية . . تتفتت كل من الكتلتين إلى وحدات عمرانية وبنائية أصغر تتخللها شبكات الفراغات وشرايين الحركة التي تربطها جميعا ضمن الكتلة الشاملة للمدينة .

وتتميز كتلة السوق بتشكيلاتها الخطية الطولية والمرتبطة في إطار النمو العمراني الشريطي ، حيث تمتد الوحدات الأساسية بأنماطها المختلفة حول حيز فراغي طولي مستمر بشكل شبه منتظم ، ولها إيقاع ثابت متميز بالبيئة المحلية والموروث الشعبي . . ويعتبر هذا النسيج إنفتاحيا بمعنى انه يسمح للنمو والإضافة المتتابعة طوليا في شكل فردي دون أن يفقد النسيج شخصيته أو يغير من نسق تشكيله العام . . ويوضح الشكل التفصيلي رقم (64) المتتابعة الخطية لسوق المحرق . .

بينما تتميز كتلة السكن بتشكيلاتها المركزية المقفولة على نفسها حيث الحوش السكني يتوسط الوحدة ، وتتجمع الوحدات في تكتلات متجاورة أو متداخلة يكون النسيج معها إنطوائيا لا يسمح للإضافة التراكمية إلا بشكل تطوري أو بتجاور جديد ، لميلاد كتلة جديدة وهو هنا يرتبط بنسق النمو العمراني الإشعاعي ومعه يتغير تشكيل النسيج نفسه ومظهره العام .

وهكذا تمايزت كتلة السوق عن كتلة السكن لمدينة المحرق حتى مرحلة إكتمال العمران (1810 – 1923) ، ولم تعرف المدينة خلال هذه الحقبات المؤسسات الإنتفاعية الإجتماعية المعاصرة : كالمدارس والخدمات الصحية أو المؤسسات الإدارية ، وإقتصرت الخريطة الإنتفاعية ـ بالإضافة إلى السكن والسوق ـ على المساجد والمؤسسات الدينية والمجالس القبلية . . أما سائر الإنتفاعات لم يكن لها كيانات عمرانية مستقلة . . وكما حددنا سابقا ، مثلت كل من المجالس والمساجد المراكز العمرانية الأساسية للأحياء السكنية وتتركب المجموعات العمرانية تلك من كتل متجاورة وتعتمد على البنية الإجتماعية الأساسية ، حيث يؤثر التكوين الإجتماعي والتركيب الطبقي على توزيع الكتل السكنية الجزئية ، وعلى أحجامها وتجاورها بدءا من مركز المدينة حيث الوحدة العمرانية الأساسية لسكن الحاكم وعائلته مع باقي حكام المقطاعات من شيوخ آل خليفة ، وتتدرج باقي الكتل مركزيا من القلب في إتجاه الخارج وإستمر هذا النسق العمراني مواكبا للبنية الإجتماعية التقليدية حتى النصف الأول من القرن العشرين . ولكن مع ظهور الطبقات الإجتماعية الحديثة تحللت البنية التقليدية الإجتماعية للمدينة ، وتفككت معها الكتلة السكنية الأساسية للمدينة في الحقبة المعاصرة .



شكل رقم (64) المتتابعة الخطية لفراغات سوق مدينة المحرق

والحركة داخل هذه الكتل السكنية وفيما بينها يتسم بالصعوبة النسبية بما يحقق نوعا من الخصوصية للقبيلة أو العشيرة المستوطنة للفريق ـ الحي السكني ، وهي بهذا فرضت نمطاً من الفراغات تتدرج حسب درجة الخصوصية كنسق عام . وجدير بالإشارة أن كتلة السوق على العكس تتسم بسهولة الحركة المباشرة داخلها أو من حولها بما يحقق العمومية للإنتفاع التجاري . . والتضاد بين نمطي الحركة من الأسباب المباشرة للفصل بين كتلتي المدينة . . السكن والسوق .

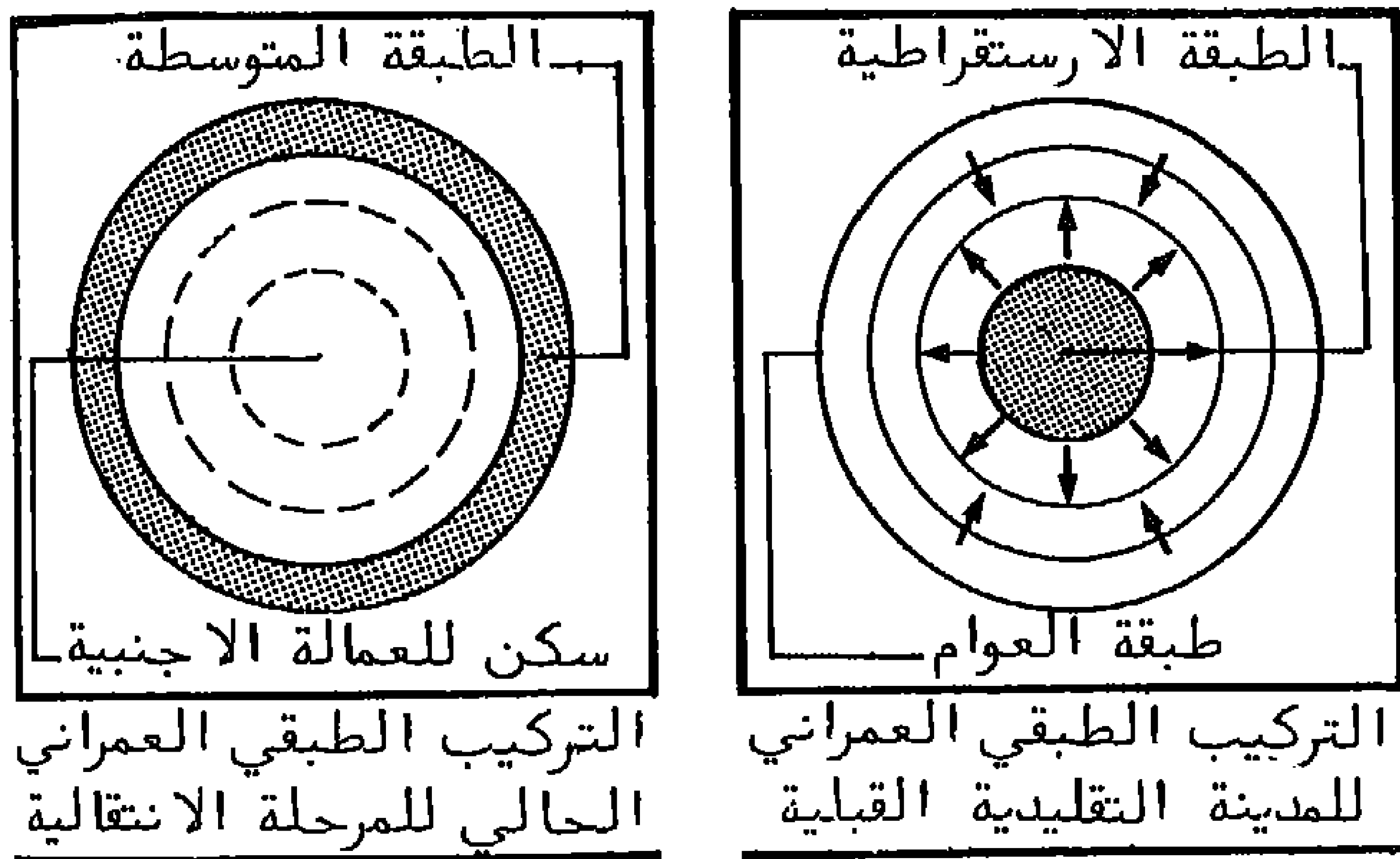
إستمر التركيب القبلي للكتلة السكنية بوحداتها الأساسية ومراكزها العمرانية حتى فترة الثلاثينات من هذا القرن بعد الإصلاحات الإدارية عام 1923الميلادية ، وعاشت بعدها المدينة مرحلتها الإنتقالية حتى الخمسينات ، حين ظهرت أنماط جديدة من الكتل السكنية المتهدلة أو المتفككة والتي لا تعبر عن بنية إجتماعية محددة ، وتطورت حتى وصلت في السبعينات إلى أنماط شاذة وغريبة تعاني من إنفصام وإزدواجية ، فهي لا تعبر عن البنية التقليدية أو عن التركيب الإجتماعي . . ولكنها في ذات الوقت تبرز فقط بعض الجوانب السلبية التي يعيشها المجتمع المحلي عموما ، من تفكك وتطلعات برجوازية وإستهلاكية وتغيب شبه كامل عن أي إنتماء . . فبعد أن كان الإنتماء القبلي حسب النسق السياسي الأول أحد سمات المجتمع التقليدي السابق ، أصبح اللا إنتماء هو ـ غالبا ـ طبيعة بعض طبقات المجتمع الحديث المعاصر . . وزا من هذا فقدان المدينة أنماطها الإقتصادية ـ القبلية الإقطاعية ، وظهرت أنماط جديدة ـ فرضت تغييرات عامة لم تواكبها المدينة وخاصة مؤسساتها الإقتصادية المتمثلة في السوق وعناصره لأنها حدثت خارج المجتمع وفرضت عليه ولم تكن نتاج تفاعل طبيعي تلقائي للمجتمع والبيئة . .

وهكذا فإنه يمكن تصنيف الكتلة العمرانية المشكلة لمدينة المحرق خلال مراحل نموها وتطورها الخمسة إلى ثلاثة أنماط رئيسية :

(1) المدينة القبلية بكتلتها السكنية الأساسية (الفرق) وكتلة السوق .
(2) تجمعات عمرانية سكنية إنتقالية .
(3) تجمعات سكنية ـ برجوازية . .

يلاحظ تغيير التركيب الطبقي الإجتماعي العمراني لمدينة المحرق خلال المرحلة الإنتقالية وما بعدها (1923 – 1971) حيث حدثت هجرات فردية وشبه جماعية ، أو جماعية أحيانا للتجمعات القبلية من المستقرات قلب المدينة التقليدية إلى التجمعات السكنية الحديثة خارج المدينة أو حولها وواكب هذا حركتان هما :

(1) حركة الإستيطان الجديدة حول المدينة القديمة من قبل الطبقات الإجتماعية المستحدثة ، خاصة الطبقات المتوسطة بتطلعاتها البرجوازية .
(2) حركة إحلال وهجرة معاكسة من العمالة الأجنبية لإستيطان قلب المدينة بعد هجرتها من مستوطنيها الأصليين .

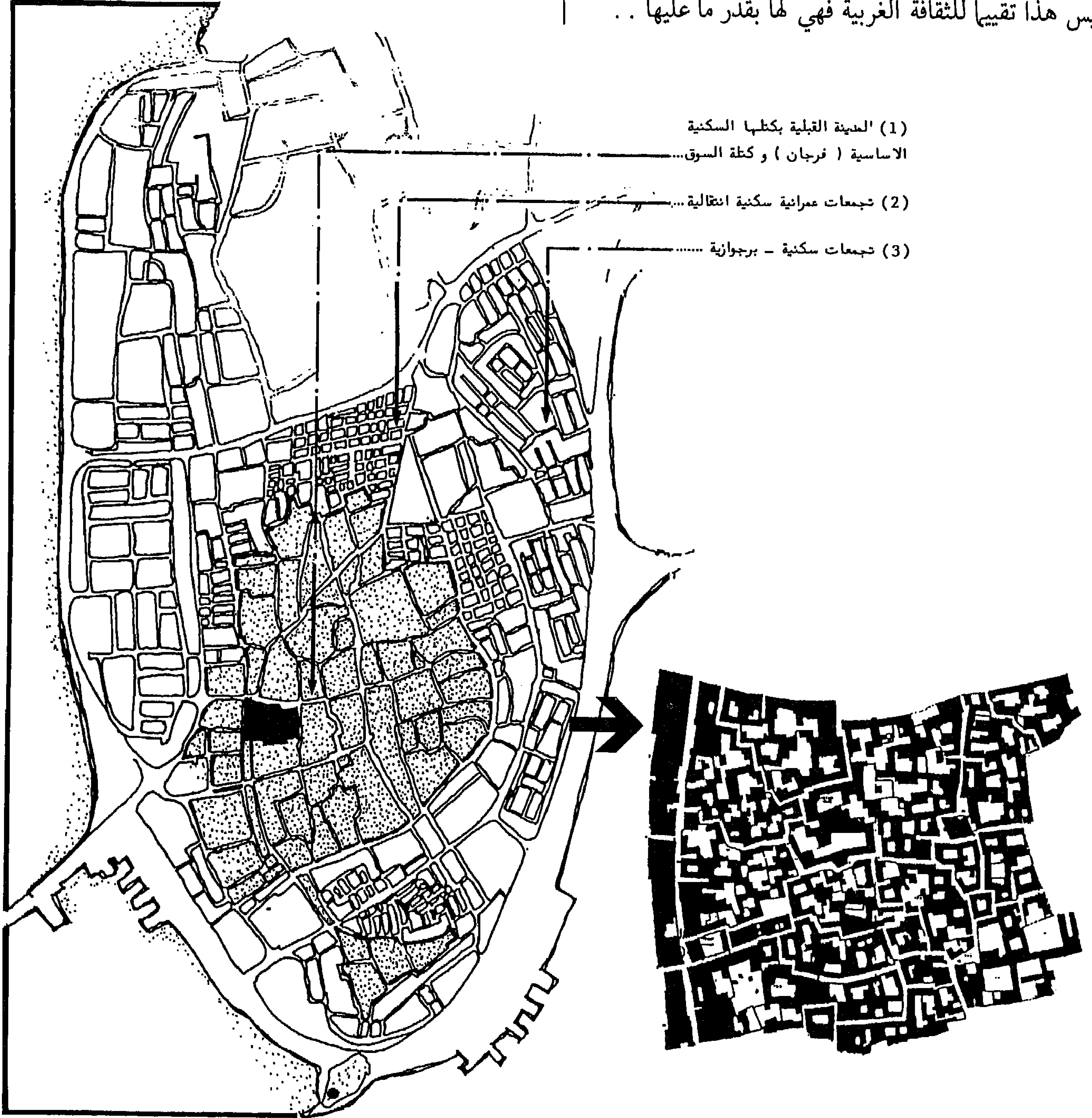


التركيب الطبقي العمراني للمدينة التقليدية القبلية — التركيب الطبقي العمراني الحالي للمرحلة الانتقالية

وبذلك تغير التركيب الطبقي الإجتماعي ، بعد أن كانت الطبقات تتدرج من الأرستقراطية القبلية إلى العوام ، من قلب المدينة ومركزها إلى الخارج بشكل حلقي ، تغير التدرج وأصبح التركيب الإجتماعي العمراني الطبقي في مجالين حلقيين : الخارجي للطبقة المتوسطة الوطنية والداخلي لطبقة العوام من العمالة الأجنبية في الغالب ـ وهي في إزدياد مضطرد ـ كما واكب هذا التغيير الإجتماعي العمراني للمدينة ، تغييرا ثقافيا وحضاريا للإنسان ، حيث أصبحت ثقافة المظهر ـ إن صح التعبير ـ هي النمط السائد وصار التعبير من الداخل إلى الخارج ، تعبير خارجياً فقط . . من الباطن إلى الظاهر ، إلى الظاهر . . من الجوهر إلى الصدف ، إلى الصدف . . وهنا يتطابق الحادث للعمران مع هذه الأنساق الحضارية الحديثة بعد أن كان توجه العمران من القلب إلى الأطراف والسواحل ، تحول العمران إلى صدف خارجي يحمل في طياته المظهرية والإستهلاكية والتبعية . . ففي شموليته هو صدف خارجي للمدينة بلا عمق حقيقي ، وفي ذاتيته هو

مظهر ـ قد يكون جميلاً أحيانا ـ لكن بلا جوهر . . .
وهكذا دخلت المدينة التقليدية حلقة التغريب المباشر أو غير المباشر مع كافة جوانب المجتمع الأخرى . . وعملية التغريب هذه كان لها مبرراتها ومسبباتها من إستعمار أو إحتكارات أجنبية سابقاً ، ولكن ليس لها ما يبررها في العصر الحديث والحقبة المعاصرة سوى فقدان الإنسان هويته وإنبهاره بحضارات وثقافات غربية خارجة عنه ، وليس هذا تقييما للثقافة الغربية فهي لها بقدر ما عليها . .

ولكن ما نقصده هنا هو تفنيد ملاءمة هذه الثقافة بكل جوانبها للمجتمع . . الثقافة هنا غربية ، والمجتمع هنا شرقي . . وهذا المزيج المعاصر يتجسد فيما أفرزه ويفرزه المجتمع المحلي من تجمعات عمرانية أقل ما نصفها به أنها ليس لها نسيجا عمرانيا متماسك ومحدد المعالم ، ولا يمكن تصنيفها في إطار يقبله العقل ، أو يستسيغه الذوق ، أو يرضى عنه الضمير . .




شكل رقم (65) الأنماط الأساسية للكتلة العمرانية لمدينة المحرق

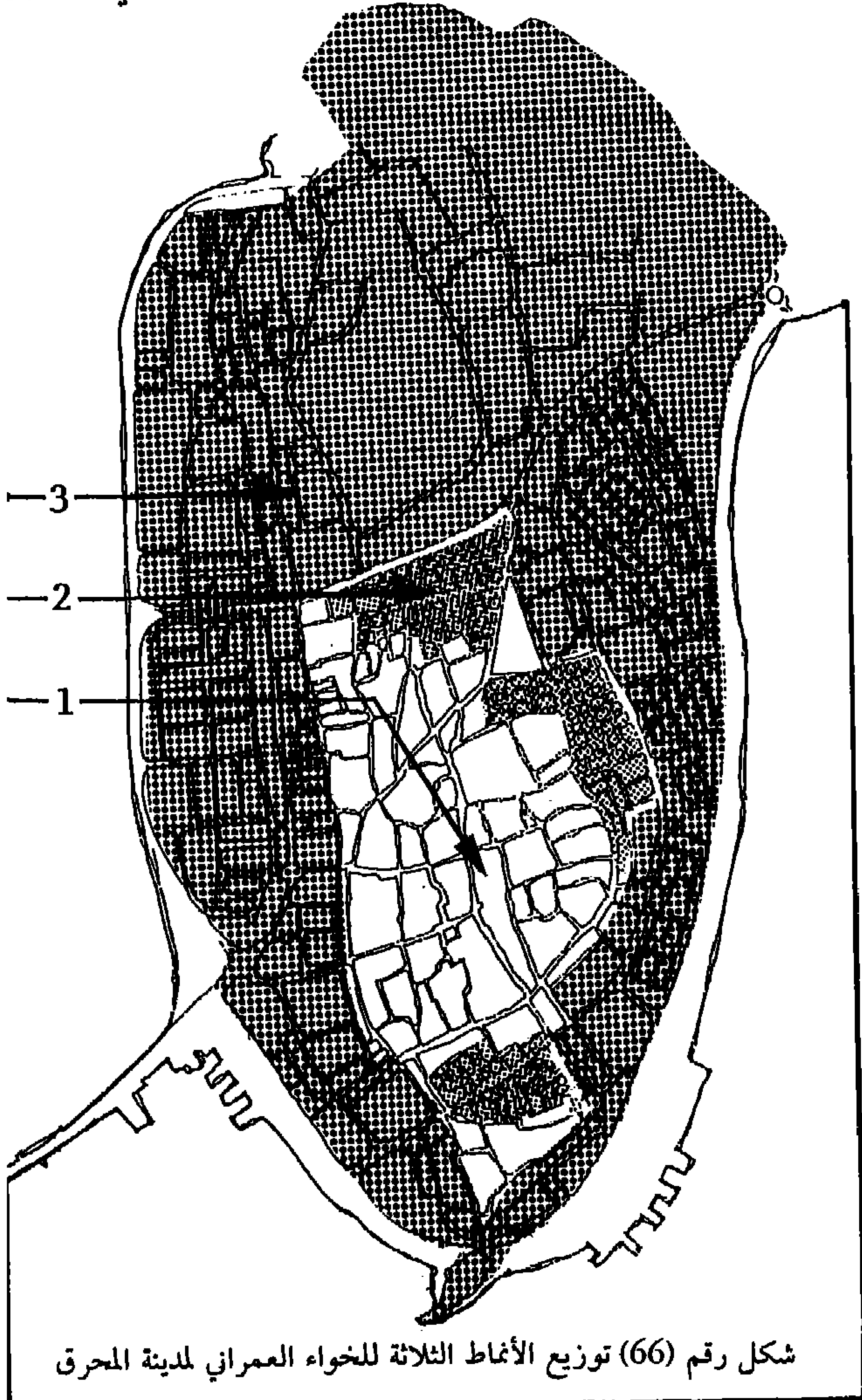
**الخيط الثاني ـ الخواء :**

يشكل الخواء القطب الآخر للنسيج العمراني ، وهو الذي يغذي كتلة المدينة بالطاقة المادية كشرايين للحركة ، أو بالطاقة الوجدانية كفراغات تتوازن مع الكتلة ، ولم تعرف عموماً مدينة المحرق التقليدية خلال القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين الفراغات كساحات داخل كيانات المدينة بالمفهوم المتعارف عليه اليوم ، ويرجع ذلك إلى التلاحم والتداخل بين الكتل السكنية مع المحافظة على ذاتية كل فريق سكني حسب النسق السياسي السابع بإعتبار كل فريق وحدة عمرانية مستقلة ، ورغم ذلك نستشهد ببعض الروايات التاريخية على أن الشيخ عيسى بن علي حاكم الجزر كان له مجلساً خارجياً عبارة عن ساحة مفتوحة في مواجهة مسكنه ، ولكن من المرجح أنه لم يتكرر هذا النمط كنسق عام للمجالس القبلية الأخرى للمدينة ، بل عرفت المدينة الخواء للنسيج من خلال شبكة الفراغات الطولية الخطية التي تتقبل وجود بعض الفراغات المركزية ، ولكن بإعتبارها عقد متواترة على طول الفراغات الخطية هذه ، والتي تستوعب أنماط الحركة بإيقاعاتها الإنسانية ، حيث كانت النمط الوحيد للحركة المحلية داخل المدينة التقليدية وبين إنتفاعاتها ، ومن ثم كانت حركة الإنسان وتواترها هي المؤثر الأساسي على الأنماط العمرانية وإيقاعاتها من جهة ، وعلى المقياس العمراني ، من جهة أخرى .

إستمرت تلك الإيقاعات الإنسانية مع المدينة التقليدية حتى المرحلة الإنتقالية للنمو العمراني ، والتحولات الحادثة في المنظمات الإقتصادية ومؤسساتها نحو الرأسمالية القبلية ، وما تحمله من سمات معينة للملكية الخاصة في مقابل الملكية العامة ترسخت في وجدان الفرد والمجتمع ولقد تطلب هذا إستحداث مؤسسة إدارية خاصة ضمن الإصلاحات الإدارية في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن وذلك لتسجيل الملكيات ـ دائرة الطابو ـ هذا بالإضافة إلى التغييرات التي زامنت هذا التحول في سائر جوانب الإستيطان خاصة الجوانب الاجتماعية ، حيث تغيرت البنية الإجتماعية وطبيعة الجوار وظهرت الطبقات الإجتماعية الجديدة بمفاهيم وثقافات تختلف مع القديم والموروث الإجتماعي . . كل هذا أدى إلى ظهور أنماط جديدة من الفراغات يتشكل بها القطب السالب للنسيج العمراني في مرحلة (1923 – 1971) ، وفقد هنا النسيج العمراني الإيقاعات الإنسانية المحددة والمشكلة للفراغات وتدرجها ، ودخلت السيارة إلى الحياة العامة للمجتمع المحلي وتحكمت الإيقاعات وأنماط الحركة الآلية في تشكيل الفراغات الخارجية ، كما تحكمت التغييرات الجديدة في البناء الإجتماعي والإقتصادي من قبل في تشكيل الفراغات الداخلية . .

وبالطبع تزامن تغيير القطب السالب للنسيج ـ الخواء مع تلك التغييرات الحادثة للقطب الموجب ـ الكتلة وتكاملا معاً وبالتالي فإنه يمكن عند تصنيف الخواء من هذا النسيج خلال مراحل النمو العمراني للمدينة إتباع نفس التصنيف السابق للكتلة العمرانية ، فهنا ثلاثة أنماط من الخواء كما إن هناك ثلاثة أنماط للكتلة ، ونحددها كما يلي :

(1) مدينة قبلية تتخللها الفراغات الإنسانية متدرجة في مستويات حسية وإجتماعية (التنظيم العضوي) .
(2) تجمعات عمرانية سكنية تقسمها ممرات للحركة الآلية بإيقاع منتظم شبكي (التنظيم الهندسي) .
(3) تجمعات سكنية حديثة ذات تخطيط مادي مسبق



شكل رقم (66) توزيع الأنماط الثلاثة للخواء العمراني لمدينة المحرق

للتشكيل الفراغي (التنظيم التخطيطي) .

وهكذا ، حيث أن الإنسان هو المؤثر الأساسي في تشكيل الفراغات للمدينة القبلية التقليدية (1810 – 1923) فقد كانت الأبعاد الوجدانية للإنسان في هذا النسيج هي الأساس لتدرج الفراغات في مستويات حسية حسب خصوصيتها للإنسان نفسه ودائرة نفوذه داخل البناء الإجتماعي والإنتفاعي والعمراني للمدينة والمجتمع ، ونحدد مستويات شبكة الفراغات للمدينة التقليدية في أربع مستويات أساسية كما يلي :

الخواء في النسيج:
- فراغات خارجية:
  - (1) العام
  - (2) شبه العام
- فراغات داخلية:
  - (3) شبه خاص
  - (4) الخاص

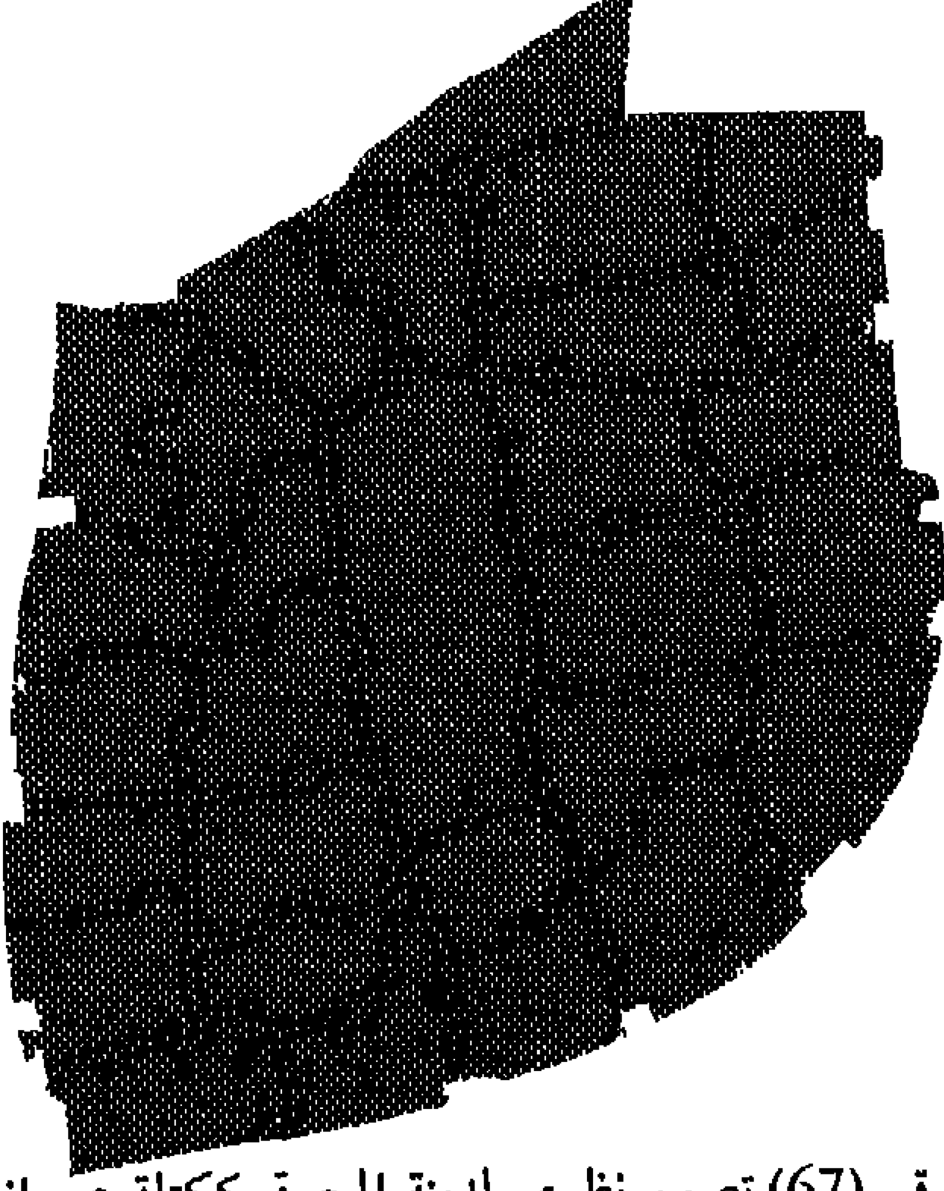
وقبل أن نتعرض إلى تشكيل هذه الشبكة في النسيج العمراني وتدرجها الإنساني من العام إلى الخاص بشكل شمولي ، يتحتم وضع بعض الأسس العمرانية لتصنيف المستويات الأربعة كما هو موضح في الجدولة رقم ( 5 ) .

جدول رقم (5) الأسس العمرانية لتصنيف مستويات شبكة الفراغات للمدينة التقليدية

| المستوى العام | المستوى شبه العام | المستوى شبه الخاص | المستوى الخاص |
|---|---|---|---|
| تخترق كتلة المدينة بين نقطتين هامتين لهما صفة العمومية الإجتماعية والعمرانية . | تقسم الكتلة العمرانية إلى كتل جزئية لكل منها تركيبه العمراني الذاتي . | تتخلل إحدى الكتل الجزئية لكيانات عمران المدينة . | تقع ضمن حدود تلك الوحدات الأساسية لكتل المدينة . |
| تقوم على جانبيها مؤسسات عمرانية عامة أو عند مداخلها ومخارجها . | تمتد على جانبيها وحدات إنتفاعية ترتبط بالإستعمالات العامة والخاصة . | تصل لمداخل الوحدات السكنية منفردة ومجمعة . | تفتح عليها داخليا عناصر الوحدات . |
| تأخذ غالبا الإتجاه الخطي ويسهل فيها الحركة لإستقامتها . | تأخذ الإتجاه الطولي مع إمكانية الإنحناءات المتتابعة ولكن يسهل بها الحركة . | تتفاوت بين الاتجاه الطولي المستقيم وبين المنحنى مرة أو مرتين حسب الخصوصية . | غالبا مركزية يصعب الوصول إليها خارجيا بينما يسهل الحركة إليها داخليا . |
| نقط الدخول والخروج مباشرة ومحددة | نقط الدخول والخروج غير مباشرة أحيانا . | تتفرع عند نقط محددة من المستوى شبه العام وغير مباشرة . | مفتوحة ولكن نقط إتصالها محكومة وغير مباشرة . |
| شرايين دائما نافذة . | ممرات أحيانا نافذة . | ممرات غير نافذة . | أحواش مركزية . |
| ليس لها بوابات أو مداخل . | ليس لها بوابات أو مداخل . | ممكن أن يكون لها بوابات وليس لها مداخل . | يتحتم أن يكون لها بوابات ومداخل . |
| إيقاعات الحركة سريعة . | إيقاعات الحركة متوسطة . | إيقاعات الحركة بطيئة جدا . | مناطق سكون لحظي . |
| الحركة المتواترة بها خارجية على مستوى المدينة | الحركة المتواترة بها خارجية على مستوى الكتل العمرانية . | الحركة المتواترة بها داخلية للكتلة العمرانية الأساسية . | الحركة المتواترة بها داخلية خاصة بالوحدة السكنية . |
| مجال الرؤية البصرية مفتوحة دائما ومنظورها الحسي محدد المعالم . | مجال الرؤية البصرية مقفولة ومنظورها الحسي خيالي دائم التغير . | ليس لمجال الرؤية أية أهمية وهو شبه معدوم . | منفصلة تماما ومحجوبة عن مجالات الرؤية البصرية الخارجية ـ مفتوحة داخليا . |

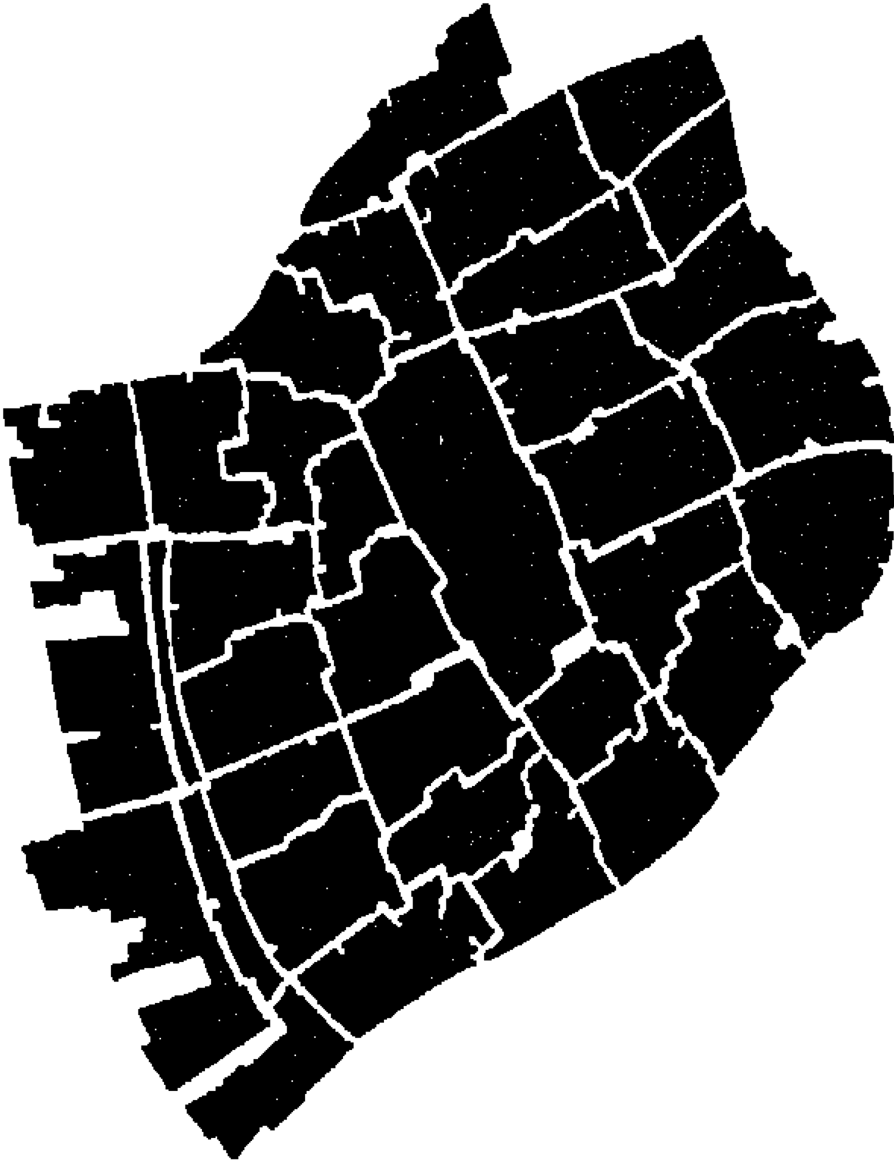
من هذه الأسس يمكن تصور النسيج العمراني لمدينة المحرق القبلية في خمس درجات تصورية كما يلي :

(1) المدينة كتلة متلاحمة لا يتخللها أي فراغات وهذا التصور النظري يعكس الأحساس النفسي لتشكيل المدينة في منظورها الخارجي الإقليمي أو حتى المنظور الكوني .



شكل رقم (67) تصور نظري لمدينة المحرق ككتلة عمرانية متلاحمة

(2) المدينة تتركب من كتل عمرانية تتوازن معها شبكة من الفراغات العامة .



شكل رقم (68) الكتل العمرانية وشبكة الفراغات العامة لمدينة المحرق القبلية

(3) تتفتت المدينة إلى وحداتها العمرانية وشبكات الفراغات الخارجية ، ويبرز هذا التصور الشكل المادي الحقيقي لنسيج المدينة بقطبيه الكتلة والخواء .





شكل رقم (69) الوحدات العمرانية وشبكات الفراغات الخارجية لمدينة المحرق القبلية


(4) تتخلل المدينة شبكات الفراغات شبه الخاصة التي تخترق كتل العمران في المدينة لتحدد المستوى التفصيلي للنسيج العمراني .

(5) الصورة الكاملة لعمران المدينة ونسيجها بكل تفاصيله من المستوى العام إلى المستوى الخاص للخواء من النسيج ، ومن المستوى الشمولي إلى المستوى التفصيلي الأساسي للكتلة من هذا النسيج .



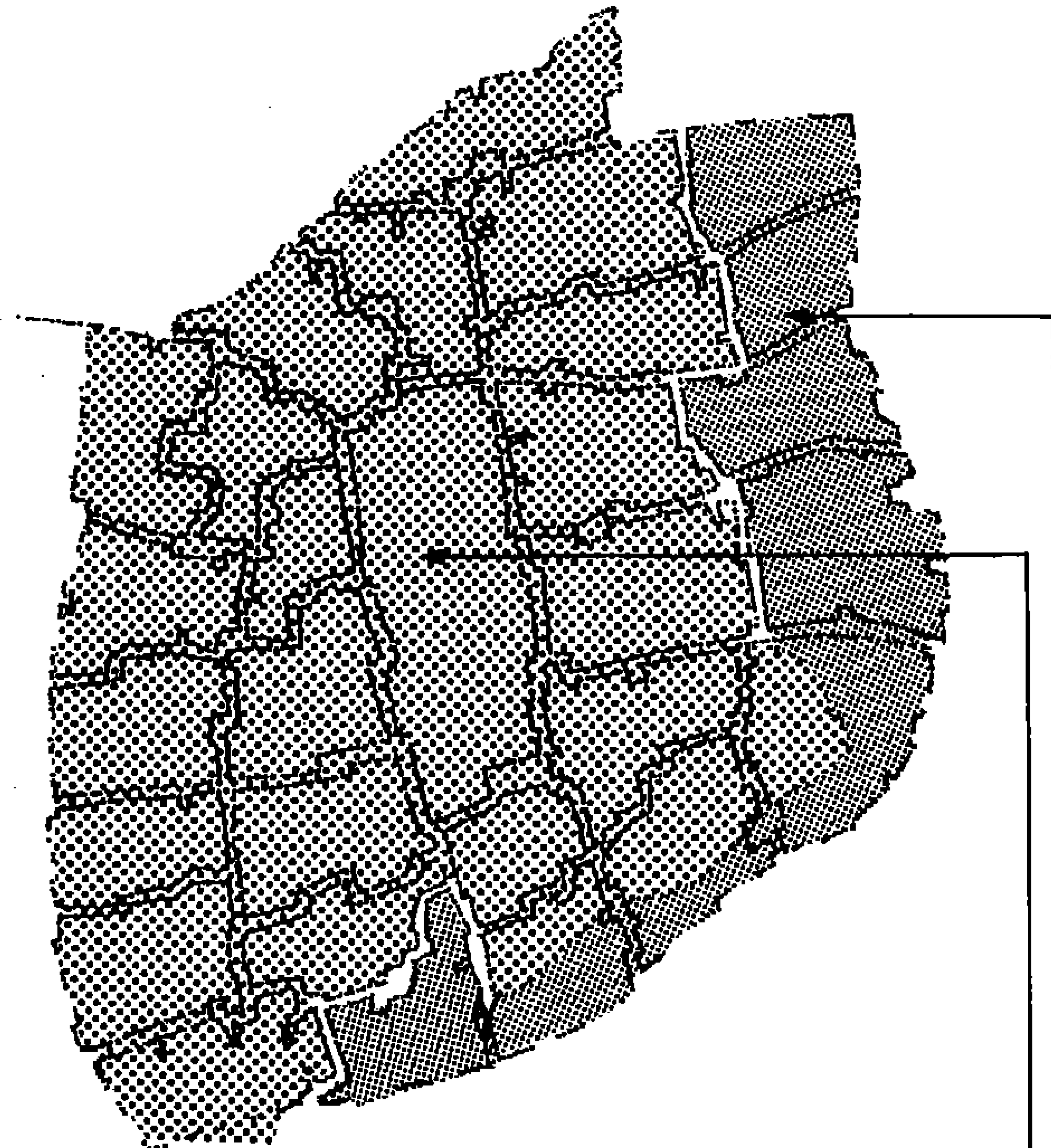
شكل رقم (70) صورة لعمران مدينة المحرق القبلية

من إستقراء الخيوط الأساسية للخواء بالنسيج العمراني للمدينة القبلية يمكن أن نقرر إرتباط هذه الخيوط بالمكعب العمراني والأنساق المختلفة المشكلة له ، وخاصة الجانب الإجتماعي منه ، حيث أثرت البنية القبلية على طبيعة تفتيت الكتلة وما يتخللها من الفراغات بمستوياتها المختلفة ، فالنظام الإجتماعي ـ النسق الإجتماعي الثاني والنسق الإجتماعي الثالث ـ حددا العلاقة بين الكتلة العمرانية الأساسية المتمثلة في الفريق ، وبين الخواء وتدرجه من الشبكة الفراغية العامة المحددة لهذه الكتلة والفاصلة بين الكتل المتجاورة إلى الشبكة الفرعية شبه العامة ثم الشبكة شبه الخاصة . . كما أثر النسق الإجتماعي الخامس ـ الأسرة الممتدة ـ من جهة أخرى على توزيع الفراغات الداخلية الخاصة . . ونظراً لتكامل هذه الأنساق مع بعضها البعض حافظت مدينة المحرق على التوازن النوعي والكمي لشبكات الفراغات كخيوط أساسية للنسيج بشكل عام تلقائيا وإستمر هذا حتى مرحلة إكتمال العمران والإستيطان (1810 – 1923) بينما أفرزت المدينة في مرحلتها الإنتقالية للنمو العمراني (1923 – 1951) ـ حسب المنحنى التطوري لعمران وإستيطان المدينة أفرزت نسيجا للتجمعات العمرانية السكنية لا تتوازن فيه الكتلة مع الخواء ، ولا يتوازن فيه نمط الحركة الإنسانية بجوانبها الحسية والوجدانية مع الحركة الآلية . . وظهر عندئذ التنظينم العمراني التربيعي الحديث من فراغات خارجية وشبه خارجية لكل وحدة عمرانية ، وزاد هذا التوجه بشكل مضطرد في المرحلة اللاحقة من الخمسينات والستينات من هذا القرن وإستمر حتى الآن وإن إكتسب سمة علمية في التخطيط المسبق لمناطق التجمعات السكنية حول المدينة التقليدية . . وتغيرت الإيقاعات التقليدية فتخلت المدينة عن النسق العمراني للتدرج الإنساني الحسي للفراغات من العام إلى الخاص لتحل محله تدرجات هرمية تخضع لأبعاد لا إنسانية ـ آلية ـ تحكمت في النسيج العمراني وتشكيلاته دون أية إعتبار للإنسان والمجتمع أو حتى للبيئة .



إنتظم عمران مدينة المحرق التقليدية كمدينة قبلية بالأبعاد الثلاثة للإستيطان : التنظيم القبلي، القبلية الأقطاعية، البيئة القبلية ـ ولقد أثرت هذه الأبعاد على تركيب المدينة ونسيجها العمراني كما وضحنا في الفصل السابق، وبرز هذا التأثير خاصة في مرحلة إكتمال العمران مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . . حيث كان الفريق السكني الوحدة العمرانية الأساسية للمدينة، تجاورت هذه الوحدات كبناء عمراني وإجتماعي قبلي وتوالدت في تركيبها من الوحدة الأساسية الأم في قلب المدينة في تتابع مركزي متدرج حسب مكانة وسلطة كل قبيلة سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً . . ويشير لوريمر في كتابه دليل الخليج إلى التركيب القبلي لمدينة المحرق حيث تتكون من 18 قبيلة يسكنون المدينة في حوالى 15 – 16 فريق سكنى قبلي ، بالإضافة إلى مساكن المجتمع غير القبلي وقام عمران أحيائهم السكنية على بنية طائفية أو مذهبية أو حرفية معينة وإختلفت جزئياً هذه عن التجمعات القبلية إجتماعياً ، حسب النسق الأجتماعي الثالث . .

وتبرز الخريطة التصورية شكل رقم (72) توزيع هذه القبائل وطبيعة تقسيم عمران المدينة إلى وحداته الأساسية من فرق قبلية وتجمعات سكانية. وتمثل هذه الفرق الأرستقراطية القبلية التى سكنت المدينة في تركيب طبقي ، وسيطرت على تجارة اللؤلؤ وصناعته وتمتعت كل قبيلة إقتصادياً بإستقلال ذاتي في إدارة شئونها تحت سلطة زعيمها وشيخها ، ويساعده مجلس مؤلف من رجالات القبيلة القربين وذوى السلطة الإجتماعية ، وأفرز هذا تجمعاً عمرانياً له إستقلالية ذاتية عن باقي التجمعات المتجاورة ، ولكنها إرتبطت جميعاً في مصالح أقتصادية مشتركة وولاء سياسي متبادل حسب النسق السياسي السابع والذي يؤكد على ذاتية الفريق السكنى كوحدة عمرانية أساسية، وتداخلت هذه الوحدات في علاقة جوار عمراني أدت إلى ظهور مناطق مشتركة وأحياناً متداخلة ، ويبدو أن خطوط الفصل العمراني بين الفرق السكنية كانت مناطق محايدة سُمح بالنمو الإستيطاني فيها لكل قبيلة حسب سلطتها ونفوذها من جهة وعدد أفرادها من جهة أخرى بما أدى إلى توازن نسبي لتوزيع السكان في المدينة مع الأرض . .



شكل رقم (72) خريطة تصورية لتوزيع الفرق السكنية والتركيب الاجتماعي

ويمكن تحليل التركيب المادي للفريق السكنى ، على أساس عضوي مركزي يبدأ من بؤرة أساسية مركزية هي سكن شيخ القبيلة ومجلسه القبلي وأحياناً المسجد للصلاة اليومية ، وتلك النواة الإجتماعية السياسية كانت البؤرة الأساسية لعمران المدينة، وتتشعب مستقرات القبيلة

ومساكنها من المركز وبتشكيل غالبا ما يكون شبه حلقي في مناطق النفوذ حسب مكانة أفراد القبيلة وأحياناً حسب صلة الدم والقرابة المباشرة مع شيخ القبيلة.[1]

وهكذا فهناك تركيب حلقي على كافة المستويات :

(1) مدينة المحرق حلقية التشكيل ، وحافظت خلال مراحل نموها المتواتر على طبيعة التشكيل الحلقي هذا.

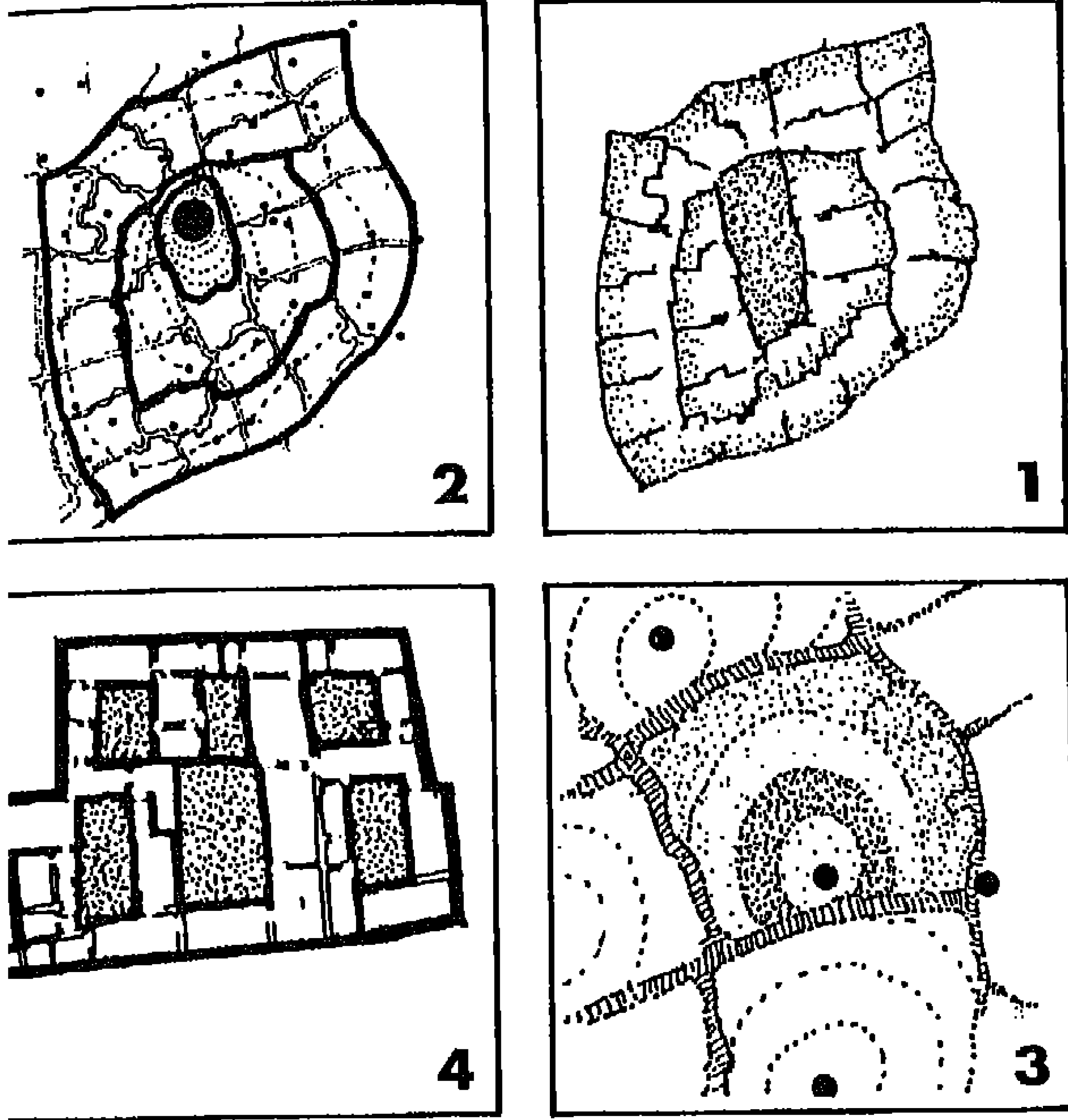
(2) رسمت المجالس القبلية للمدينة خطوطاً ·إفتراضية لتركيب شبه حلقي حول البؤرة المركزية المكونة من مجلس الحاكم والمسجد الجامع. . وتتابع المجالس في هذه الحلقية حسب نفوذ وسلطة القبيلة ومكانة زعيمها وعلاقته بالسلطة الحاكمة.

(3) في الفريق السكني كان المجلس القبلي والمسجد يشكلان المركز العمراني لنمو حلقي مركزي في مجالات سكنية حسب المكانة الإجتماعية والقبلية للعشيرة والأفراد.

(4) داخل الوحدة السكنية كان الحوش هو مركز الحركة الحلقية لباقي الفراغات من حوله في تشكيل غالبا ما يكون حلقي مقفول على نفسه. .

وهكذا فإن التركيب الحلقي للكيانات في مدينة المحرق يعتبر نسقاً عمرانياً عاماً يظهر على مستويات المدينة الأربع الرئيسية. وقد سبق دراسة وتحليل المستويين الأول والثاني في فصول سابقة بينما سنتعرض هنا بالتحليل للمتسويين الثالث والرابع. .

كانت المجالس القبلية نقطة جذب للمجتمع والأفراد حيث تتخذ القرارات التى تهتم بإدارة الموارد الإقتصادية أكثر من إهتمامها بشئون الناس الشخصية والإجتماعية ، هذه الأمور التى كانت تعتبر جزئيا من أختصاص الفقهاء والدينيين ، ومن هنا كانت حتمية الجوار بين المجالس القبلية والمساجد لتكتمل للنواة العمرانية المركزية بعديها الإجتماعي والسياسي لكل قبيلة ، وبالتالي للفريق السكني ، ولتتحقق بذلك إستقلالية القبيلة والفريق وذاتيهما. . وليس معنى التجاور بين المجلس والمسجد هو التداخل أو الإندماج ولكن كان هناك ـ دوماً ـ فصل إنتفاعي وبالتالي عمراني بينهما. . وعموماً، تستعمل كلمة مجلس في المجتمع المحلي




شكل رقم (73) التركيب الحلقي للمستويات العمرانية الأربعة

للدلالة على الغرفة الواسعة الأرجاء حيث يجلس الضيوف تعقد الإجتماعات الرسمية، كما تعنى الكلمة أيضا مجموع الرجال الذين يشاركون معا في مثل هذه الأجتماعات. والمجالس القبلية عرفت في مدينة المحرق من خلال نمطي أساسيين هما :

(1) نمط المجالس القبلية الخارجية المنفصلة عن سكن شي القبيلة وتقع في كيان مستقل خارج السكن ولكن عل علاقة مكانية مباشرة مع نفس المسكن. . وفي هذ الحالة عرفت مجالس الخاصة ضمن كتلة المسكر وإقتصرت في إستعمالها على المقربين.

(2) نمط المجالس القبلية الداخلية المرتبطة أو المتداخلة مع كيانات وكتلة مسكن شيخ القبيلة.

أى أن أنماط المجالس القبلية خضعت إلى تصنيف عا يرتبط بدرجة الخصوصية والمستعملين ودرجة أهمية الحدث نفسه بالنسبة للقبيلة أو الأسرة والعشيرة، فالمجالس

(1) ستركز الدراسة خلال هذا الفصل إلى السكن ضمن خدود المدينة التقليدية والتى إستمرت خلال المراحل الثلاثة من نمو العمران والإستيطان (1810 – 1928)



شكل رقم (74) صورة مجلس خارجي في منتصف العشرينات

الخارجية تتمتع غالباً بدرجة خصوصية أقل من تلك التى تتمتع بها المجالس الداخلية، وعموماً فأهمية المجالس وأنماطها إختلفت وفقاً لمنزلة القبيلة ، ومن هذا المنطلق كان مجلس الحاكم ومجالس شيوخ آل خليفة الآخرين من حكام المقاطعات تمثل المرتبة الأولى في المدينة سياسياً وإجتماعياً وبالتالي عمرانياً، حيث أرتبط مجلس الحاكم مكانياً بقصره ـ محل سكنه ـ وبالمسجد الجامع ، ولقد إندثر هذا المجلس الخارجي ، ولكن نستدل عليه من كتابات الرحالة والروايات التاريخية التى تصفه بأنه ساحة مفتوحة وفي صدرها مكان الشيخ ومقربيه، وبالإضافة إلى هذا المجلس كان هناك المجلس الخاص للشيخ ومعاونيه ومستشاريه لدراسة الشئون الهامة في إدارة الجزر، ويقع في مسكنه الخاص وهذا ما فرضه التنظيم القبلي «النسق السياسي الرابع».

ويعكس التركيب العمراني للفريق السكني النسق التقليدي العام للخصوصية، والنسيج التفصيلي يماثل النسيج العمراني للمستوى الشمولي للمدينة في كل من الكتلة والخواء كقطبين لهذا النسيج ، يتكاملان في ترجمة الأنساق المختلفة للجوانب الثلاثة للمكعب العمراني ، وخاصة الجانبين السياسي والإجتماعي حيث النظام الإجتماعي القائم على الرباط القبلي حسب النسق السياسي الأول والنسق الإجتماعي الثاني إن ولاء الفرد لقبيلته التى تحمل له نفس الولاء. . ووحدة القبيلة وتضامنها وتكافلها وولاء أفرادها كلها دعامات للحياة الإجتماعية ، وهي نفسها الأساس لتشكيل الفريق السكني القبلي كوحدة متضامنة مترابطة،وفي نفس الوقت تمتع الأفراد في حياتهم الخاصة ضمن هذا النظام الإجتماعي بحرية شخصية مطلقة من القيود أعطى للفريق السكني التنوع أو التغير بين الوحدات الذاتية ـ السكن ـ ولكن في حدود مقننة قائمة على الأعتداد بلغة عمرانية مشتركة ، أصبحت ميراث يكون قانوناً عرفياً يخضع له جميع أفراد القبيلة. . بل وتعدى القبيلة والفريق السكني الواحد ، ليشكل قانوناً عمرانياً عاماً خضعت له كل كيانات مدينة المحرق القبلية. .

وجدير بالإشارة هنا أن التغيير الإقتصادي والسياسي الإداري، خلال المرحلة الإنتقالية لعمران المدينة (1923 – 1951) وبالتالي التغير الإجتماعي، أدى كل هذا إلى التغيير المعيشي والثقافي، وتغيير الدور الذي كان يلعبه الفريق السكني في المدينة القبلية ـ المحرق ـ ومما ساعد على سرعة التغيير حينئذ أن الدولة الوليدة ـ بتركيبها الحديث ـ أصبحت لديها الأمكانيات والمؤسسات المتخصصة، وأخذت على عاتقها مسئولية تأدية الخدمات الإجتماعية بأنماطها وأنواعها المختلفة، وبالتالي فقد الفريق السكني القبلي هذا الدور الإجتماعي كما فقد من قبل دوره السياسي الإقتصادي، ولم يبق له بعد هذا سوى الوظيفة السكنية المحدودة والمرتبطة بمفهوم الإيواء وليس العمران بمفهومه الشامل. . وكان من الصعب ترسيخ نفس الدور أو دوراً بديلاً لتلك التجمعات السكنية الجديدة سواء التجمعات

الأنتقالية التى ظهرت في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن، أو تلك التجمعات البرجوازية التى ظهرت بعد ذلك في الستينات والسبعينات وأستمرت حتى اليوم. . إنه من الصعب أن تحل هذه بدورها المحدود مكان المدينة القبلية التقليدية بقانوها العمراني ولغتها المتوارثة وعمرانها الشمولي التى عاشت بها ما يزيد عن القرن من الزمان.

وقد تكونت كتلة النسيج العمراني للفريق السكني في المدينة القبلية التقليدية من مجموعات من المساكن تتداخل أحياناً مع بعضها وتتجاوز أحياناً أخرى ، وهي في تداخلها وتجاورها تحوي الفراغات الخاصة وشبه الخاصة بينما تخترقها شبكة الفراغات شبه العامة والعامة ـ أحيانا ـ لتكون الوصلة العمرانية بين الفريق السكنى وسائر مناطق وكتل المدينة. .

شكل رقم (75) صورة جوية توضح النسيج العمراني للفريق السكني بالمحرق



وهكذا عرفت المدينة نماذجاً لمجموعات سكنية ، تعبر عن التقسيم العشائرى للقبيلة حسب النسق الإجتماعي الثاني الذي تكون فيه الأسرة الممتدة - أصغر وحداته القرابية - وعندها تتكامل الجوانب الأجتماعية مع الجواب الإقتصادية والسياسية في تركيب واحد متجانس يتجسد في هذه المجموعات السكنية أو حتى في الوحدات السكنية . .

والمجموعة السكنية تتركب من عدد الوحدات السكنية إثنين أو أكثر تتوالد من بعضها البعض كما هو موضح بالشكل رقم (76) وقد يكون لكل منها كيانه أو علاقته المباشرة بالنسيج الخارجي للفريق السكني، ولكن هناك حتماً عصب داخلي خلال فراغات أو عناصر هذه الوحدات ليربطها جميعا بحركة داخلية خاصة . . وتظل الوحدة السكنية هي النواة الأساسية لتشكيل المجموعة السكنية والفريق القبلي ، وبالتالي تشكيل الكتلة السكنية للمدينة بنسيجها العمراني المتكامل، والوحدة السكنية في هذا تتطابق مع كون الأسرة هي الوحدة الأساسية لتشكيل العشيرة والقبيلة وبالتالي المجتمع المحلي للمدينة . . ومن هنا يتحتم دراسة المسكن بالتفصيل - نوعاً - لكونه النواة الأساسية لتشكيل عمران المدينة المادي، أو هو التعبير المادي لمكعب العمران، وحلقة الوصل بين العمران كفكرة مجردة ، ولغة العمران كحرفة للبناء والتقنية . .

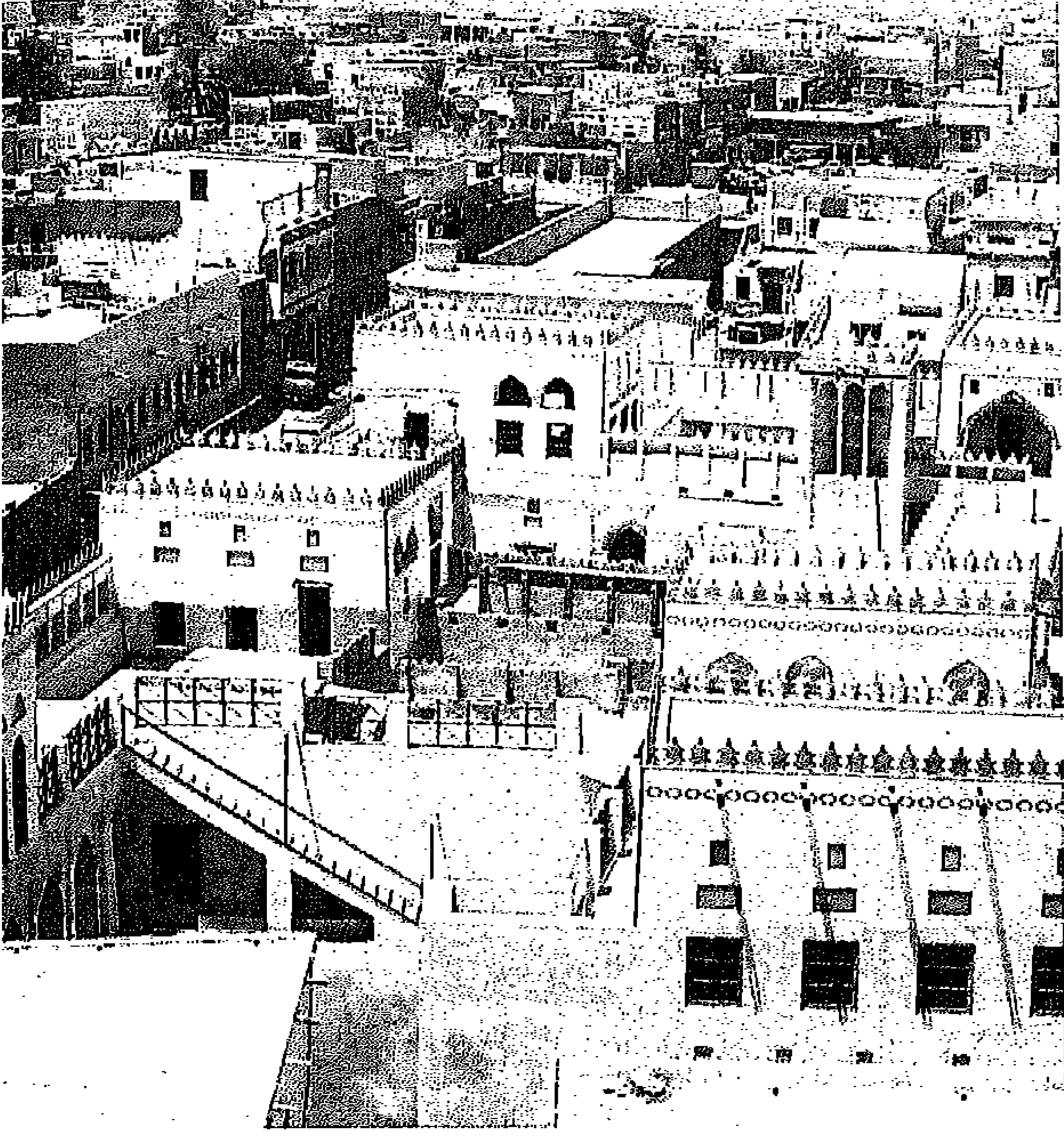


شكل رقم (76) التدرج الهرمي العمراني الاجتماعي من مدينة المحرق القبلية الى الفريق السكني الى المجموعة السكنية

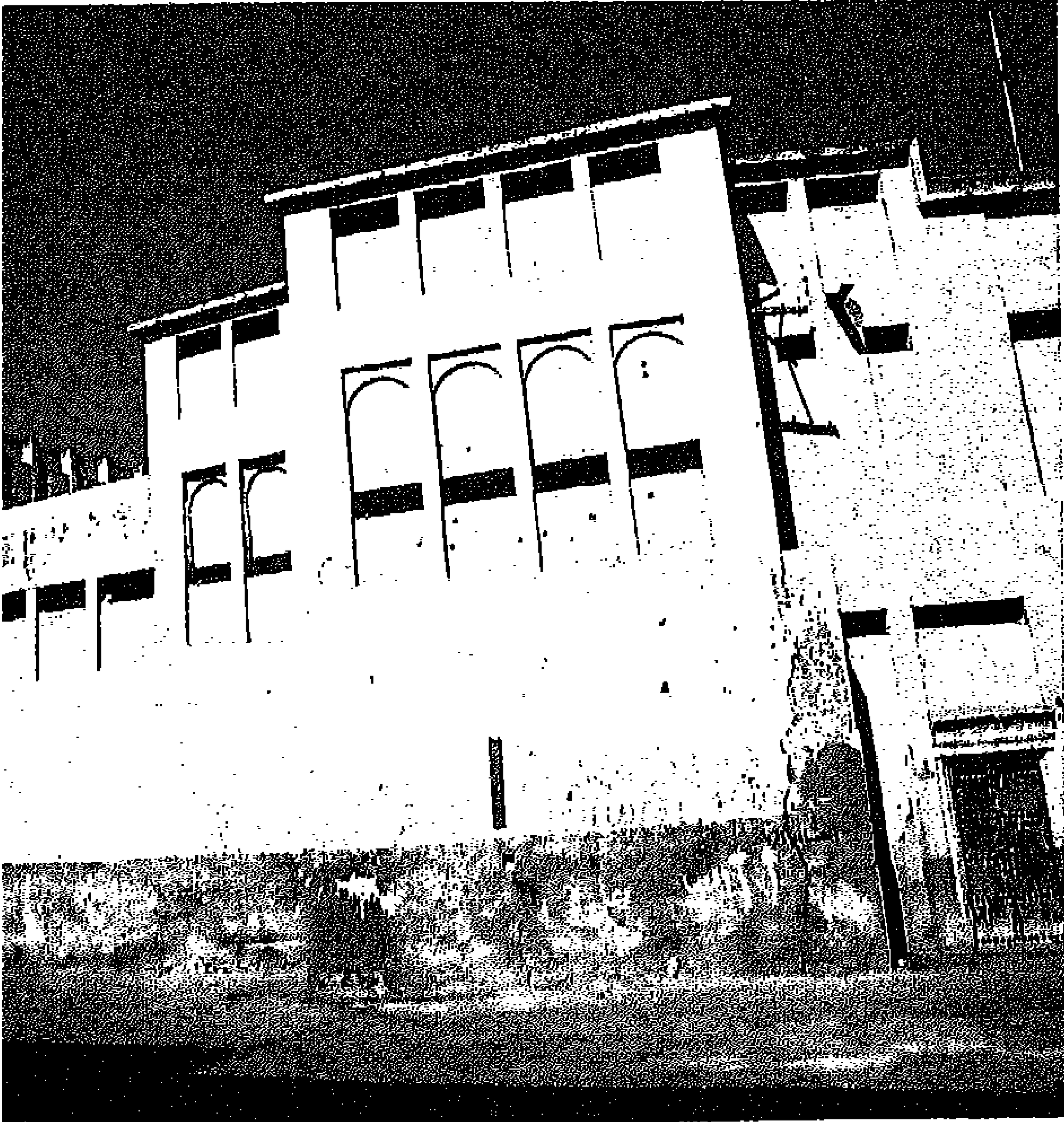
## المســكن :

إن الفكرة العربية للمسكن تختلف أختلافاً تاماً عن فكرة المنزل السائدة في الغرب، فبينما يرى الإنسان الغربي في المنزل إنه مجموعة وظيفية مرتبة من الفراغات تخدم الفرد، نجد هنا الإنسان الشرقي والعربي خاصة يرى المسكن من منظور يختلف ، فيُعّرف إنتفاعات الفراغات حسب أنشطة الأسرة دون ترتيب مسبق للشكل، ولكن تنشأ فراغات المسكن بفعل حركة الإنسان في الحياة الخاصة للأسرة، وبالتالي فهي متغيرة مع تغيير هذا النشاط الإنساني، وهي ثابتة مادام النشاط ثباتاً . . فالمسكن هنا فراغ إنساني تحكمه وتحـدد أبعاده إنفعـالات الإنسان نفسـه الشعـوريـة واللاشعورية ، ومن هذا التجريد لمفهوم المسكن يمكن أن نحدد ماهية المسكن لبيئة محلية إذا ما حددنا تلك الإنفعالات الشعورية واللاشعورية لإنسان تلك البيئة ، والتى تعرفها أنشطة معينة من دورها إستمرار الحياة الإنسانية للمجتمع ، بل مؤداها في النهاية بقاء هذا المجتمع .

هكذا، فإن مفهوم المسكن عند الإنسان العربي ينطلق من ذاتيته وكيانه المحدود إلى شمولية المجتمع الذي ينتمي إليه . . فكانت فكرة المسكن الأساسية أن ينطلق من الداخل إلى الخارج مع التأكيد على العناصر الداخلية ، ولكن هذا لم يفقد الداخل علاقته بالبيئة الخارجية، ولكنه أقتطع جزءاً من البيئة وإحتواها داخلياً في شكل الحوش السكني . . ويتفق هذا المفهوم العمراني للمسكن ، مع المفهوم العربي والإسلامي العام للعلاقة بين الفرد والمجتمع . . للعلاقة بين العام والخاص . . للعلاقة بين الذاتية والشمولية . . بين الجزء والكل . . وعند دراسة المسكن في مدينة المحرق لم نخرج عن هذا المدخل العربي لمفهوم المسكن ، على إعتبار الإنتماء القومي العربي للمجتمع المحلي للبحرين والهوية الحضارية الإسلامية للمجتمع . . فالمسكن ، المحلي لمدينة المحرق القبلية التقليدية ـ هو فراغ إنساني أساسي، والإنسان هنا هو ساكن المحرق كبيئة طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية تحدد الإنفعالات الشعورية واللاشعورية لهذا الإنسان ، والتى يعرّفها نشاطه وحركته الحياتية اليومية في هذا الفراغ الإنساني «المسكن» . . وبطبيعة الحال إختلف نشاط الإنسان تبعاً للتكوين الإجتماعي والتركيب الطبقي ، ويحدد هذا النسق الإجتماعي الثالث، والنسق الإجتماعي



شكل رقم (77) صورة لمسكن تقليدي حضري



شكل رقم (78) صورة لمسكن تقليدي حضري

الرابع ، ويمكن تحديد نمطين للنشاط الإنساني الحياتي اليومي في المسكن :

(1) نشاط المجموعة الأرستقراطية القبلية.
(2) نشاط طبقة العوام من الناس.

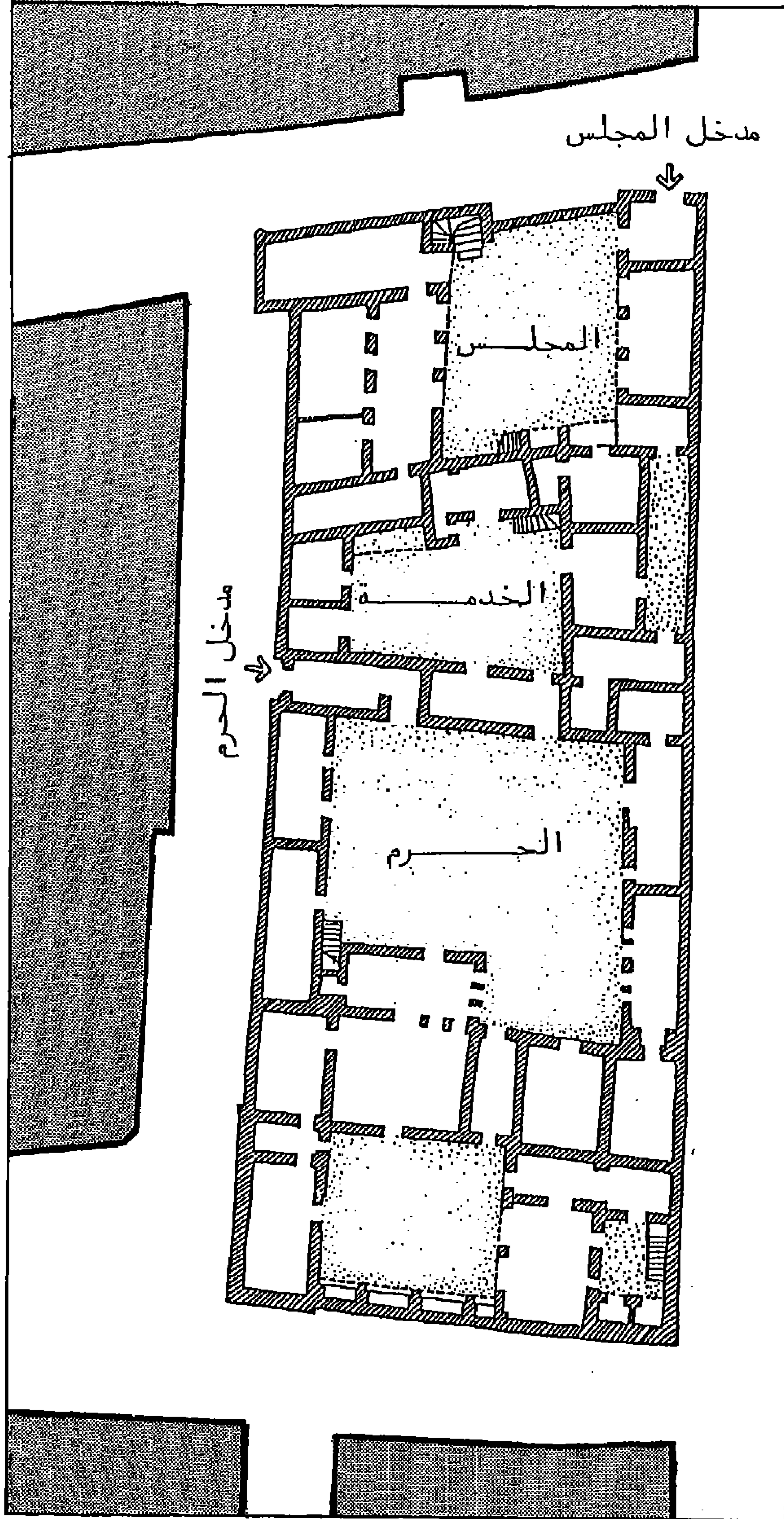
تختلف الحياة اليومية في المسكن بناءاً على النمطير الأساسيين السابقين ، وعموماً إيقاع الحياة في المسكر التقليدي المحلي في مدينة المحرق كان بطيئا نسبيا، تسير في الحياة دون تسرع وتتبع نظاماً متعارفاً عليه لا يتغير إلا في أضيق الحدود :

**النمط الأول -**

يبدأ سيناريو اليوم العادي عند الشروق بإفطار كبير الأسرة مع أهله في الحرم، وبمجرد خروجه لعمله تبدأ سيدة المسكن الأشراف على تنظيف الحوش المرصوف واللواوين، حيث كان يستوجب التخلص من التراب الذي يتسرب ويستقر على كل شيء ضرورة إستمرار تنظيف الأرضيات يومياً ، ولذلك كان الأحتفاظ بأقل كمية من الأثاث في الغرفة فكرة عملية موفرة للوقت والمجهود، وعموماً بعد تنظيف المسكن كان على سيدة المسكن - الميسورة الحال - أن تقرر ما ستتناوله الأسرة من طعام في هذا اليوم، ثم تبتعث الخدم إلى السوق لشراء إحتياجات الأسرة. . ويصل سيناريو اليوم إلى الضحى ، ويحين وقت السكون اللحظي والإسترخاء في أبرد مكان من الحرم - الليوان مثلاً - حيث تجلس سيدة المسكن مع رفيقاتها من الأهل أو حتى من الجيران أحياناً، لتناول الشاى. . وقد يكون من حولهم الأطفال الذين لا يسمح عمرهم للخروج إلى العمل أو حتى الدراسة عند المطوع، حسب النسق الإجتماعي السابع، ويزامن هذا قيام إحدى الخادمات في ركن من الحوش أو في الحوش المجاور المخصص للطبخ - إن وجد - بتنظيف الأرز وتنقية الحصى، تلك العملية التى تبدو كأنها واجب وعملية مستمرة لا نهاية لها. . وبعد صلاة الظهر، يعود سيد المسكن إلى جناح الحرم لتناول غذاءه، وبعدها تخلد الأسرة كلها - غالبا - إلى النوم لفترة تمتد إلى صلاة العصر وخلال هذه الفترة يطغى الهدوء على الفريق وعلى المدينة بأكملها ، وتقل الحركة خلال فراغاتها الخارجية والداخلية على حد السواء .

ولم يكن يليق بالسيدة التى تتمتع بأى مكانة إجتماعية أن تخرج إلى السوق وكانت فرصة الخروج الوحيدة المقبولة بالنسبة لها هي خروجها في أحيان قليلة للزيارات الخارجية ضمن المناطق شبه العامة للفريق السكني نفسه. . ويستمر سيناريو اليوم مع فترة ما بعد العصر حيث تدب الحياة والحركة من جديد في نسيج المدينة ، وفي مجالس الرجال الخاصة والمجالس القبلية ، حيث يقضي الرجال أوقاتهم لدراسة بعض الجوانب الإجتماعية والإقتصادية الخاصة أو العامة بالنسبة للقبيلة. . وينتهي اليوم بحلول الليل ، حيث يخيم الهدوء والسكون شبه الدائم من جديد على المسكن والفريق وعلى المدينة بأكملها، وبهذا تكتمل دورة حياة يومية في المسكن من النمط الأرستقراطي ويمكن تحديد السيناريو في

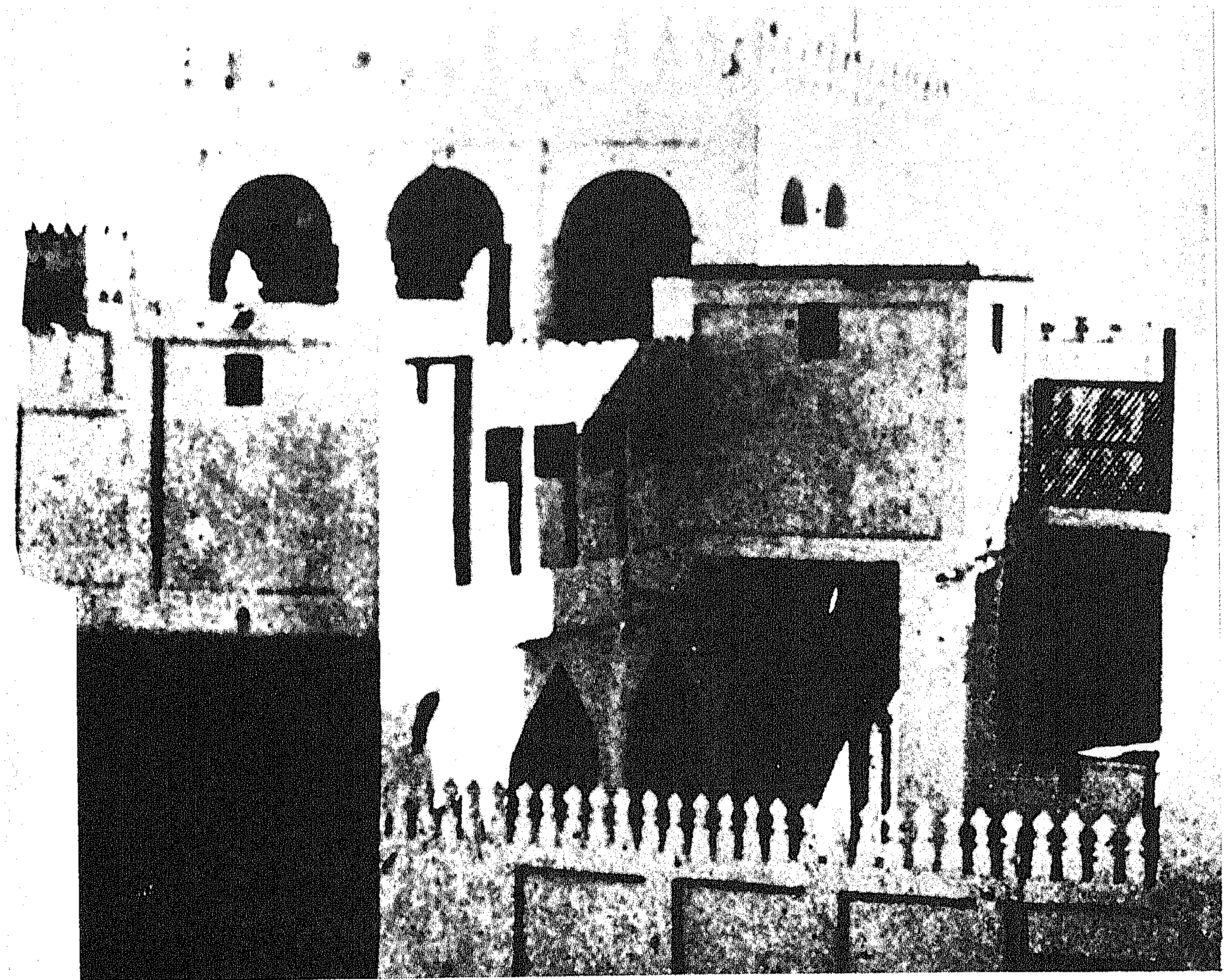
خمسة مراحل متتالية للأحداث




شكل رقم (79) مسقط أفقي - بيت الشيخ عيسى بن علي بمدينة المحرق

من هذه الأحداث تُولد اللغة المشتركة التى أعطت مفرداتها التشكيل المادي للمسكن ، أى أن الذي يعطي الحياة للمسكن والفريق والمدينة هي تلك الأحداث التى تدور هناك خلال سيناريو متواتر على مدى زمني محدد، وهي في نفس الوقت التى إحتفظت للفريق السكني بالتناغم المادي بين وحداته الأساسية بالشكل الذي قد يصل أحيانا إلى التشابه والتطابق. .

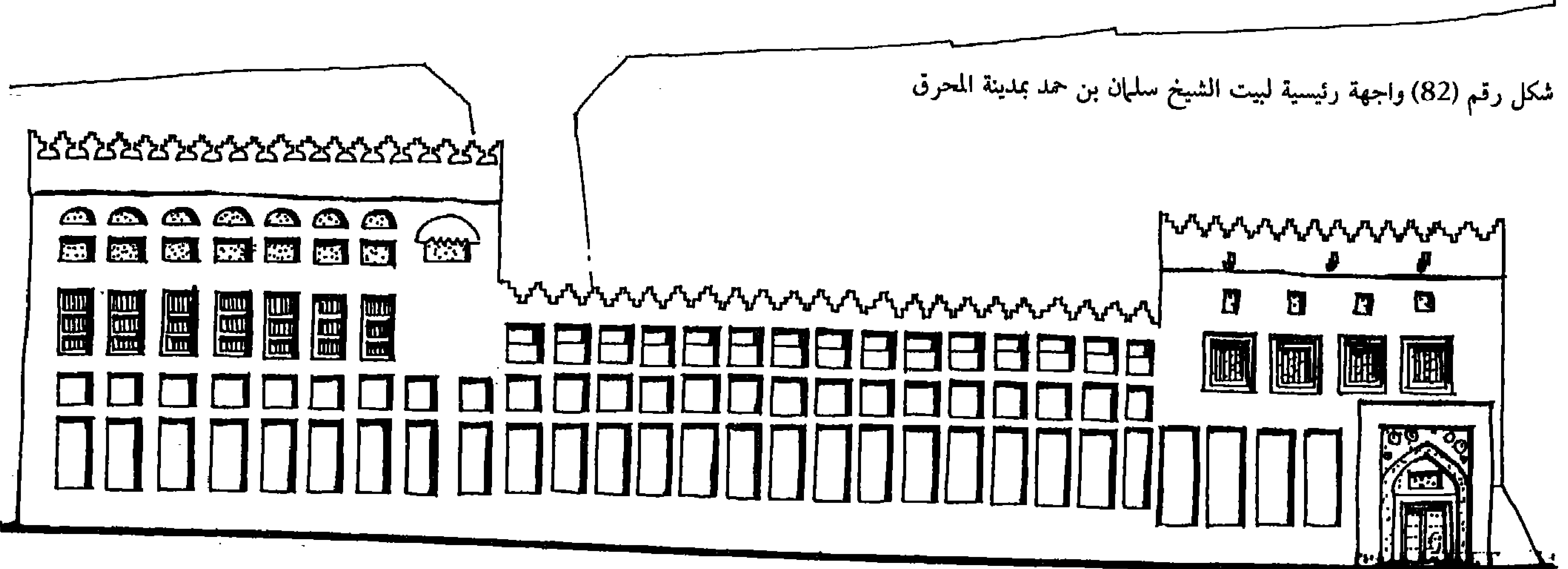
| | المراحل | الأحداث | المكان | الإنسان | الإيقاع |
|---|---|---|---|---|---|
| الشروق | | | | | |
| | الأولى | أفطار، خروج تنظيف | الحـــرم | أهل المسكن | بطيء.. سري |
| الضحى | | | | | |
| | الثانية | إسترخاء، إعداد طعام، تسوق | الحرم، الخدمة | سيدة المسكن | بطيء |
| الظهر | | | | | |
| | الثالثة | إسترخاء، نوم | الحـــرم | — | سكون لحظي |
| العصر | | | | | |
| | الرابعة | جلوس، زيارة | المجلس | سيد المسكن | سريع |
| العشاء | | | | | |
| | الخامسة | نـــوم | الحـــرم | — | سكون |
| الشروق | | | | | |

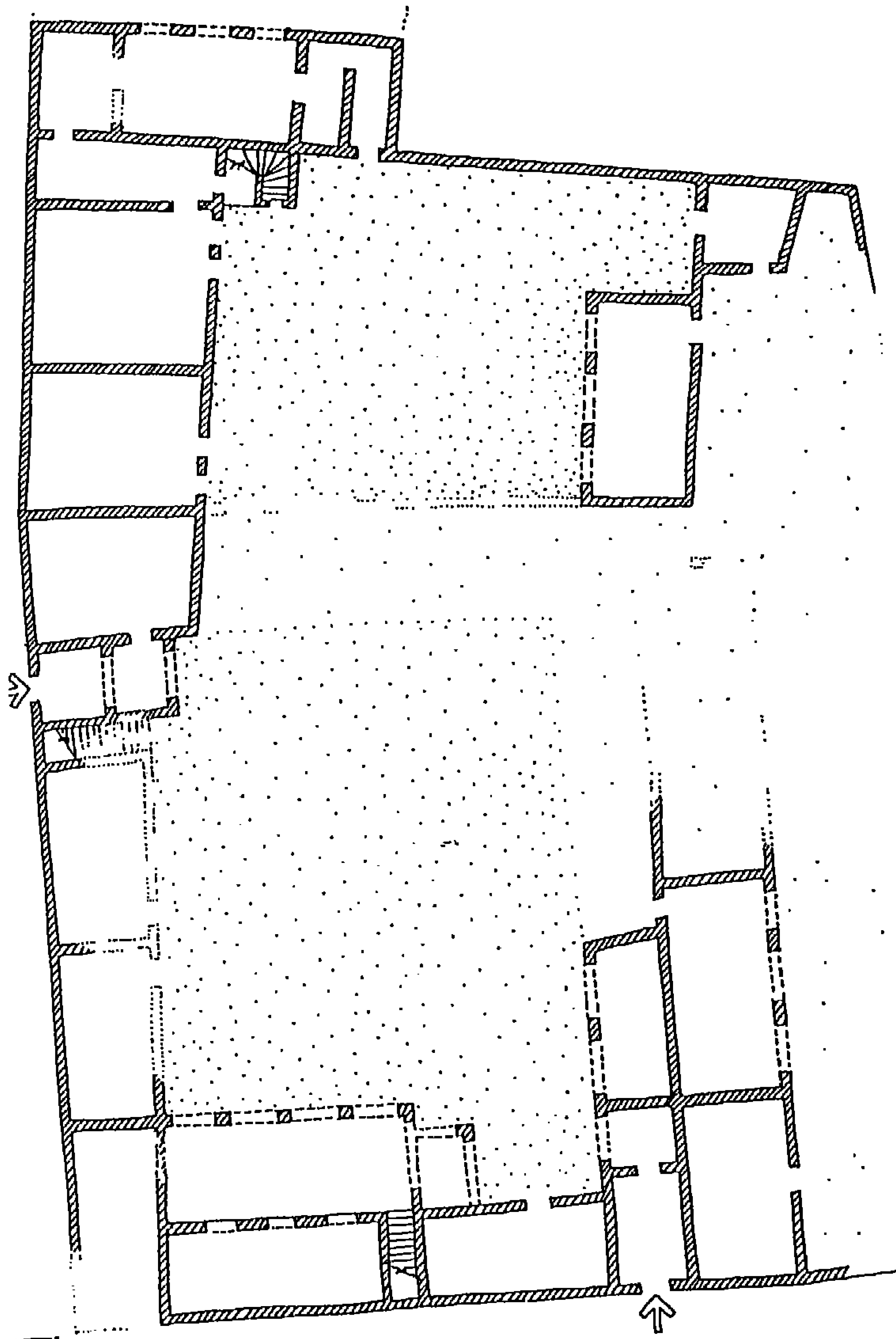


شكل رقم (80) صورة أحد المساكن . للأسرة الحاكمة بمدينة المحرق في بداية القرن العشرين

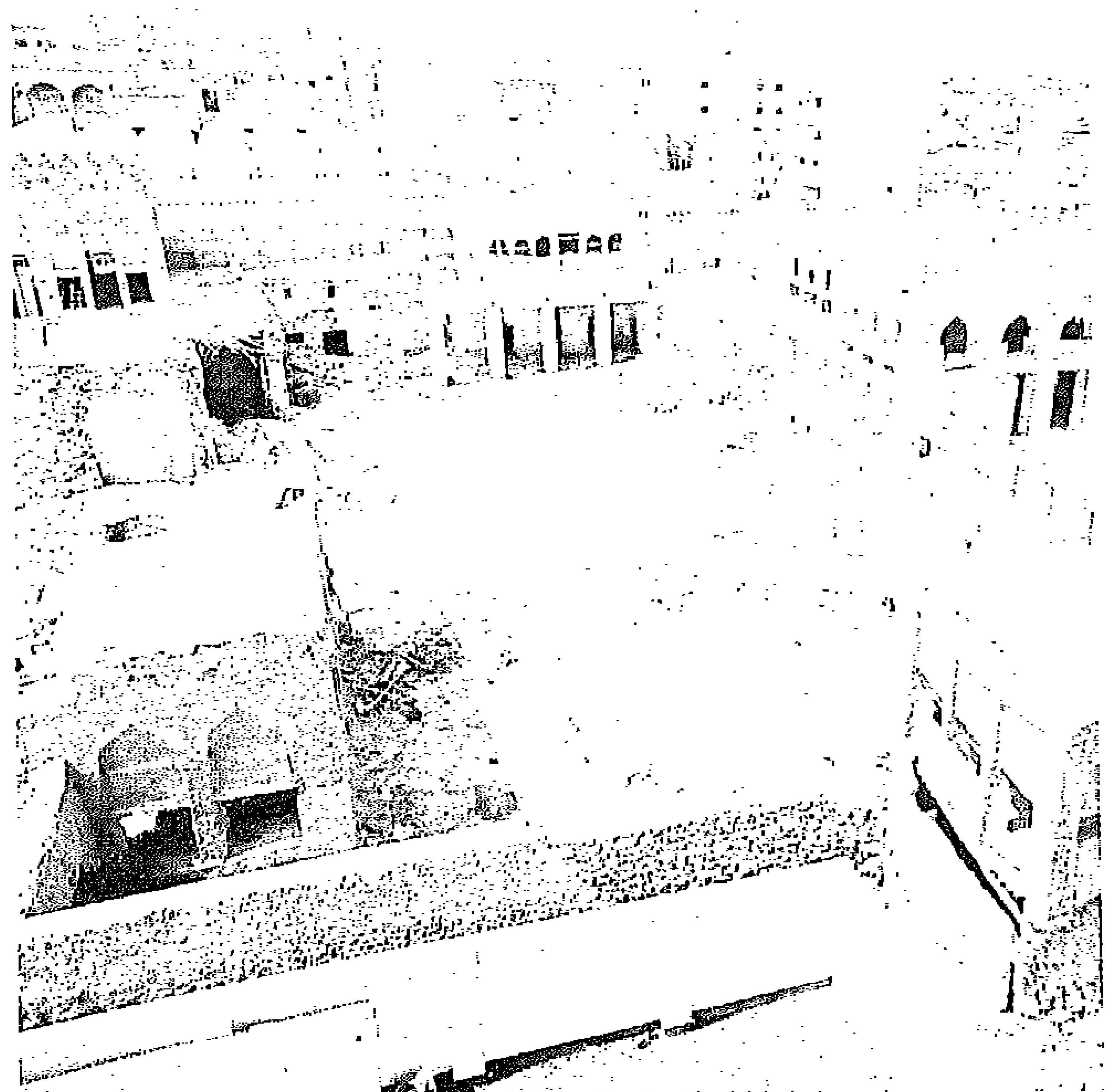
شكل رقم (81) مسقط أفقي لبيت الشيخ سلمان بن حمد بمدينة المحرق

شكل رقم (82) واجهة رئيسية لبيت الشيخ سلمان بن حمد بمدينة المحرق

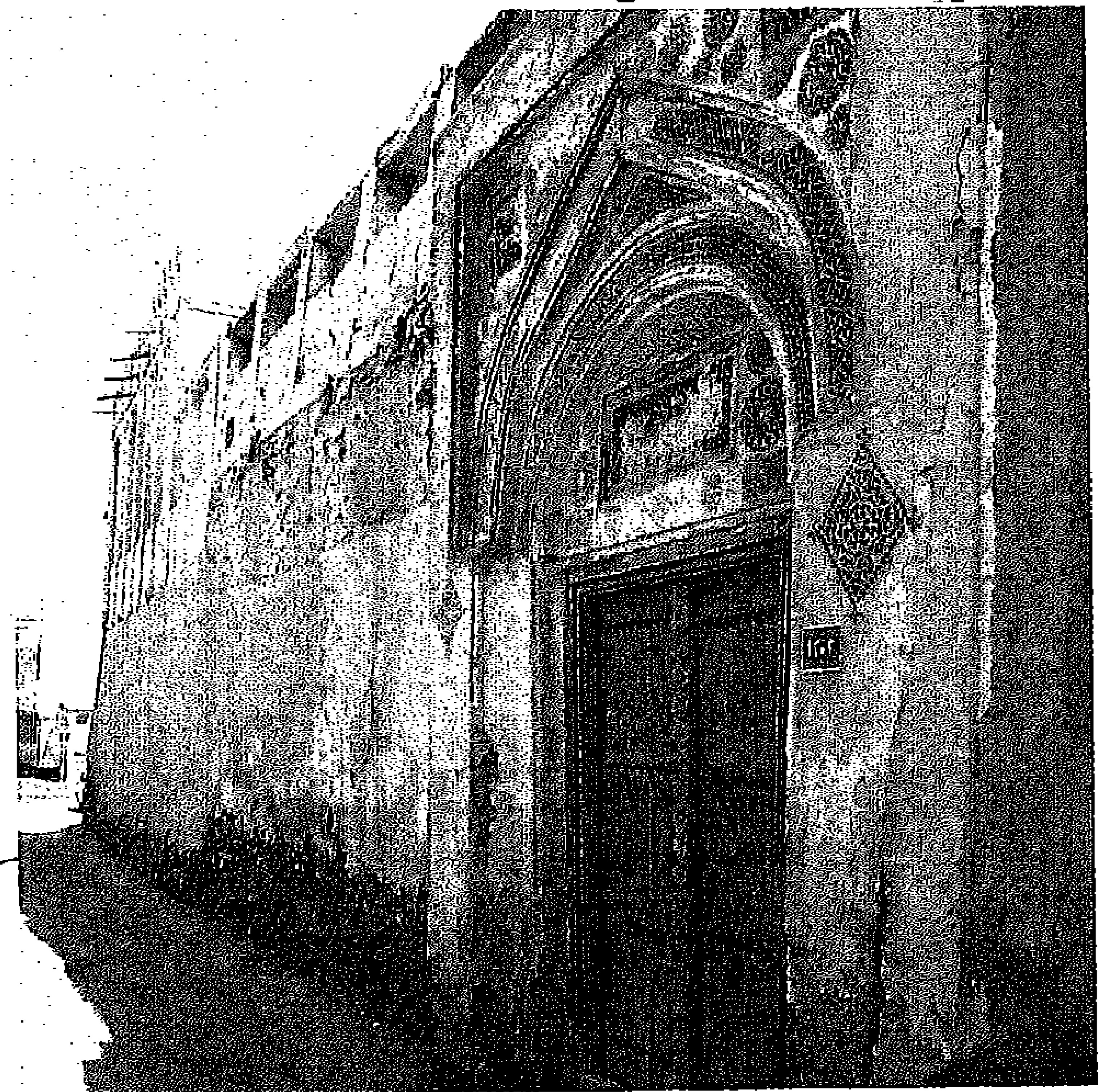




شكل رقم (85) مسقط أفقي لبيت الشيخ حمد بن عيسى بمدينة المحرق

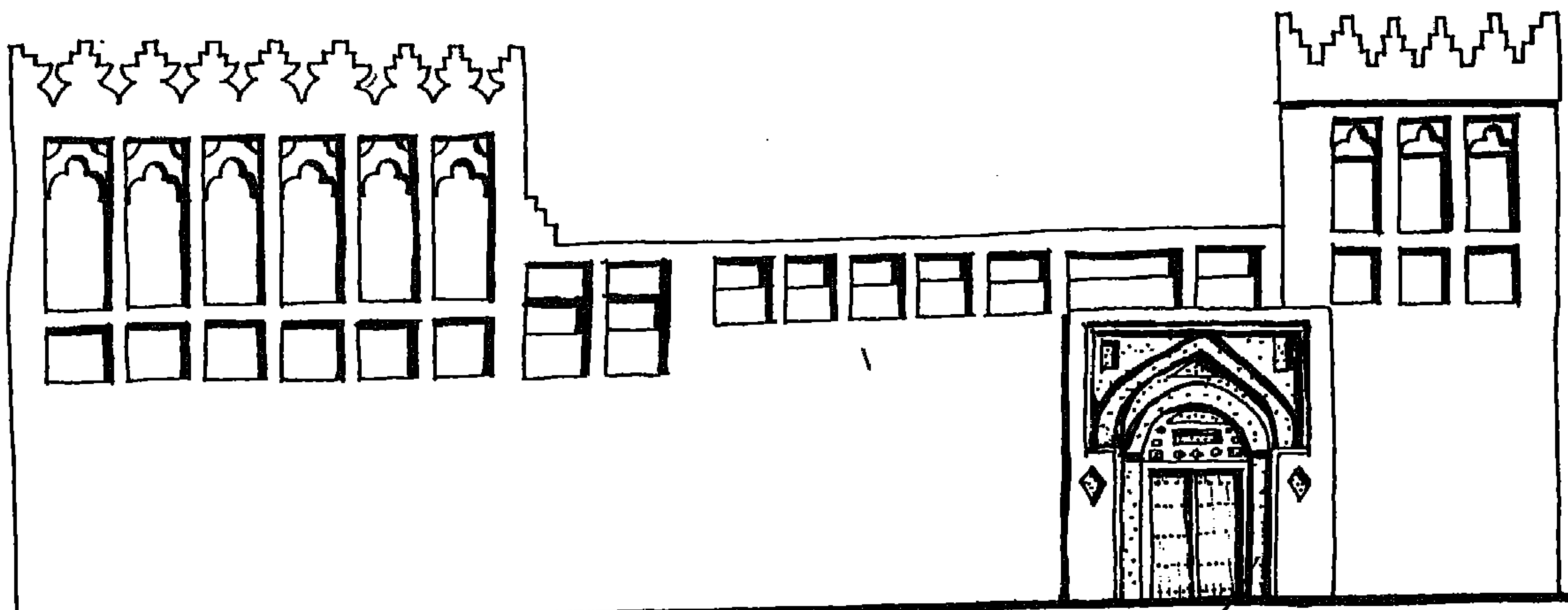


شكل رقم (83) صورة بيت الشيخ حمد بن عيسى بمدينة المحرق

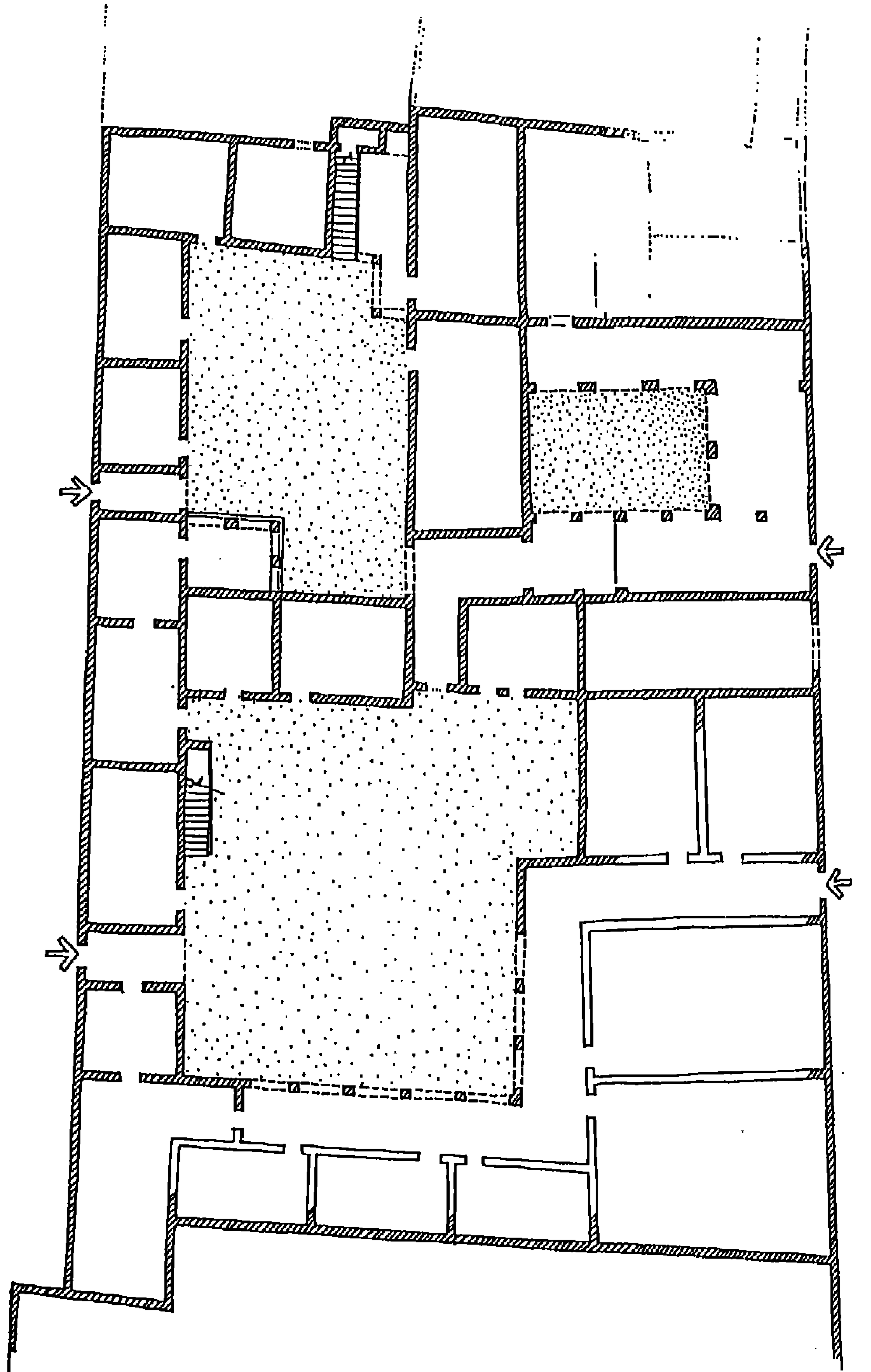


شكل رقم (84) صورة بيت الشيخ حمد بن عيسى بمدينة المحرق

شكل رقم (86) واجهة رئيسية لبيت الشيخ حمد بن عيسى بمدينة المحرق



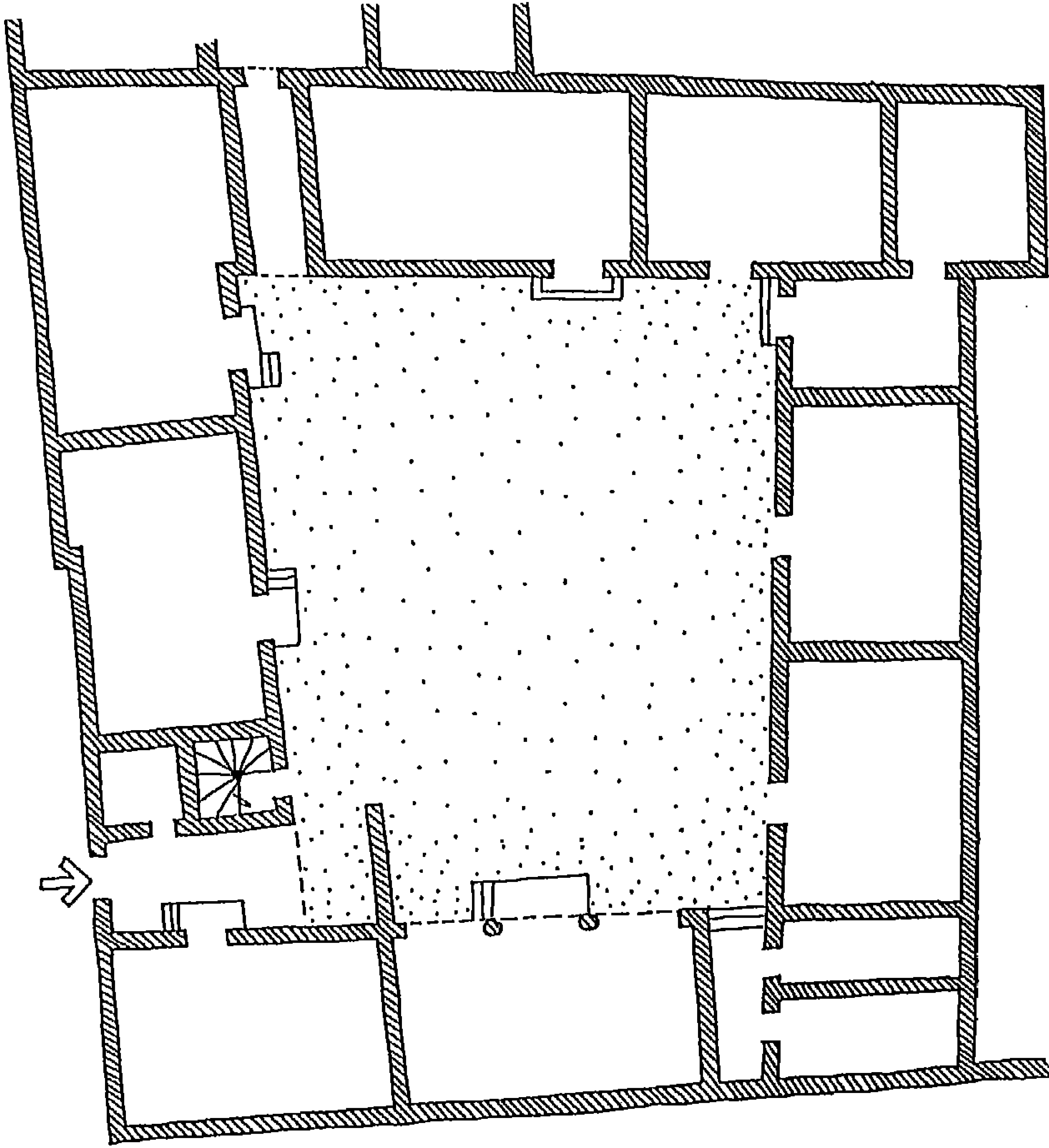




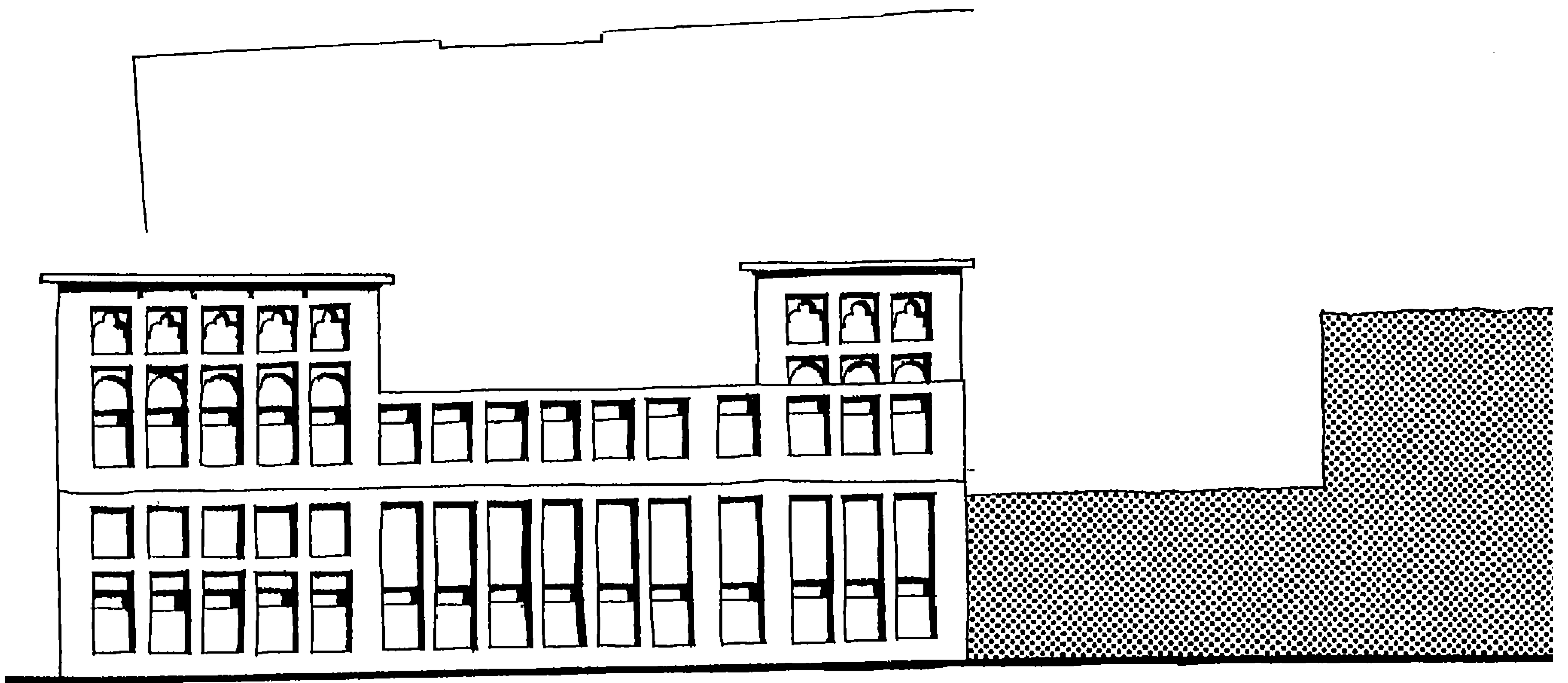
شكل رقم (87) مسقط أفقي لبيت (فخرو)



شكل رقم (88) صورة بيت فخرو بمدينة المحرق
شكل رقم (89) صورة بيت فخرو بمدينة المحرق



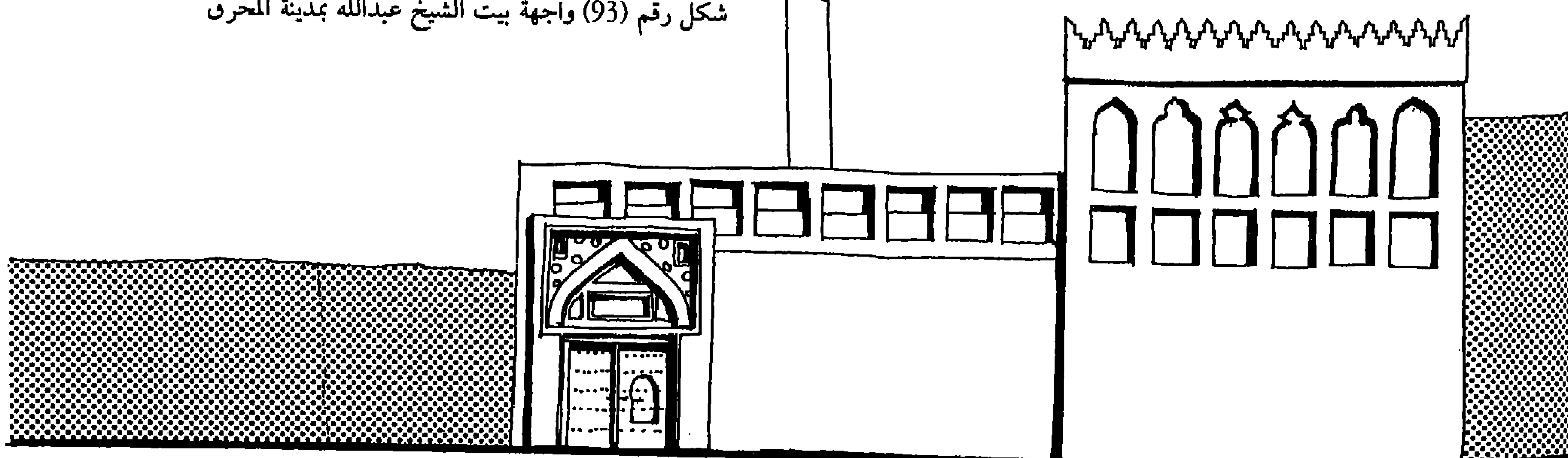
شكل رقم (90) مسقط أفقي لبيت مطر بمدينة المحرق



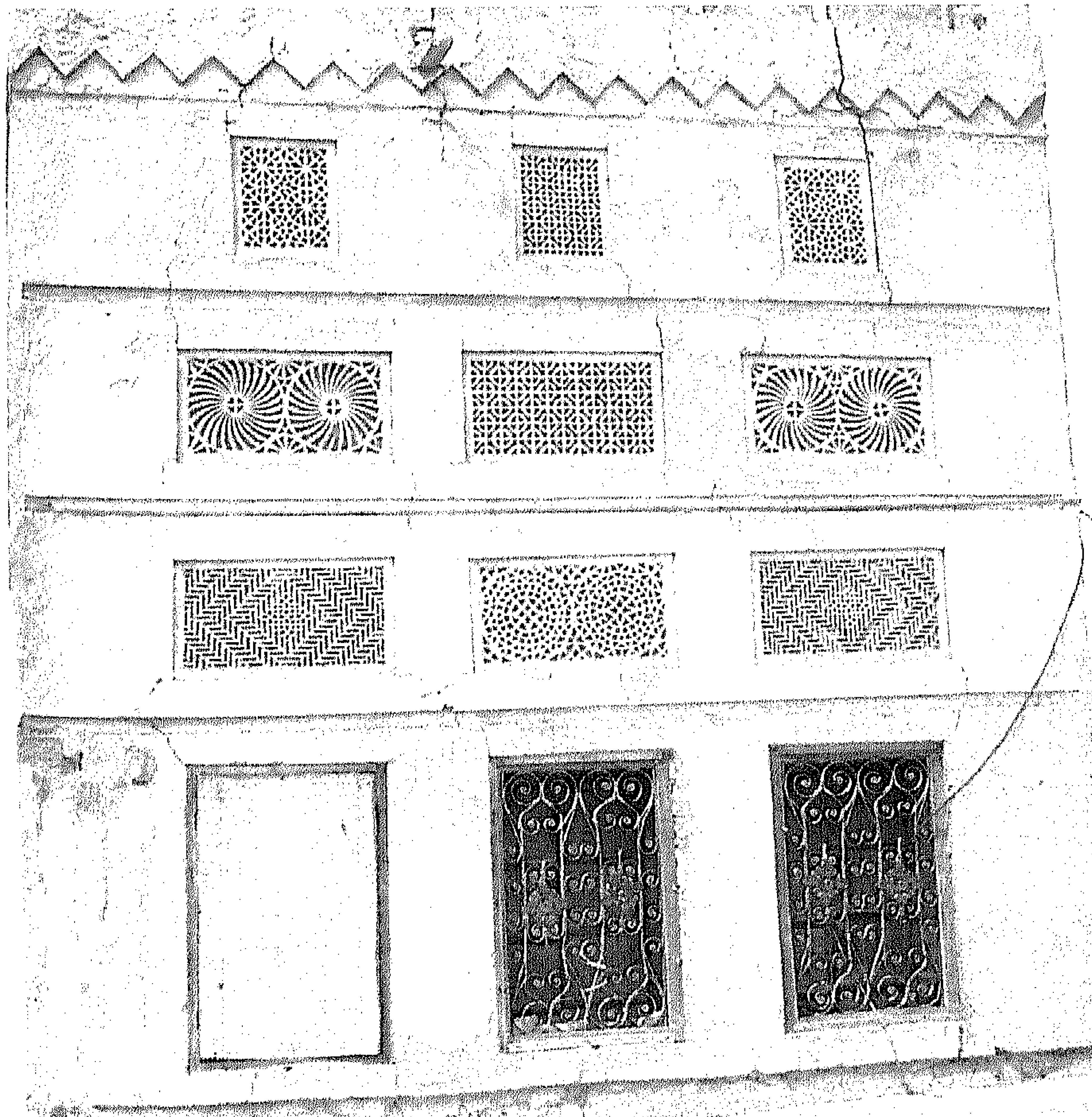
شكل رقم (91) واجهة رئيسية لبيت مطر بمدينة المحـ

شكل رقم (92) مسقط أفقي لنموذج لمجموعة بيوت ارستقراطية

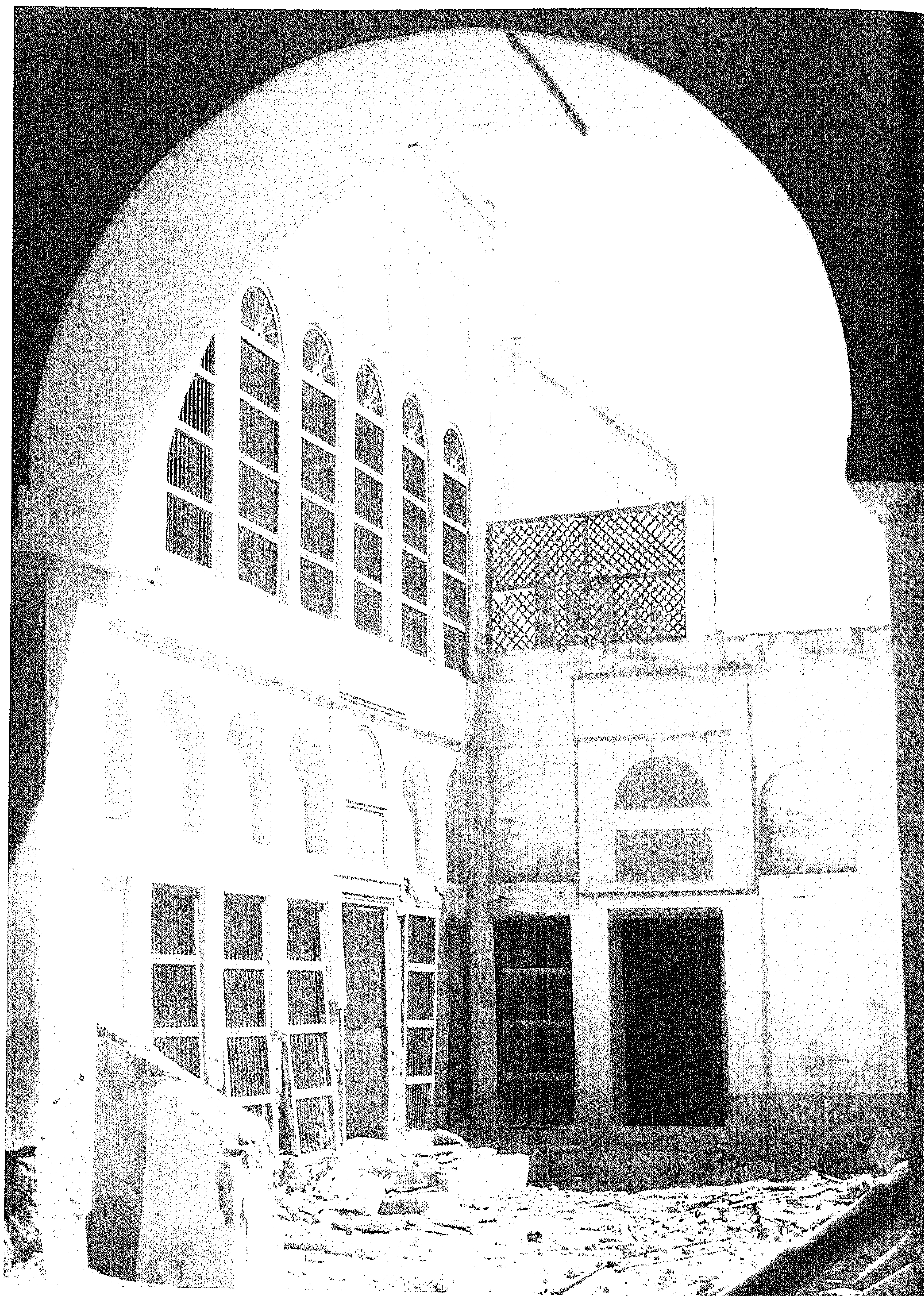
شكل رقم (93) واجهة بيت الشيخ عبدالله بمدينة المحرق







شكل رقم (94) صورة بيت الشيخ عبدالله
شكل رقم (95) صورة بيت الشيخ عبدالله
شكل رقم (96) صورة بيت الشيخ عبدالله



**النمط الثاني -**

أما الحياة اليومية بالنسبة للنمط الثاني لطبقة العوام من الحرفيين والغواصين والعمال ، فكانت أبسط منها في النمط الأول، وكذلك مستوى مساكنهم يقل بكثير عن مستوى مساكن المجموعة الأرستقراطية ، ومع ذلك أحتفظت مساكنهم باللغة التقليدية وحكمها نفس القانون العرفي الذي حكم عمران مساكن النمط الأول، وإختلاف مساكن هذا النمط هو نتيجة لإختلاف سيناريو الحياة اليومية ليس من حيث نوعية الأحداث ولكن من حيث مكان الأحداث ، حيث أكتفى المسكن بفراغ واحد متوسط كحوش سكني يفي بإحتياجات الأسرة كلها ويكون مسرحاً لغالبية أحداث المراحل المتتالية للسيناريو، ويأتى الإختلاف أيضا لإنخفاض المستوى الإقتصادي والأجتماعي . . فكانت الأسرة غير قادرة على الأستعانة بالخدم ، فتجتمع السيدات في مرحلة الضحى حول صينية الأرز ويمضين هذه المرحلة لتنقيته في الحديث والتسلية وبذلك يخلقن من هذه مناسبة إجتماعية ، وبالتالي يختلف إيقاع الأحداث، ورغم أن حياة سيدات هذه الأسر قاسية وجافة، لكن كن يتمتعن بحرية أكثر من سيدات الأسر الغنية الأرستقراطية، إذ كان عليهن أن يذهبن بأنفسهن إلى السوق لشراء حاجياتهن. ويرون ما يدور في المدينة والفريق من أحداث وأنشطة ، يتفاعلن معها ويؤثرون نسبياً فيها، كما كان عليهن أيضا ـ مثلاً ـ أن يأخذن الغسيل إلى شاطىء البحر أو إحدى العيون حيث يجتمعن في مجموعات ليغسلن ملابسهن، ولكن على الرغم من كل ذلك لم تكن تظهرن خارج مساكنهن إلا وهن محجبات . . وفي هذا دلالة على مفهوم الخصوصية عند كل من النمطين الأرستقراطي والعوام . . ومن جهة أخرى كان على الرجال أن يتركوا مساكنهم ويخرجون للتجمعات الخارجية نظراً إلى أنه لم تكن لديهم الأمكانية للإحتفاظ بمجلس خاص داخل المسكن، فيخرجون خلال المرحلة الرابعة من السيناريو ـ في فترة ما بعد العصر ـ ويأخذون جانبا من الطريق ويجلسوا معاً على الأرض أو أن يجتمعوا في إحدى تلك المقاهي التى كانت تنتشر في منطقة السوق. (1)




شكل رقم (97) التركيب الاجتماعي العمراني للفريق السكنى - غطى المساكن الارستقراطية والعوام

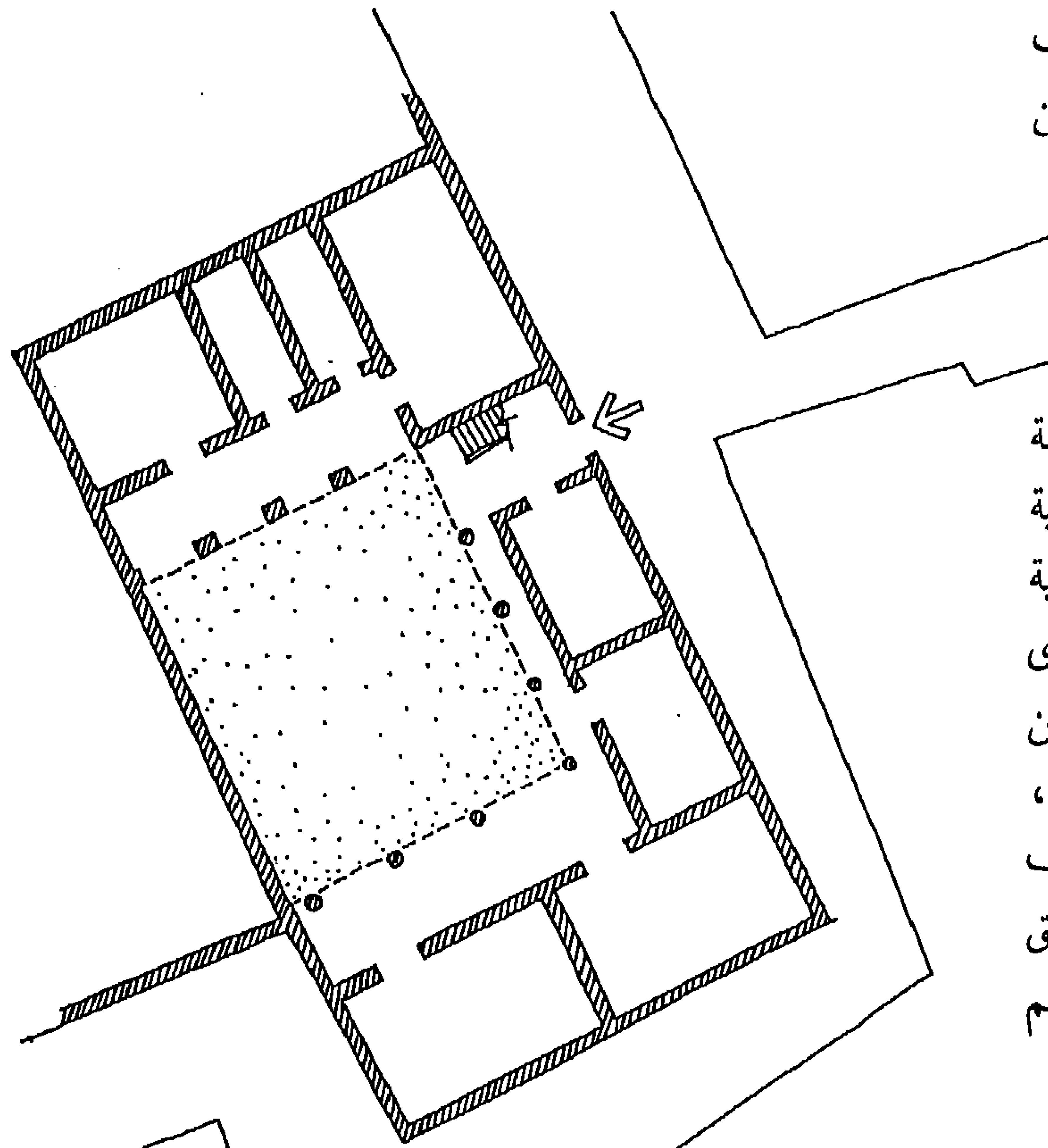
(1) العمارة التقليدية في الكويت وشمال الخليج .................... ص 15 – 24

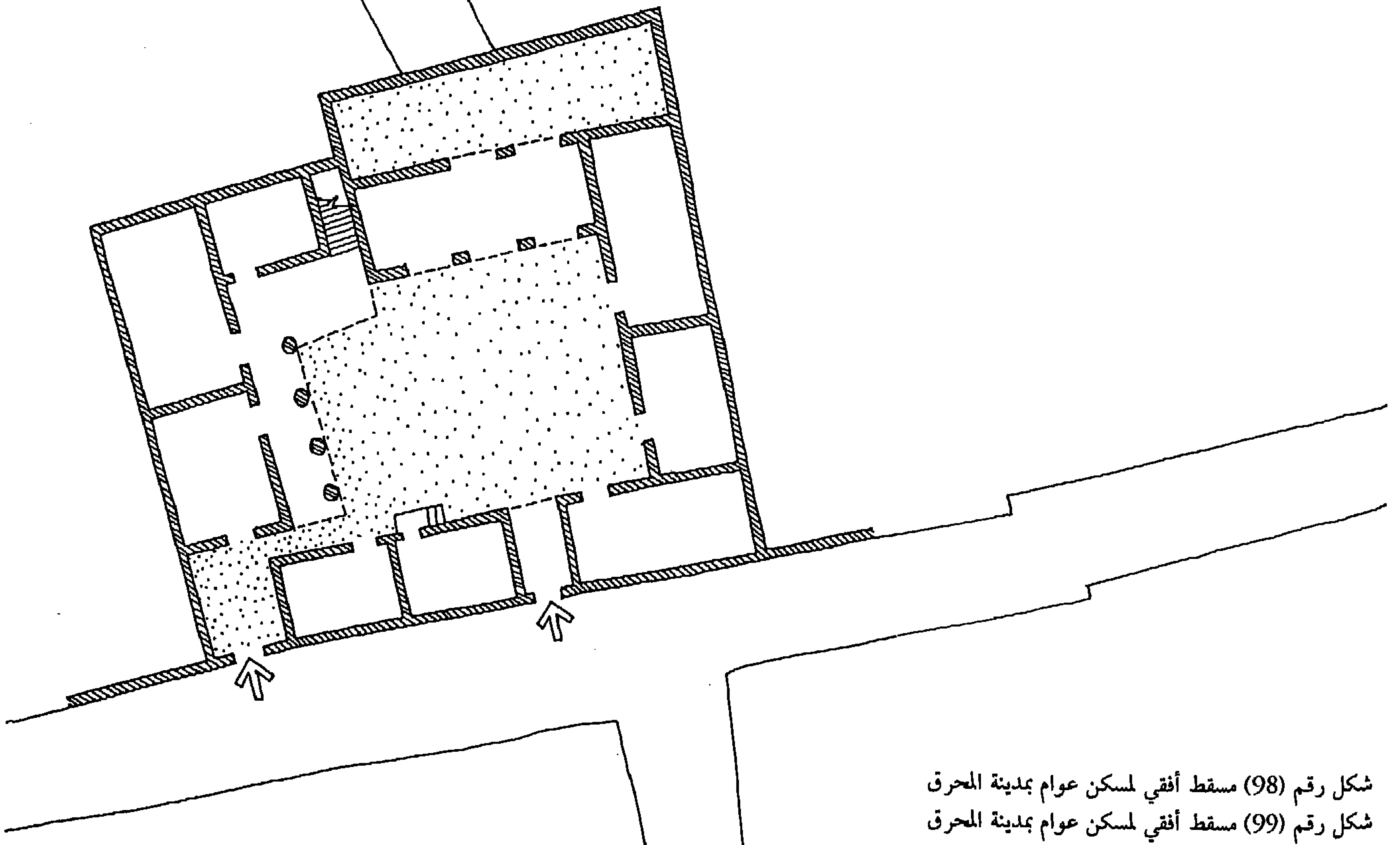
وهكذا، وبناءاً على البنية الأجتماعية، وخاصة التركيب الطبقي للقبيلة والعشيرة والأسرة يمكن توصيف المسكن من خلال نمطين أساسيين :

(1) نمط المسكن لعائلة الطبقة الأرستقراطية.
(2) نمط المسكن لعائلة طبقة العوام.

ولقد إشترك النمطان في إتباع نفس مفردات لغة العمران ، ولكن بإسلوب مختلف يرجع إلى البنية الإجتماعية نفسها ، بل أنهما قد تشابها في إحتواء نفس العناصر الفراغية المشكلة لكتلة المسكن ، وأن إختلف الأسلوب. . وأدى هذا التشابه والإختلاف بين مساكن الفريق الواحد ضمن حدود القبيلة نفسها إلى التنوع الملحوظ لعمران الفريق ، ولكن بشكل متناغم وليس فيه تنافر. . كما أدى الأختلاف بين القبائل حسب مكانتها الإجتماعية ـ كما يحدده النسق السياسي الرابع ـ إلى التنوع في عمران المدينة ضمن التناغم المتناهي بين عناصرها.

ويمكن عقد مقارنة للأختلافات بين نمطي المساكن





شكل رقم (98) مسقط أفقي لمسكن عوام بمدينة المحرق
شكل رقم (99) مسقط أفقي لمسكن عوام بمدينة المحرق

| | نمط المسكن للطبقة الأرستقراطية | نمط المسكن طبقة العوام |
|---|---|---|
| الحجم | كبير نسبيا تنتظم عناصره حول عدد من الأحواش المتعددة الإنتفاعات.. | صغير نسبيا تنتظم عناصره حول حوش واحد مركزي غالبا.. |
| التشكيل | منفصل وله كيان خارجي مؤكد | مندمج في كتلة الفريق السكني |
| الخصوصية | إنغلاق شبه كامل عن الحياة الخارجية | خصوصية ضمن التفاعل مع الكيانات الأخرى |
| الإيقاع | بطيء نسبياً | سريع نسبياً |
| الأجتماعيات | كلها داخل المسكن | أغلبها خارج المسكن |
| الجيرة | العائلة الممتدة والإرتباط القبلي | التكافل الإجتماعي والنظام التعاوني |

شكل رقم (100) نموذج لسكن ارستقراطي (سقط أفقي)

شكل رقم (101)
شكل رقم (102) نماذج لسكن عوام (مساقط أفقية)


شكل رقم (103)
شكل رقم (104)
شكل رقم (105) نماذج لسكن ارستقراطي (مساقط أفقية)

شكل رقم (106)
شكل رقم (107) نماذج لسكن عوّام (مساقط أفقية)
شكل رقم (108)
شكل رقم (109)

ومن منظور آخر يمكن تصنيف المساكن بمدينة المحرق عموماً حسب الطبيعة المدينية للمسكن نفسه ، وهناك نمطين عرفهما المجتمع المحلي : نمط المسكن البدائى ـ البراستى ـ نمط المسكن الحضرى المديني . .

(1) **البرستي :**

كان المسكن عبارة عن وحدة متكررة من وحدات السكن، التى تتكون من سياج خارجي يحدد أرض الأسرة، وكانت المساحة الواقعة داخل هذا السياج تقسم إلى أقسام وتقام عليها الأكواخ، أو "البرستي" ـ حسب اللهجة المحلية ـ وكانت أرضية تلك الأكواخ مستطيلة الشكل سقفها منحدراً من الجانبين، ويمثل كل "برستي" وحدة فراغية منفصلة . . يتكون "البرستي" من هيكل مصنوع من أغصان الأثل أو الجريد، وتربط كل أربعة أو خمسة من أضلاع الجريد لتكون الأعمدة الساندة والشكائل الأفقية ومساند الجدران ، ثم تكسي هياكل الجدران ، والسقف بجريد النخيل لتكون سقفاً ساتراً على درجة كبيرة من الأحكام، وكان الهيكل يربط بالحبل المصنوع من المادة الليفية التى تنتج من النخيل . . وهناك إمكانية أخرى لبناء هيكل "البرستي" من حوائط مبنية من الحجارة، أما السقف يصنع ويركب من جريد النخيل وتستعمل هذه الطريقة غالبا في "برستي" المحرق. وترتفع غالبا أرضية "البرستي" عن مستوى الأرض المحيطة وتغطى بالحصر المصنوعة من نفس المواد الليفية التى ينتجها النخيل ، أما الجدران الداخلية فتغطى أحياناً بملاط الجص . .

يعتبر "البرستي" أحد النماذج التقليدية التى تعبر عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية ، وإعتماده على ذاتيته وإمكاناته المتاحة لإنتاج وإبداع مسكنه . . وهذا ما نفتقده كنسق عمراني إنساني في المسكن المعاصر والعمران بشكل عام، فقد كان الإنسان بالأمس ينتج عمراناً من بيئته واليوم أصبح يستهلك عمراناً خارجاً عنه تنتجه بيئات أخرى.

ولم ينتشر إستعمال هذا النمط البدائى للمساكن بمدينة المحرق ، حيث لا يتناسب مع الوضع الإقتصادي والإجتماعي للقبائل التى سيطرت على تجارة اللؤلؤ وصناعته والتى شهدت فترة إنتعاش إقتصادي واسعة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، وهناك بعض الروايات التى تشير إلى أن المحرق عاشت فترة إستيطان مؤقت خلال القرون الوسطى منذ الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر الميلادي وحتى الحلقة الحديثة بتأسيس مدينة المحرق القبلية عام 1810 الميلادي وبناء المجتمع المدينى القبلي أستعمل المستوطنون حينئذ "البرستي" للسكن ، وإستمر نمط المسكن البدائى يستعمل بشكل محدود في بعض الجزر الصغيرة التى سكنها الصيادون وتعرف بإسم الحالات ـ مفردها حالة ـ كما إستعمل في مواقع محدودة داخل النسيج العمراني لمدينة المحرق.

(2) **المسكن الحضري ـ المديني :**

يختلف المسكن الحضري في تشكيله وتركيبه عن البراستي ـ النمط البدائى أختلافا كليا ـ وطبقيا، فهو يتكون من كتلة مترابطة تتنوع تشكيلاتها ، ولكنها تقوم على نسق واحد أساسي هو الحلقية، حيث الحوش هو مركز الحركة لباقي الفراغات المقفولة . . بل إن الحوش السكني هو المنظم الأساسي لكافة الأنشطة، وإيقاعات الحركة داخل المسكن الحضري . . ويعكس التركيب الفراغي للمسكن الحضري الأنساق المختلفة والمترابطة بالتركيب العشائري والأسري للمجتمع القبلي وخاصة النسق الإجتماعي الخامس ـ الأسرة الممتدة ـ التى كانت مؤسسة إجتماعية متكاملة تقوم بمجموعة الوظائف الإجتماعية للفرد . . ويلاءم المسكن الحضري هنا الدور الإجتماعي للأسرة فقد كانت المكانة الأجتماعية للأسرة والقبيلة المنتمية لها تتناسب مع حجم المسكن وعدد الأحواش السكنية المنظمة لكتلة المسكن وفراغاته، ويمكن توصيف المسكن المديني (الحضري) حسب الإنتفاعات والأنشطة الداخلية للأسرة ـ كما سبق وحددناها في سيناريو الحياة اليومية ـ وفيه يتركب المسكن من ثلاثة تفرعات فراغية إنتفاعية ، لكل منها حوش خاص بها أو قد تشترك كلها في حوش واحد مركزي أو تضم أحداها حوشين متخصصين في تدرج إنتفاعي، ونحدد هذه الإنتفاعات الفراغية :

المجلـــس :

الحــــرم :

الخدمــة :

وجدير بالإشارة هنا أن نبرز نسقاً عمرانياً أساسياً للمسكن المديني قبل التعرض إلى الإنتفاعات الفراغية، فلقد تميز هذا المسكن بإمتداد الفراغات المفتوحة على



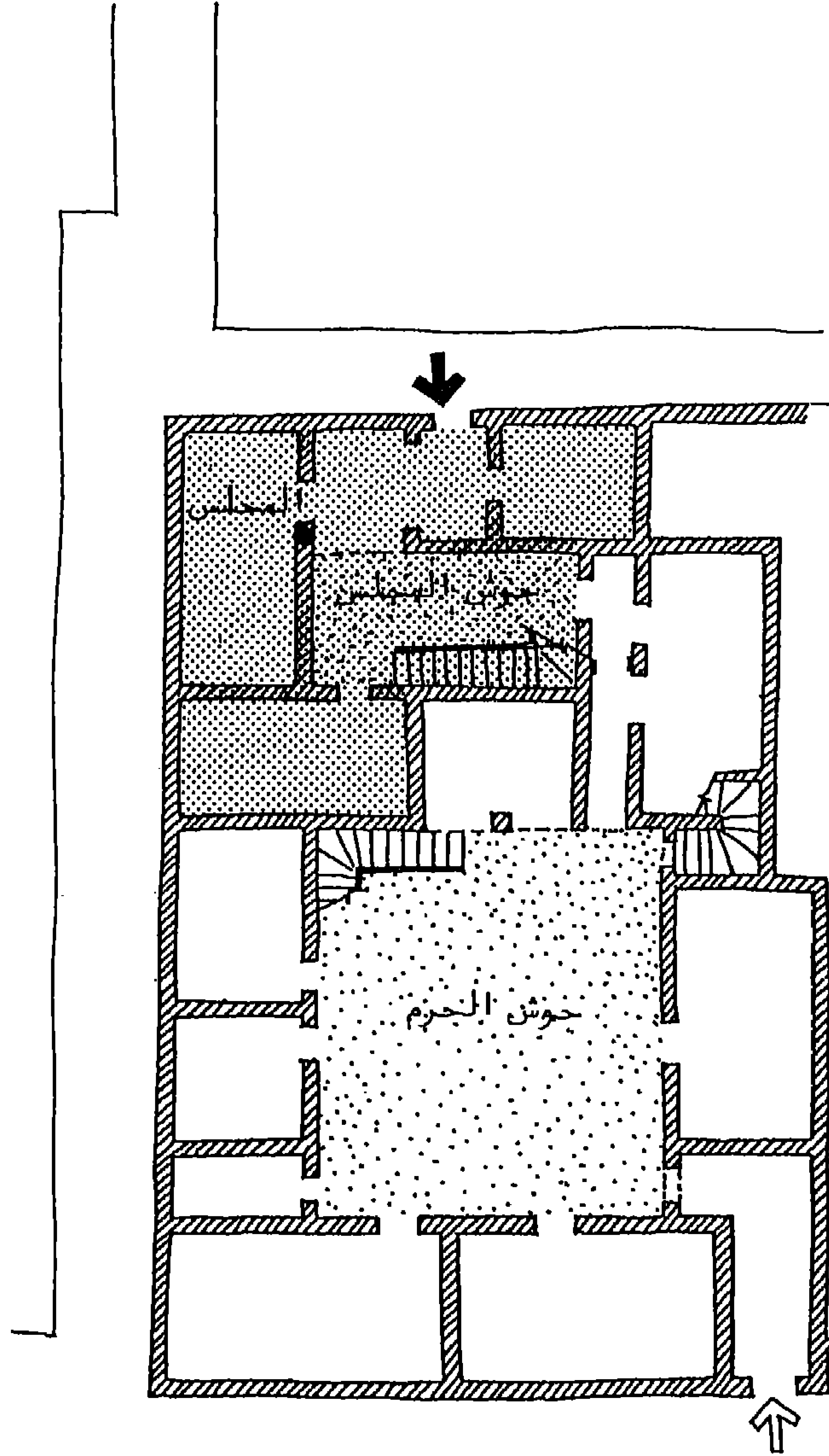
شكل رقم (110) صورة بر ستي بمدينة المحرق في الاربعينات

مستويين : فراغات في الدور الأرضي على شكل حوش سكني، وفراغات في الدور الأول على شكل سطح مفتوح ، ولكنه يحقق شيئا من الخصوصية حسب الإنتفاع الملائم له . . وهو غالباً يستعمل للنوم ليلاً في فترات الحر الشديد من فصل الصيف، أو كحوش للمعيشة اليومية أثناء بعض فترات النهار : وعموماً فإن درجة خصوصية المسكن تقل في المستوى الأعلى - الدور الأول - للمسكن عنها في الدورالأرضي، ويؤكد هذا سهولة ومباشرة الحركة بين الفراغات الإنتفاعية الثلاثية في المستوى الأعلى حتى أنه قد يصعب تحديد الفصل بينها ، على العكس من المستوى الأرضي حيث ترتفع درجة الخصوصية ويتضح الفصل بين هذه الإنتفاعات الفراغية الثلاث : المجلس والحرم والخدمة . . ويمكن تتبع ملامح الإنتفاعات للمسكن كمايلي :

**أولا - المجلس :**

يعكس التركيب الفراغي للمسكن النسق العام للخصوصية الإجتماعية بالفصل شبه التام بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء ، وخاصة في الطبقة الإجتماعية الأرستقراطية القبلية، ومن هنا إنفصل مجلس الرجال عن الحرم في هذه المساكن، وغالباً ما كان لكل منهما مدخله المباشر على شبكات النسيج الخارجي للفريق ، بينما كانت الحركة الداخلية في الدور الأرضي للمسكن غير مباشرة لتأكيد الفصل الإجتماعي . . ويؤدى المدخل إلى الحوش الخاص حيث غرفة المجلس المقفولة والليوان المفتوح - أحيانا - والمقابل للشمال - إن وجد - وكان يستعاض عنه بالحوش نفسه أحياناً أخرى . وغرفة المجلس تتميز عن سائر عناصر المسكن بتحديد طبيعة النشاط بها، وعموما فإن المجلس هو الجناح المفتوح من المسكن للنسيج الخارجي ، فيسهل التردد عليه دون تحرج ، وكان أحد علامات التفاخر القبلي أو العشائرى لصاحب المسكن بأبوابه وزخارفه وتفاصيله .

ويؤدى الباب الخارجي إلى الحوش من خلال مدخل يوجد أحياناً على جانبيه الدكة المبنية من الطين حيث يجلس صاحب المسكن مع زواره وتابعيه ، وكثيراً ما يستعاض عن هذه الدكة الداخلية بمقاعد تبنى على إمتداد الجدار الأمامي




شكل رقم (111) مسقط أفقي لمسكن يوضح موضع حوش المجلس



شكل رقم (112) صورة للنسيج العمراني بالمدينة في منتصف القرن العشرين

للمسكن، أما القاعة التى يستضيف صاحب المسكن فيها ضيوفه من الرجال فكانت عادة بجوار المدخل مباشرة ، وقد يكون لها مدخلاً آخر من جهة الحوش أيضا، وهى المكان الوحيد ـ غالباً ـ من المسكن الذي يحتوي على شبابيك تفتح للشارع أو النسيج الخارجي للفريق، وكان لهذه الشبابيك في الغالب مشغولات معدنية أو مصاريع خشبية وفي بعض الأحيان كانت تبنى في إتجاه معين لتسفيد من إتجاه الريح السائدة، ولكن من المحتمل أن غالبية الأحواش الداخلية والفراغات المفتوحة الخاصة وشبه الخاصة من النسيج العمراني كانت تتخذ إتجاه محورى مع إتجاه القبلة أو الإتجاه المتعامد عليه ، ومن هنا كانت العلاقات بين الفراغات الداخلية والخارجية حول المسكن وداخله في حالة ديناميكية مستمرة نظراً لإختلاف الأرتباط التوجيهي بين النمطين. .

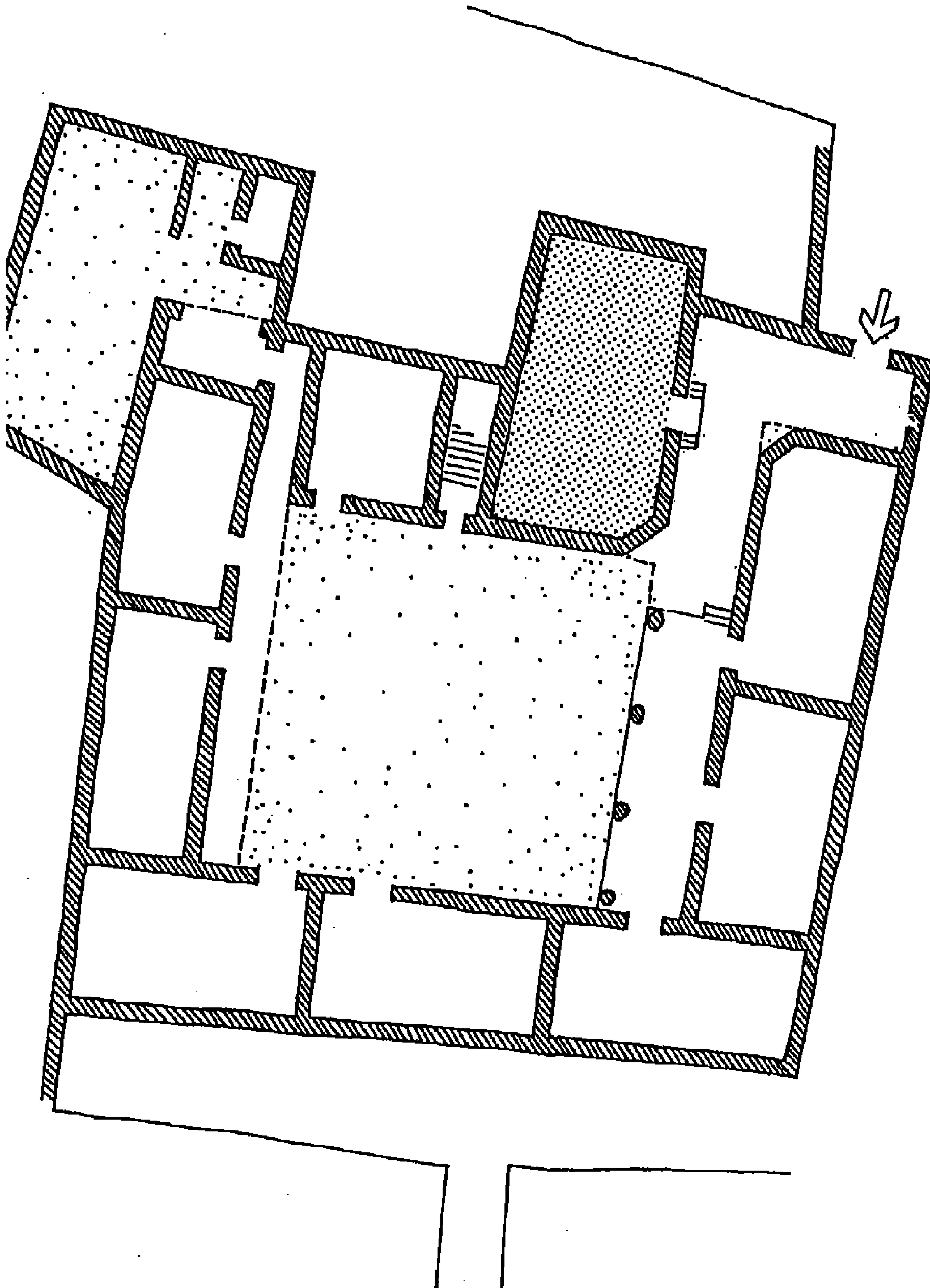
أما عن قاعة المجلس نفسها فهي فراغ مقفول شبه مغلق ، يفتح للخارج من خلال تلك الشبابيك التى ترتفع عن مستوى أرضية الفراغ من الداخل إلى متر ونصف المتر لتعطى جزء من الخصوصية الأسرية للمجلس. وفي بعض الأحيان، كان يوجد موقد القهوة الذى كان له أهمية خاصة في مكان معين ومحدد من المجلس في طرف القاعة البعيد عن الباب ، وكان هذا الموقد يزين بصف طويل من الأواني النحاسية اللامعة ترتب وتنسق ، وفى أحيانا أخرى كان الخدم يقومون باعداد القهوة في حجرة منفصلة وملحقة بالمجلس، ثم يأتون بها إلى المجلس لتقديمها.

يمكن تصنيف المساكن حسب طبيعة المجلس كعنصر إنتفاعي فراغي إلى أربعة أنماط كما يلي :

(1) مساكن لها مجالس خاصة منفصلة عن كتلة المسكن، ولها ذاتية مستقلة في النسيج الخارجي للفريق ولكنها مرتبطة ـ مكانياً ـ بالمسكن نفسه.
(2) مساكن لها مجالس ذات كيان ذاتي ضمن كتلة المسكن ولها خصوبتها في الحوش والمدخل.
(3) مساكن لها مجالس محدودة في شكل قاعة رئيسية فقط (غرفة) مرتبطة بالحوش المركزي للمعيشة اليومية.
(4) مساكن ليس لها مجالس خاصة داخل كتلتها عموماً، وإرتبطت بالمجالس العامة في الفراغات الخارجية للنسيج أو في المقاهى في السوق. .

**ثانيا ـ الحرم :**

يمكن الوصول إلى حوش الحرم من مدخل بطرف حوش المجلس ـ إن وجد ـ ولكن كان غالبا للحرم مدخلاً خاصاً به يفتح على النسيج الخارجي مباشرة من خلال دهليز أو ممر فاصل لضمان خصوصية الحرم ، والتى تتفاوت حسب المكانة الإجتماعية للأسرة نفسها. . والواقع أن أهل الأسرة من الحريم لم يكن يشعرن مطلقاً أنهن حبيسات هذه الفراغات الداخلية ، إذ أن الحوش الخاص دائما يعطي الأحساس بالأتساع والحركة المستمرة حيث يستخدم في معظم أوقات السنة وعلى أغلب فترات اليوم مقام المجلس للرجال الذي لم يكن متوفراً للحرم. . ولكن تميزت أحواش الحرم بالليوان ، الذي يبنى على طول الجدران الداخلية أو على إحداها ، وتأخذ هذه أشكالاً مختلفة تحمل أسقفاً مرفوعة على سلسلة من العقود تختلف أنماطها ، وأحياناً كانت ترتفع أرضية الليوان عن أرضية الحوش. كان حوش الحرم يمثل الفراغ المعيشي للأسرة ، وتختلف طبيعة المعيشة

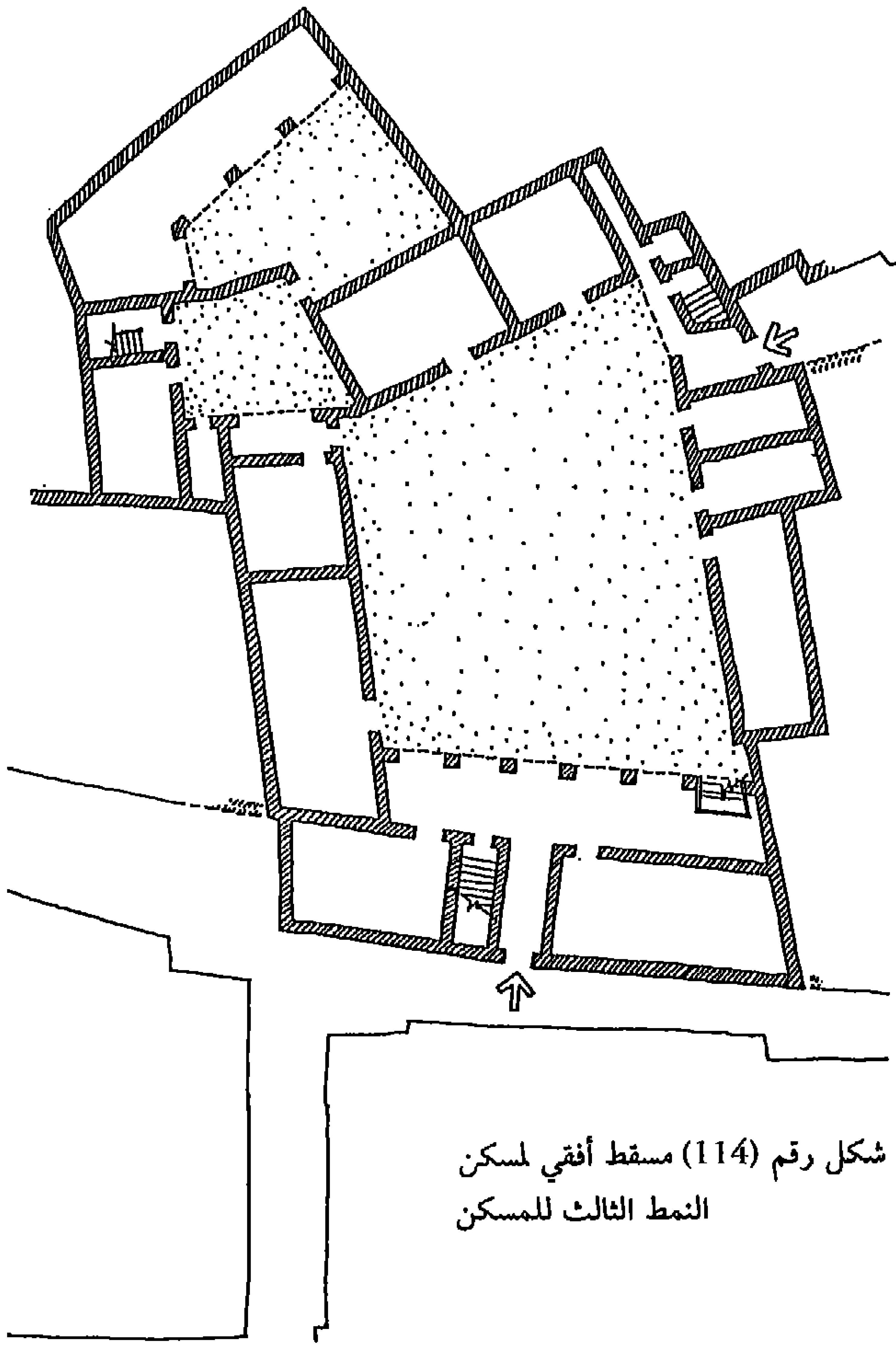


شكل رقم (113) مسقط أفقي لمسكن يبين موضع المجلس كغرفة

على طول اليوم حسب سيناريو الحياة اليومية السابق الإشارة إليه، ولكن أحيانا ينفصل حوش الحرم عن حوش خاص مستقل لرب الأسرة لمعيشته مع فراغ خاص للنوم. . ويتصل الحوشان إتصالاً مباشراً في مستوى الأرض ، كما أنه يمكن لهما أن يندمجا في مستوى الدور الأول ـ السطح ـ ولم ينتشر إستعمال هذا النمط إلا في حالات نادرة. أما فراغات النوم في المسكن متغيرة ولم ترتبط بحيز مكاني ، ولكنها تختلف مكانيا حسب توقيت وزمان النوم على طول اليوم وعلى مدار السنة حسب الظروف المناخية والموسمية، وهكذا فطبيعة الإستعمالات الحياتية للمسكن ـ كما سبق وأن حددنا في مفهوم المسكن عند الإنسان العربي ـ هي طبيعة دينامية متغيرة ولهذا لم تحتوي هذه الفراغات إلا على أقل القليل من الأثاث الثابت. . وتتساوى جميع الغرف هنا إنتفاعيا وتحيط كلها في شكل دائماً حلقي أو شبه حلقي بالحوش، ولم تعرف هذه الغرف الشبابيك غالباً إلا نادراً وكانت منافذ الضوء المباشرة الوحيدة هي الأبواب ولكن كان هناك الكوات المستطيلة أو المعقودة والتى تستعمل كرفوف ترص عليها زجاجات ماء الورد أو حليات بسيطة للزينة وبهذا تعطى بعض الجماليات للمكان.

**ثالثا ـ الخدم :**

الإنتفاع الفراغي الثالث للمسكن المديني هو الخدم، ويرتبط إرتباطاً مباشراً بالحرم، ولكنه لا يتعارض مع المجلس فراغياً أو إنتفاعياً، ولهذا كان من الممكن أن يتوسط ـ أحياناً ـ كل من الحرم والمجلس وأحياناً أخرى ينفصل عن المجلس ليرتبط فقط بالحرم. . ولم تعرف الطبقة العامة من المجتمع المحلي الفراغ الإنتفاعي الخدمة ـ كعنصر مستقل ولكنه تداخل مع الحرم في عنصر فراغى واحد ، المطبخ والمغسلة هما الوحدتان الأساسيتان للخدمة. . وتقع عادة بجانب المطبخ غرفة تخزين الوقود الذي يتكون من حطب أو فحم أو من سعف النخيل المجفف، ويتم طهو الطعام على الأرض في قدور ترتفع على أحجار تسمى «مناصب» توقد تحتها نار مكشوفة، وكانت الأفران نادرة الوجود في المساكن الصغيرة لطبقة العوام. وعموماً، لم يكن هناك تنويعاً كبيراً في أنواع الطعام يلزم معه التعقيد في تشكيل الفراغ الأنتفاعي للطبخ، بل تميزت الأطعمة المحلية بأنواع محددة ومتعارف عليها عرقياً، وأحتفظت بعض الأسر ـ أحيانا ـ بأحد الماعز



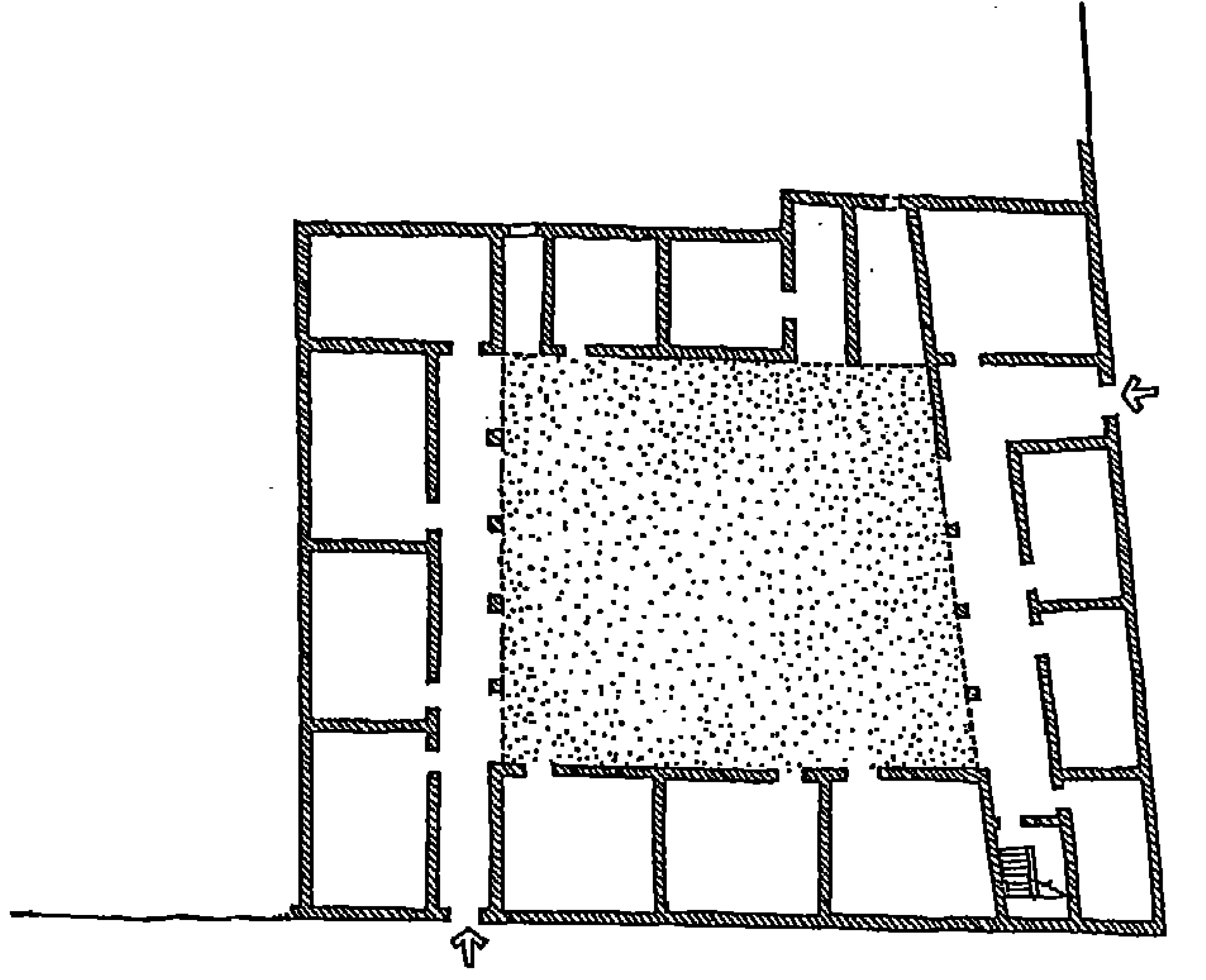
شكل رقم (114) مسقط أفقي لمسكن النمط الثالث للمسكن

أو البقر لتمدها بما يلزمها من اللبن ومنتجاته ، أحد أساسيات الغذاء المحلي، مما إستدعي ضرورة توفير حيز مكاني يتناسب مع تربية الدواب هذه. .

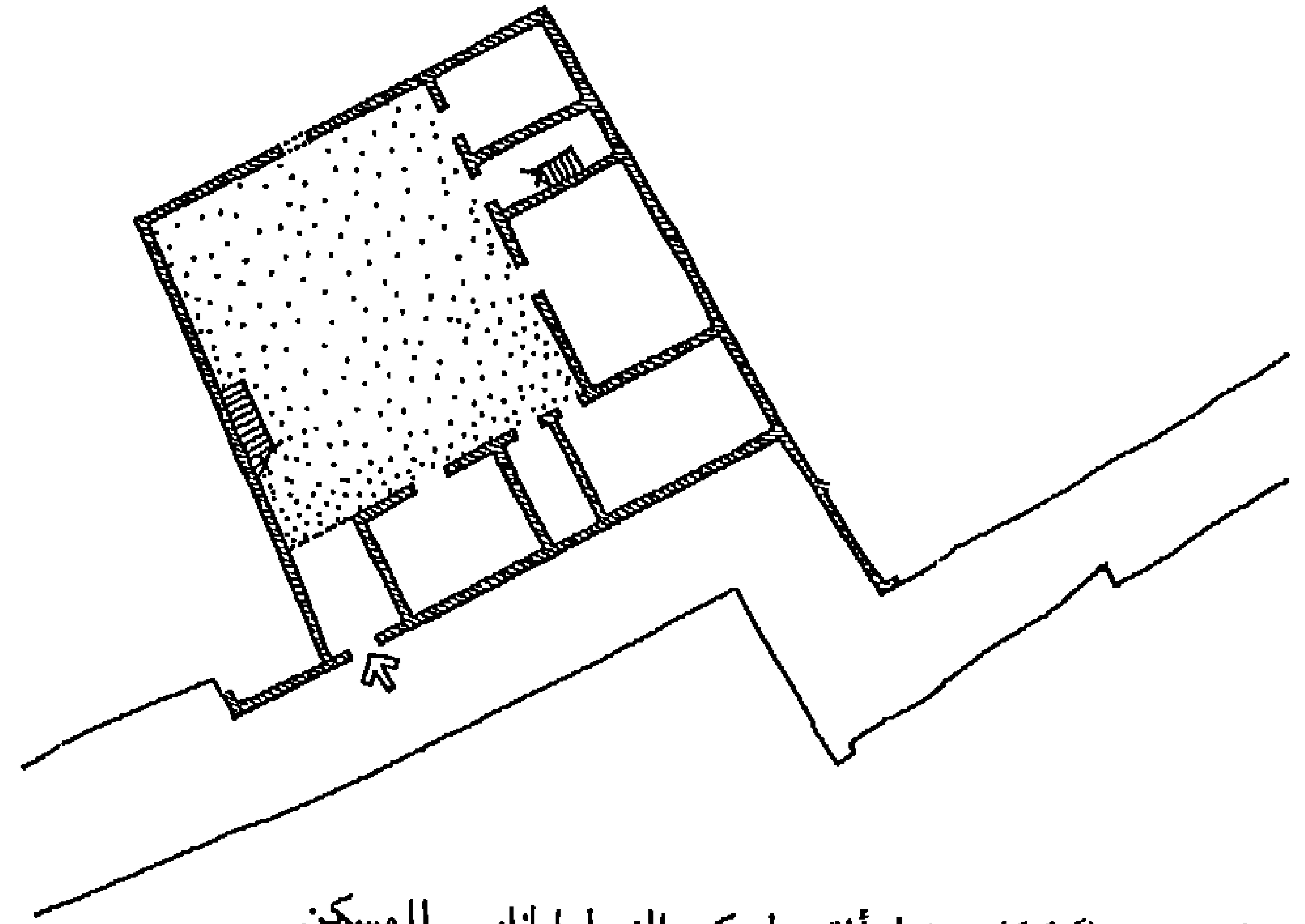
أما المرافق والحمامات في المسكن المتواضع ، فكان يخصص جزء من السطح للإستعمال كدورة مياه خاصة للنساء، حيث يمكن أن تجف الفضلات تحت أشعة الشمس الحارة. . أما في مساكن الطبقة الأرستقراطية نسبيا فكان فيها حمام ودورة مياه خاصة تحتل حجرة صغيرة مجهزة بأرضية تنحدر إلى فجوة في منتصف الحمام تؤدى إلى بيارة تحت الأرض.

والمسكن المديني في تركيبه الأنتفاعي الفراغي من المجلس والحرم والخدمة ، يتبع القانون العرفي الذي حكم أفرازات العمران المحلي لمدينة المحرق، ولكن هذا التقنين المحكم والضمني لمظاهر العمران ومنها السكن لم تتعارض مع النزعات أو الأختلافات التى أعطت المبدع المحلي الحرية في التصميم والأبداع مادام في حدود الألتزام الجمعي. . ومما

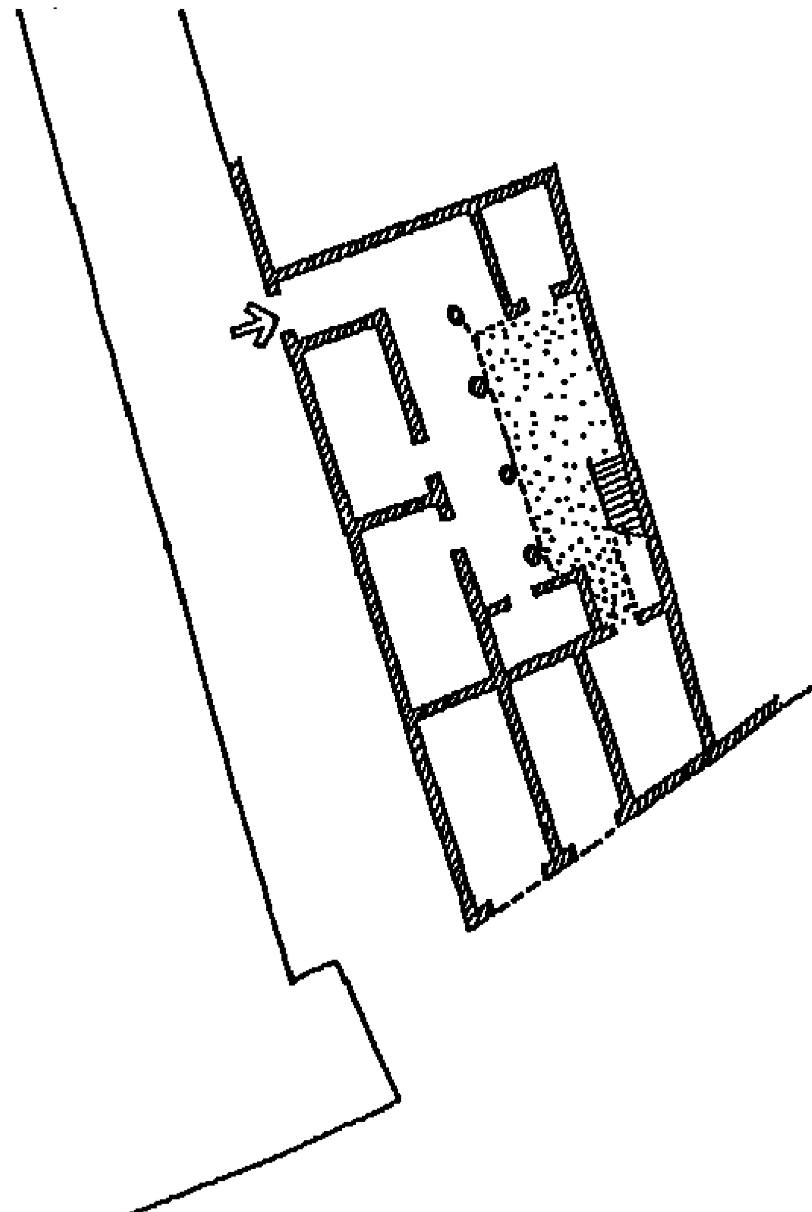
ساعد على هذا، ذلك التنوع في البنية الأجتماعية للمجتمع ككل والتركيب الطبقي للأفراد داخل هذا المجتمع . وعموماً وبناءاً على فهم وتحليل التركيب الفراغي للمسكن يمكن إعادة تصنيف مساكن المجتمع المحلي في مدينة المحرق القبلية خلال مراحل أزدهارها إلى ستة أنماط عامة تعبر عن المكانة الإجتماعية للأسرة ضمن الفريق السكني وللقبيلة ضمن المدينة، وهي في تدرجها العمراني الإجتماعي تتبع نفس الحلقية حول البؤرة العمرانية لهذا الفريق وتعمل هذه الأنماط كمؤشرات عمرانية للأنساق الإقتصادية المرتبطة بظواهر الإنتاج وخاصة تجارة اللؤلؤ وصناعة الغوص.. وتحدد الأنماط الستة في الجدولة رقم ( 6 ).



شكل رقم (115) مسقط أفقي لمسكن النمط الرابع للمسكن



شكل رقم (116) مسقط أفقي لمسكن النمط الخامس للمسكن



شكل رقم (117) مسقط أفقي لمسكن النمط السادس للمسكن

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| النمط الأول | مجلس | حرم | خدمة | ثلاثة أحواش |
| النمط الثاني | مجلس | حرم وخدمة | | حوشـان |
| النمط الثالث | مجلس وحرم | | خدمة | حوشـان |
| النمط الرابع | مجلس وحرم وخدمة | | | حوش واحد |
| النمط الخامس | – | حرم وخدمة | | حوش واحد |
| النمط السادس | – | حرم | – | حوش واحد |

| الحجم | الخصوصية | المكانة الإجتماعية | الإيقـاع |
|---|---|---|---|
| كبير | عالية | مرتفعة | بطيء |
| صغير | محدودة | منخفضة | سريع |

جدول رقم (6) الأنماط العمرانية للمسكن التقليدي بمدينة المحرق

وهكذا، أختلفت أنماط المسكن لمدينة المحرق القبلية من أكثر من منظور بما يتلاءم أو بما تفرضه الأنساق المختلفة للمكعب العمراني بجوانبه الثلاثة خاصة الجوانب الإجتماعية منها، ويمكن تجميع هذه التصنيفات في الشكل التوضيحي رقم ( 6 ) ومن خلاله نحدد التصنيفات الست العمرانية لأنماط السكن لمدينة المحرق من حيث :

الحجم. المكانة الإجتماعية.
الخصوصية. الإيقاع.

أرتبطت جميع هذه الأنماط بإستعمال مفردات لغة عمرانية ، صاغ خلالها المجتمع جملاً عمرانية مختلفة التركيب والتشكيلات يجمعها تناغم واضح ، ولكن عموماً كان النسق العمراني الحلقي هو المدخل التصميمي لأي منها، حيث الحوش الداخلي المفتوح مركز لتجمع الفراغات المقفولة من حوله. . وقد تتعدد الأحواش الداخلية ضمن المسكن الواحد حسب الأنماط العمرانية الست السابقة والمتغيرات المرتبطة بها، ولكن أستمر نفس النسق العمراني ينظم كتلة المسكن وفرغاته المتعددة. وتتميز عموماً مساكن مدينة المحرق ـ بكافة أنماطها ـ بالبساطة الشديدة في العلاقات الفراغية بين عناصرها التفصيلية الداخلية والخارجية. .

وهكذا، عرفت مدينة المحرق القبلية خلال مراحل نمو واكتمال عمرانها أنماطاً للمسكن فرضتها الأنساق المختلفة للمكعب العمراني، كما عرفت المدينة خلالها لغة مشتركة للعمران شكلت القانون الضمني والعرف السائد الذي حكم عمران المدينة. . وإستمرت هذه المرحلة حتى العشرينات من القرن العشرين ، عندما بدأ يدخل عمران مدينة المحرق مرحلته الإنتقالية بين عامى 1923 – 1951 ميلادي ، والتى أفرزت المدينة فيها أنماطاً تبدو ـ ظاهرياً ـ أمتداداً للمرحلة السابقة ، ولكن تختلف جوهرياً عنها، وسبق وأن حددنا أن المجتمع المحلي قد مر بتغييرات أساسية طرأت على الجوانب الثلاثة : السياسية والإقتصادية والإجتماعية، خاصة تغير البنية الإجتماعية بظهور طبقات أجتماعية وإقتصادية جديدة متمثلة في طبقة العمال الجديدة والطبقات المتوسطة بتطلعاتها المعروفة. . وتزامن هذا التغيير الإجتماعي الطبقي بشكل متناسب مضطرد مع تغيير التنظيم القبلي سياسياً وهو المحدد الأساسي لعمران المدنية وإستيطانها وبالتالى سكناها ، بالإضافة إلى تغيير نظام القبلية الأقطاعية بتغيير القوى الأنتاجية الأساسية. وأدت هذه المتغيرات مجتمعة ومتكاملة إلى فقدان مدينة المحرق القبلية للمسكن بأنماطه المتعددة وظهور أفرازات جديدة معاصرة تفتقد الهوية والأنتماء إلى المجتمع المحلي ببيئته وموروثه وثقافته، أى أن فكرة المسكن العربي المحلي قد تطورت هنا في المحرق كأنعكاس لخلفية أجتماعية واضحة ومحددة المعالم والسمات، ولكن عندما طرأ تغيير رئيسي على هذه التركيبة فقدت فكرة المسكن تلك ملاءمتها فأهملتها وتخطتها المدينة ، بدعوى التقدم والتطور والمعاصرة، ومما زاد الطين بلة أن التقنية الحديثة ـ خاصة في فترة الستينات والسبعينات ـ عمدت إلى تحييد وإلتهام اللغة العمرانية المتوارثة في كيانات هذا العمران، بالإضافة إلى زرع إحتياج وهمي لدى الفرد المعاصر بالتغيير المظهرى حتى أصبح التجديد والأغتراب عندئذ مبدأ مطروحاً يرمز به إلى التقدم والتطور والعكس هو التأخر والجهل. . هذا بالإضافة إلا أن معظم ثقافات الطبقات المتوسطة النامية في المرحلة الأنتقالية لعمران مدينة المحرق، والفترات التالية لها هي ثقافات غربية بشكل مباشر عن طريق التعليم والأنشطة الثقافية ، أو بشكل غير مباشر عن طريق الغزو الحضاري الأستعماري خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي اشتدت شراسته في الحقبة المعاصرة في السبعينات وما بعدها. . من هذه التركيبة الجديدة للفرد والمجتمع جاء المسكن الحديث خالياً من كثير من المفاهيم التى عاشتها المدينة القبلية ، وأصبح تعبيراً مظهرياً أجوفاً يعبر عن اللامضمون إجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً، بل هو تعبير صريح عن تلك الأزدواجية التى عانت وتعاني منها الطبقات الجديدة بين التمسك بالقديم والتطلع إلى الجديد. . بين التوجه إلى الذات والخروج إلى الغير. . بين تقاليد صعب التخلص منها أفكار غربية مستحيل الإندماج فيها. . بين هذا وذاك كانت أزدواجية الفرد والمجتمع والمسكن الذي أصبح أقرب إلى النزوة الشخصية ، وجزء من عمليات التغريب والتغييب المستمرة للمجتمع بطبقاته ومستوياته ، وخاصة الطبقة المتوسطة البرجوازية التى يقع على عاتقها مسئولية ما حدث في تغيير أنماط العمران وخاصة المسكن في المراحل الأنتقالية والحديثة، وهي أيضا المسئولة والقادرة على إعادة ما كان. .

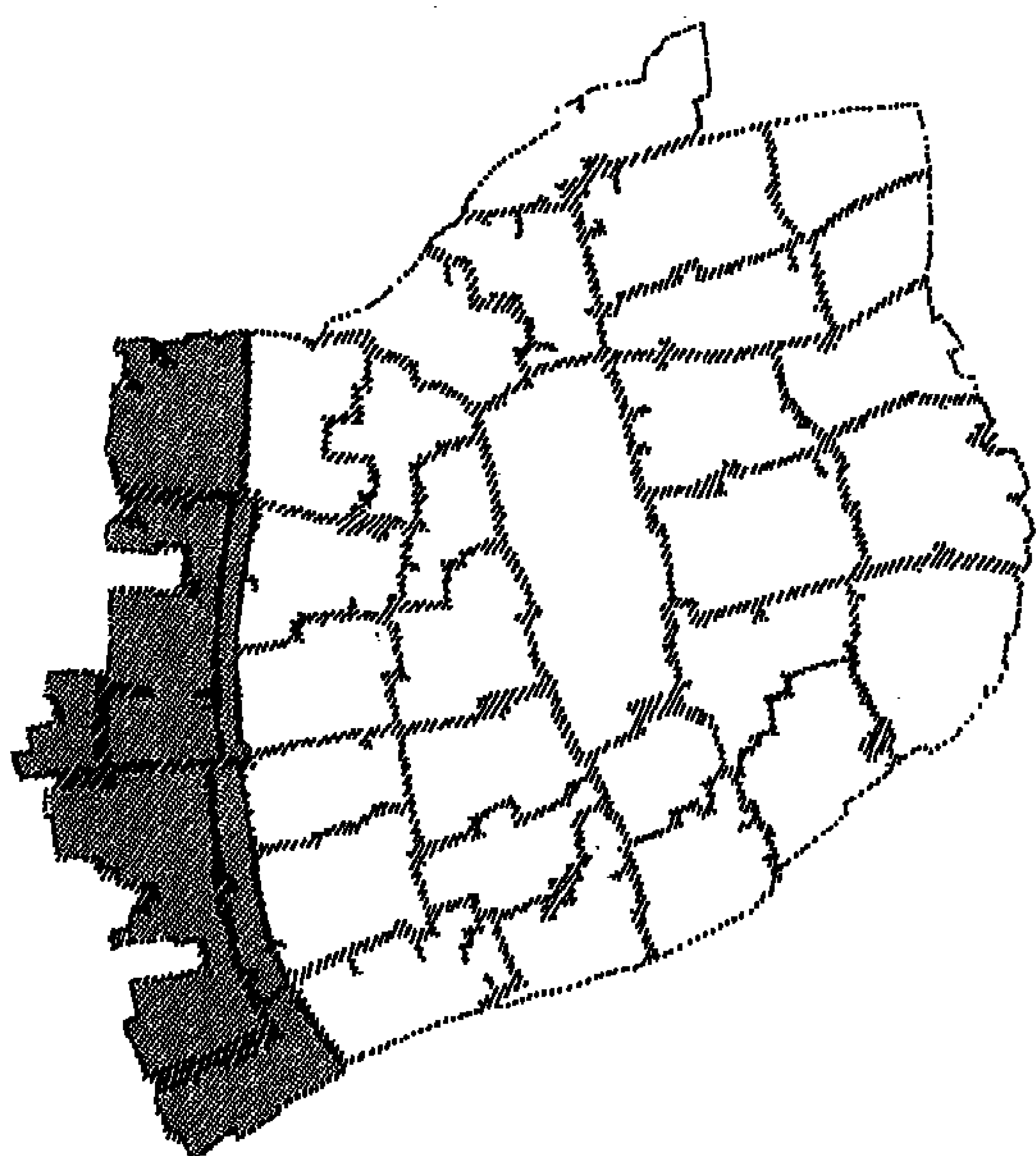
مما لا شك فيه أن أسواق المدينة كمؤسسات إقتصادية هي المرآة لحياتها الإقتصادية وعنوان نشاطها الإنتاجي ، بل وبناءها الإجتماعي وتنظيمها السياسي أيضا . . ولقد عاشت مدينة المحرق خلال مراحل نموها وإكتمال عمرانها مرحلة القبلية الإقطاعية ، التى إعتمدت في تنظيمها الإقتصادي على نمطين أساسيين هما تجارة اللؤلؤ وصناعة الغوص أولا ، بالإضافة الى تجارة العبور . . وكما سبق أن حددنا سيطر على هذين النمطين مجموعات القبائل التى هاجرت وإستوطنت مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي المدينة الجديدة ـ المحرق ـ ، ولكن نظرا للإضطرابات السياسية والصراعات الخارجية والداخلية شهدت المؤسسات الاقتصادية مراحل نمو وركود متتالية . وعموما أدى إستيطان آل خليفة والقبائل العربية الموالية إلى إزدهار وتنشيط الحركة التجارية وصناعة الغوص التى سيطروا عليها ، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بعد أن ضمنت السلطات البريطانية الإستقرار الخارجى في الخليج والإستقرار الداخلي في الجزر .

إرتبطت المؤسسات الإقتصادية بالبحر كعلاقة إنتاج ، ومن هنا إنفصلت هذه المؤسسات عن كيانات المستقرات القبلية للسكنى عمرانيا ، وتوجهت إلى البحر والشاطىء ، وعرفت هذه المؤسسات محليا بإسم السوق الذى تطور على مراحل نمو ترتبط بالنمو العمراني للمدينة القبلية التى كانت تنتمي إلى نوع من إقتصاد السوق . وبالرجوع إلى النسق الإقتصادى الأل ـ القبلية الإقطاعية ـ ولمبدأ إقتصاد السوق المرتبط بالقوى الإنتاجية لتلك القبيلة الإقطاعية ، والقائم على شقين هما الإنتاج والتوزيع ، ويمكن تحديد عام لتوصيف مؤسسات السوق بمدينة المحرق القبلية إلى أربعة أنماط :

(1) مؤسسات تعتمد على التجارة المحلية ، أي أنها تشتري بهدف إعادة البيع ، وهي الأسواق النوعية والحوانيت الخاصة وقد عرف سوق المحرق منها : سوق القيصرية وسوق العجم وسوق الكَراشي وسوق الطيارة وسوق محيش وسوق الخارو . . . . وغيرها .

(2) مؤسسات تعتمد على تجارة الوسطاء وخاصة في مجال تجارة اللؤلؤ ، وظهرت هذه في سوق المحرق في كيانات مجالس خاصة لتجارة اللؤلؤ بالإضافة إلى بعض المقاهي المنتشرة بالسوق .

(3) مؤسسات تعتمد على تجارة العبور ، وإرتبطت هذه بالميناء ـ الفرضة ـ من جهة ، وبكيانات عمرانية متخصصة على علاقة بالبحر من جهة أخرى ، مثل الخانات والوكالات ـ وتعرف محليا باسم العمارات ومفردها عمارة .



شكل رقم (118) موقع السوق بمدينة المحرق القبلية

(4) مؤسسات لبيع منتجاتها الخاصة من حرف وصناعات محلية ، وعرف منها سوق المحرق أسواق خاصة لحرف نوعية كالصاغة والحدادة والنجارين والحياكين . . . كما عرف السوق صناعة متخصصة كصناعة السفن .

وشكلت هذه الأنماط الأربعة بكياناتها العمرانية المتعددة النسيج العمراني للسوق ، وللأسف ليس هناك توصيف تاريخي لمراحل نمو أو تطور السوق ، ولكن من الممكن وضع تصور لهذا التطور من خلال قراءة بعض الخرائط التاريخية وتحليل الأنساق المتعددة للمكعب العمراني وخاصة الجانبين الإقتصادي والسياسي ، ونحدد هذا التطور عموما فى ثلاث مراحل لكل منها ذاتيتها وتركيبها الإقتصادي العمراني المرتبط بمراحل تطور الإستيطان للمدينة خلال (- 1971 1810) .

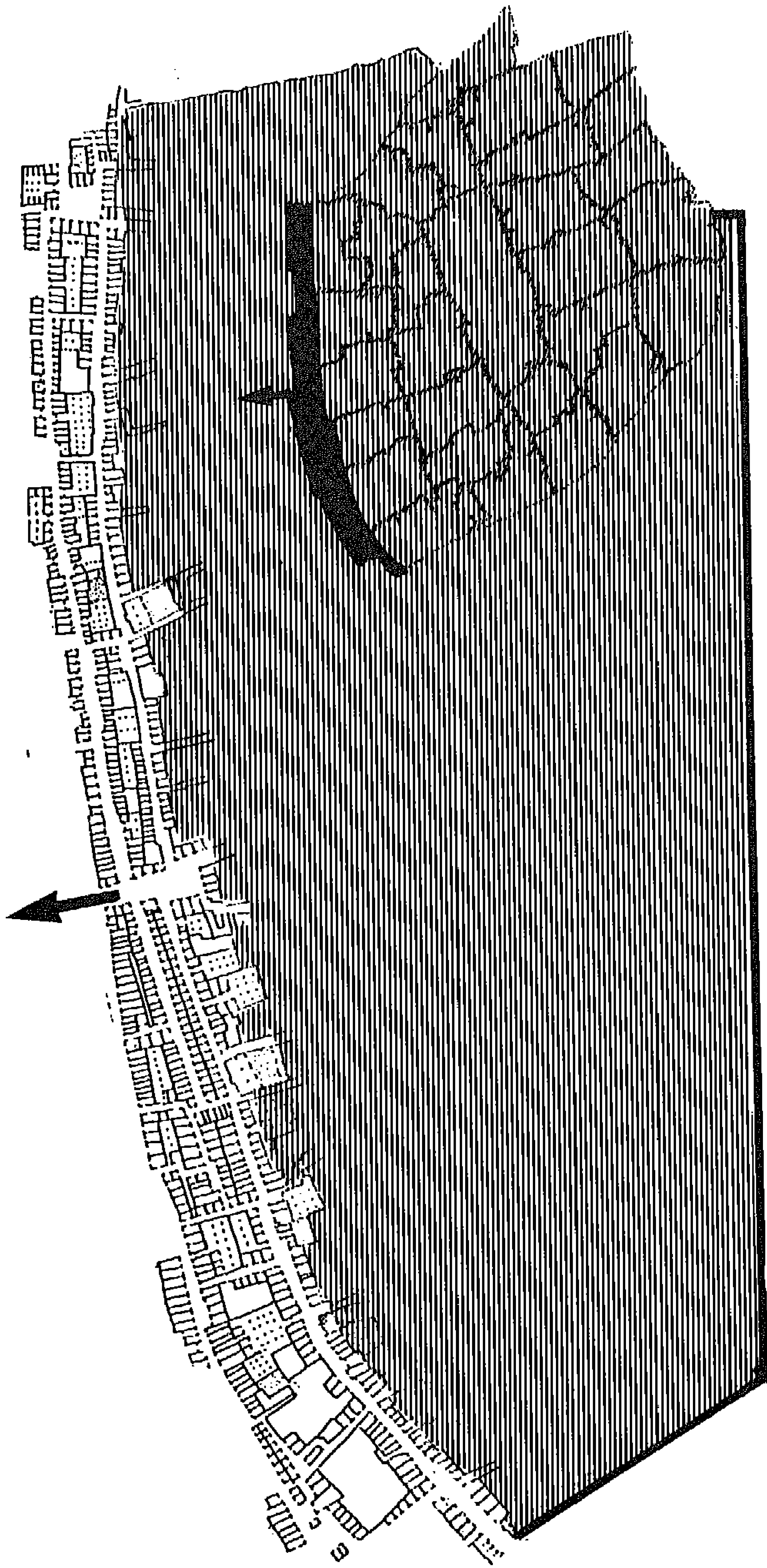
**المرحلة الأولى ـ بداية تشكيل السوق :**

بدأ يتشكل السوق كإحتياج أساسي للمستقرات القبلية الجديدة في مدينة المحرق ، ليلبي ما تحتاجه هذه القبائل من بضائع لحياتها اليومية ، من هنا كان ميلاد السوق نابع لإستيطان وعمران المستقرات القبلية وليس سابقا عليها ، وهناك رأي يذهب الى ان تشكيل السوق كان في عهد الشيخ عبدالله بن أحمد الفاتح مؤسس وحاكم مدينة المحرق منذ عام 1810 الميلادية ، حيث أمر الحاكم ببناء السوق وكان مسوراً وله ثلاث بوابات تقفل ويقوم على حراسته النواطير ليلا . . ويقع هذا السوق على البحر عند موقع سوق القيصرية الحالي وحوله في إتجاه خطي شريطي .

وبالرغم من غياب السند التاريخي الذى يؤكد أو يفند هذا الرأي . إلا أنه من شبه المؤكد أن تشكيل السوق وعمرانه مع إكتمال عمران المستقرات القبلية عام 1869 الميلادية ، وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كان إحتياجا طبيعيا وضروريا للحياة المعيشية الجديدة من جهة ، ولرواج النشاط الإقتصادي التجاري من جهة أخرى . ترجع بداية تشكيل وعمران السوق بمؤسساته الإقتصادية إلى عاملين أساسيين :

(1) الموضع : مع إستقرار وإستيطان القبائل وتشكيل كيان المدينة السكني ، ونظراً لعزلة الموضع الجديد للمدينة نسبيا لكونها جزيرة كان الإحتياج الأول لوجود سوق يلبي الضرورات المعيشية للمدينة .

(2) الموقع : بعد إستقرار الأوضاع في الخليج عموما وإزدهار النشاط التجاري البحري وتشجيع حكام الجزر محليا لتجارة العبور ، ونظرا لإستراتيجية موقع المحرق على خطوط الملاحة الخليجية وأمن هذه الخطوط بعدد من القلاع المخصصة للحماية : قلعة عراد ، قلعة بو ماهر ، قلعة البرتغال . . كل هذا أدى إلى بروز نشاط تجاري بحري ، خاصة تجارة العبور على الساحل الغربي لمدينة المحرق الجديدة قبل نهاية القرن التاسع عشر الميلادي .



شكل رقم (119) خريطة تصورية لسوق مدينة المحرق بنهاية القرن التاسع عشر



شكل رقم (120) صورة سوق الخارو بمدينة المحرق عام 1880 ميلادية

ليس هناك وصف دقيق لتركيب السوق خلال هذه المرحلة سوى ما كتبه لوريمر في وقت لاحق عند بداية القرن العشرين : إن للمحرق سوق وحيد يتكون من 300 حانوت ، وأن أهل المدينة تجار عموميون وأصحاب متاجر وتجار لؤلؤ وملاحون وأصحاب سفن ، وحلاقون وحياكون وجزارون وصناع أحذية وبناؤون وعمال تعليب وبائعو ماء وغسالون [1] . .

وليس هناك تحديد لتوزيع هذه الحوانيت على طول السوق ، ولكن يبدو أنه في الغالب قد عرف السوق التخصص من خلال أسواقه النوعية حسب التجارة أو الحرفة وما زال بعضها قائماً حتى الآن . . وتميزت الأسواق النوعية بإيقاعاتها الثابتة المتكررة بأنتظام على شريان خطي يمثل الحد الغربي للمدينة وإنفصل خارجها ، ولم يتخللها نظراً للتركيب القبلي المحكم ، والنظرة القبلية لهذه النوعية من الأعمال التي تراها القبيلة أعمال دنيا من جهة ، وتتعدى حدود الخصوصية كما تحددها الأنساق الإجتماعية من جهة أخرى ، ومن الطبيعي أن يتبع نظام التتابع النوعي لتلك الأسواق مقدار التشابه فيما بينها ، مع مراعاة تحاشي أي أضرار أو تلفيات قد تنشأ من علاقات الجوار ، وساعد على التجمع النوعي للتجارات والحرف البسيطة على تنظيم السوق ذاتيا من خلال التجار أنفسهم وأصحاب الحرفة



شكل رقم (121) صورة السقا بمدينة المحرق عام 1920 ميلادية

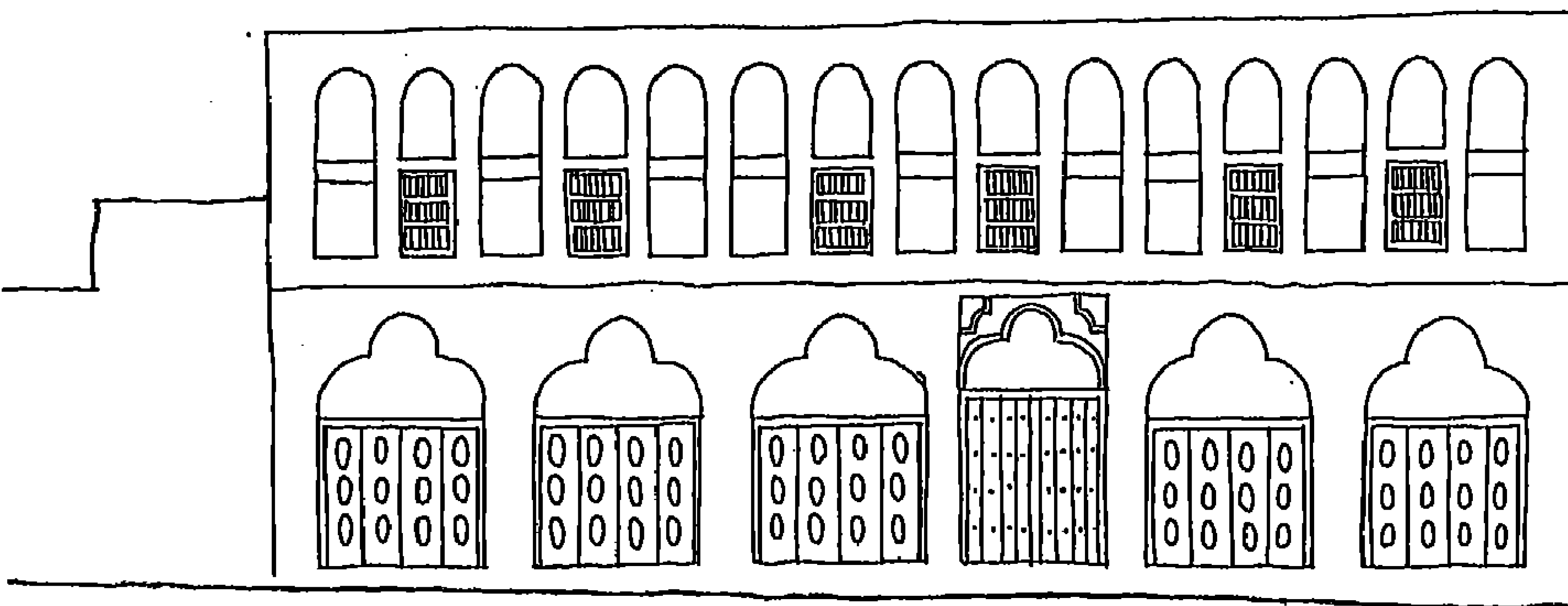
(1) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ص1611

الواحدة ، وشجع هذا التركيب النوعي ساكن المدينة وزائرها على الشراء وتلبية إحتياجاته بشكل سريع ومحدد . . وبالتالي حققت التصنيفات النوعية التوازن في الفائدة بين التاجر والمشتري .

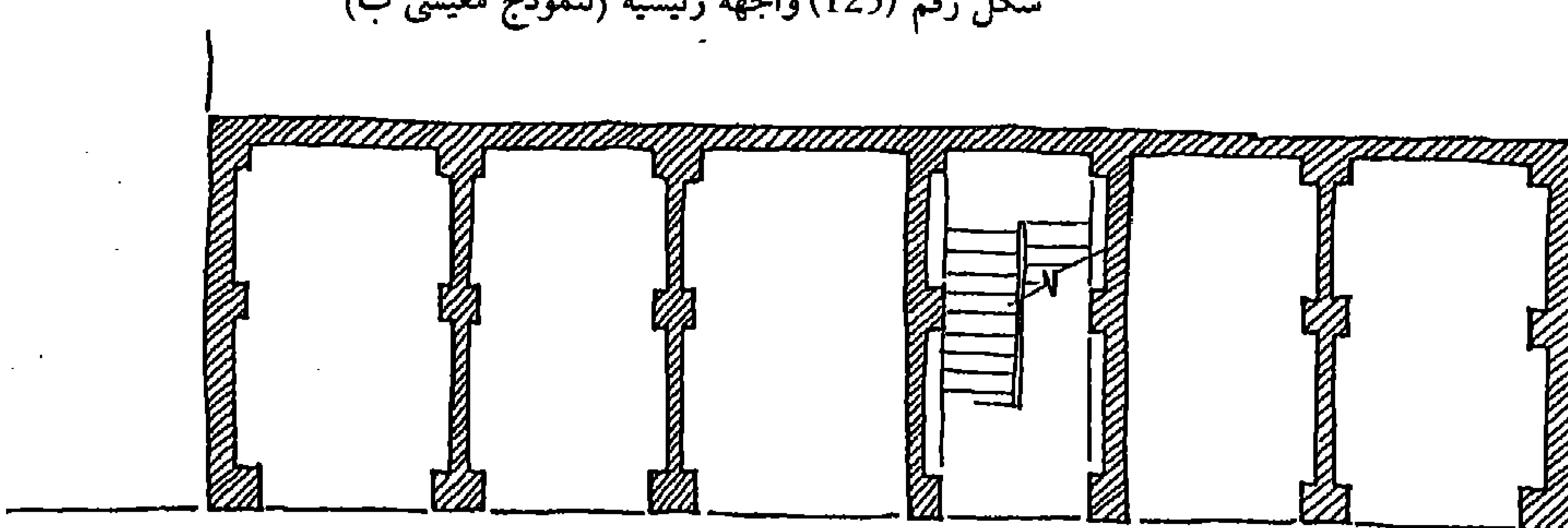


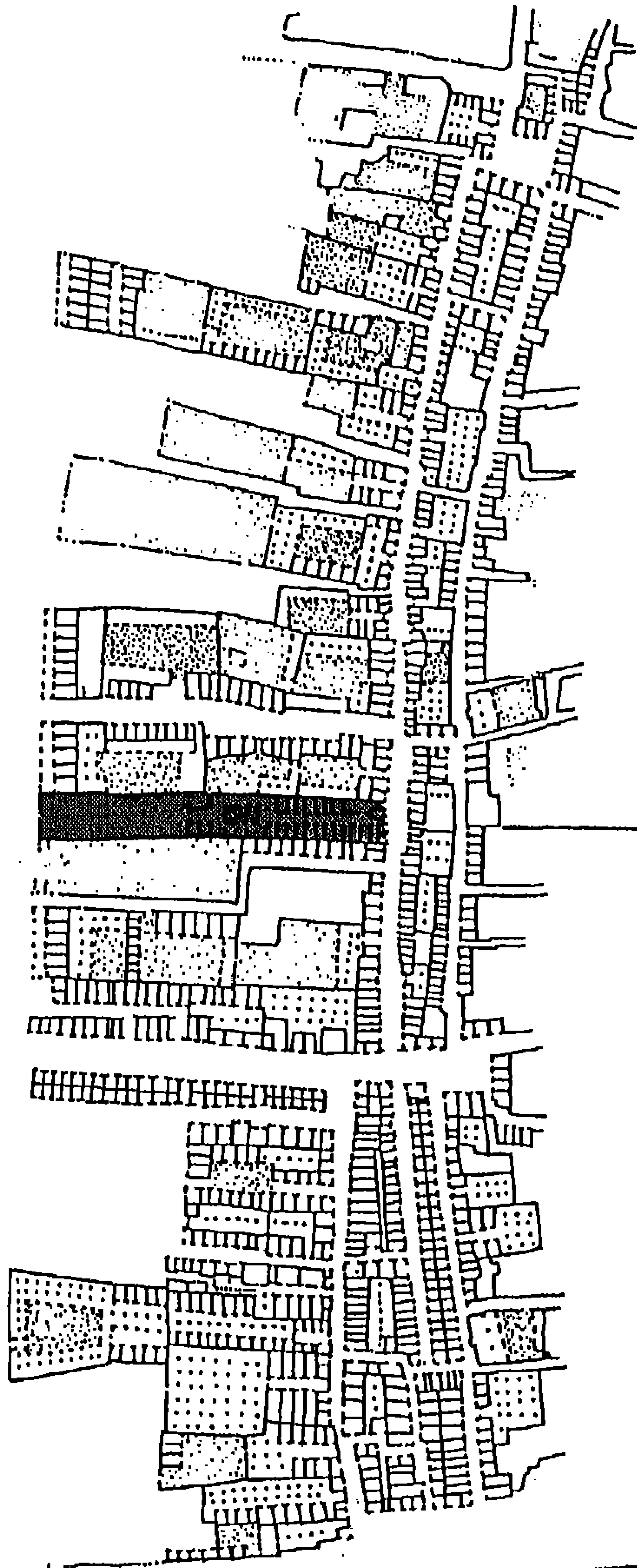


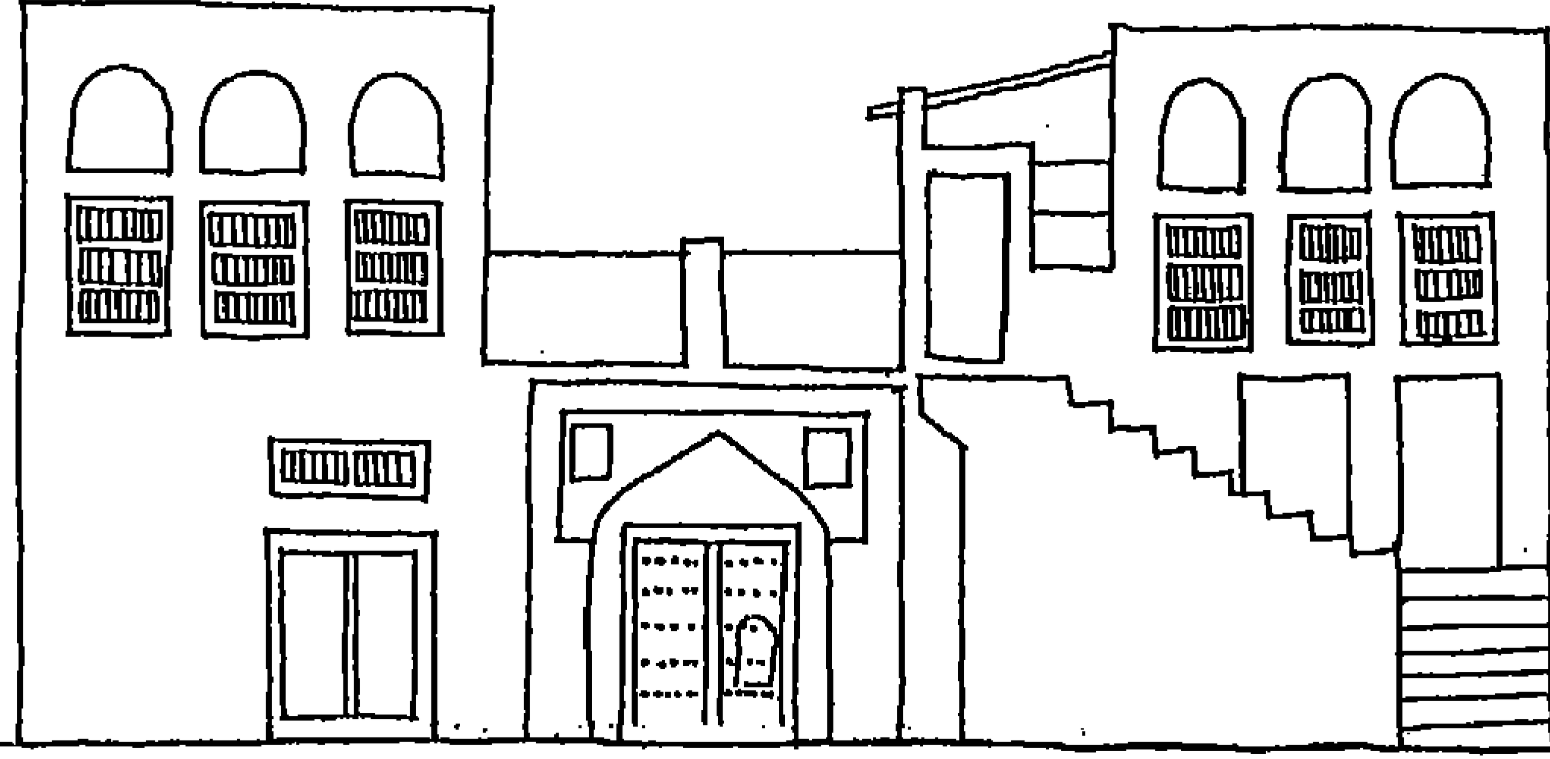
شكل رقم (122) مسقط أفقي لنوذج الوحدات التجارية (نموذج أ)
شكل رقم (123) واجهة رئيسية على الشارع التجاري (نموذج أ)



شكل رقم (124) مسقط أفقي لنموذج الوحدات التجارية (النموذج المعيشى ب)
شكل رقم (125) واجهة رئيسية (لنموذج معيشى ب)

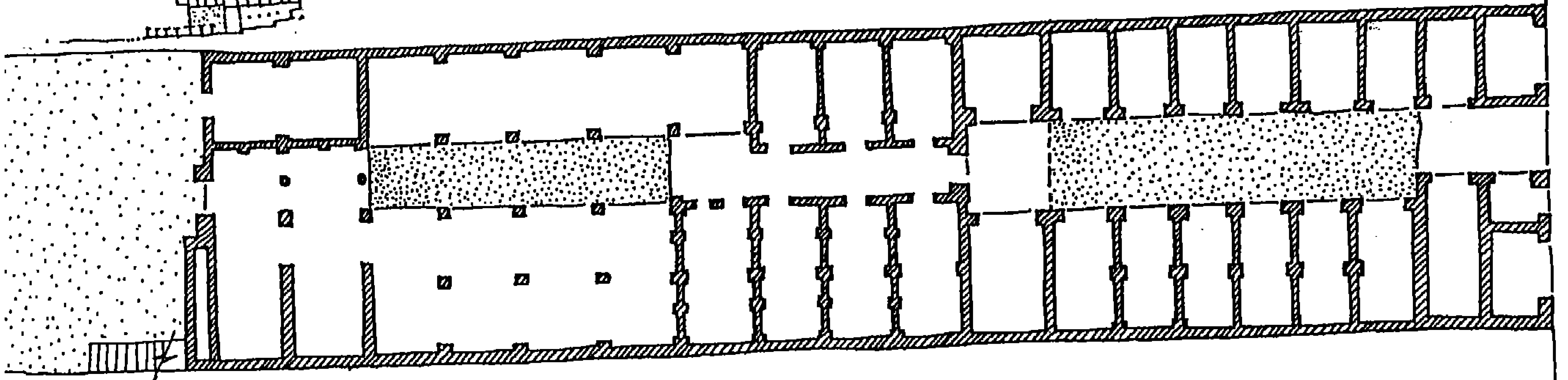


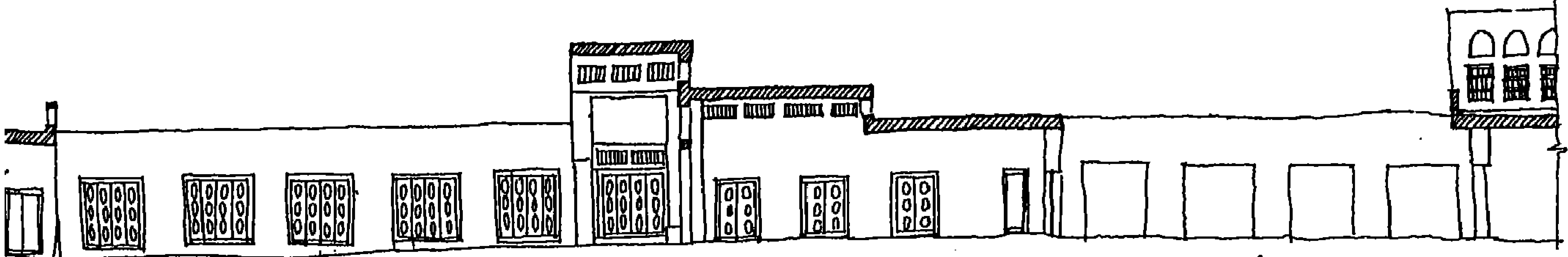




شكل رقم (126) مسقط أفقي لنوذج الوحدات التجارية (النموذج حـ)

شكل رقم (127) واجهة خارجية (النموذج حـ)





شكل رقم (128) قطاع رأسي (النموذج حـ)

وهكذا ، شكل السوق الحائط الخارجي للمدينة ، وفي ذات الوقت كان نقطة الإتصال العمراني بين المستقرات القبلية والعالم الخارج عن المدينة ، ويمكن تحديد السمات العامة لعمران السوق خلال مرحلتها الأولى فيما يلي :

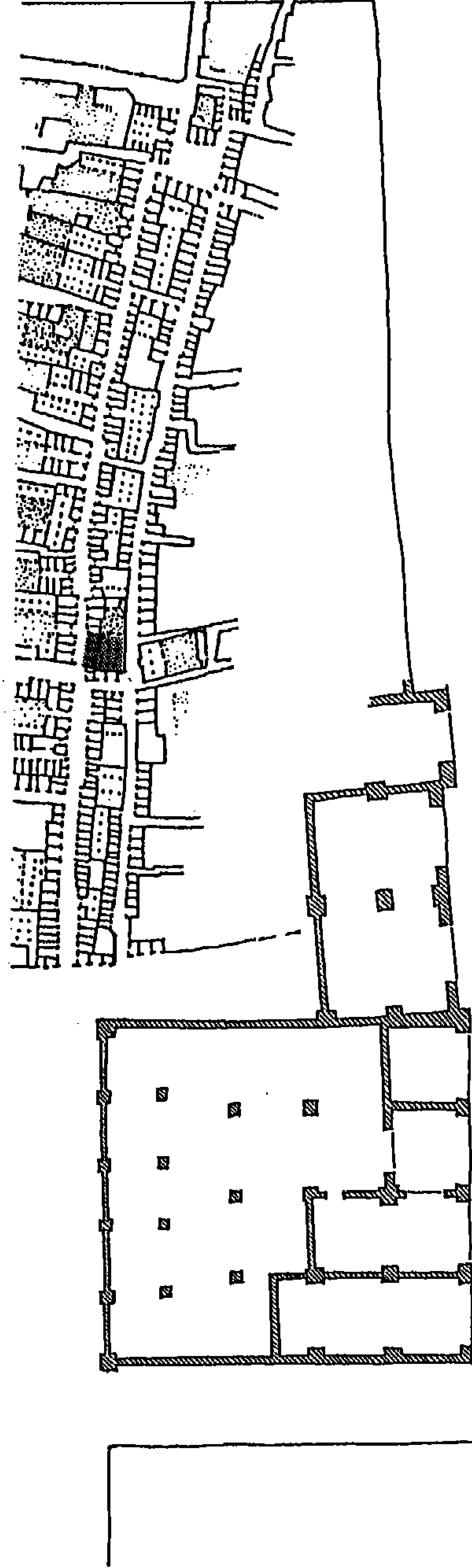
(1) المحلية وإرتباط عمران السوق داخليا بعمران الفرق السكنية (القبلية) .

(2) الإيقاع المنتظم والمتكرر .

(3) النسيج الخطي المتلازم مع التشكيل الحلقي للمدينة .

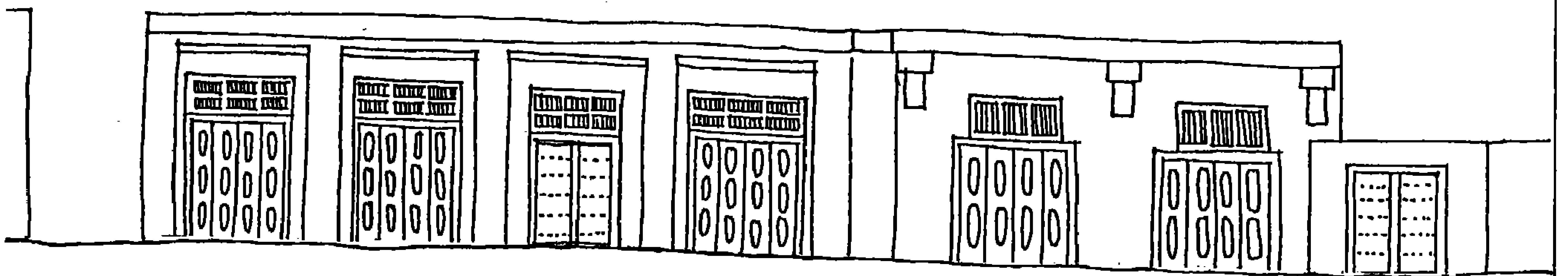
(4) الفصل النوعي بين الأسواق المتخصصة على هيئة متتالية طولية مع مجموعة الحوانيت .

من جهة أخرى إرتبط عمران السوق أيضا بأنماط إنتاجية محدودة تتمثل في بعض نوعيات الحرف المحلية كالصاغة والحياكين والحدادة والنجارين . . . وجدير بالإشارة أن غالبية أرباب هذه الحرف من البحارنة ، الذين سكنوا الحدود الجنوبية والشرقية من المدينة في تجمعات غير قبلية تعتمد في عمرانها على البنية الحرفية - كما سبق وأن حددنا - وهكذا إرتبط عمران السوق عندئذ كنسق للتصنيف النوعي للأسواق المتخصصة مع عمران مستقرات غير قبيلة . . وهناك كثير من الدلائل القاطعة ما يشير إلى إرتباط هذين النسيجين العمرانيين من سكن للحرفيين والسوق أهمها وجود تجمعات حرفية لم يكن لها دكاكين فى السوق نفسه رغم إرتباطهم بالسوق كالبنائين والنقاشين والسقائين . . وآخرين ، حتى الغواصين والصيادين . . ومن هنا إكتسبت تجمعات سكنى أرباب الحرف تلك العلاقة المباشرة مع السوق رغم التباعد المكاني بينهما الذى فرضه التشكيل الحلقي للمدينة والبنية الإجتماعية القبلية لها .



شكل رقم (129) مسقط أفقي (لنموذج د)

شكل رقم (130) واجهة رئيسية (لنموذج د)



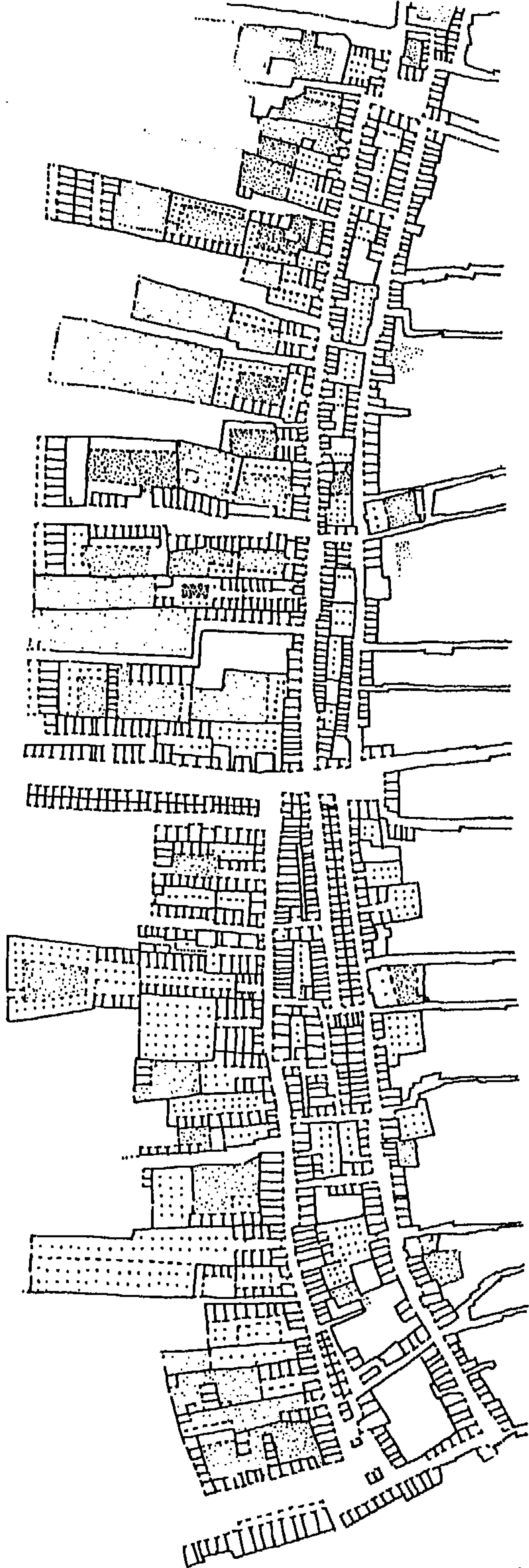
## المرحلة الثانية ـ تطور وإكتمال السوق :

بعد الحرب العالمية الأولى سرعان ما بدأت تجارة الخليج في الإنتعاش ، ودخلت جزر البحرين عموما مرحلة من تطورها التجاري فأصبحت مركزاً تجارياً رئيسياً في الخليج ، وخصوصاً أن شركة الهند الشرقية البريطانية إتخذت من البحرين مركزاً لتصريف البضائع ، ومن جهة أخرى ساعد الإستقرار الداخلي على تنشيط التجارة عموماً لجزر البحرين ولمدينة المحرق خاصة بإعتبارها مستقر القبائل العربية التى إحتكرت النشاط التجاري المحلي وتجارة اللؤلؤ ، وكانت تمثل مدينة المحرق وحدها ثلث القوى الإقتصادية ويوضح الجدول رقم ( 7 ) دور مدينة المحرق في إجمالي هذه القوى بالنسبة لجزر البحرين (1).

| | أسطول الغوص | | الاسطول التجاري | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | عدد السفن | عدد العاملين | عدد السفن | عدد العاملين | الحمولة |
| مدينة المحرق | 282 | 5582 | 707 | 7390 | 8320 |
| منطقة المحرق | 597 | 11555 | -- | -- | -- |
| جزر البحرين | 917 | 17633 | 1760 | 18390 | 20720 |

جدول رقم (7) توزيع القوى العاملة في النشاط التجاري في بداية القرن العشرين

أدى الإزدهار النسبي بسوق المحرق إلى نمو السوق وتطور وظهور المؤسسات الإقتصادية المرتبطة بالحركة الإقتصادية الجديدة ، فظهرت مجالس تجارة اللؤلؤ والوكالات والخانات ، هذا بالإضافة إلى نمو الفرضة والميناء كقاعدة تجارية هامة شكلت مع المنامة القاعدة العريضة لتجار العبور ، وزاد من النمو العمراني ـ بطبيعة الحال ـ النمو الإقتصادي . . ونظراً لإرتباط تلك الأنشطة الإقتصادية بالأبعاد الخارجة عن كيانات المدينة إتجهت محاور الإمتداد العمراني للسوق نحو الخارج حيث الخليج وخطوط الملاحة التجارية والإرتباط المباشر مع الأنماط الإنتاجية التقليدية . . وإتخذ النمو محاور متعامدة مع النسيج الخطي المشكل للمرحلة الأولى لعمران السوق ليكون حولها نسيجاً جديداً ، تتخذ كتلته شكل الأصابع الممتدة إلى الماء ، ويعبر هذا عن الإستقلالية والذاتية في التنظيم القبلي كنظام سياسي إداري ـ وإقتصادي ، وضمّن للقبيلة إستقلالها وسيطرتها شبه الكاملة على مصادرها الإنتاجية ، وإمكانية تطويرها وتنميتها أقتصاديا وبالتالي عمرانيا وماديا . وحقق هذا النمو المتعامد لأصابع العمران في السوق أقصى إستغلال للشاطىء ، حيث إمتدت حدود الشاطىء بطول الأصابع العمرانية وبمدى عمقها في الخليج بدلاً من الحدود الطولية للمدينة والجزيرة فقط .



شكل رقم (131) خريطة تصورية لسوق مدينة المحرق القبلية النصف الأول من القرن العشرين

(1) دليل الخليج ـ القسم التاريخي ........................................ ص 3251

شكل رقم (132) صورة سوق القيصرية بسوق المحرق القبلية



عرف سوق المحرق خلال هذه المرحلة مؤسسات إقتصادية جديدة ، أفرزت كيانات عمرانية لم يعرفها السوق من قبل وأهمها هي :

(1) الخـــان .

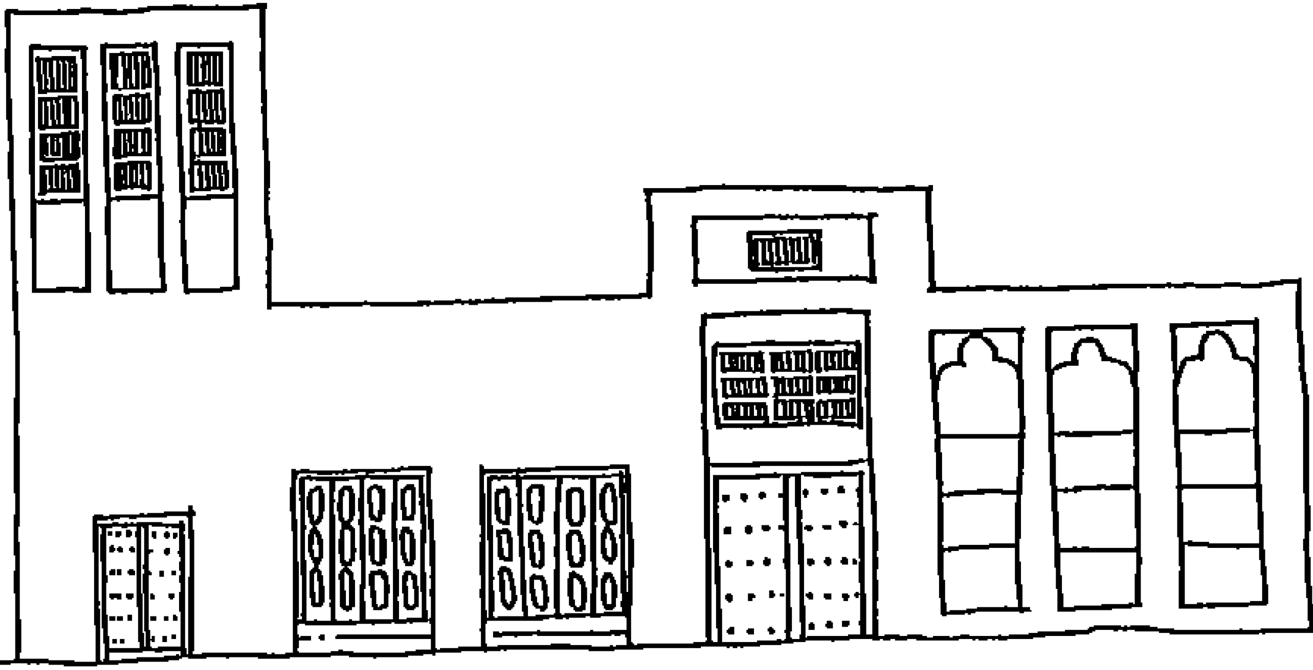
(2) الوكالة/ العمارة .

(3) مجلس تجارة اللؤلؤ .

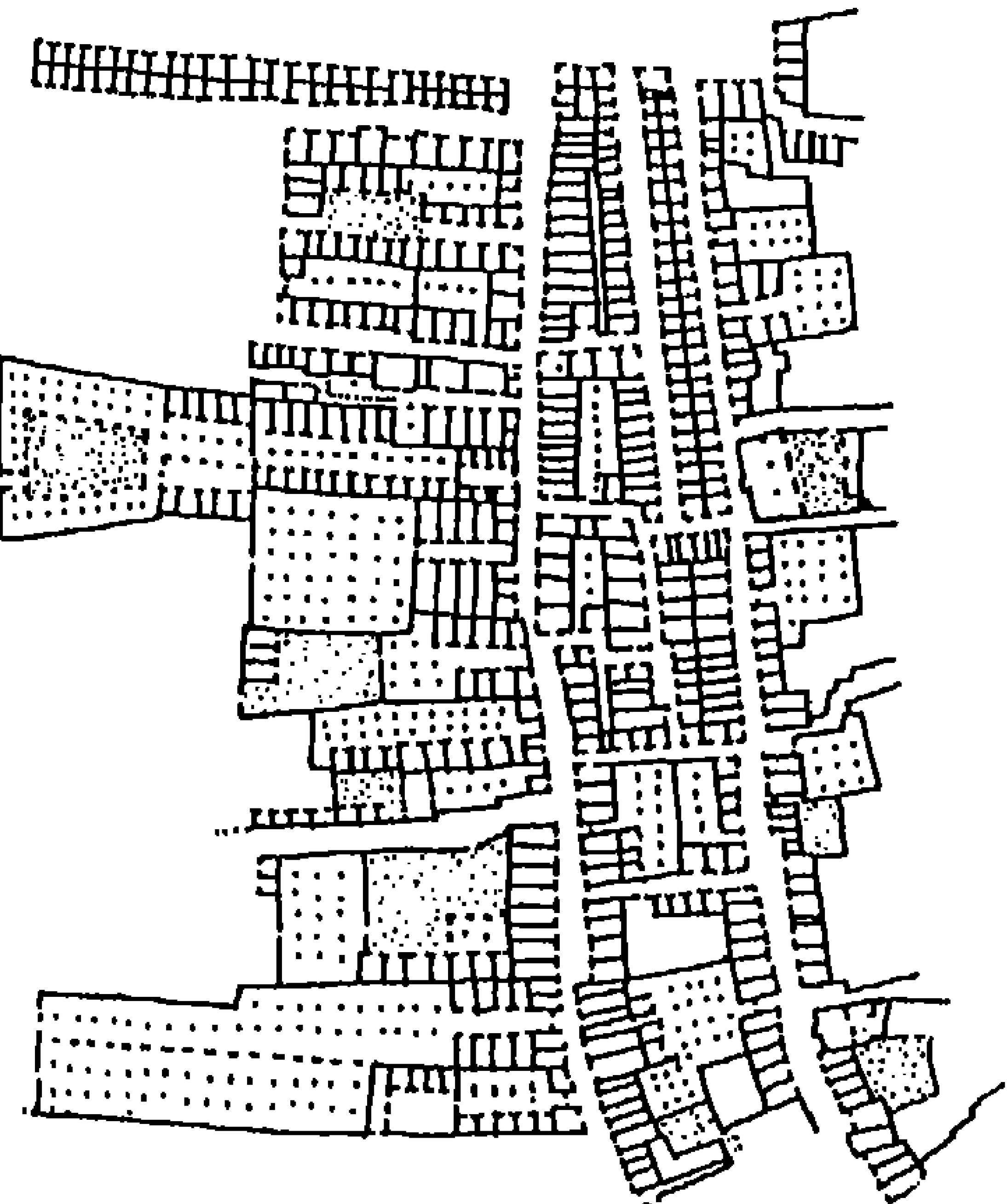
(4) المقاهي .

عموماً ، قامت الخانات في سائر المدن التقليدية العربية والإسلامية غالباً خارج المدن على إمتداد الطرق التجارية ، بينما قامت الوكالات وما شابهها داخل المدن ذات النشاط التجاري ، ولكن نظراً لطبيعة موضع مدينة المحرق وكونها جزيرة ، ولإرتباطها بطرق تجارة ملاحية فتجاورت كل من الوكالة والخان في السوق ، خاصة وأن التركيب العمراني للمدينة ووضعية السوق منه تسمح بهذا التجاور ، فلقد كانت هذه المؤسسات لخدمة التاجر المرتحل أو تاجر العبور وهم غالبا من خارج المدينة .. وتواجد السوق خارج المستقرات السكنية للقبائل ضمن الخصوصية شبه الكاملة للفريق السكني والمجتمع المحلي ، وكان الخان موجه لإستضافة التجار الغرباء الذين إجتذبتهم تجارة البحرين وإزدهار السوق التجاري بالمحرق ، فكان الدور الأول من الخان للإقامة أو السكن بينما كان الدور الأرضي في الغالب مرتبطا بطبيعة النشاط الإقتصادي في السوق على هيئة حوانيت مخصصة للتجارة أو ورش صغيرة مخصصة للحرف المحلية .

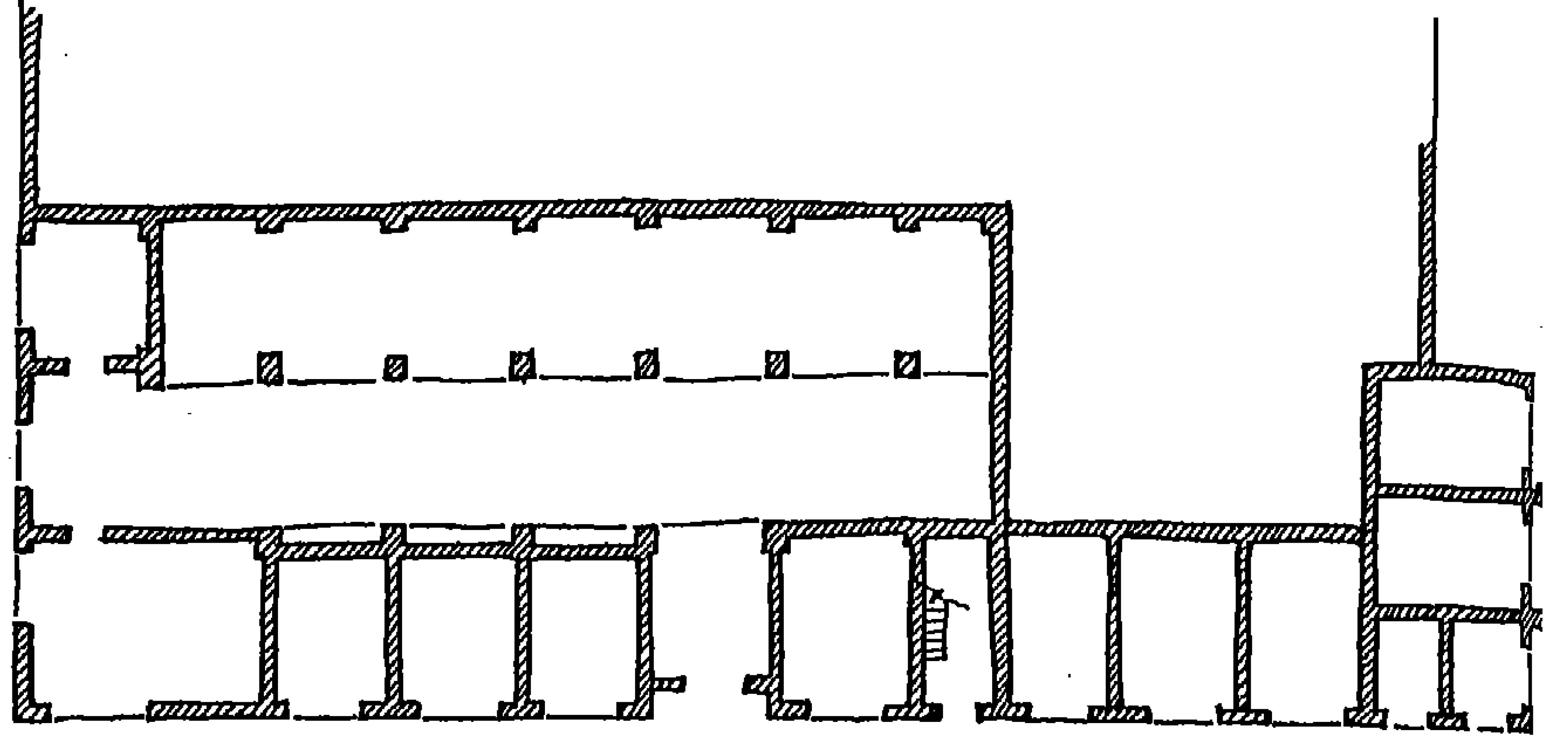
وفي نفس الوقت عرف السوق المحلي : الوكالات وتعرف محليا بإسم «العمارة» وهي تختلف في تشكيلها عن الوكالات التى تعرفها سائر المدن التقليدية العربيـة والإسلامية ، فهي تأخذ الشكل الطولي الممتد في إتجاه البحر ـ مركز التجارة الأساسية ـ ويعتمد تركيبها على عصب أو شريان/فراغ للحركة يمتد طوليا من الممر العام الخارجي للسوق ومتعامدا معه في توجه نحو الشاطىء ، وهو غالبا مسقوف في الدور الأرضي كليا أو جزئيا ، تتجاور على جانبي هذا الممر الداخلي الحوانيت والدكاكين المتراصة في إيقاع شبه ثابت ومستقر وهذه تخصص لتجارة نوعية معينة ، وتبدأ السلسلة المتصلة للحوانيت تلك بمدخل متميز على الطريق الخارجي للسوق يؤدي إلى الممر الداخلي ويجاور المدخل ويرتبط به مجلساً خاصاً لصاحب العمارة لعقد الصفقات التجارية . . ويعلو هذا الدور في غالبية الأحيان دوراً علويا مخصصا للسكن ولإقامة الغرباء من العاملين أو من رواد العمارة من التجار وغيرهم . وهكذا ظهر تشكيل عمراني جديد للسوق يتجه إلى تجميع نوعي للتجارة ويحقق حزء من الذاتية والفردية ، وهو هنا يتلاءم ويتناسب مع الفكر الإجتماعي العمراني لتشكيل المدينة القبلية من فرق سكنية لها ذاتيتها وإستقلالها عن بعضها البعض ، بالرغم من تجاورها وتكاملها . . أي أن فكرة الوكالة المحلية (العمارة) هي نسق عمراني إجتماعي بالإضافة إلى كونها ـ أساسا ـ نسقا إقتصاديا . . وإستمر هذا التشكيل العمراني مع تطور السوق وعمرانه حتى المرحلة الإنتقالية لإستيطان وعمران المدينة خاصة بعد تلك التغييرات والتحولات الأساسية التى طرأت على المجتمع المحلي وعلى أنماط الإنتاج التقليدية .

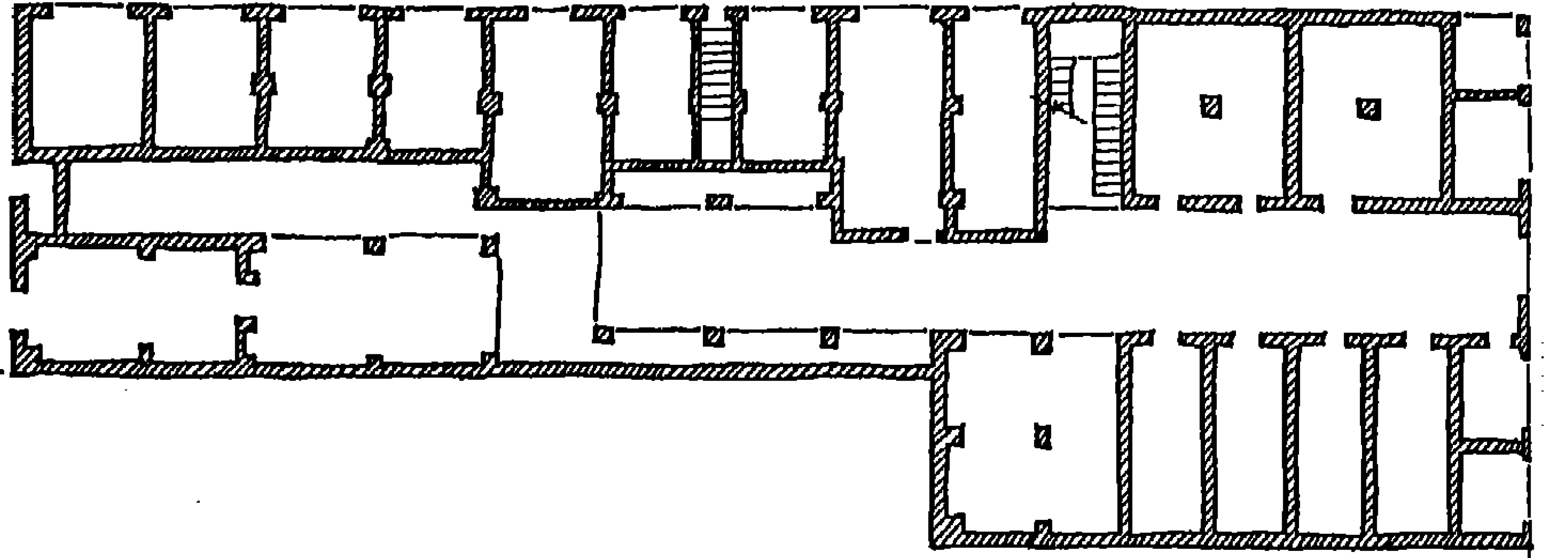


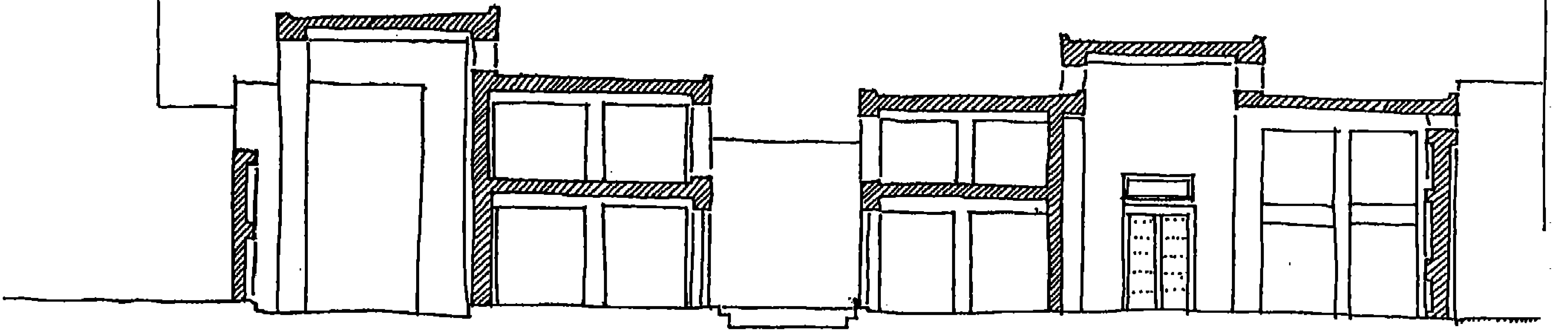
شكل رقم (133) واجهة خارجية لنمط العمارة بسوق المحرق القبلية

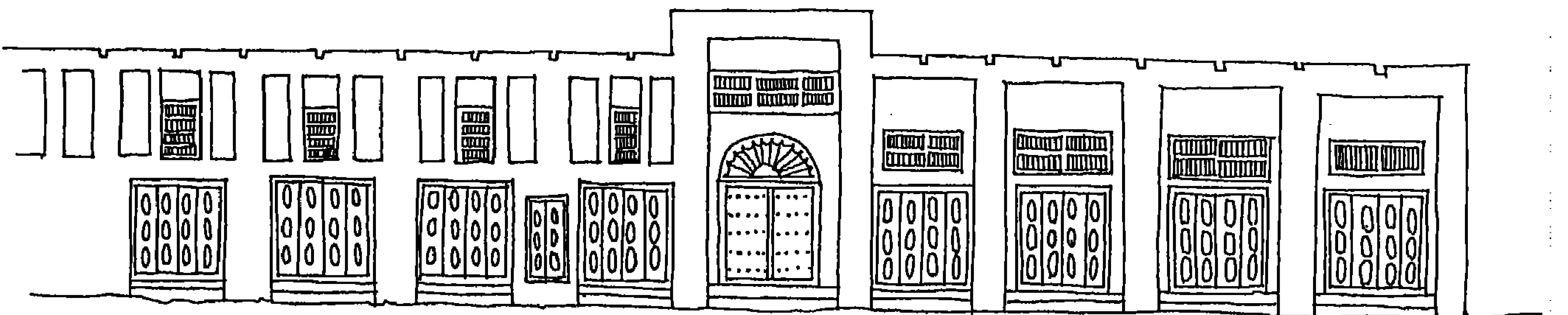


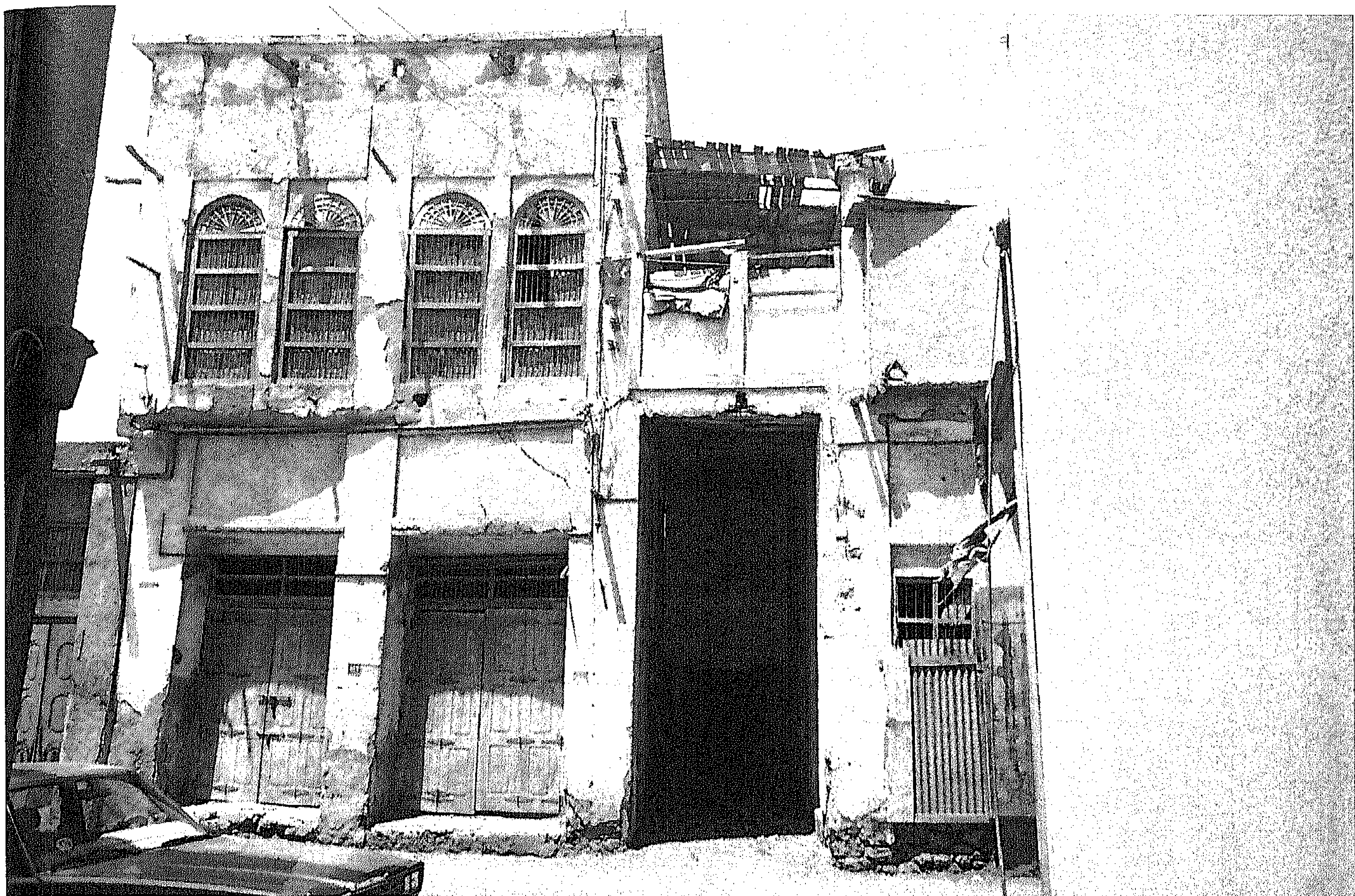
شكل رقم (134) مسقط أفقي للعمارة بسوق المحرق
شكل رقم (135) واجهة جانبية للعمارة
شكل رقم (136) قطاع رأسي في العمارة











شكل رقم (137) صورة لعمارة بسوق المحرق
شكل رقم (138) صورة بسوق المحرق

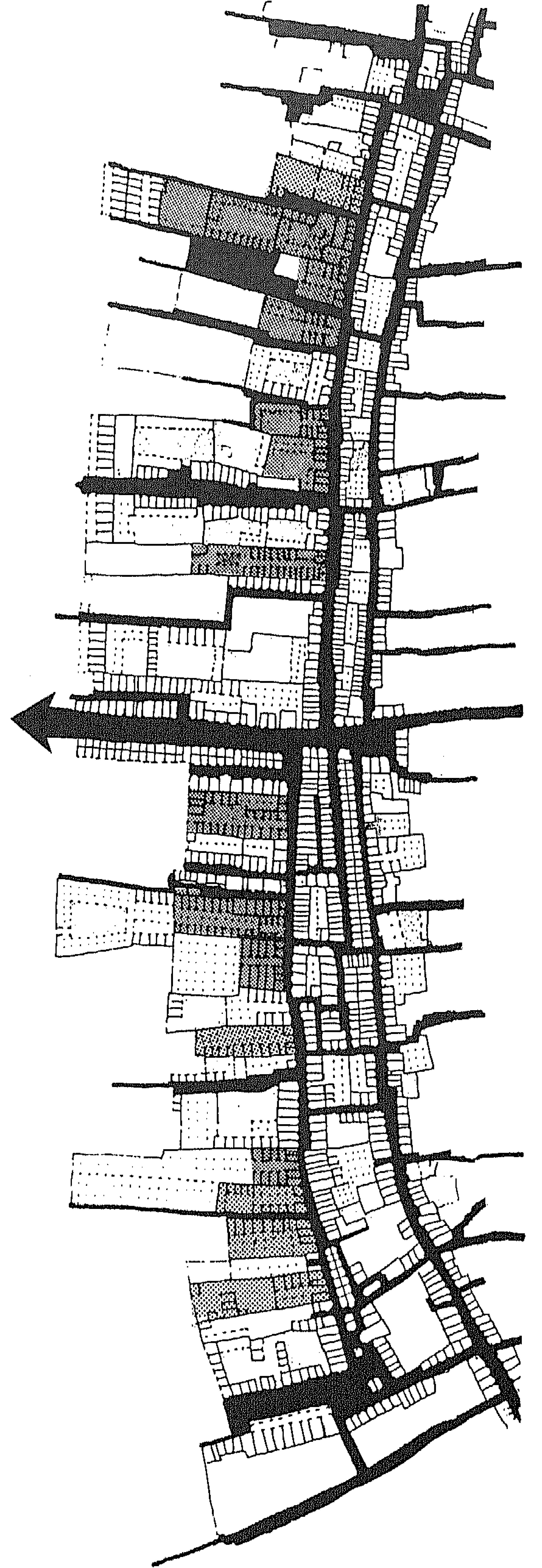




شكل رقم (140) صورة بسوق المحرق



شكل رقم (141) صورة بسوق المحرق



شكل رقم (139) خريطة تصورية لشرايين الحركة الخطية بسوق المحرق القبلية مواقع بعض الوكالات والعمارات

أما تجارة اللؤلؤ وما يرتبط بها من صفقات، فغالباً ما أرتبطت بمجالس خاصة يجتمع بها السماسرة والتجار والطواويش مع النواخذة، وعمليات البيع كانت تجرى بطريقة معينة متفق عليها ـ كما يحددها النسق الإقتصادي السادس ـ

بينما أرتبطت المقاهي التى عرفها السوق كمؤسسات إجتماعية ومجالس مفتوحة لطبقة العوام من سكان المدينة، أرتبطت بالطوائف الحرفية والأنماط التقليدية الإنتاجية للحرف خاصة تلك التى لم يعرف لها كيان عمراني مستقل في السوق، وبالتالي كانت المقهى مؤسسة إقتصادية حرفية شبه دائمة. . وعموماً يمكن تحديد السمات العامة لعمران السوق خلال مرحلته الثانية من تطوره وإكتماله النسبي فيما يلي :

(1) التوجيه المباشر إلى الماء وإرتباط عمران السوق خارجيا بالموقع على حساب الموضع، لإرتباطه بحركة طرق التجارة بشكل حيوي.

(2) التعامد بين النسيج الخطي لكل كيان قائم بذاته وبين التركيب الحلقي للمدينة والنسيج الخطي المتلازم معها لعمران المرحلة الأولى للسوق.

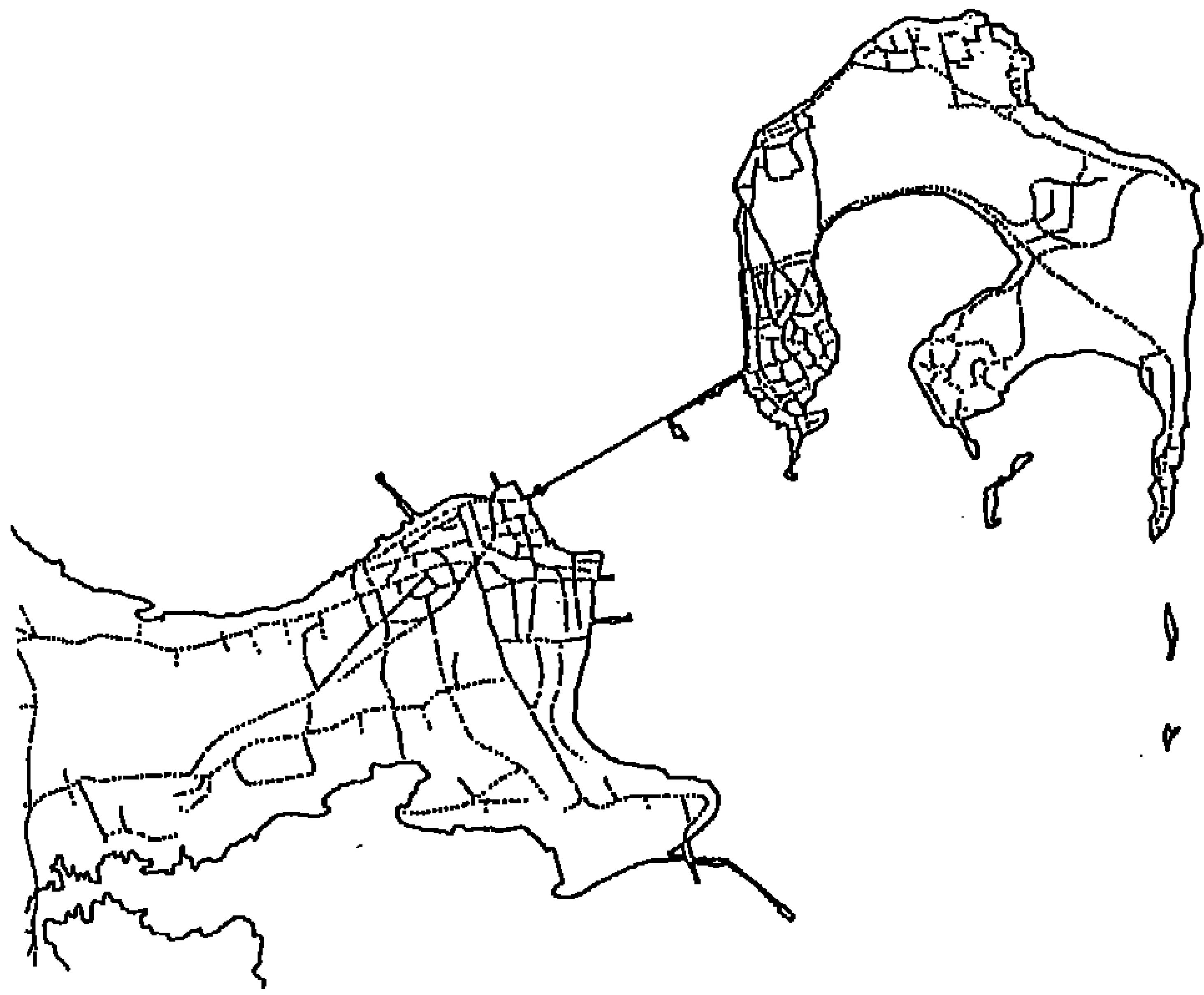
(3) الفصل العمراني بين كيانات مستقلة ومتعددة لكل منها إنتفاعاته الذاتية والمتميزة أحيانا.

(4) التشكيل المركب بين إيقاع داخل الكيانات منتظم ومتكرر وبين إيقاع خارجي للنسيج غير منتظم في جملته.

بالرغم من الإختلاف النسبي بين عمران السوق في المرحلتين الأولى والثانية إلا أن الوحدة التجارية العمرانية التى تشكل منها السوق عموماً لم تختلف في تشكيلها كمفردة أساسية، وإن أكتسبت في كل مرحلة من المرحلتين مضموناً عمرانياً مختلف. . وهكذا تعتبر هذه الوحدة ـ الدكان أو الحانوت، هى الوحدة الأساسية لعمران السوق في بعدها الإقتصادي حيث النشاط التجاري الأساسي لإقتصاد السوق بمدينة المحرق القبلية. . وفي بعدها العمراني حيث أنها أصغر وحدة تشكل كتلة النسيج العمراني للسوق بكياناته المختلفة من أسواق نوعية مفتوحة أو خانات وعمارات ـ وكالات.

**المرحلة الثالثة ـ تغيير وتدهور ملامح السوق :**

أستمر السوق كمؤسسة إقتصادية خلال المرحلة الأنتقالية من إستيطان وعمران المدينة بين عامي 1923 – 1951 ميلادي، وبالرغم من التغييرات الإدارية والسياسية التى بدأت بها هذه المرحلة إلا أن مؤسسات السوق حافظت على نموها الإقتصادي ـ نسبياً ـ خاصة في العشرينات من هذا القرن، ولكن سرعان ما طرأت تحولات جذرية على أنماط الإنتاج التقليدية من جهة، وتأسيس المؤسسات المستحدثة الإدارية والسياسية بالإضافة إلى الإقتصادية خارج مدينة المحرق وتركيزها في مدينة المنامة من جهة أخرى. . مما أدى إلى تدهور الوضع الإقتصادي لسوق المحرق وأستقطاب الأستثمارات التجارية إلى أسواق المنامة. تجمد تطور سوق المحرق في الأربعينات خاصة خلال الحرب العالمية الثانية والإنتكاسة العالمية للإقتصاد والركود المصاحب لها.. وظهرت خلال هذه المرحلة أنماطاً متطورة ومتغيرة في تشكيلها عن الوكالات المحلية المعروفة (العمارات) ، ورغم محدودية أنتشارها وتركيزها في نقط، إلا أنها أتخذت وضعاً متميزاً بموضعها خارج السوق القديم وبالقرب من الشاطىء متأثرة بتشكيلها العمراني بنماذج مماثلة لها في المنامة هي نماذج وسطية بين القديم الموروث والجديد المرتبط بالإحتلال وأنماطه العمرانية المعروفة. . ولقد ساعد أنشاء جسر المحرق ـ المنامة في الثلاثينات من هذا القرن على التقارب بين العمران في المدينتين خاصة عمران السوق : وإن كان لهذا



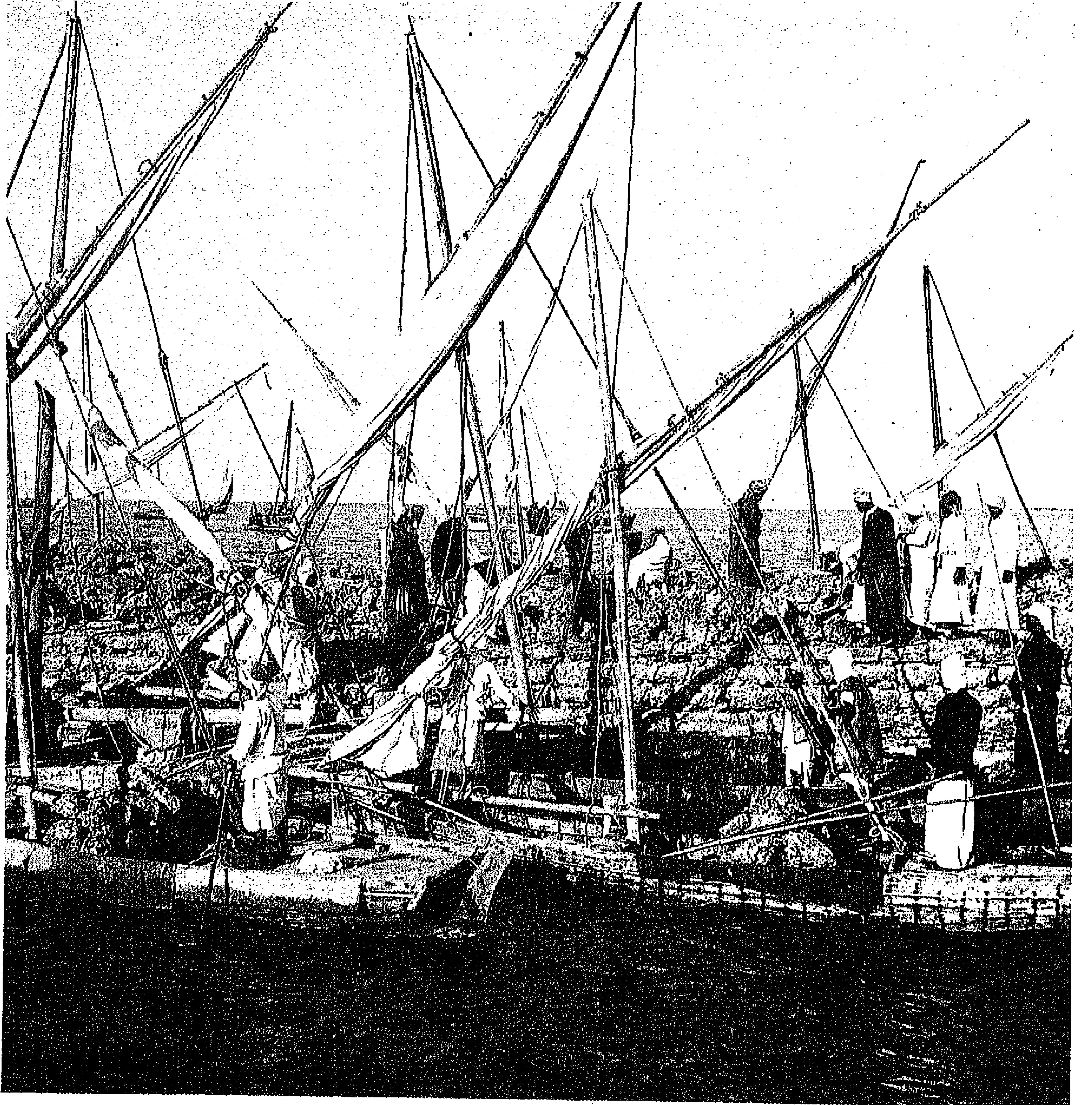
شكل رقم (142) خريطة لجسر المحرق ـ المنامة في الثلاثينات

التقارب جوانبه السلبية على سوق المحرق، والتى ظهرت نتائجها في الخمسينات وما بعدها من تدهور بشكل ملحوظ خلال المرحلة الخامسة لعمران وإستيطان المدينة 1951 – 1971. وجدير بالإشارة أنه يمكن التمييز هنا بين نمطين للتأثيرات السلبية على عمران سوق المحرق:

النمط الأول ـ تغيير ملامح الأسواق النوعية أو تغيير نوعيات بعضها، مع المحافظة على الأنساق العمرانية الإقتصادية التقليدية ولو بشكل محدود. (وهي الأسواق التى تميزت بها المرحلة الأولى).

النمط الثاني ـ تدهور التكوينات العمرانية (الخانات ومجالس تجارة اللؤلؤ والوكالات والمقاهي) وفقدانها مكانتها كمؤسسات إقتصادية تجارية وتحولها إلى مخازن أو دب إليها الخراب. (وهي المؤسسات التى تميزت بها المرحلة الثانية).

ومما ساعد على ظهور النمط الثاني التكوين الأجتماعي الطبقي الجديد للمجتمع المحلي، حيث أن الطبقة المتوسطة التى تكونت ضمن التركيب الجديد كان لها تطلعاتها البرجوازية وإحتياجاتها الإستهلاكية التى لم تلبيها تلك المؤسسات التقليدية في سوق المحرق، فكان توجه تلك



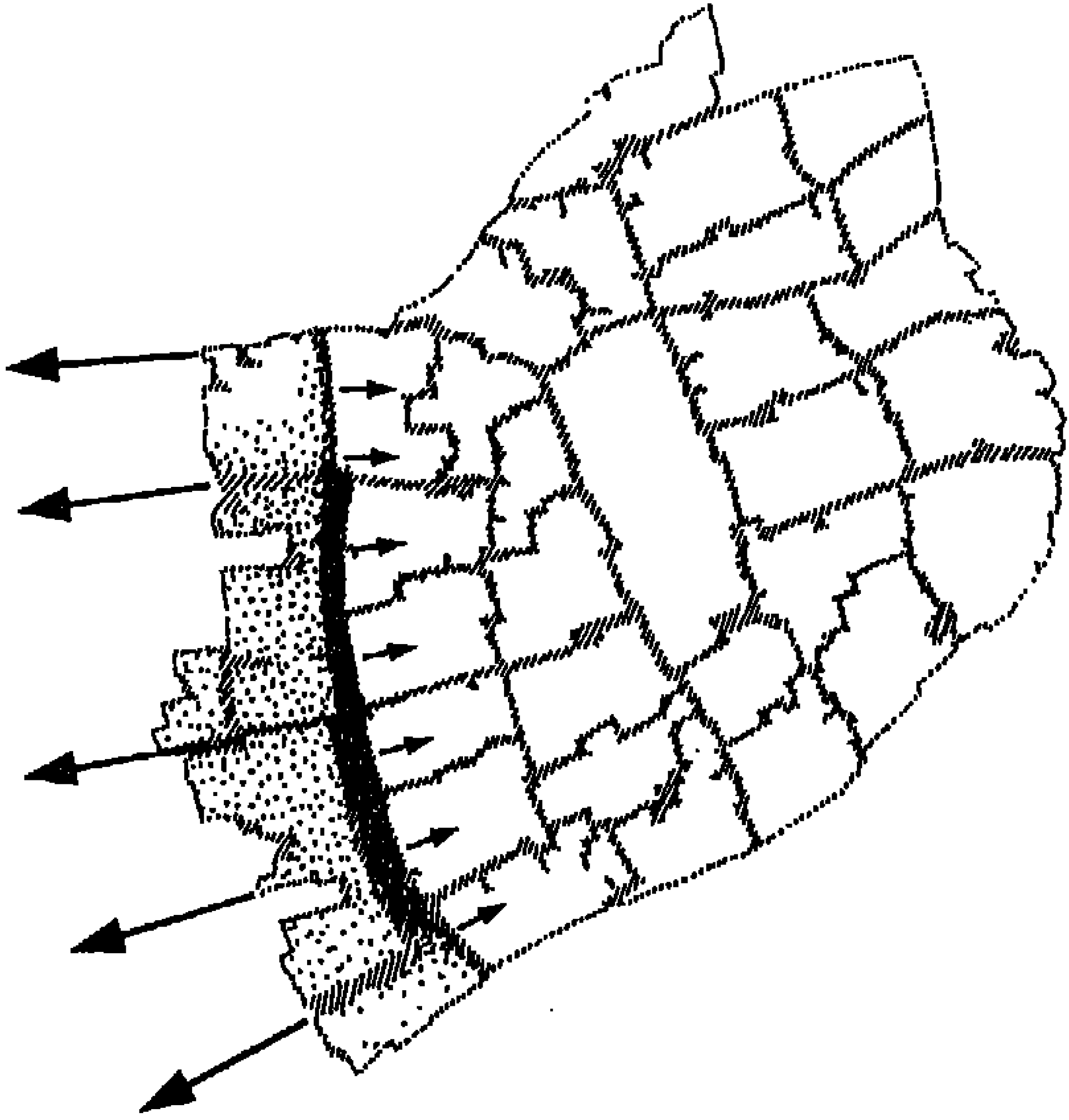
شكل رقم (143) صورة بناء جسر المحرق ـ المنامة عام 1930 ميلادية

الطبقات الجديدة إلى المؤسسات البديلة خارج مدينة المحرق. . بينما ساعدت عمليات الإستيطان الجديدة للعمالة الأجنبية في قلب المدينة القديمة إلى ظهور النمط الأول من التغيير السلبي لمؤسسات السوق، خاصة خلال الستينات والسبعينات من هذا القرن وما بعدها. .

من منظور آخر، يمكن توصيف الكيان العمراني للسوق بناءاً على درجة الخصوصية وطبيعتها، حيث أرتبطت الأسواق النوعية بإحتياجات سكان المدينة والمجتمع المحلي بها، لذا أكتسبت درجة خصوصية عالية ومتسقة بالحياة اليومية للمدينة نفسها، بينما أرتبطت الكيانات العمرانية الأخرى من خانات وعمارات ومجالس للتجارة وأسواق لتجارة العبور، بحركة تجارية ونشاط أقتصادي خارجي فقد معه نسيج السوق العمراني جزءاً من خصوصيته وإنفتح على الخارج. . وتستدل على ذلك من الحركة الخطية للممرات الداخلية في العمارات مثلاً، فلم تعرف هذه الكيانات نوع التوجيه الداخلي الحلقي أو المركزي بالرغم من كونها تركيبات عمرانية مستقلة. . وإرتبطت الحركة في توجهها إلى الخارج حيث الخليج والميناء وخطوط الملاحة التجارية البحرية. . ولكن لإرتباط هذه الأنشطة الإنتاجية بالموسمية ـ النسق الإقتصادي الثاني ـ خاصة صناعة الغوص، فكانت تتغير طبيعة خصوصية السوق في أحداث موسمية معينة ترتبط بموسم الغوص الكبير مثلاً ، والذي يبدأ بالركبة وينتهى بالقفال، ولكونه الموسم الإنتاجي الأساسي للسكان والذي يمد المجتمع بالطاقة اللازمة لإستمراره سنويا إقتصاديا، وأجتماعيا، فكانت كل من الركبة والقفال ـ حسب النسق الإقتصادي الثالث ـ أحتفالاً أجتماعياً بالإضافة إلى كونها حدثاً أقتصادياً، تخرج خلاله المدينة عن أطوارها العادية اليومية، وتتغير العلاقات بين المستقرات القبلية والسوق تغييراً لحظياً بل أن السوق وعمرانه يتغير بشكل لحظي تعبيراً عن بداية ونهاية الموسم.

وكما سبق وأن حددنا، ضمت الكيانات العمرانية والمؤسسات الإقتصادية بالسوق عدداً من الحرف التقليدية بل أن بعضها كان له أسواقاً متخصصة كالصاغة والنجارين والحدادة ، بالإضافة إلى صناعة السفن التى قامت على شواطىء السوق وبالقرب من الفرضة ، وكان هناك حوالي أربعة عشر نوعاً من السفن التقليدية تختلف إختلافاً جذرياً فيما يختص بالحجم ومقدمة السفينة وشكل المؤخرة وطول القاعدة، ولقد تفنن الحرفي في زخرفة كل نوع منها وفي المظهر العام، إشتهرت جزر البحرين عموماً بصناعة السفن خاصة المحرق والمنامة. .

وهكذا، تميز سوق مدينة المحرق خلال مرحلة القبلية بأنماط إنتاجية وإقتصادية تتمثل في التجارة وصناعة الغوص والحرف التقليدية والصناعات المحلية ، وأفرزت هذه الأنشطة كيانات عمرانية أرتبطت بحياة المجتمع وتركيبه الإجتماعي والسياسي ، وتميز السوق ومؤسساته بمظاهر عامة خلال هذه المرحلة حيث إرتبطتا حينئذ عمليتا الإنتاج والتوزيع كظاهرتين إقتصاديتين، كما تلازما نمطان إقتصاديان في السوق هما الإقتصاد المعيشي والإقتصاد التسويقي، والإقتصاد المعيشي هو الذي يكتفى بموارد الرزق البسيطة بما يضمن الإستقرار والبقاء للمجتمع المحلي، والإقتصاد التسويقي والذي يعتمد على مبدأ تقلب الأسعار حسب العرض والطلب، وإن كان النمط الأول أسبق في التكوين كإحتياج طبيعي للمستوطنين عند تأسيس المدينة الجديدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وإرتبط بمستقراتها القبلية وإن كان خارجها مكانياً نظراً للتركيب الإجتماعي والمفاهيم الخاصة، وتشكلت مؤسسات هذا النمط على هيئة أسواق نوعية ، وعرفت مدينة المحرق القبلية



شكل رقم (144) نمطي الاقتصاد التسويقي والمعيشي بسوق المحرق

تشكيلاً آخر للإقتصاد المعيشي هو الباعة الجوالين الذين ينتقلون بتجارتهم المعيشية إلى قلب التجمعات والمستقرات السكنية وإستمر هذا النسق من الباعة الجوالين حتى المرحلة الإنتقالية لإستيطان وعمران المدينة 1923 - 1951 .. وظهر النمط الثاني - الإقتصاد التسويقي - مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، ومما لاشك فيه أن هذا النمط كان هو المقدمة الأساسية للتحول إلى مرحلة الرأسمالية القبلية - كما سبق أن حددنا - وتميز فيها المجتمع بالإستهلاكية كمظهر عام، وبعدها تحول النشاط الإقتصادي إلى التعدين في إستخراج النفط ، وبالرغم من



شكل رقم (145) صورة المقاهي الشعبية القديمة بسوق المحرق

إستمرار الحركة التجارية وجهت هذه الإمكانية للإستهلاك والتبعية ، ومعها إنهارت مؤسسات الإقتصاد التسويقي لسوق المحرق بينما إستمرت مؤسسات الإقتصاد المعيشي مع تغييرات وتحولات جزئية أحيانا وكلية أحياناً أخرى . .

إنتظم السوق إدارياً خلال مرحلته القبلية الإقطاعية عن طريق هيئة إدارية تعمل تحت أمرة حاكم الجزر، وتعرف هذه المؤسسة بالإمارة وعلى رأسها أمير على مجموعة من الفداوية عددها خمسون، وتختص الإمارة بتطبيق النظام في السوق ويعتقلون ويستجوبون ويعاقبون الخارجين. . وأقاموا مراكزهم في العراء خارج السوق ولكن قريبا منه، وبذلك فقد فصلوا أنفسهم إجتماعيا وعمرانيا عن السوق ومؤسساته الإقتصادية وكياناته العمرانية . .

لم يكن السوق في مدينة المحرق مركزاً إقتصادياً وحسب، بل يعتبر المركز العمراني للمدينة ـ خاصة ـ خلال مرحلة إكتمال العمران والمرحلة الإنتقالية للمدينة عام 1951 الميلادي . . وخلال هذا عرف السوق منذ بداية القرن العشرين عدداً من المؤسسات الإجتماعية العامة للمدينة :

(1) المقاهي . . كانت مجالس إقتصادية ، وهي إحدى مؤسسات السوق للإقتصاد التسويقي ، حيث يجتمع أرباب الحرفة الواحدة لعقد الصفقات خاصة ـ حرفة الغوص وإشتهرت بعض مقاهي سوق المحرق حتى وقت قريب مثل قهوة «بن حمدان» حيث يلتقي أعيان القبائل والتجار والطواويش والنواخذة ورجال حرفة الغوص لعقد الصفقات والمبادلات في تجارة اللؤلؤ . . ومن جهة أخرى كانت المقاهي مجالس إجتماعية مفتوحة خاصة لطبقات العوام من سكان المدينة والتى لم تكن في مقدورها توفير مجالس خاصة ضمن عمران مساكنهم أو فرقهم أو مجموعاتهم القبلية .

(2) المطوع . . هي المؤسسة الإجتماعية التعليمية التقليدية وهي تشبه الكتّاب المعروف في كثير من المدن التقليدية، ولم يكن للمطوع كيان عمراني متميز أو مستقل ، فكان عبارة عن وحدة من الوحدات العمرانية الأساسية للسوق ـ الحانوت أو الدكان، ويرجع هذا للبساطة العامة التى تميز بها المجتمع المحلي وتنظيمه الإداري بالإضافة إلى الإستقلالية والذاتية للمؤسسات الإجتماعية للمدينة، ومن جهة أخرى عبر هذا الوضع العمراني عن شخصية المطوع نفسه الذي تجسد فيها الإندماج بين قبلية المجتمع والتعليم والدين والحياة العامة .

(3) المؤسسات العلاجية . . لم تعرف المدينة هذه المؤسسات إلا بشكل محدود مع بداية القرن العشرين عندما إتخذت البعثة التبشيرية (الإرسالية) لها موقعاً ضمن حوانيت السوق كمركز أسبوعي لتقديم بعض الخدمات العلاجية المحدودة. . بينما كان الطب الشعبي ، والذي إعتمد على الأعشاب والنباتات الطبيعية هو النمط السائد للعلاج ، وإمتزج هنا العلم التجريبي بكثير من الخرافة، ومن المحتمل أن من مارس هذه الأعمال العلاجية قد إتخذ حانوتاً أو دكاناً في السوق يتردد عليه من تدفعه الحاجة إلى العلاج عنده وإن كان الأفراد ـ في الغالب ـ يقومون بعلاج أنفسهم بأنفسهم بالطرق المتداولة .

وهكذا، كانت تتوالد داخل نسيج السوق العمراني مؤسسات إجتماعية مختلفة، ولكنها تتخذ من وحداته الأساسية مقراً وكياناً لها ، ولم تنفصل بهذا الكيان عن النسيج أو تتمايز عنه على العكس من المؤسسات الإقتصادية التى أفرزها عمران السوق خلال مراحل تطوره وإزدهاره مثل الخانات والعمارات. . وكان من إيجابيات هذا التوافق أو التداخل إندماج المؤسسات الإجتماعية للمدينة مع المؤسسات الإقتصادية والسياسية، أما سلبيات هذا فأنه عندما تطورت هذه المؤسسات الإجتماعية مع تحديث جوانب المجتمع ، وتأسيس المؤسسات المعاصرة لم تجد لنفسها مكاناً داخل النسيج العمراني القائم حنيئذ للمدينة عموماً وللسوق خاصة ، فإنفصلت هذه عن النسيج وخرجت عنه ، كإنشاء مدرسة الهداية الخليفية بنظم تعليمها المعاصرة خارج المدينة وبنمط عمراني يختلف في جوهره عن اللغة العمرانية المتداولة في المدينة ، وإن اتفق في مظهره مع بعض مفردات لغة العمران تلك .

وتتابعت عمليات التحديث والخروج على كافة المستويات ولمختلف المؤسسات الإجتماعية لمرحلة الرأسمالية القبلية . . ولم تواكب عموماً مدينة المحرق المتغيرات السياسية والإقتصادية الحادثة سواء عن قصور ذاتي في نسيج المدينة وطاقاتها ، أو بفعل خارجي قصد تحجيم دور المحرق لأسباب مختلفة ومتعددة ، وقد سبق التعرض لها في الأبواب السابقة . .

# الباب الرابع

# لغة العمران

يكتسب عمران المدينة وجوده المادي من خلال مجموعة عناصر تستمد جذورها من البيئة والمجتمع ، ومن المكعب العمراني ، وهي تأخذ شكل المبدأ العام الذى يسهم في رسم هذا الوجود المادي . . والمبدأ هذا أو العنصر مفردة في لغة ، أكثر من كونه قاعدة أو قانون ينظم العمران نفسه ، وتترابط هذه المفردات في بناء متكامل يماثل بناء اللغة في تدرجه ومنطقه بحيث يمكن إضافة أو تعديل أي منها دون الإخلال باللغة ككل . . وتعد اللغة عموماً الوعاء الحضاري والفكري للماضي والحاضر فحياتها إنما إنعكاس لأصحابها ، إنعكاس لتفكيرهم وخيالهم ومهاراتهم ، ولهذا لا يمكن القول أن لغة جامدة أو قاصرة . . أو غنية . . فلا بد وأن يكون أصحابها هم المعنيين بهذا النعت . . ومن هنا كانت حتمية لغة العمران . . . ومن هنا أيضا كانت حتمية مفردات لغة العمران كرموز تعبيرية عندما يريد أن يخاطب الإنسان بيئته ومجتمعه ، وكل مفردة من المفردات لها وجودها الذاتي من خلال ما تكنه من جوهر أو مضمون معين ، بالطبع يرتبط بوجدان المجتمع وحركة الإنسان في هذا المجتمع ، ولكن لها ـ أيضا ـ مضمونها المطلق الذى ينطوي على معنى محدد أو رمز معين له صفة الكونية ـ الإنسانية ، وتتخطى بهذا المفردة الواحدة الحدود الزمانية والمكانية . . أما المضمون النسبي والذى يرتبط بالمجتمع وقيمه وأحداثه . . فهو يكسب المفردة إنتمائها وهويتها ومعاصرتها بالمفهوم المكاني والزماني .

واللغة المحلية لعمران المجتمع ليست في عزلة عن غيرها من المحليات ، بل هي تتفاعل مع هذه اللغات تأخذ منها وتعطيها ، كما أنها تتطابق معها في جوهر أو معنى كثير من المفردات . . وعند التعرض للغة العمران لمدينة المحرق نجدها تتركب من مفردات متعددة لكل منها وجوده النسبي والمطلق ، ولكنها أيضا تفاعلت وتأثرت بمحليات أخرى جاورتها وزامنتها أو سبقتها ، ونحدد هذه المحليات ونرتبها حسب أهمية ودور هذا التأثير :

(1) تأثيرات الساحل الإيراني وخاصة منطقة بوشهر .

(2) تأثيرات جنوب العراق شط العرب وإقليم البصرة

(3) تأثيرات شبه القارة الهندية .

وكان لهذا التفاعل والتأثير للمحليات أثره على اللغة المحلية لعمران مدينة المحرق خاصة الساحل الإيراني ، وهو نتيجة طبيعية لتشكيل المجتمع والسكان كما سبق وحددنا ويؤكد هذا كل من النسق السياسي الثاني والأنساق الإجتماعية الأول والثاني والثالث والخامس . . وهكذا فاللغة المحلية لعمران مدينة المحرق القبلية إرتبطت بالمكعب العمراني للإستيطان بجوانبه الثلاثة وأنساقها المختلفة ، والتى فرضت للعمران ملامح معينة شكلت في جملتها الإطار العام لعمران المدينة ، وحققت لها ذاتيتها وضمنت لها هويتها ، وجدير بالإشارة هنا أن نحدد أن الحديث عن الانتماء والهوية لا يعني بالضرورة الإنتماء الى الأرض والمكان بعينهما لأن هذا المفهوم شبه غائب نظراً لطبيعة التركيب القبلي للمجتمع المحلي ، والذى يضع الإنتماء إلى القبلية وبالتالي إلى الثقافة والتقاليد الموروثة في المرتبة الأولى من الإنتماء والهوية .

من جهة أخرى ، تنتظم هذه المفردات في صياغة وتشكيل الخيوط الأساسية للنسيج العمراني لمدينة المحرق بقطبيه ـ الكتلة والخواء ـ ومن خلال قانون أو قاعدة عامة ترتبط بالبيئة المحلية والمجتمع ، وهناك أبعاد خاصة للقانون

العمراني الذى إنتظمت به مفردات لغة العمران للمدينة في صياغة العمران نفسه ، ونحدد هذا القانون كما يلي من خلال أبعاد أربعة :

(1) الإيقـــــاع

(2) الخصـــوصية

(3) المنظوم الهندسي

(4) التركيب التشكيلي .

## (1) الايقـــــاع

الإيقاع هو ضرب من الحركة المسموعة أو المرئية نتيجة لوجود العناصر المتتالية ، وهو مقياس لتكرار النغمة وتواترها المنتظم بقانون الطرب ، ومحليا الإيقاع في الطرب الشعبي منتظم النغمة ، ومعروف بإسم العرضة بألحانها الموزونة التى تمثل الإيقاع التقليدي للمجتمع في حركته ـ عموما ـ ماديا وفكريا . . وبالتالي في عمرانه ، ويبدو هذا واضحا في تشكيلات مادية للعمران :

* الحوانيت المتجاورة في تتابع خطى في السوق .
* العقود المتتالية في تركيب جدار واحد .
* الجندل في إنشاء السقف .
* الحمائم في دراوي أسطح مبنى .
* الزخارف الهندسية في الجداريات .
* المسامير البارزة في وحدة باب مدخل .
* المخرمات الخشبية في الفتحات .

وهكذا ، يتحكم الإيقاع المنتظم في كافة العناصر المادية وفي صياغة المفردات لهذه العناصر ، كما يقبل الإيقاع درجات بين سريع النغمة وبطيئها ، بمعنى أن معدل تكرار الوحدة أو المفردة ـ النغمة العمرانية مع الزمن تختلف ولكنها دائماً منتظمة خلال التركيب الواحدة أو الجملة الواحدة ومع هذا الإنتظام الثابت يقبل الإيقاع إستعمال أكثر من مفردة من المفردات دون أن يغير هذا في طول النغمة الأساسية . وهناك حالات نادرة خرج فيها الحرفي المبدع عن إنتظام إيقاع العرضة كبعد أساسي للقانون العمراني ، ولكن لا يعتبر هذا الخروج هو القاعدة بل هو مجرد خروج عليها ، وليس في هذا



شكل رقم (146) صورة الايقاع المنتظم في عقود حائط خارجي

تقييم جمالي أو حتى حرفي ولكنه رصد لواقع معين لعمران مدينة المحرق .

## (2) الخصوصية :

بشكل عام تعني الخصوصية الفصل النفسي أو المادي بين ما هو خاص وما هو عام ، وتتدرج مستويات الخصوصية حسب مستويات العمران في نسيج المدينة ، وحسب التشكيل العام للمجتمع وبنائه من الفرد إلى الأسرة والعشيرة والقبيلة حتى المجتمع . . وتبدأ الخصوصية عند الفرد في ذاتيته فله أسراره الخاصة التى يفصلها عن كل ما هو

خارج ذاته ، ولعل العباءة (العبا) أولى أشكال خصوصية الفرد . . وتختلف درجة الخصوصية بين الأفراد والجماعات والقبائل ، كما أنها قد تختلف في أنشطتهم الحياتية وبالتالي في إفرازاتهم العمرانية من المسكن والمجلس والفريق والسوق والمدينة . . بمعنى أن هذا الخط النفسي بين الخاص والعام قد يتغير حسب المكعب العمراني وأنساقه المختلفة وخاصة الجوانب الإجتماعية منه . . وتظهر الخصوصية في تشكيلات مادية للعمران محليا في مدينة المحرق :

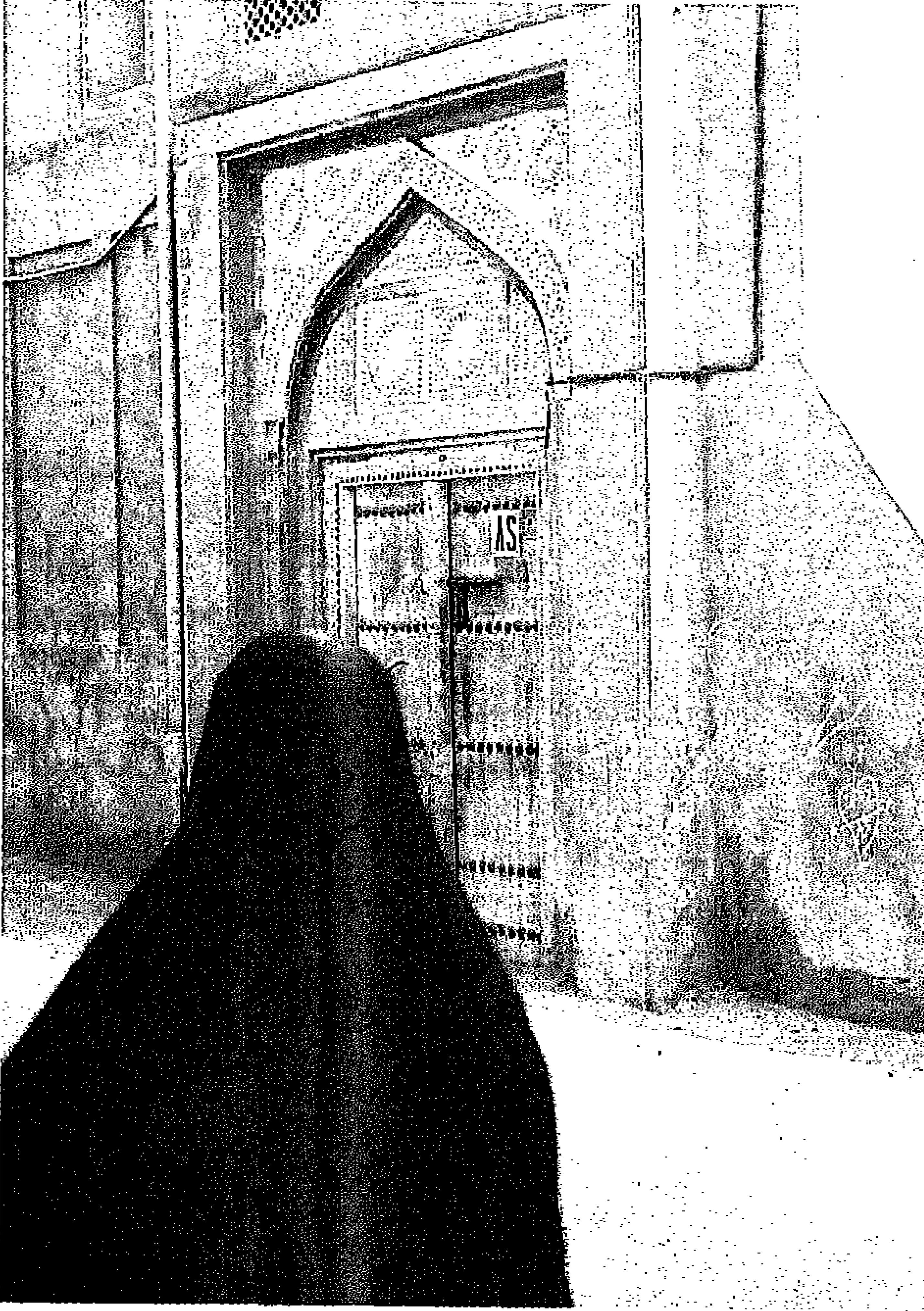
* المداخل في المساكن للفصل المادي ين الخارج والداخل .
* الأحواش المركزية في الوحدة العمرانية للسكن وتعددها حسب الأنشطة الحياتية .
* تتدرج الفراغات للنسيج العمراني بين العام وشبه العام والخاص وشبه الخاص .
* الدراوي المرتفعة في أسطح الوحدات العمرانية وخاصة السكنية .

هكذا فرضت الخصوصية تعبيرات مادية معينة لإستعمال مفردات اللغة العمرانية لمدينة المحرق ضمن هذا النسيج . . وأدى إختلاف درجة الخصوصية في تنوع طبيعة وتشكيل المفردات للعناصر المادية العمرانية إلى الغنى النسبي في لغة العمران نفسها .

### 3) المنظوم الهندسي :

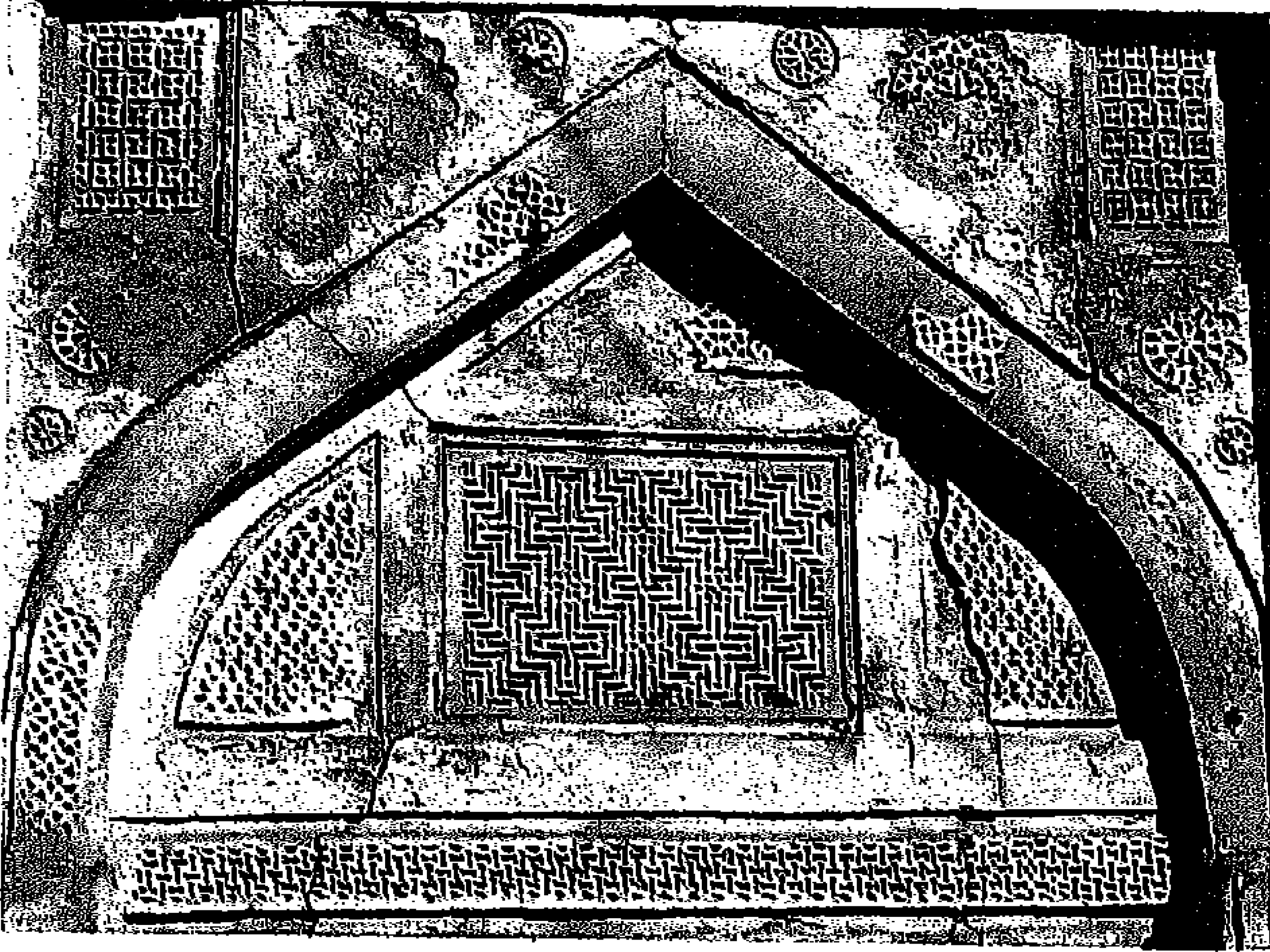
إنتظم عمران المدينة من خلال نظام هندسي للفراغات تشكلت به عناصر المدينة : من النقطة التى تمثل عين الماء إلى الخط الذي يمثل الفراغ الطولي للممر حتى المربع الذى يمثل الفراغ المركزي كحوش سكنى ، فالدائرة التى تمثل كيان المدينة الحلقي . . وتتدرج هذه الأشكال من النقطة إلى الدائرة في تتابع تصاعدي من بداية وأصل التشكيل نحو التشكيل المكتمل . . ومن جهة أخرى يرتبط التشكيل الخطي مع الحركة بنمطيها السريع والبطىء ، بينما يرتبط التشكيل المربع مع السكون اللحظي . . ويبدو هذا واضحا في تشكيلات مادية لعمران مدينة المحرق .

* الطريق في الفريق السكني أو في السوق .
* الممر الداخلي في العمارة والخان .
* المئذنة في المسجد الجامع .



شكل رقم (147) صورة الخصوصية في الزي الشعبي مع المدخل التقليدي

شكل رقم (148) صورة المنظوم الهندسي في الزخارف الجبسية



* الحوش السكني المركزي بكتلة المسكن .
* الجداريات والزخارف الجبسية .
* الأبواب والعقود في المسطحات والكتل البنائية .

وهكذا ، يظهر دور النظام الهندسي ومنظوماته الأساسية على كافة المستويات المادية للعمران ، من الوحدة الزخرفية حتى كتلة المدينة ضمن تشكيل متناغم بين العناصر البنائية المختلفة .

### (4) التركيب التشكيلي :

لقد تشكلت الكتلة البنائية للمدينة ككل ، وكل وحدة من وحداتها من خلال تجانس هذه الوحدات مع بعضها البعض وهو ما نقصد به العلاقات الإستاتيكية بين الوحدات والعناصر ، وبالرغم من التنوع النسبي لهذه العناصر إلا أنها متجانسة التشكيل .. أي أن الحرفي التقليدي كان مدفوعا إلى إبراز التشكيلية المتجانسة مع التنوع الضمني للعناصر المتجاورة أو المترابطة ، ولعل من أهم ما يميز هذه التشكيلية التوازن ، أي التعادل الشكلي بين العناصر المتجانسة حول محور أو مركز بما يضمن الراحة الوجدانية والمتعة ، وهناك عموما نوعان للتوازن : توازن هندسي وتوازن غير هندسي .. أما التوازن الهندسي : فيقسم التشكيل إلى جانبين شبه متطابقين في الشكل والمقياس والنظام ، متشابهين في التصميم والتتابع التشكيلي . أما التوازن غير الهندسي ، فهو الذى لا يوجد في التركيب التشكيلي تساوياً أو تطابقاً كاملاً بين جانبيه . ولكن يأتي هذا التوازن من الإحساس النفسي بالتوازن ـ مثلا بين كتلة رأسية وأخرى أفقية أو بين تشكيل خطي وتشكيل حلقي دائري ، أو من خلال تتابع نمطي لمجموعة العقود ، أو حتى من خلال حائط مصمت ..

ويظهر نمطا التوازن في العديد من تشكيلات الوحدات العمرانية للمدينة :

* الأبواب والمداخل الرئيسية للوحدات العمراية المختلفة .
* الجداريات والزخارف الجبسية .
* الطريق والفراغات الخطية .
* البادجير والهوائيات في كتل بناء .
* الحمائم في أعلى تشكيل بنائي .
* الليوان في الحوش السكني .

وهكذا ، كان الحرفي مشدوداً إلى التشكيلية ، مما فرض عليه أحيانا تصميمات معينة في تركيبها أو تتابع عناصرها .. ولكن من جهة أخرى أوجد هذا التوازن الوحدة المتناغمة المتكررة في الكتلة البنائية دائما ..

شكل رقم (149) صورة التركيب التشكيلي لمدينة المحرق الحلقية



وشكلت هذه الأبعاد الأربعة الأساسية القانون العمراني ، الذي إنتظم من خلاله عمران مدينة المحرق القبلية في فترة نموها وإكتمال عمرانها بين عامي 1924 - 1810 ميلادي ، ومن جهة أخرى ضمن هذا القانون بأبعاده الإستمرارية والتطور على مدى يزيد على القرن للغة المحلية للعمران ومفرداتها ، ولكن لم يواكب هذا القانون تلك المتغيرات التى حدثت خلال المرحل الإنتقالية لعمران وإستيطان المدينة وحتى العصر الحديث ، ولم يفرز المجتمع في تشكيله وتركيباته الجديدة لغة واحدة متعارف على مفرداتها بين طبقات وفئات المجتمع ، ففقد العمران هنا تعبيره الواحد المتناغم إلى تغبيرات متنافرة أحيانا وغريبة دائما في المجتمع وموروثة وبيئية . .

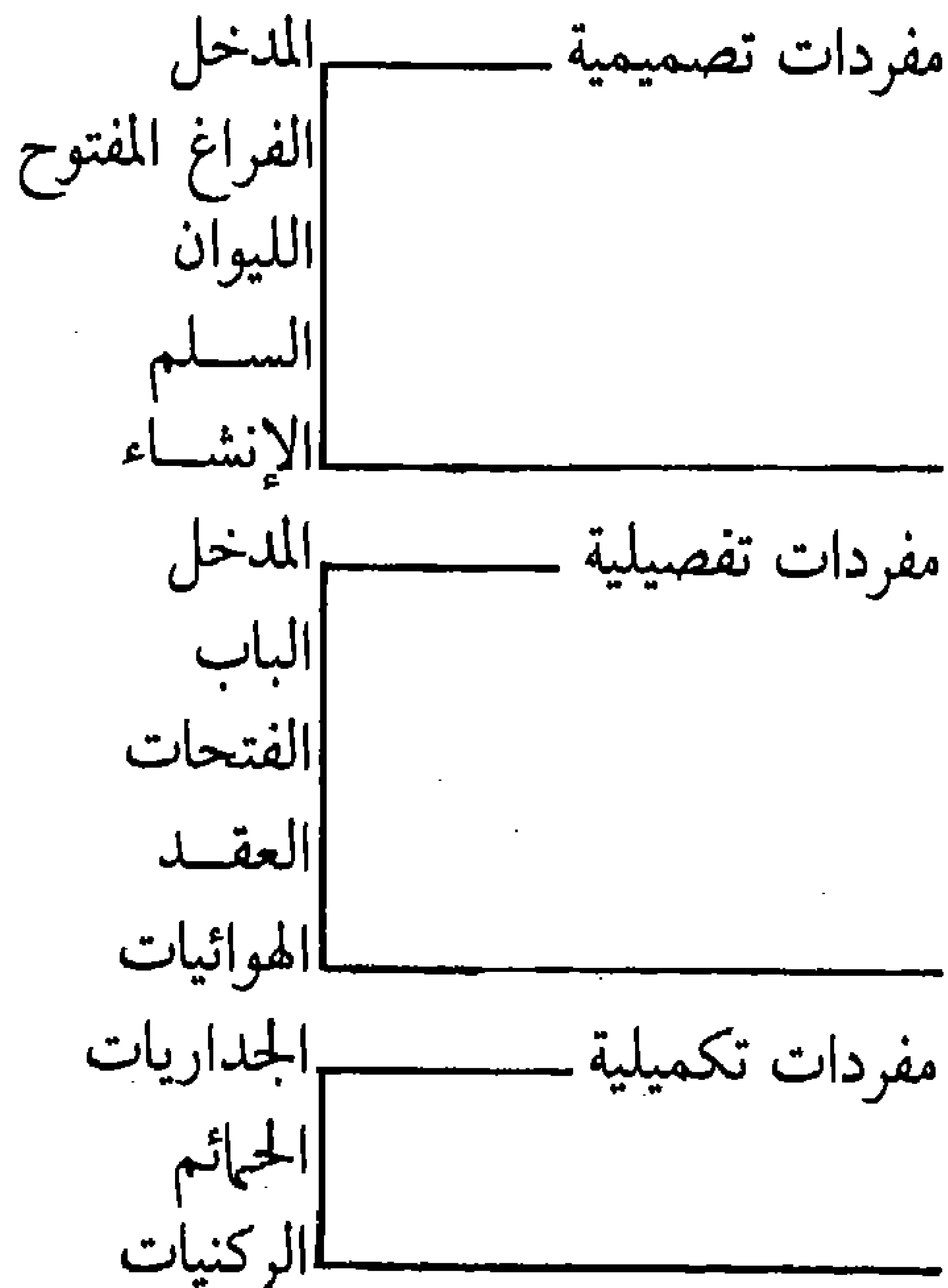
ويمكن هنا أن نصف مفردات لغة العمران المحلية خلال مراحل نمو وإكتمال عمران وإستيطان مدينة المحرق القبلية 1810 - 1923 ، دون التعرض إلى المراحل اللاحقة لفقدان العمران لغته ، ونصنف تلك اللغة في ثلاث تنوعات أساسية كما يلي :

(1) مفردات تصميمية .

(2) مفردات تفصيلية .

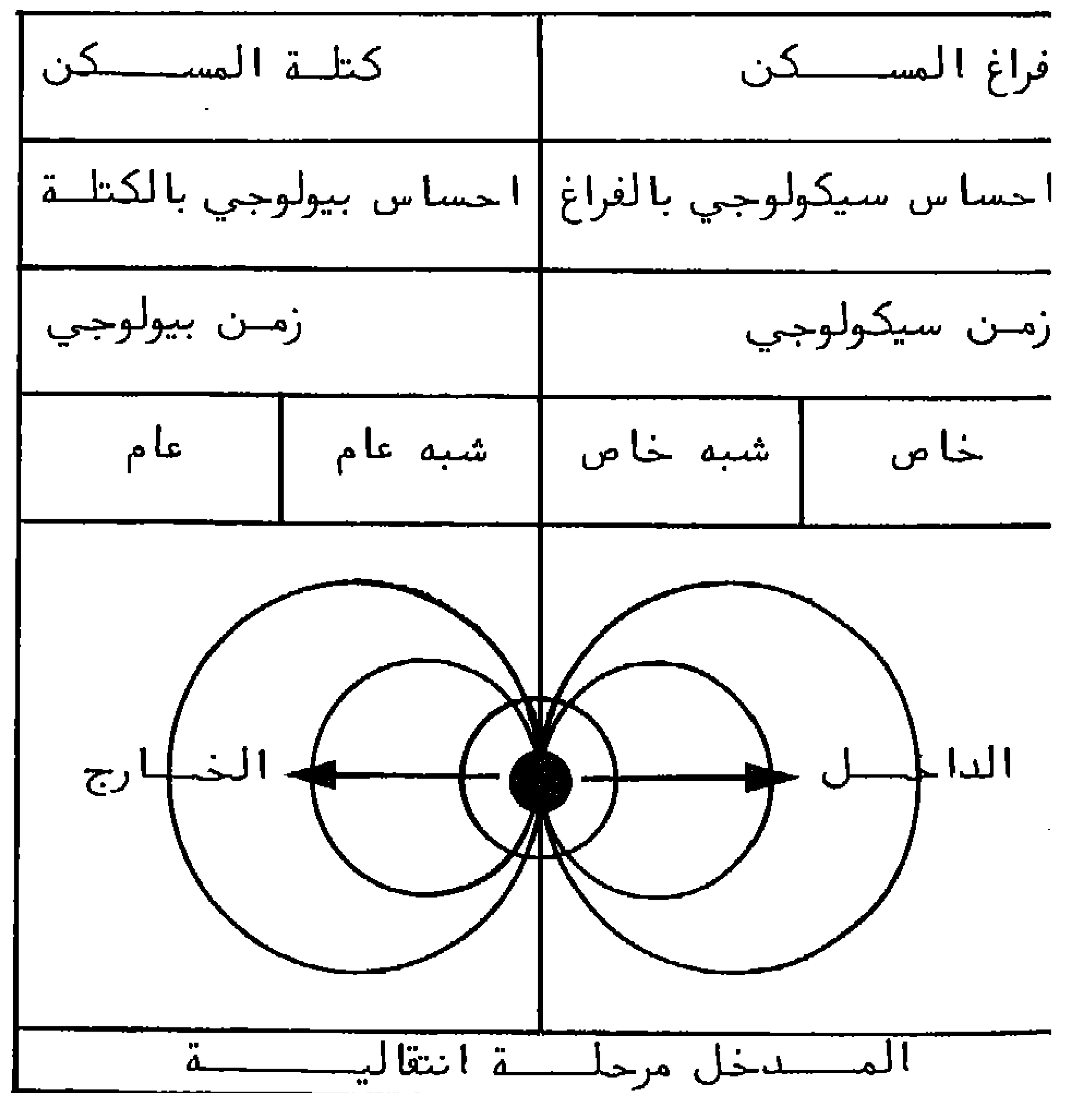
(3) مفردات تكميلية ..

وبطبيعة الحال ، تتعدد تلك المفردات التى شكلت اللغة ، وكانت دائما متطورة بمعنى أن هناك مفردات عاشت وتطورت وتغيرت ، وهناك أخرى تجمدت وحافظت على صيغتها الأولية ، وهنالك مفردات أخرى إندثرت وفقدتها اللغة . . ونحن هنا نتعرض لتلك المفردات التى إستمرت مع رحلة العمران ، ونمت وتطورت مع المدينة التقليدية حتى إكتمال عمرانها ، ولا تزال آثارها تدل عليها إلى اليوم ، وليس هذا لمجرد التخصيص ، ولكن هو دراسة حالة وواقع ، وليس تقييماً جمالياً أو حرفياً أو تاريخياً من منطلق تراثي مجرد ، كما أنه ليس تقييما أخلاقيا أو حضاريا . . ولكن كما حددنا في الإطار العام لهذا الكتاب في مقدمته أنه دراسة عمران المدينة من المستوى الشمولي حتى المستوى التفصيلي ، لذا فقد حددنا هنا بعض المفردات التى رأينا أنها كانت تمثل صلب اللغة وعمودها الفقري وإستمرت بها ومعها ، وحاولنا أن تكون المفردات شاملة للتنوعات الثلاث للغة المحلية كما يلي :



## لمفردة الأولى ـ المدخل :

المدخل نفسه هو أول عنصر يقابله الإنسان عند دخوله لفراغ/ الكتلة البنائية الخاصة ، فهو يقوم بوظيفة لمرشحات أو الحجابات بين البيئة الخارجية والجو الداخلي لخاص .. وإيما كان المدخل وطبيعته أو توجيهه ، فهو لفاصل المادي بين الزمن البيولوجي والزمن السيكولوجي أو لحسي ، أو هو بتعبير أدق مرحلة الإنتقال بين الإحساسين لسيكولوجي بالخواء والبيولوجي بالكتلة .. هذا بالإضافة لى الخصوصية التي يفرضها الإنتفاع أو التدرج الحسي لمفراغات ، ومن هذه الفكرة الإنتقالية للمدخل تنوعت نماط وتشكيلات المداخل :




شكل رقم (150) رسم توضيحي لفكرة المدخل مرحلة انتقالية
شكل رقم (151) صورة مدخل للمسكن التقليدي بمدينة المحرق

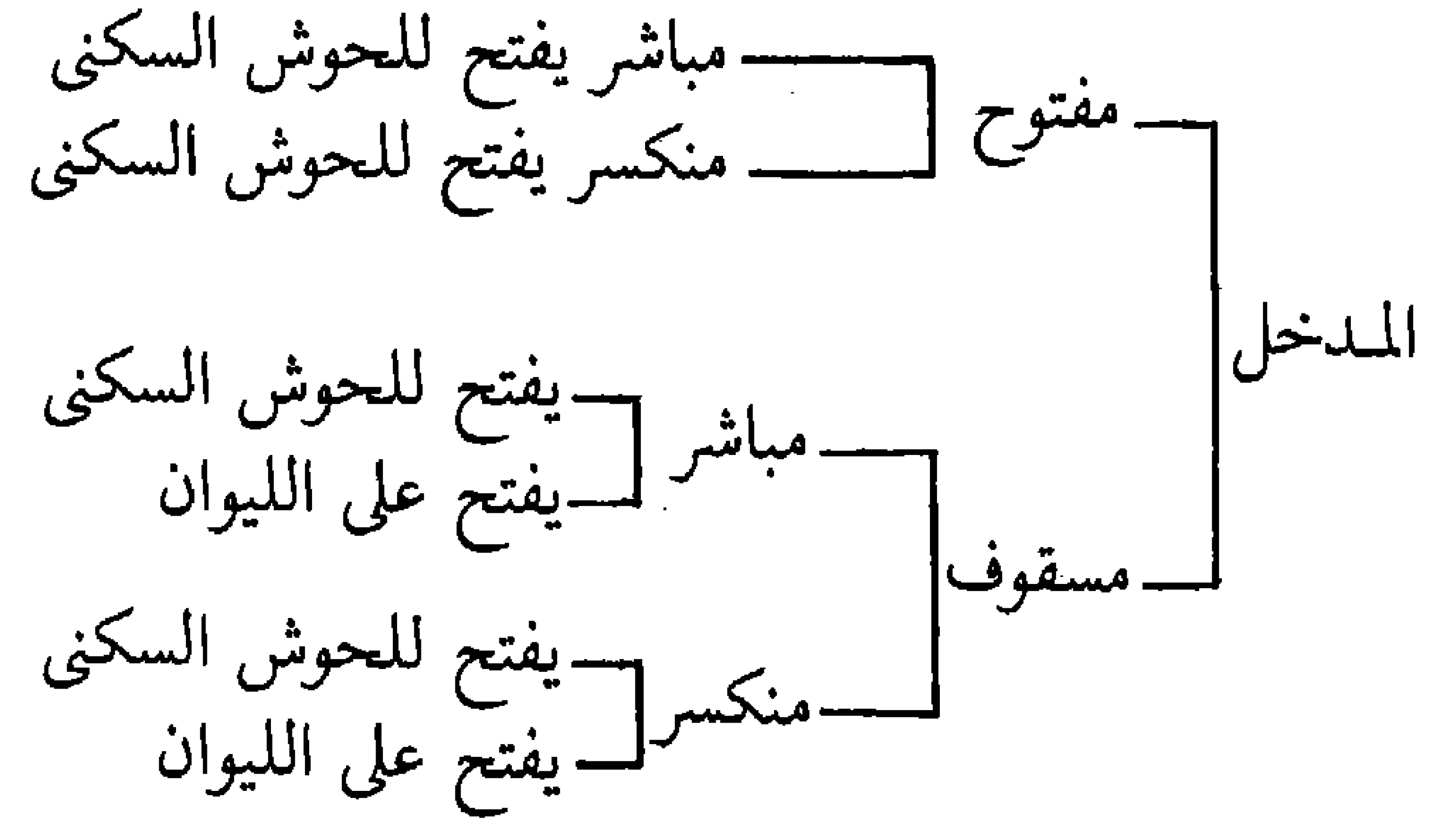
كانت أحيانا إستمرارية للفراغ الخارجي .... مفتوحة
محورية مع حركة الطريق
مباشرة أو منكسرة

وأحيانا أخرى مقدمة للفراغ الداخلي .... مسقوفة
محورية مع الفراغات الداخلية
منكسرة مع إتجاه عقارب الساعة

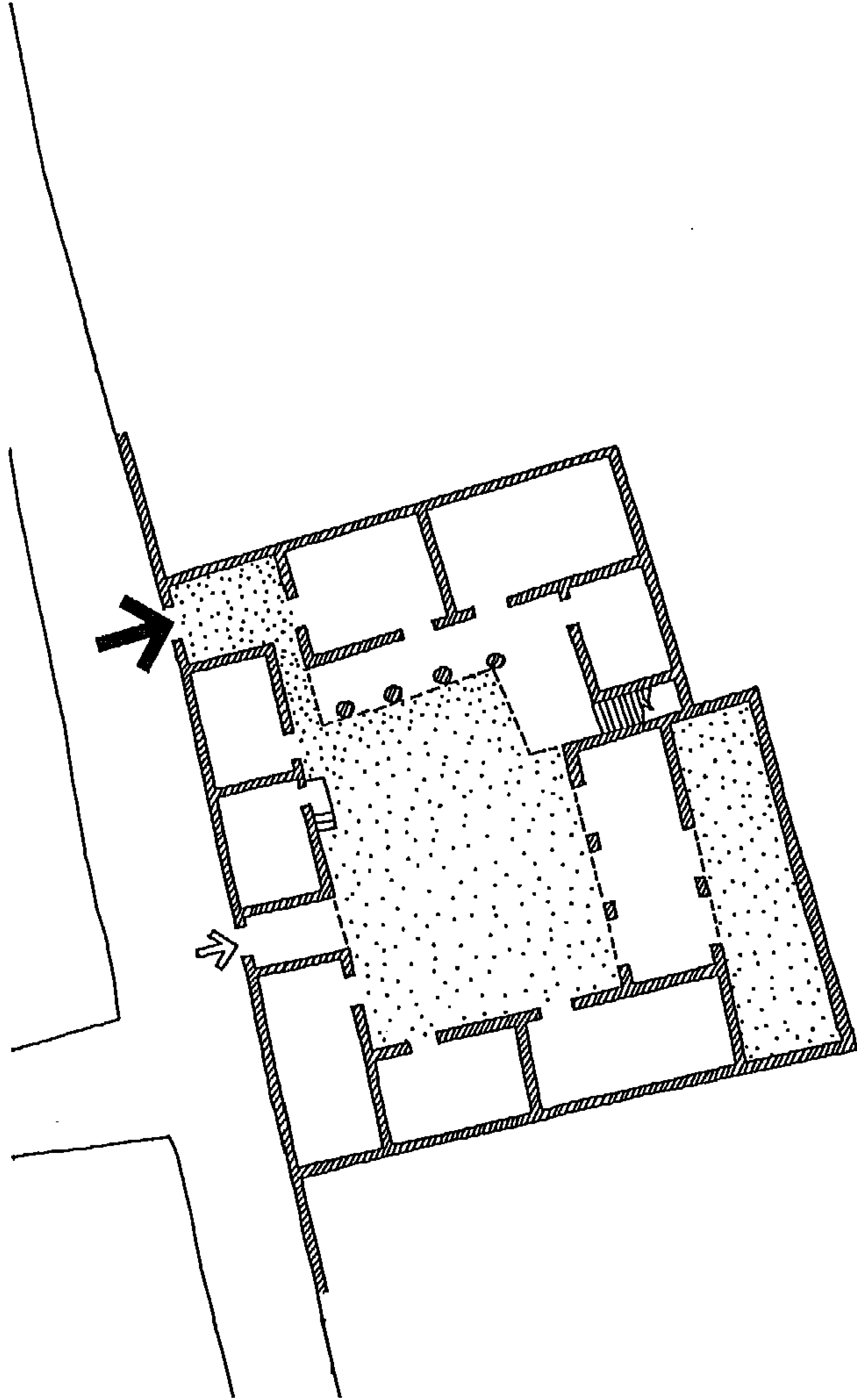
وفي هذا التنوع تأكيد لما سبق وأن ذكرناه عن كون المدخل مرحلة إنتقالية ، وتأكيداً لهذا ـ أحياناً أخرى ـ كان للمدخل إنفرادية ككيان مستقل بين الداخل والخارج ..



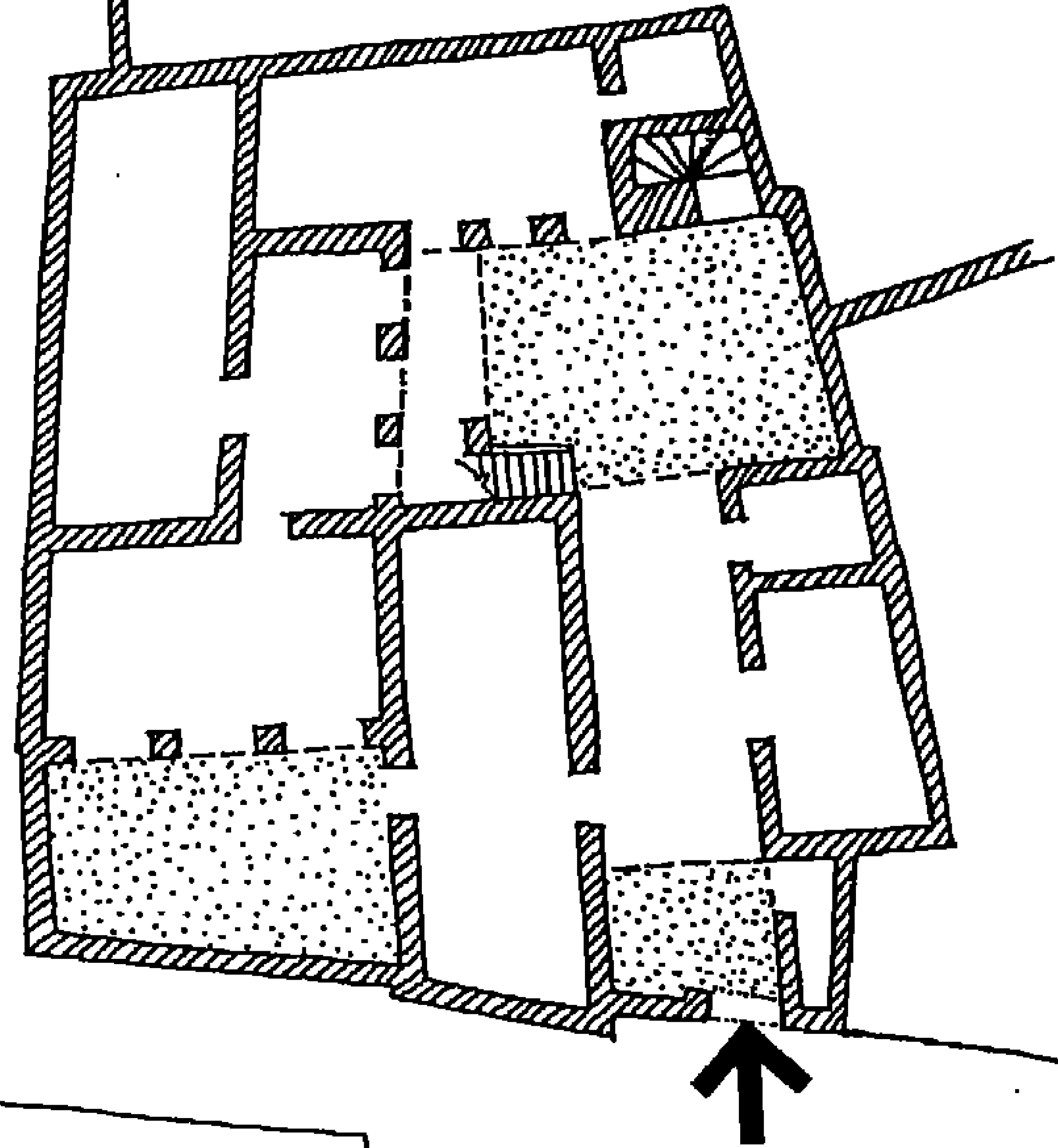
عموماً إرتبط المدخل بطبيعة الإنتفاعات من سكن أو سوق ، كما إن تشكيله فرضته درجة الخصوصية والمكانة الإجتماعية من جهة ، والنظام الهندسي لتتابع الفراغات من جهة أخرى . . ولذلك تنوعت النماذج المستعملة في عمران مدينة المحرق ويمكن تحديدها في ستة نماذج هي :



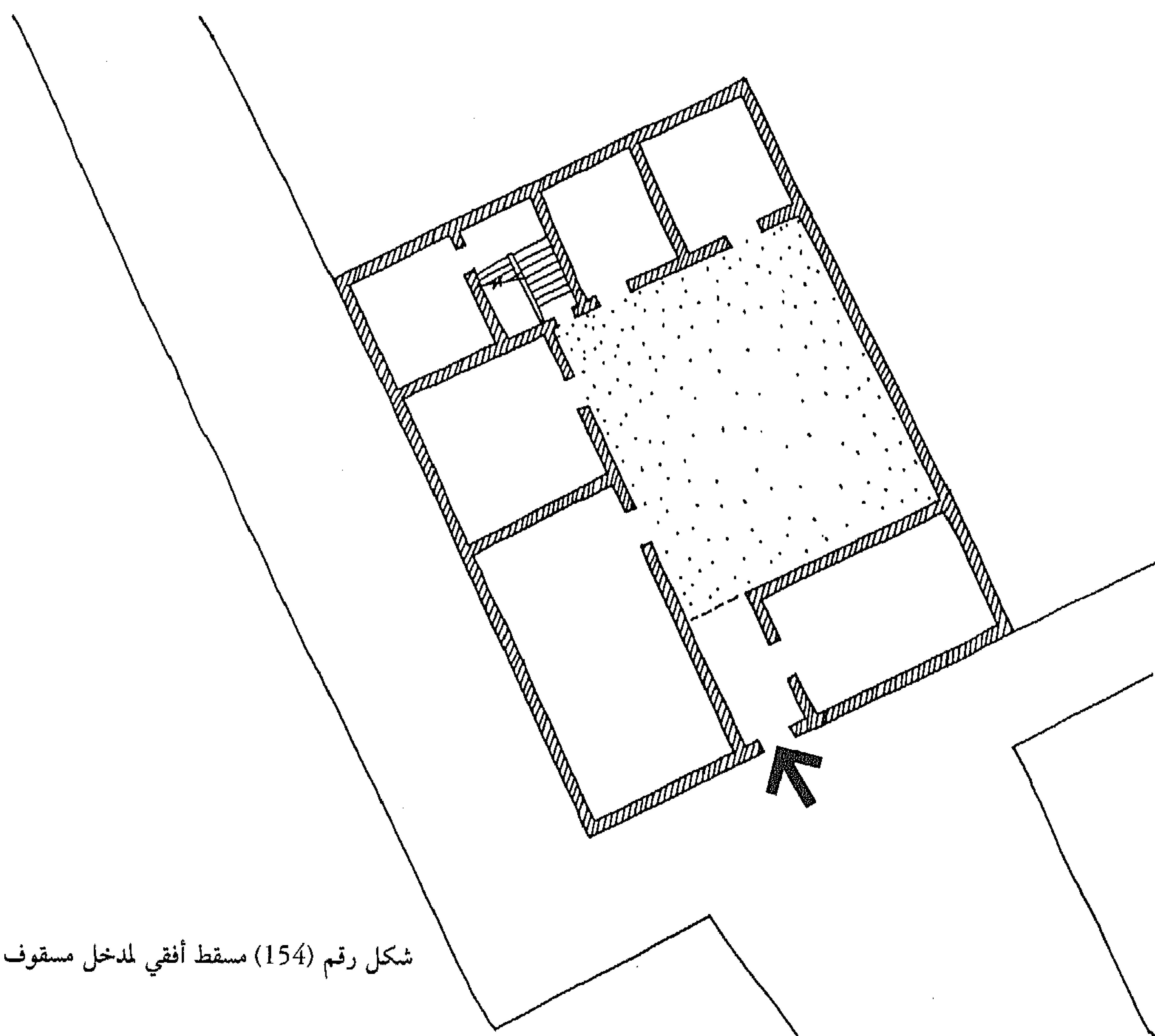

والمداخل عموماً نقطة إنتقال من الأنماط الفراغية الخطية الطولية الخارجية إلى أنماط الفراغات المركزية الحلقية في الكيانات العمرانية السكنية ضمن الفريق السكنى القبلي . .



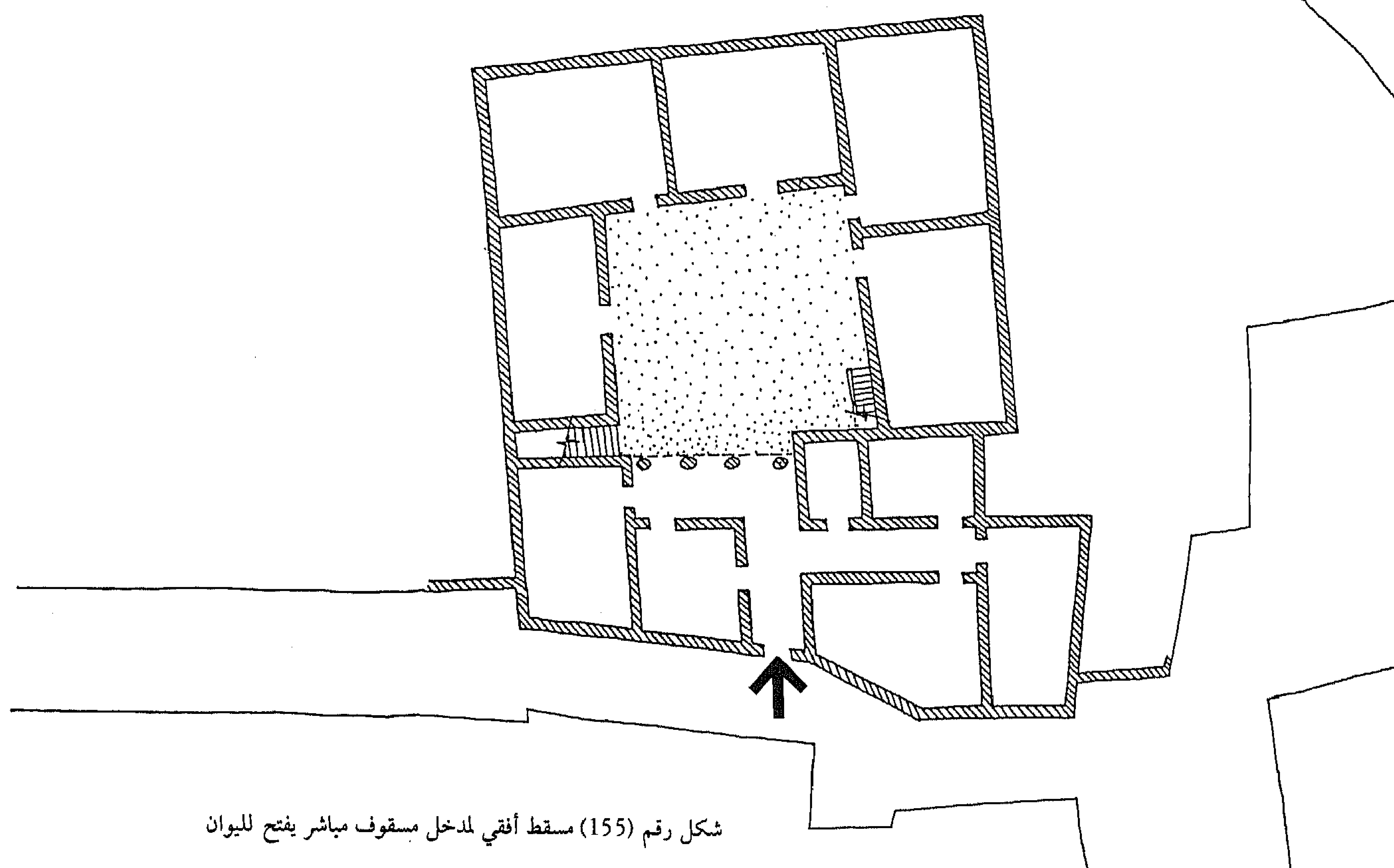
شكل رقم (153)مسقط أفقي لمدخل مفتوح منكسر يفتح لليوان



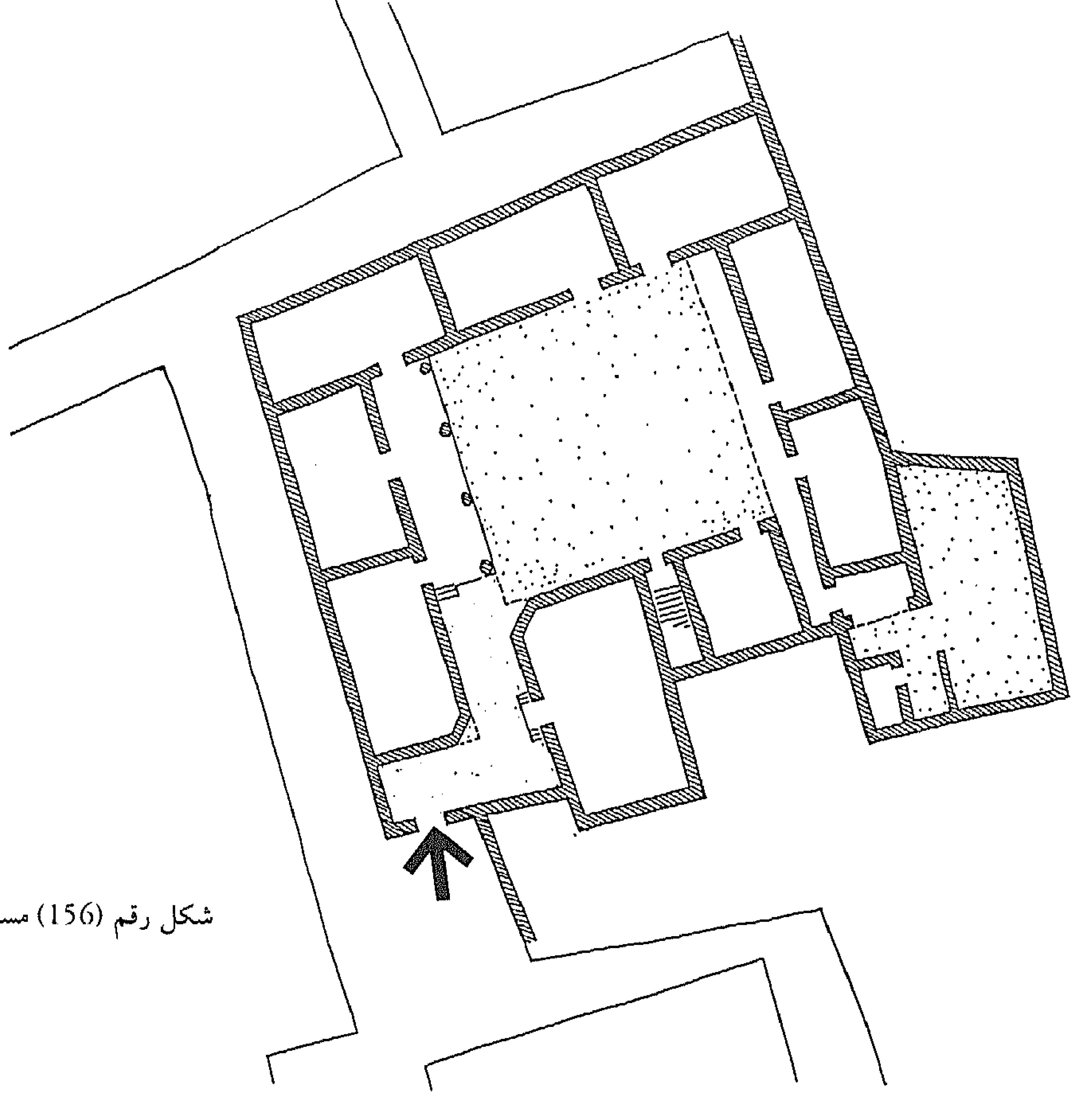
شكل رقم (152) مسقط أفقي لمدخل مفتوح مباشر يفتح للحوش



شكل رقم (154) مسقط أفقي لمدخل مسقوف مباشر يفتح للحوش

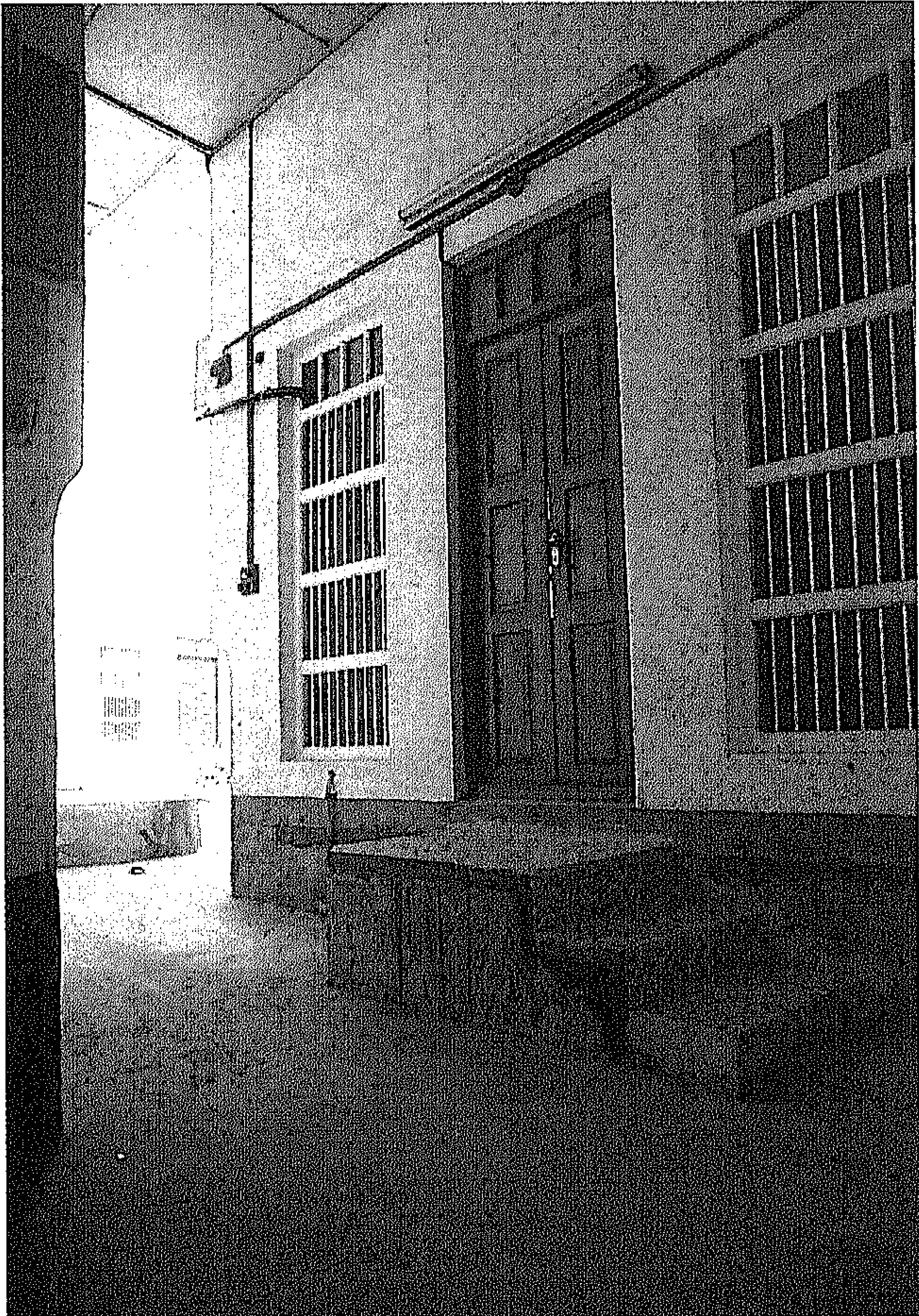


شكل رقم (155) مسقط أفقي لمدخل مسقوف مباشر يفتح لليوان

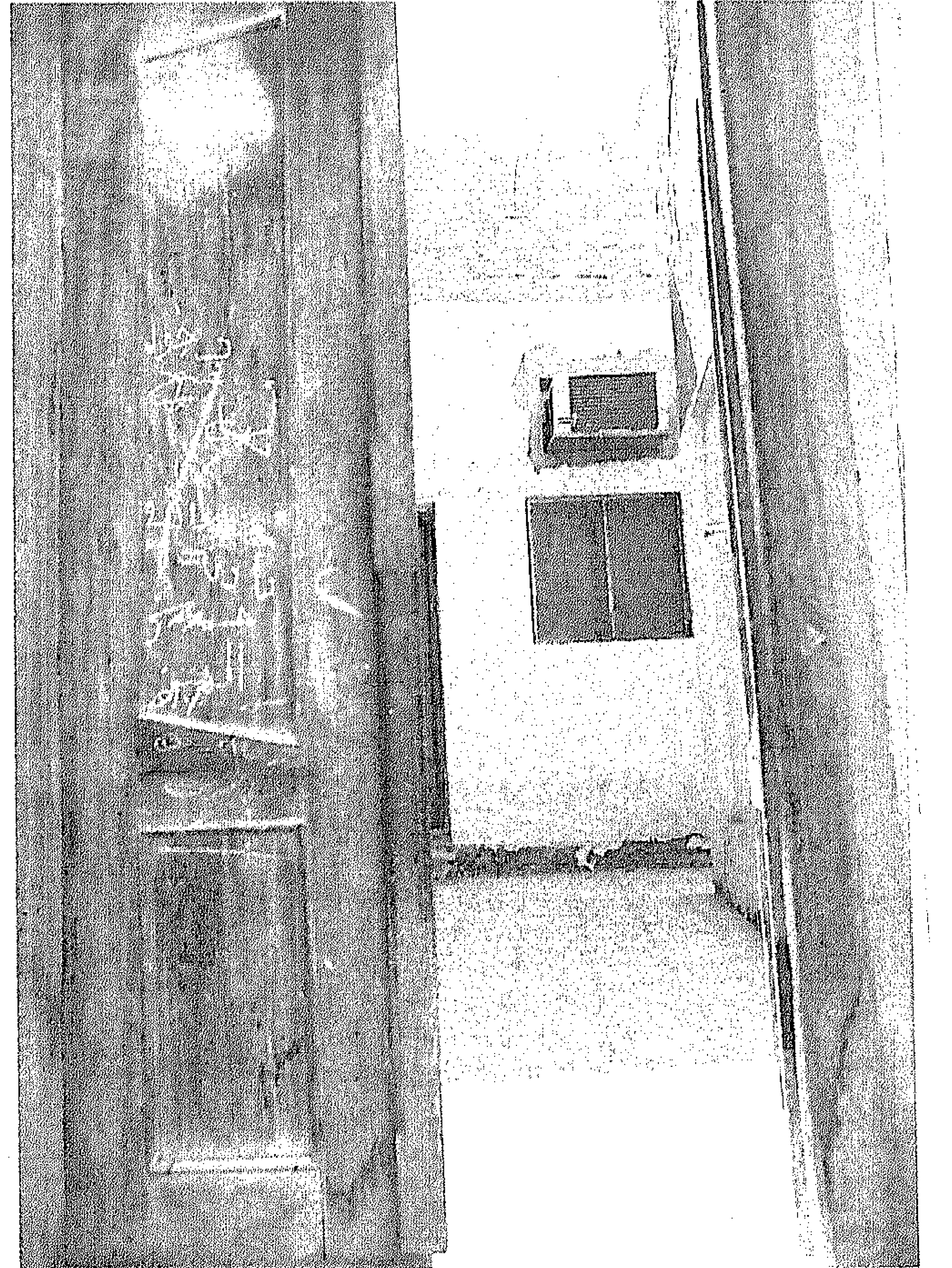


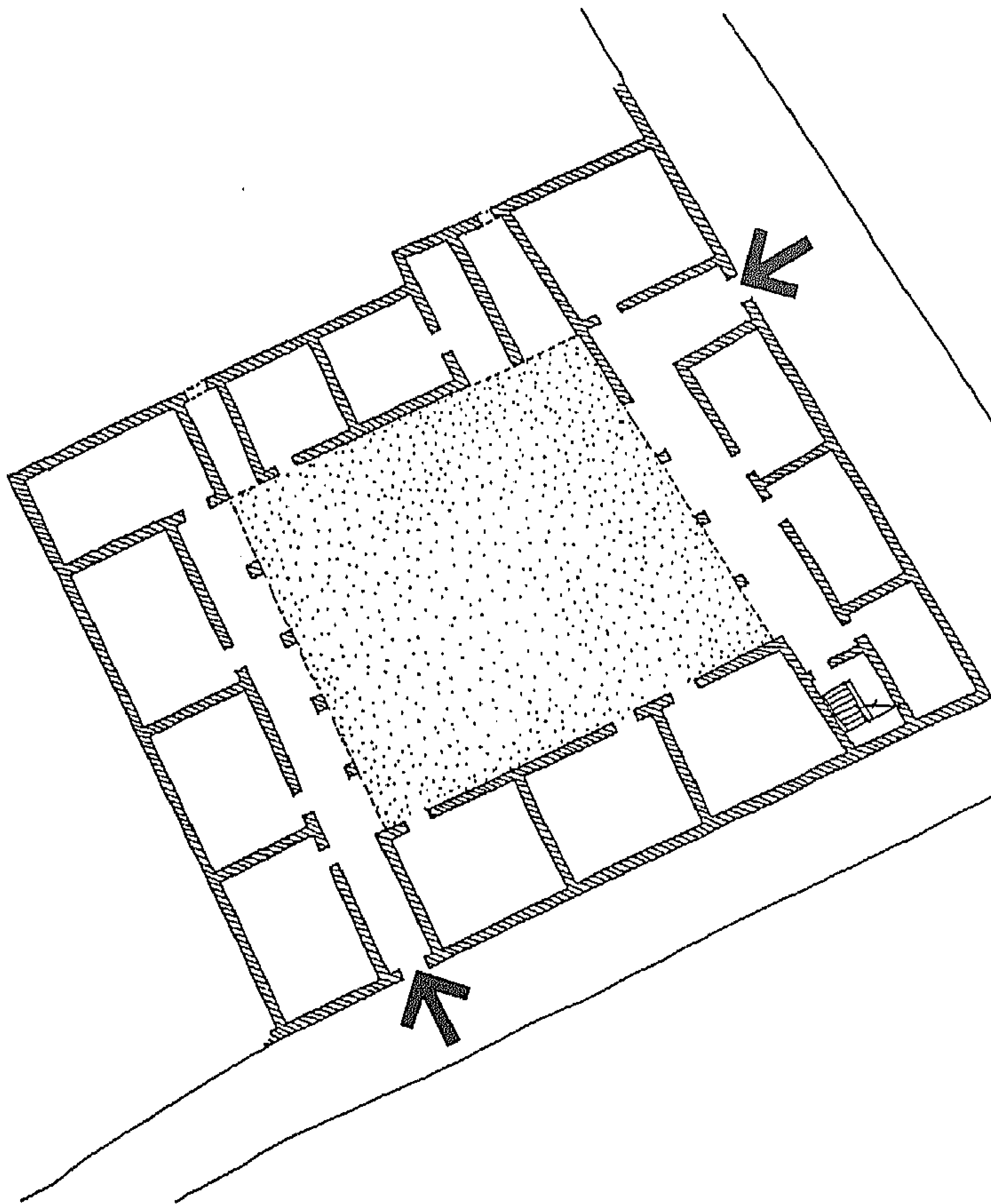
شكل رقم (156) مسقط أفقي لمدخل مسقوف منكسر يفتح للحوش

شكل رقم (158) صورة مدخل مسقوف منكسر يفتح للحوش



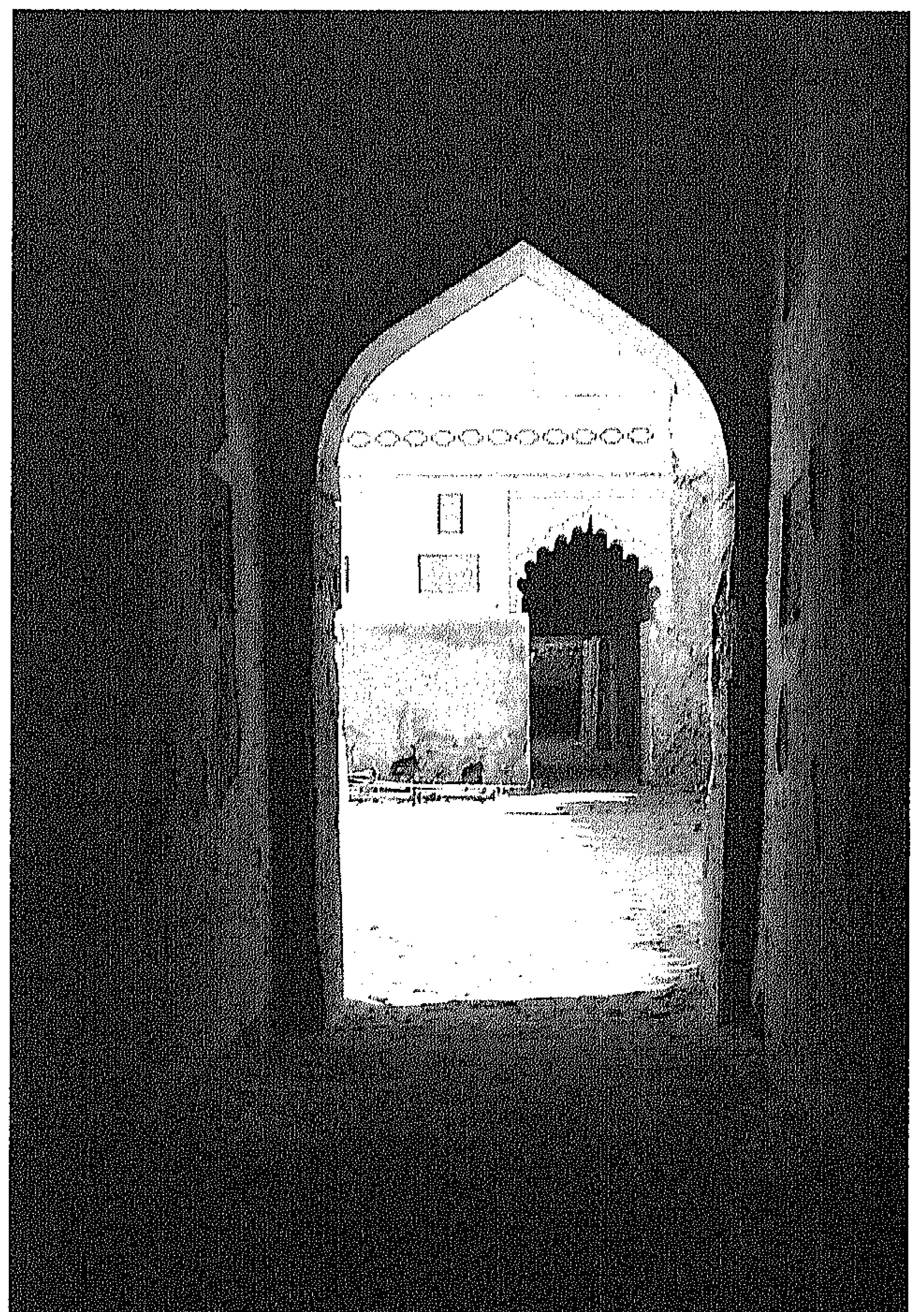
شكل رقم (157) صورة مدخل مفتوح



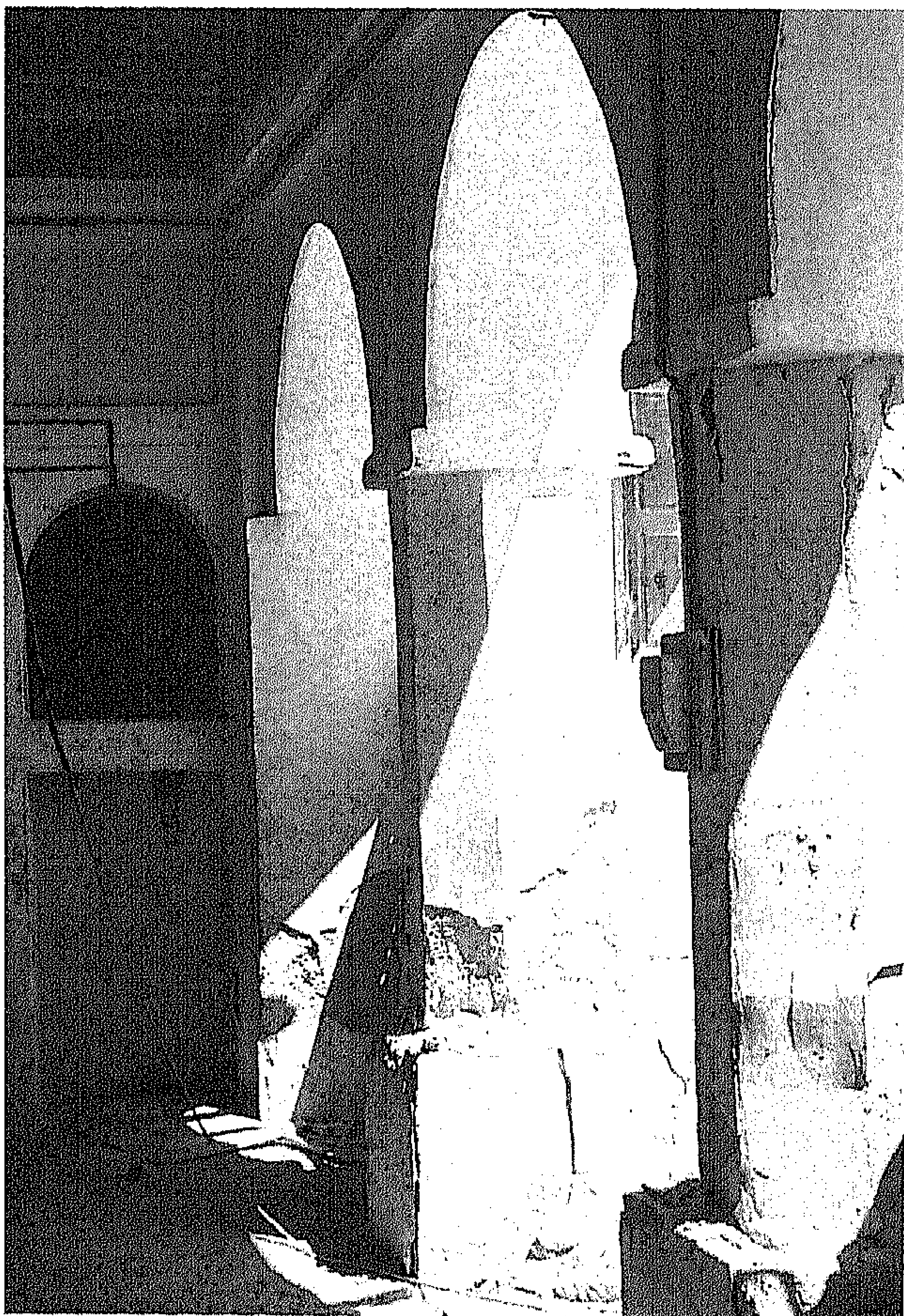


شكل رقم (159) مسقط أفقي لمدخل مسقوف منكسر يفتح لليوان

شكل رقم (160) صورة مدخل مسقوف مباشر



شكل رقم (161) صورة مدخل مسقوف منكسر يفتح لليوان



## المفردة الثانية ـ الفراغ المفتوح :

تشكلت الوحدة العمرانية الأساسية كما تشكل النسيج العمراني للمدينة من الكتلة والخواء كقطبين أساسيين متلازمين لا يمكن لأحدهما التواجد إلا في وجود الآخر . . وتتركب الوحدة العمرانية الأساسية وخاصة السكنية منها من كتلة بنائية فيها عناصر فراغية مقفولة هى الغرف الإنتفاعية ، والتى إحتفظت غالبا بنسب معينة ومقاسات تكاد تكون ثابتة تتراوح بين 3–4 أمتار في العرض ، 6–7 أمتار في الطول (النسبة الفراغية حوالي 5:3) ، وعرفت اللغة المحلية أنماطاً متعددة من هذه الفراغات المقفولة مثل : المجلس والمختصر (مجلس صغير يستعمل غالبا للمعاملات التجارية) والبنكلة والغرفة (وهما اللتان يبنيان فوق الأسطح في الدور العلوى) والمدبسة . . . . وغيرها . أما الفراغات المفتوحة فيمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنماط عامة تجاورت أو تكاملت مع بعضها البعض في تركيبات واحدة وهذه الأنماط هي :

| | | |
|---|---|---|
| الفراغات المفتوحة | فراغات خطية طولية ـــــ | الطريق |
| | فراغات مركزية حلقية ـــــ | الحوش |
| | فراغات ممتـــــدة ـــــ | السطح |

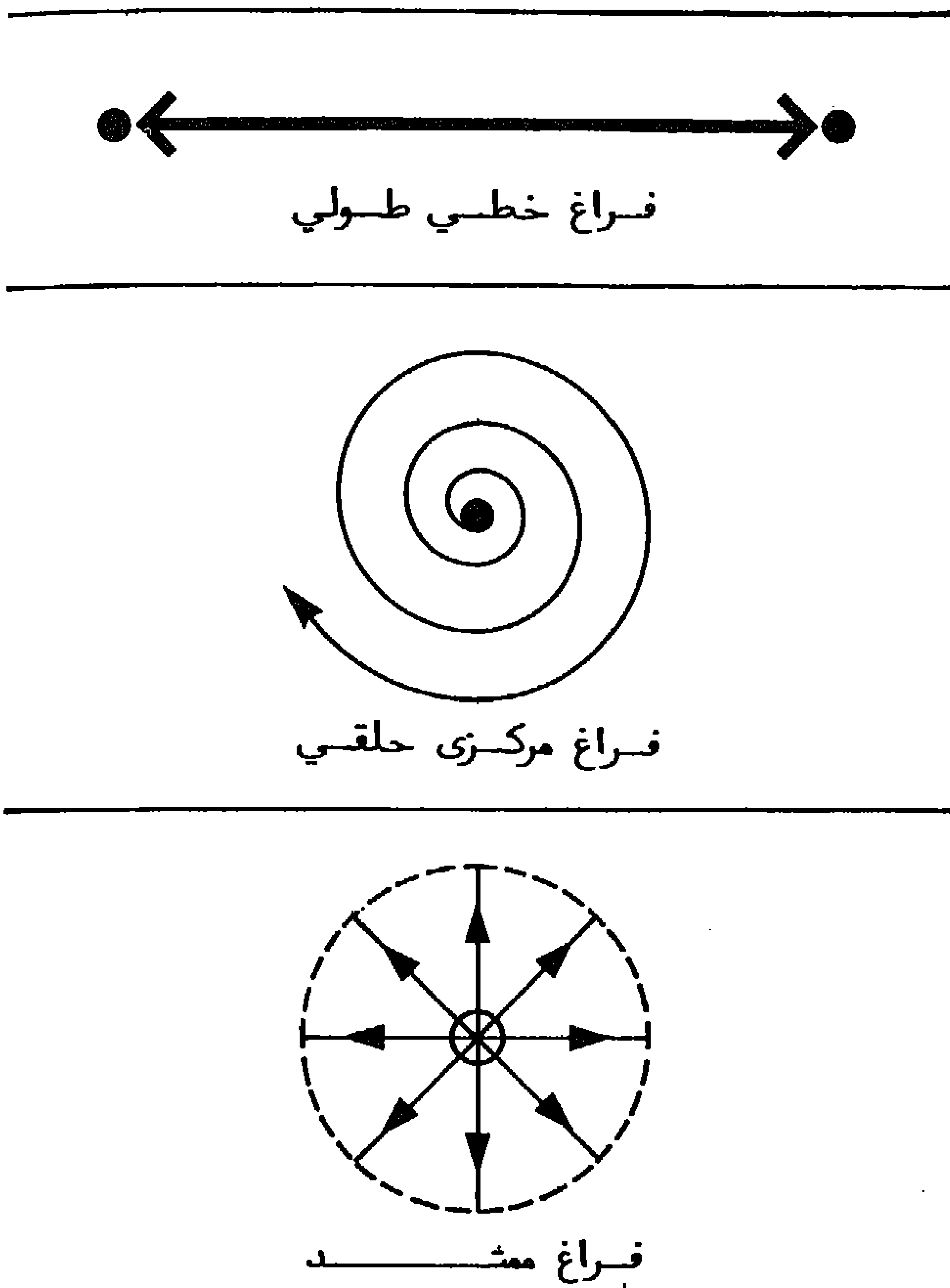
وأيما كان الفراغ المفتوح ونمطه ، فلقد إرتبطت الفراغات كلها في رمزيتها بالمفاهيم الثلاثة الرئيسية لفلسفة العمران ، وإرتبط كل نمط فراغي منها بأحد هذه المفاهيم كما يلي :

السماء ـــ فراغ مفتوح مرتبط بالسماء ـــ السطح ـ فراغ ممتد

الأرض ـــ فراغ أرضي لحركة الإنسان ـــ الطريق ـ فراغ طولي

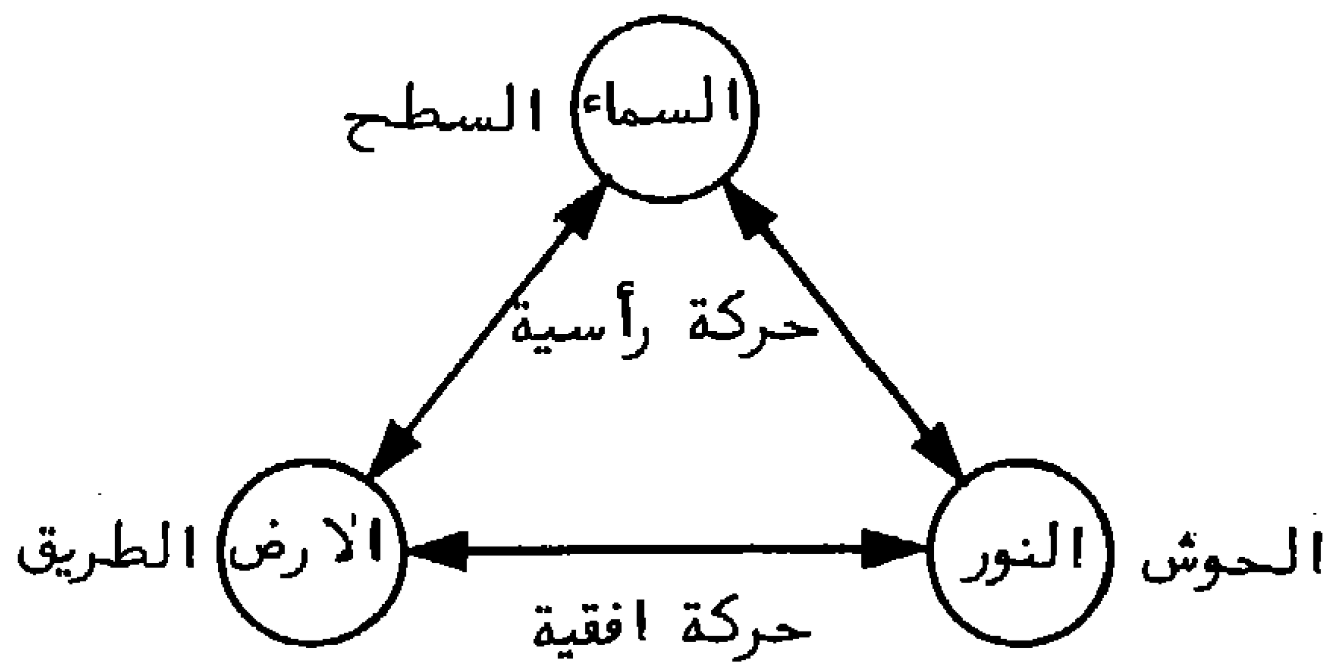
النور ـــ فراغ منظم لحركة النور في الكيان العمراني ـــ الحوش ـــ فراغ حلقي

وهكذا ، فهذه الفراغات هي مركز النشاط الإنساني ، ومجال الحركة الإنتفاعية ضمن حدود الكتل العمرانية على كافة المستويات وفي تتابع قائم على الحد الفاصل بين ما هو خاص وما هو عام من الفراغ الطولي إلى الحلقي إلى الممتد . . وتختلف طبيعة الخصوصية أو العمومية للفراغ المفتوح كمفردة للغة العمران المحلي حسب موقعها وإستعمال الحرفي لها ، ونقط الإنتقال من نمط من هذه الأنماط الفراغية إلى نمط آخر لها أهميتها الخاصة ، وبالتالي إكتسبت هذه




شكل رقم (162) رسم توضيحي لانماط الفراغات المفتوحة ورموزها الفلسفية

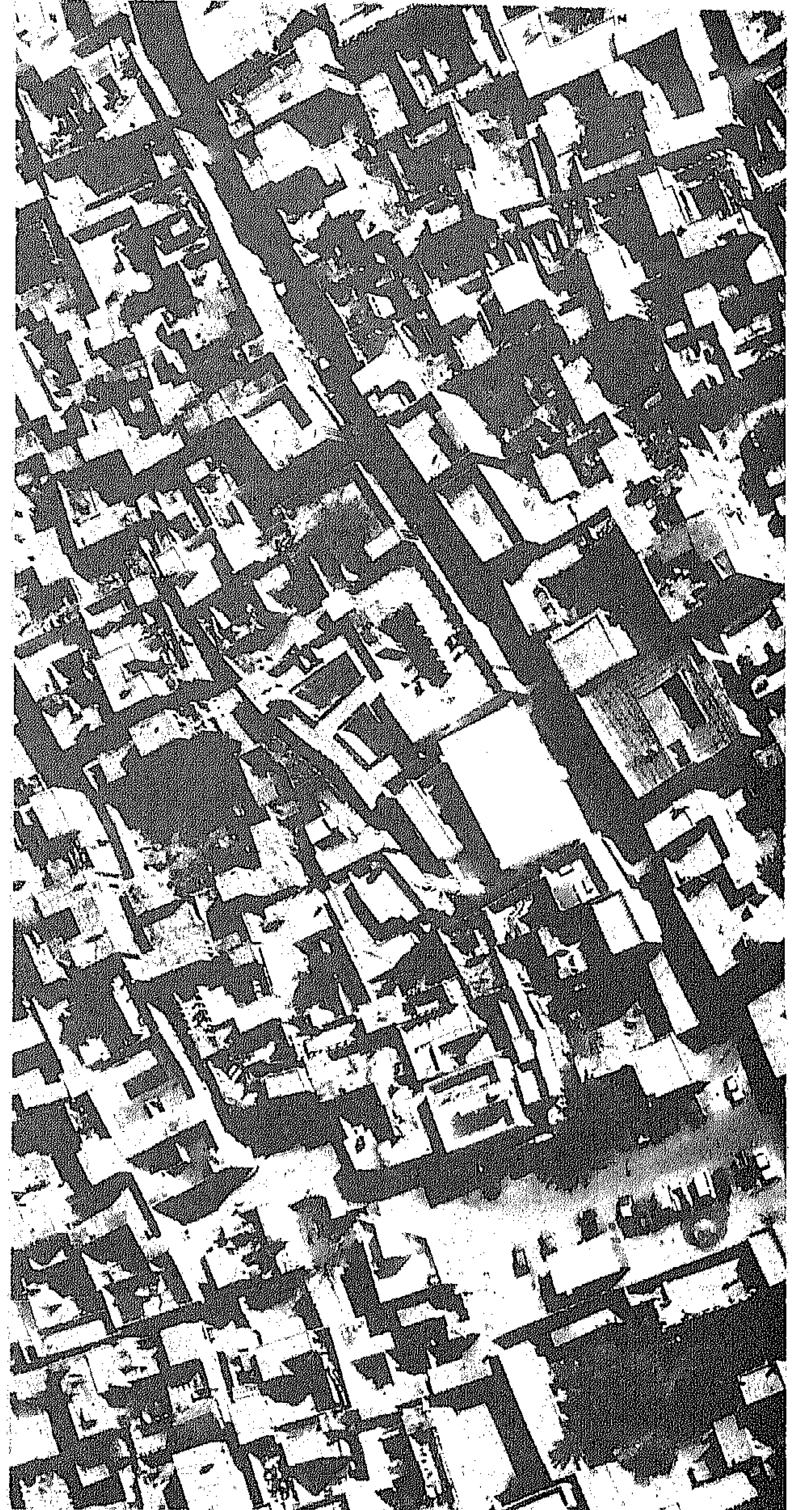
النقط ذاتيتها من الطبيعة الإنتفاعية ، فالإنتقال من الفراغ الطولي إلى الفراغ الحلقي من خلال المدخل ، والإنتقال من الفراغ الحلقي إلى الممتد من خلال السلم . . ولا يمكن الإنتقال من الفراغ الطولي إلى الفراغ الممتد دون وسطية الفراغ الحلقي المركزي . . وهكذا تتتابع الأنماط الثلاثة للفراغات في إتجاه واحد بحركة أفقية من الفراغ الطولي إلى الحلقي وبحركة رأسية من الفراغ الحلقي إلى الممتد . .




شكل رقم (163) رسم توضيحي لارتباط الفراغات بالمفاهيم الاساسية للعمران

## النمط الأول ـ الفراغ الطولي :

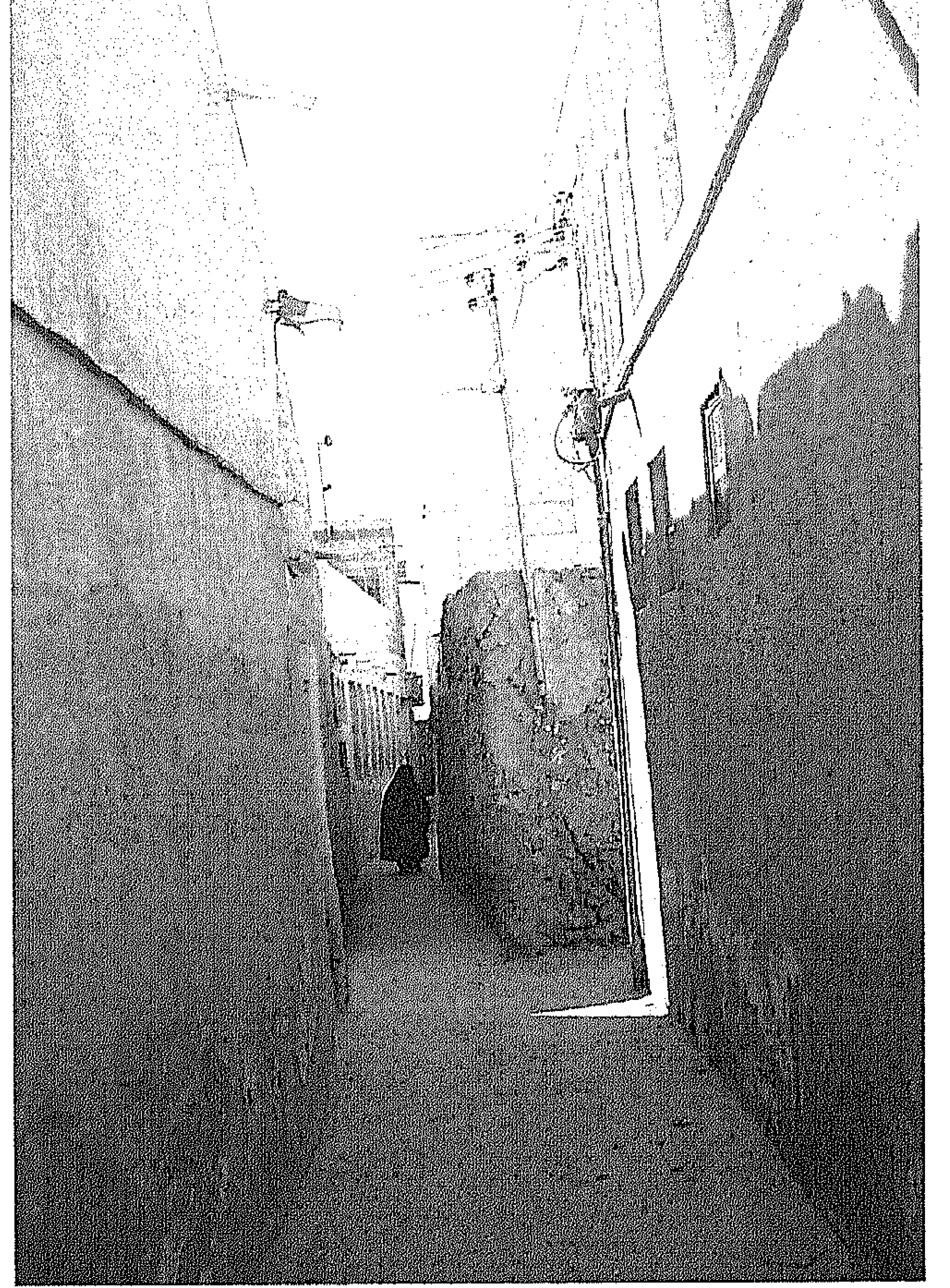
لقد عرفت مدينة المحرق نماذجاً وتركيبات عديدة للفراغات الطولية إختلفت في تشكيلاتها العمرانية ، ويحدد الفراغ الحوائط الخارجية للكتل البنائية ، وتختلف جزئيا الفراغات الطولية بإختلاف إنتفاعات الكتل البنائية بين المناطق السكنية وفرقها ، وبين السوق ومؤسساته الإقتصادية .



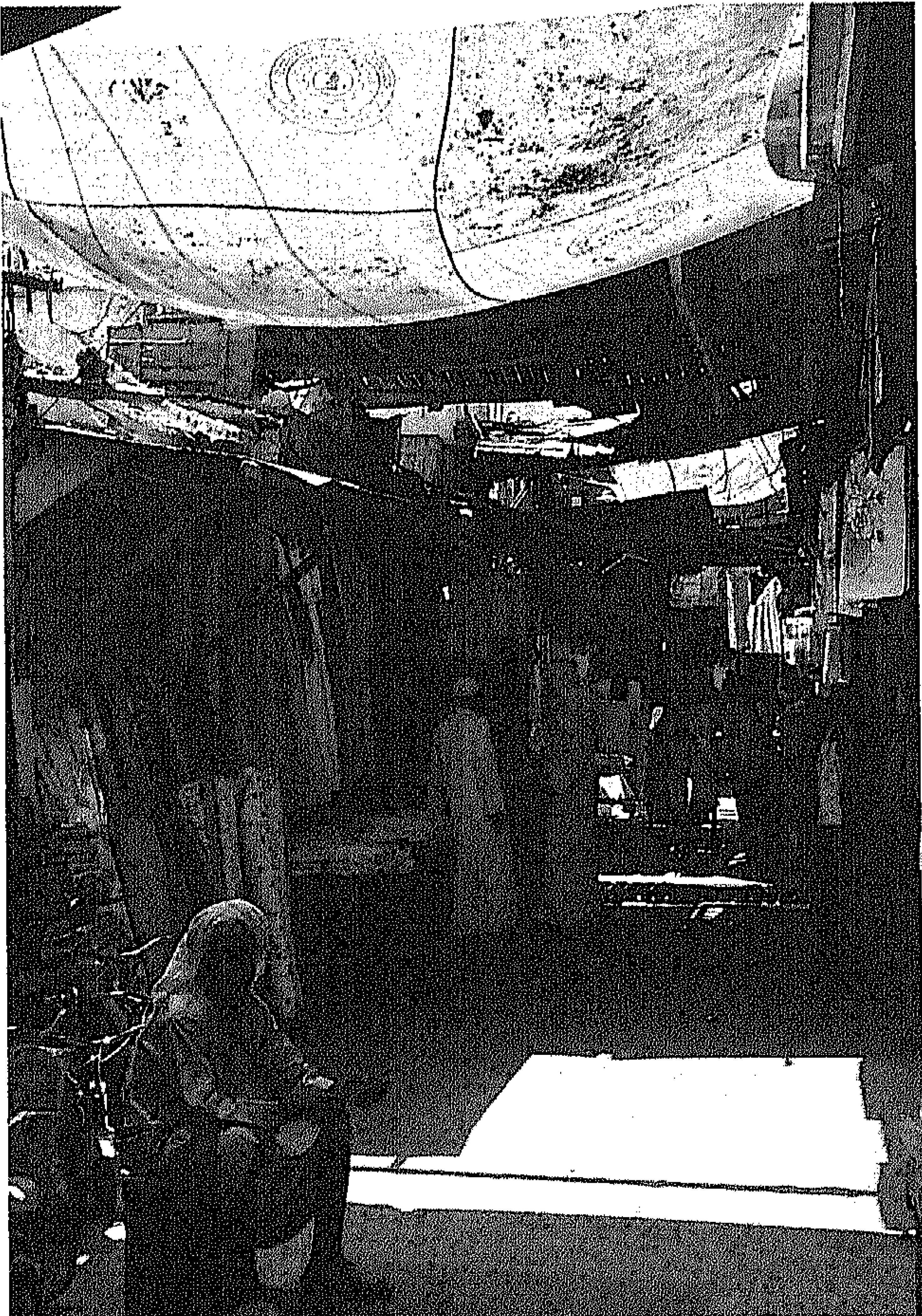
شكل رقم (164) صورة جوية للفراغات الطولية بفريق سكنى بمدينة المحرق

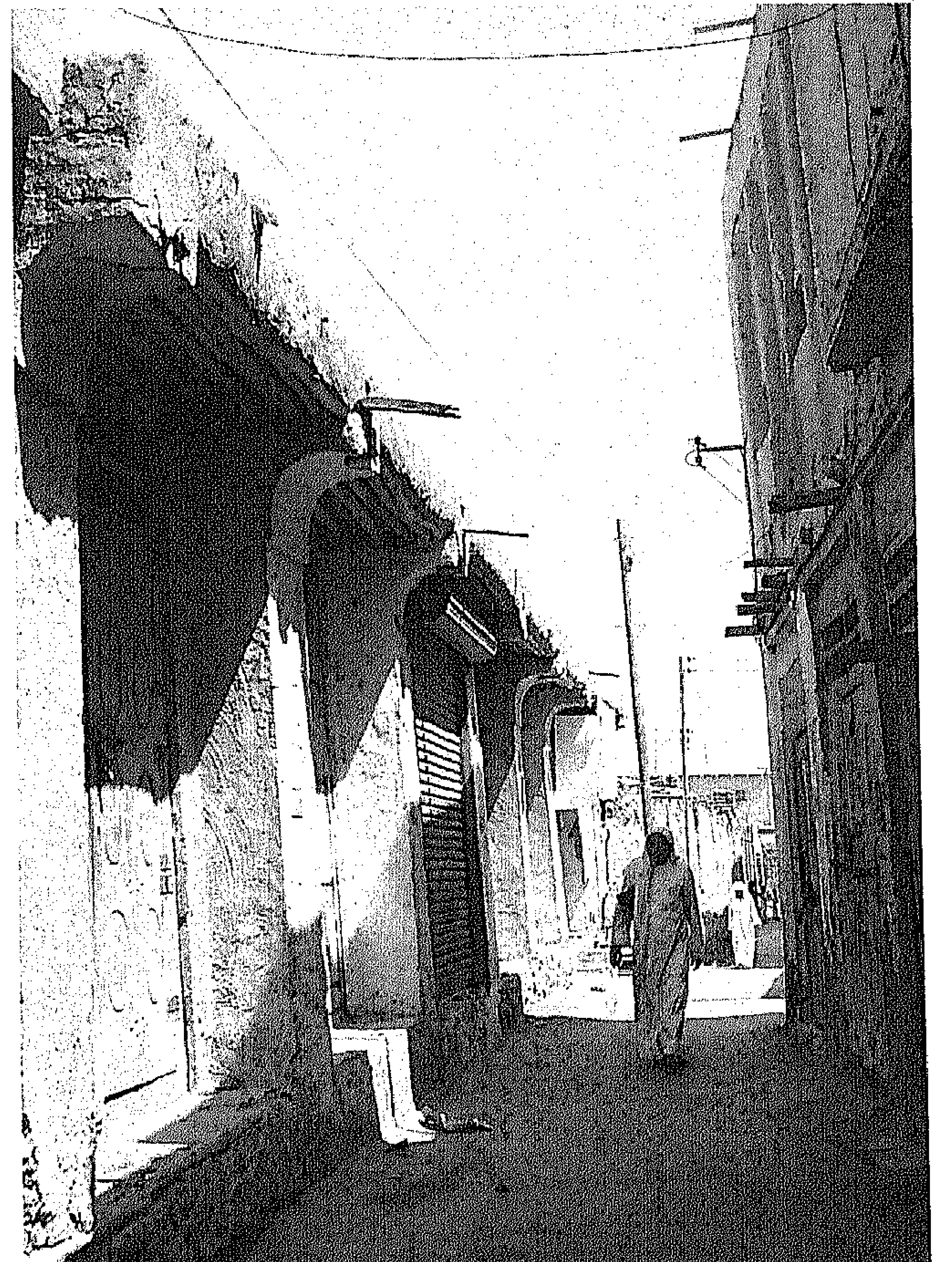


شكل رقم (165) صورة جوية للفراغات الطولية بسوق مدينة المحرق



شكل رقم (166) صورة لفراغ طولي (طريق) بفريق سكني بمدينة المحرق
شكل رقم (167) صورة لفراغ طولي (طريق) بسوق مدينة المحرق
شكل رقم (168) صورة لفراغ طولي ممر مسقوف بسوق القصيرية بمدينة المحرق





**النمط الثاني ـ الفراغ المركزي الحلقي :**

يعتبر الحوش ـ الفراغ المركزي ـ محور الحياة الإجتماعية للإنسان والمجتمع كله ، وقد أخذ شكل الحوش تشكيلين أساسيين بغض النظر عن الإنتفاع (مجلس ـ حرم ـ خدمة) ، أو عن الحجم الفراغي نفسه ، ويمكن تصنيف هذا في النموذجين التاليين :

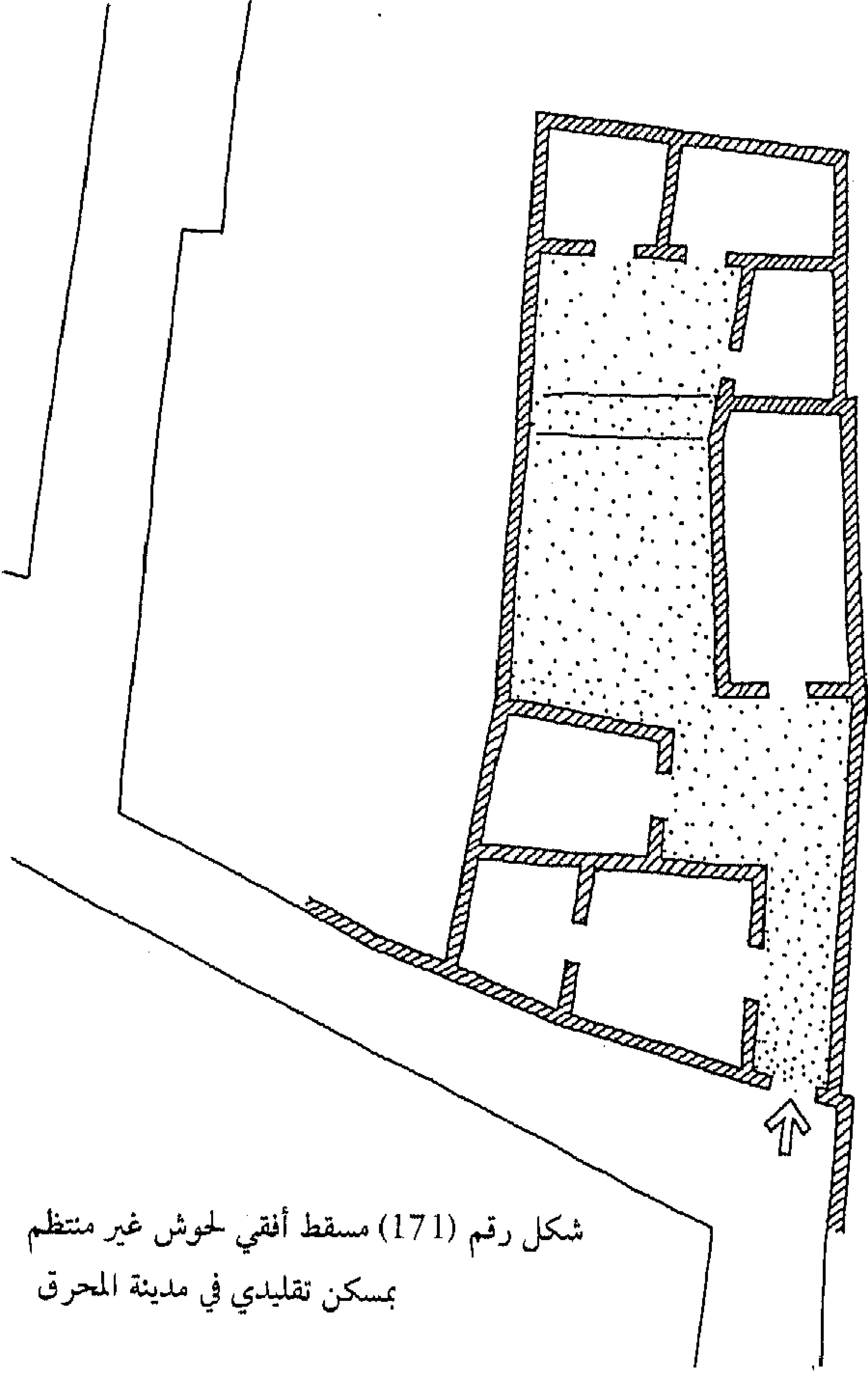
تشكيل غير منتظم :

تشكيل منتظم : مربــع التشكيل .

مستطيل التشكيل .

خطــي التشكيل .

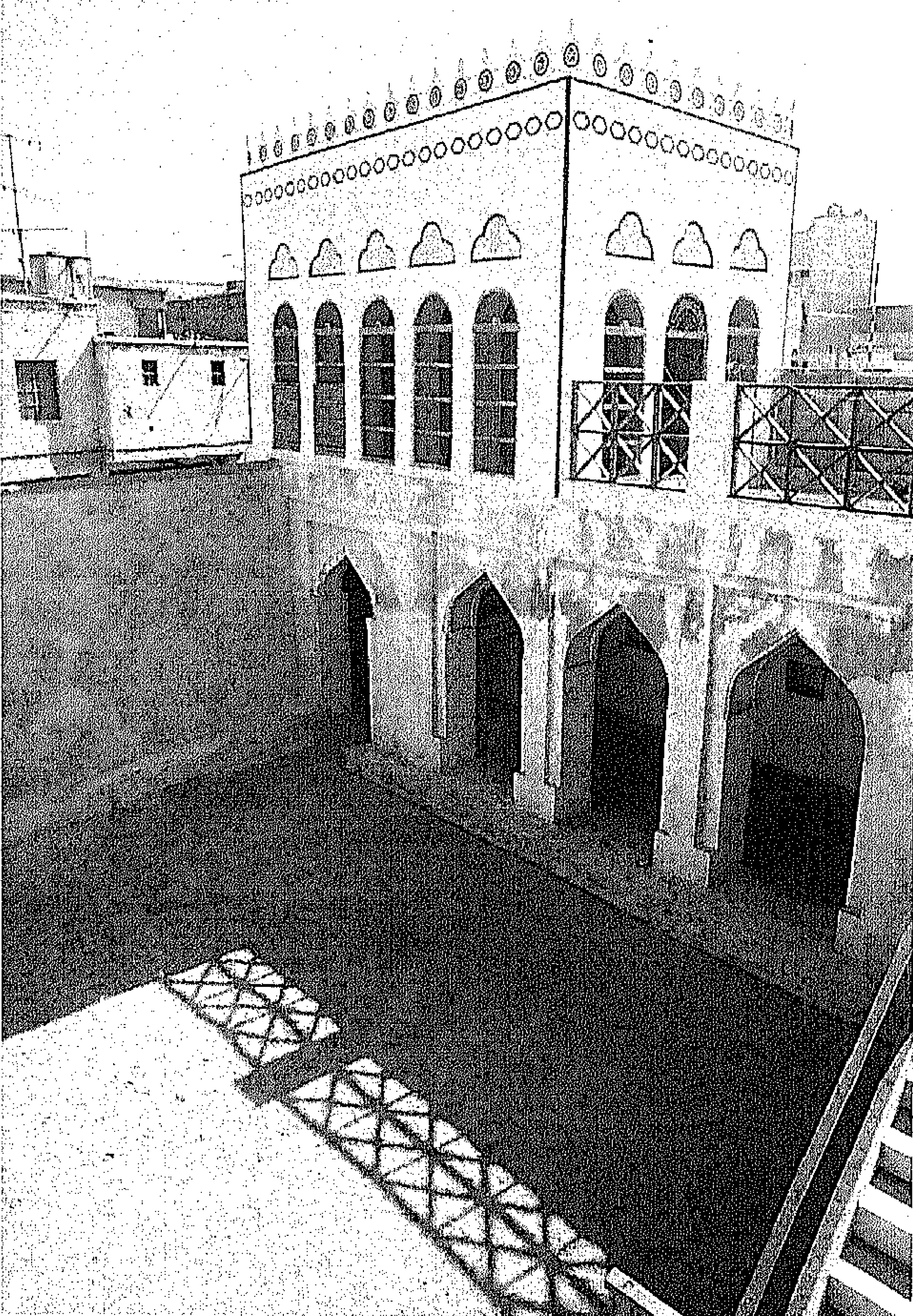
ويحدد هذا الفراغ الكتلة البنائية للوحدات العمرانية نفسها بما تضم من فراغات مقفولة سواء فى مستوى الدور الأرضى أو فى مستوى الدور الأول العلوى .



شكل رقم (171) مسقط أفقي لحوش غير منتظم بمسكن تقليدي في مدينة المحرق

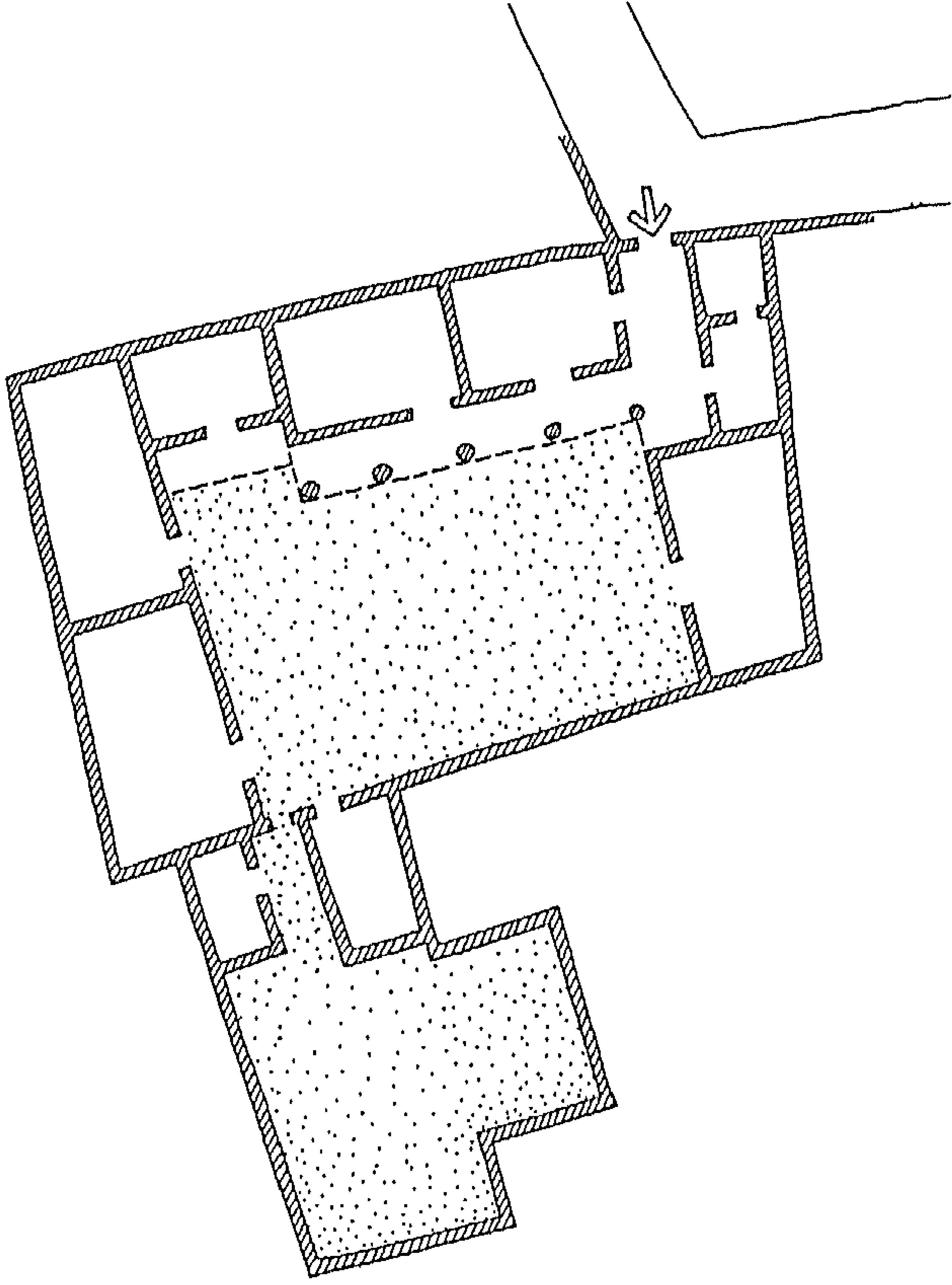


شكل رقم (169) صورة لحوش سكني غير منتظم

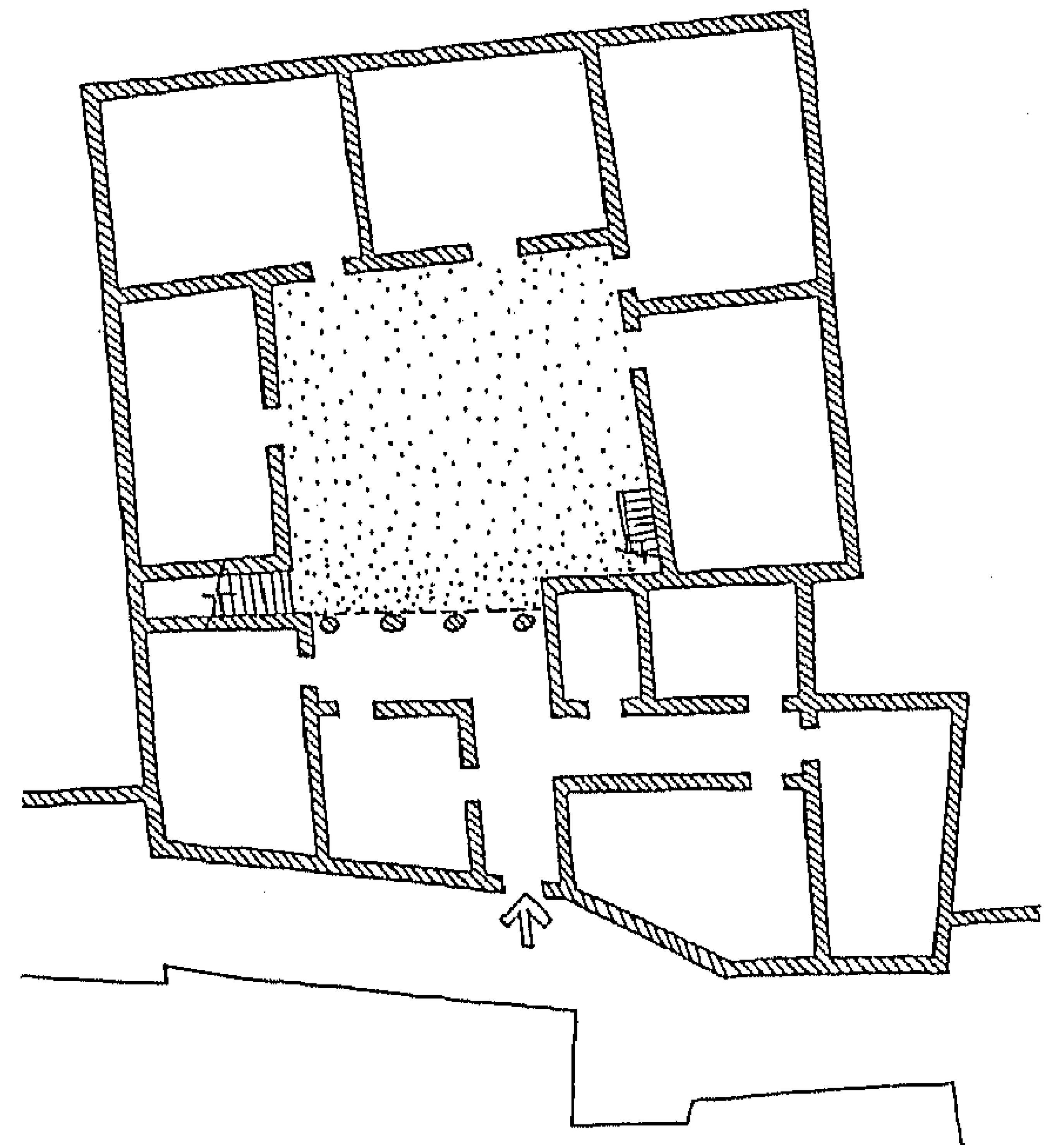


شكل رقم (170) صورة لحوش سكني منتظم

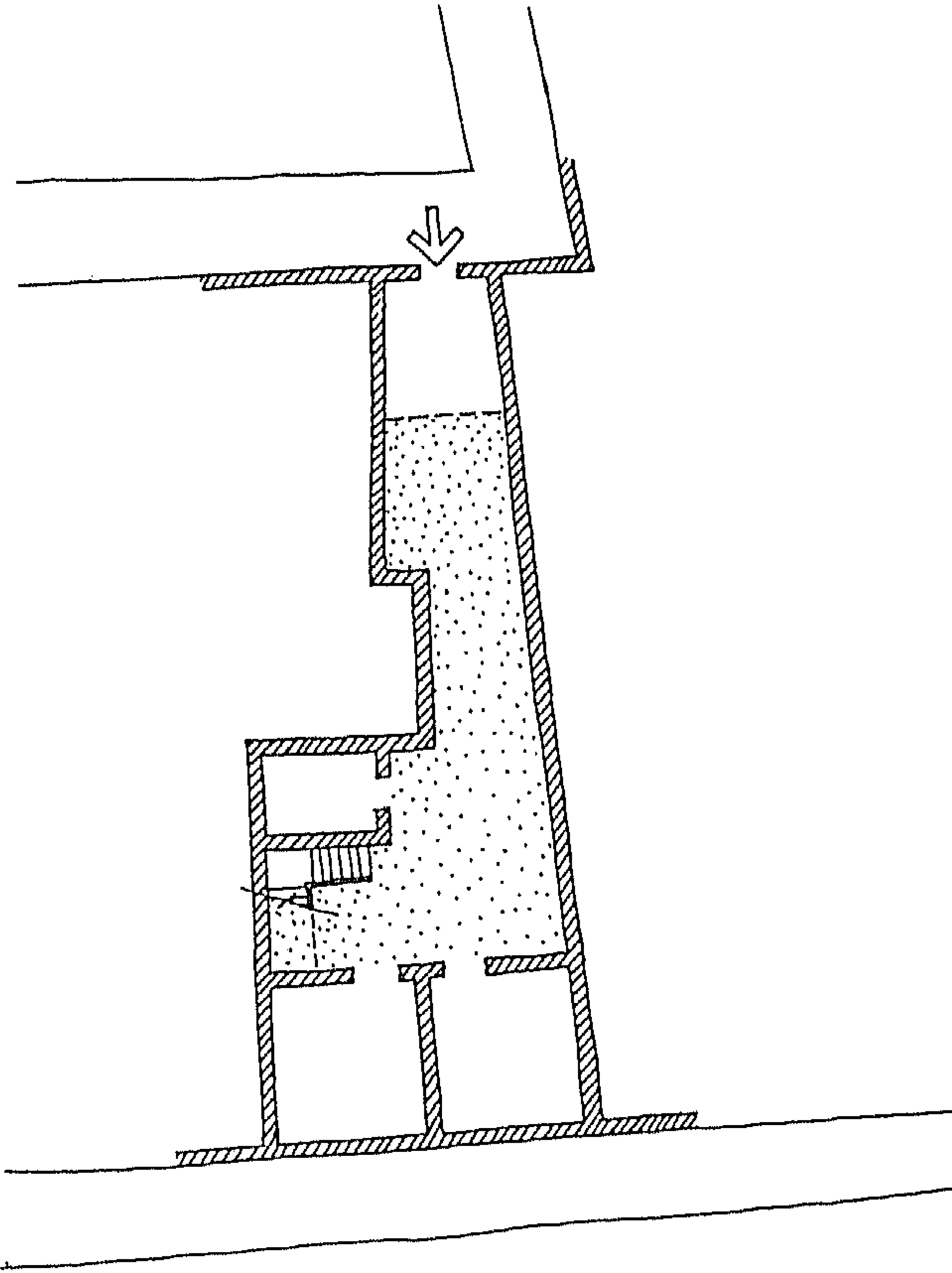
شكل رقم (175) صورة جوية لفريق سكني بمدينة المحرق يبين الانماط المختلفة للفراغات المركزية الاحواش



شكل رقم (173) مسقط أفقي لحوش منتظم مستطيل التشكيل



شكل رقم (172) مسقط أفقي لحوش منتظم مربع التشكيل



شكل رقم (174) مسقط أفقي لحوش منتظم خطى التشكيل



## النمط الثالث ـ الفراغ الممتد :

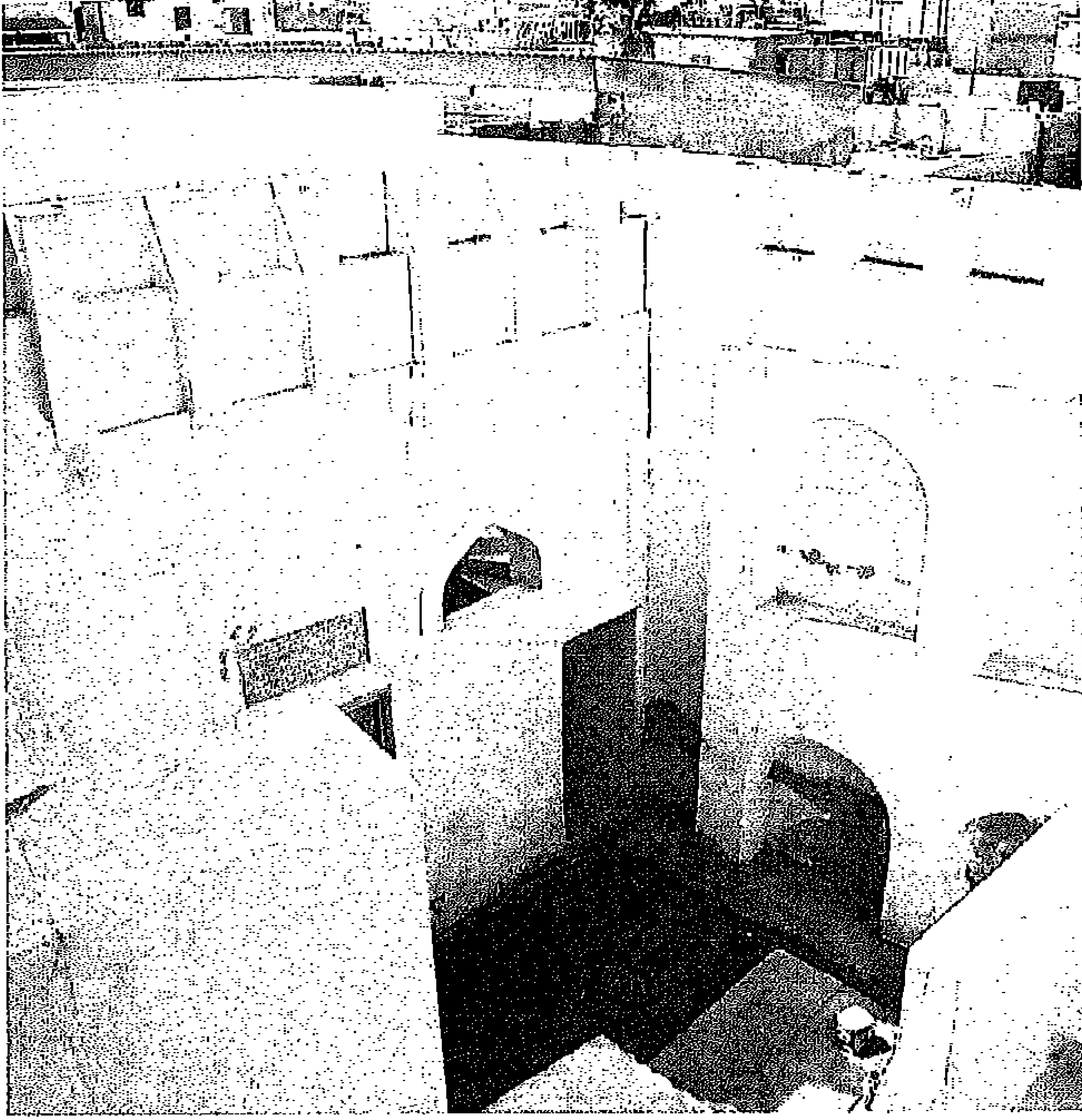
يعتبر هذا النمط إمتداداً رأسيا للحوش ، وإن كان يختلف عنه في تشكيله وطبيعته الإجتماعية من جهة ، وفي إستعمالاته وإنتفاعاته العمرانية من جهة أخرى ، ونظراً لإرتباط هذا الفراغ بالسماء الممتدة فلا يمكن تصنيف تشكيله ضمن نماذج محددة ، وإن كانت هذه ترتبط مع الإنسان بعلاقة أرضية ناتجة عن التركيب الإنتفاعي والإجتماعي ، وما يفرزه من حدود ملكيات وعلاقات جيرة متداخلة ولكنها شبه محددة .

ويؤكد حدود الفراغ دراوي الأسطح ، وهناك ثلاثة نماذج أساسية لهذه الدراوي يختلف إستعمالها حسب العلاقة الأرضية للفراغ نفسه ـ والسابق الإشارة إليها ـ ويمكن تحديد هذه الدراوي كما يلي :

(1) دراوي مصمتة البناء تبنى غالبا من الحصى أو الحجر بشكل مستمر ومصمت .

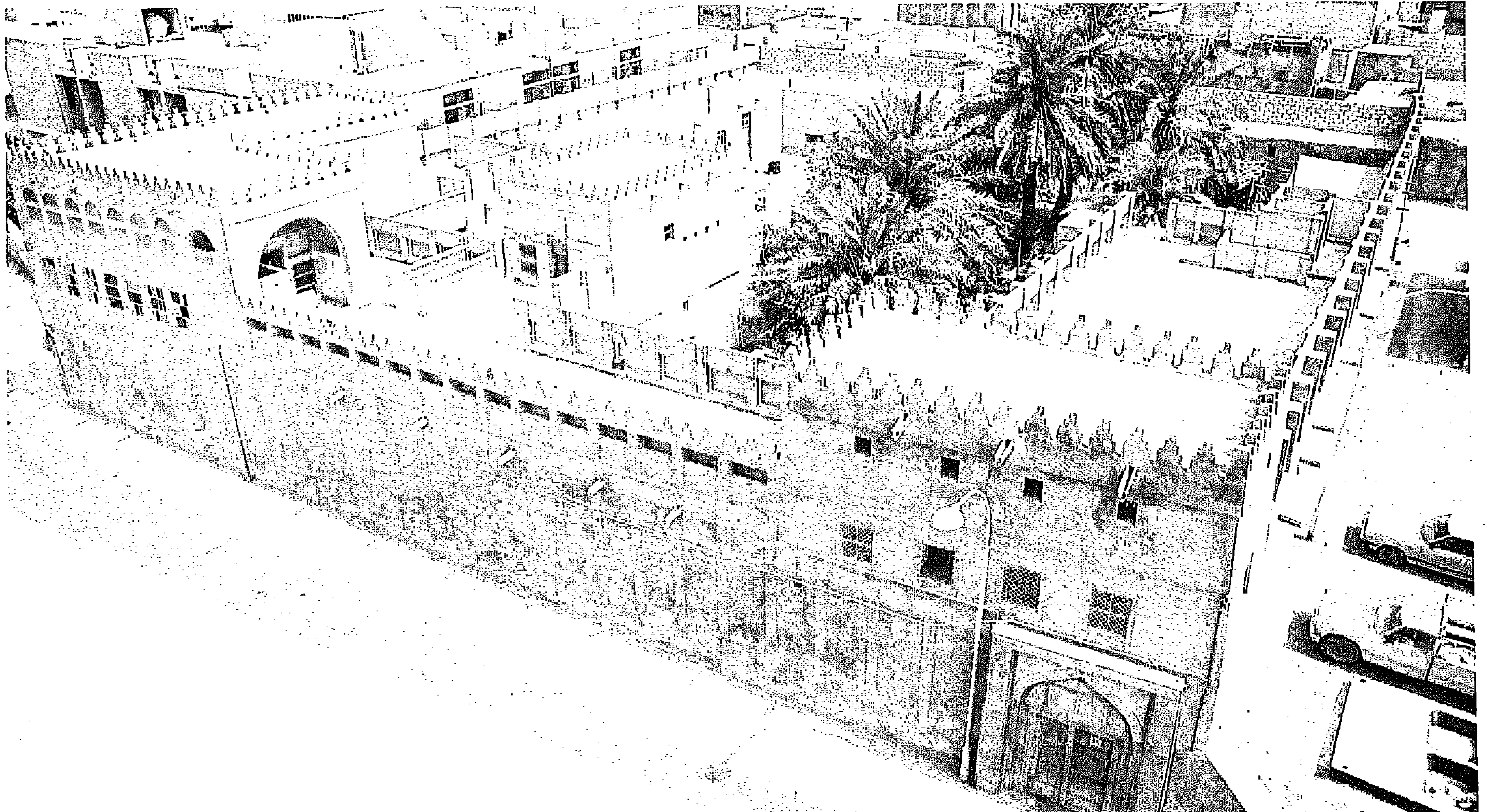
(2) دراوي ملاقف الهواء تبنى ضمن إيقاع مستمر متواتر ومنتظم ، ولكنها صماء تفصل الفراغ عن الخارج وتضمن علاقة غير مباشرة مع الخارج .

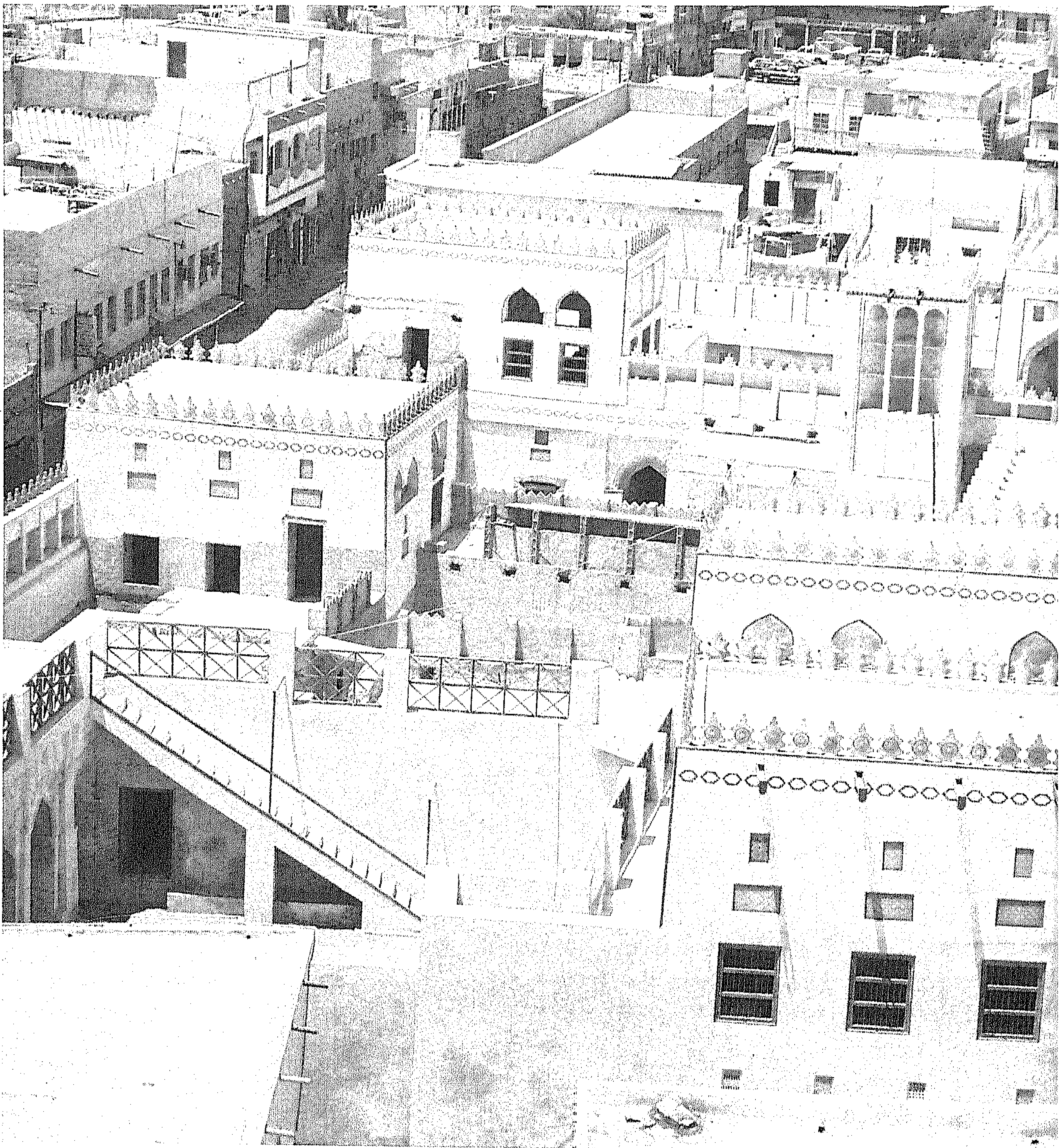
(3) دراوي خشبية من المخرمات وهي أقل النماذج إستعمالاً في عمران مدينة المحرق . .



شكل رقم (176) صورة دراوي السطح

شكل رقم (177) صورة لسطح مسكن تقليدي ارستقراطى بمدينة المحرق

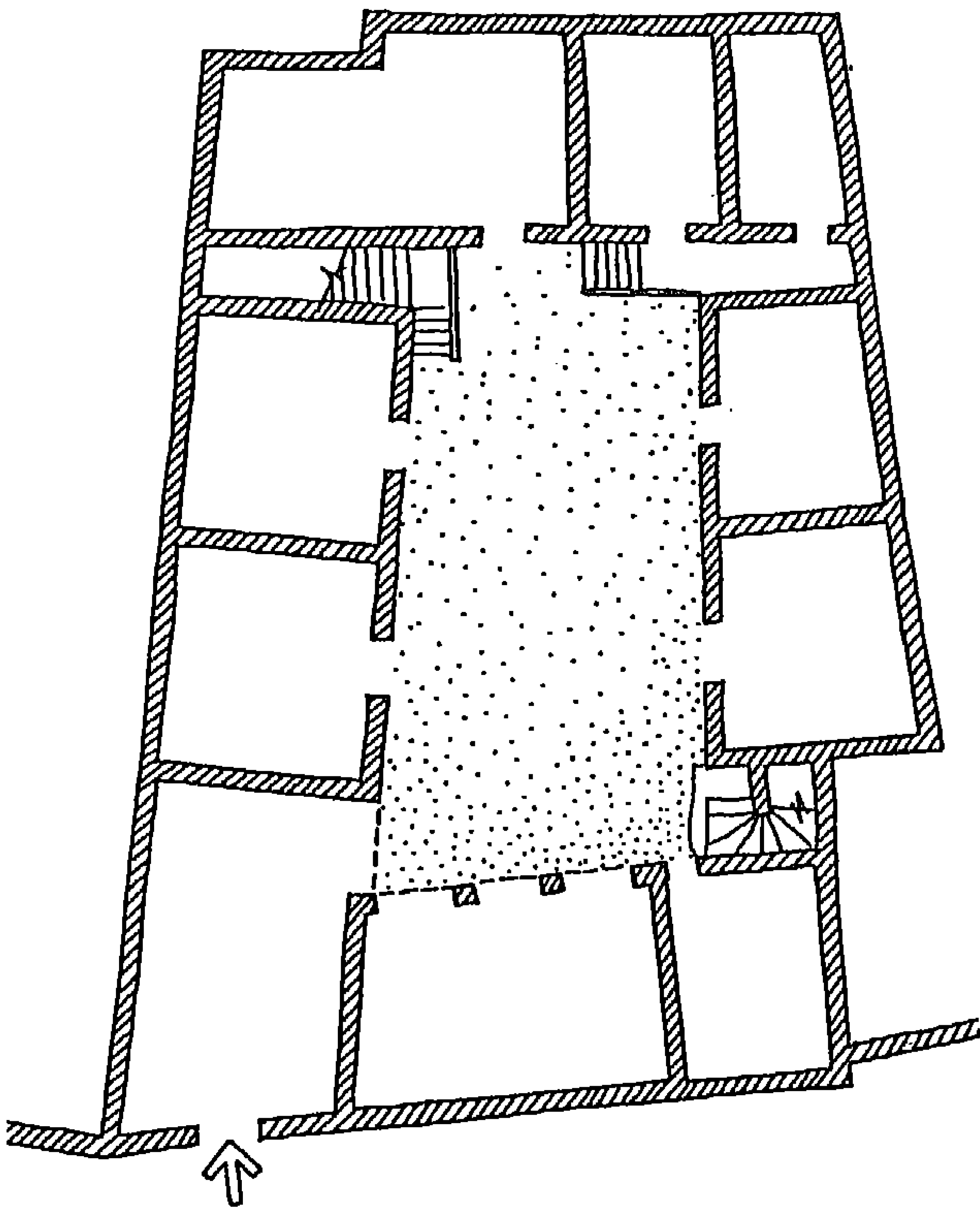




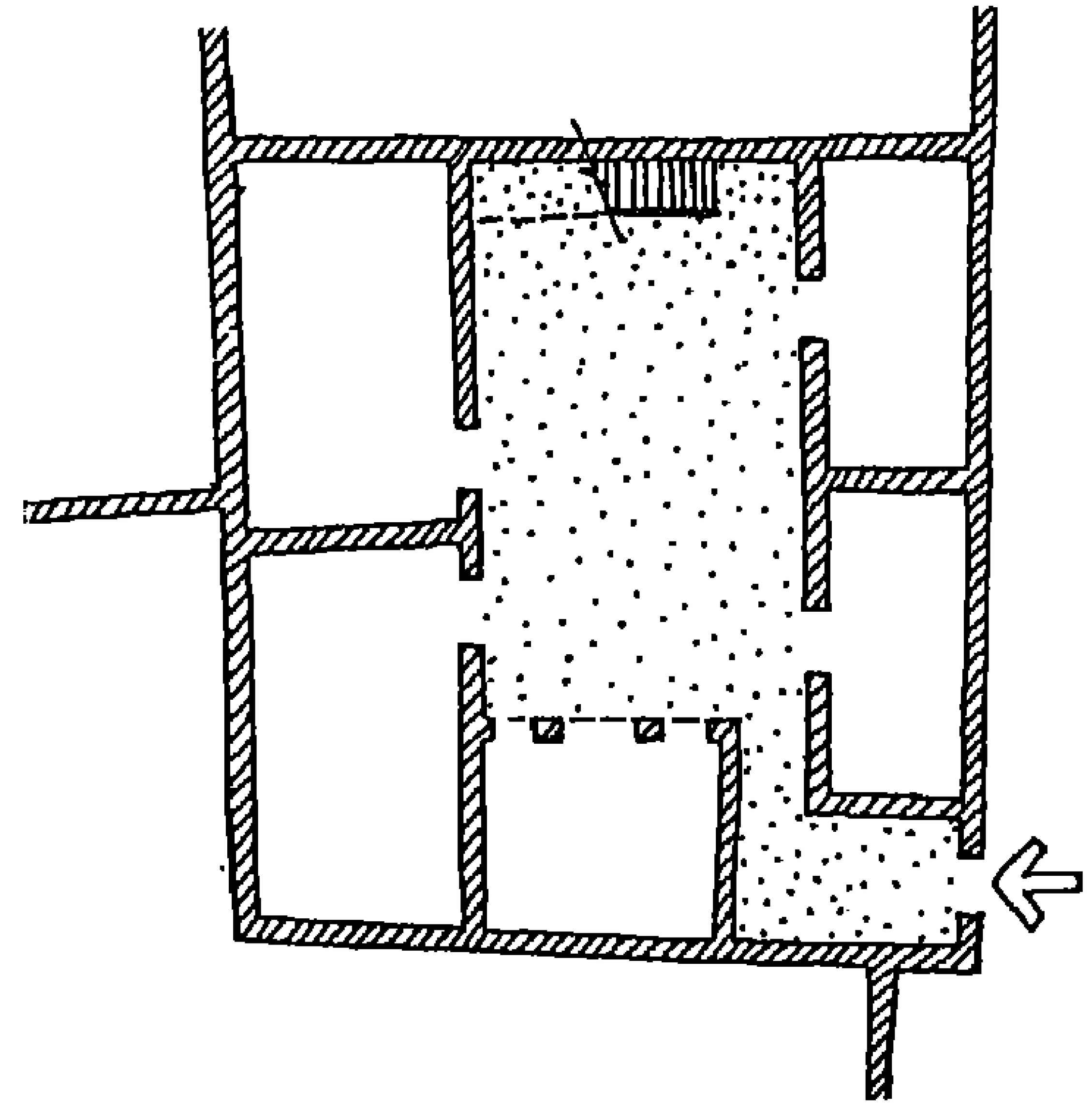
شكل رقم (178) صورة علوية لبيت الشيخ عيسى بن علي يبين الفراغات المركزية
(الاحواش) والفراغات الممتدة (الاسطح)

**المفردة الثالثة ـ الليوان :**

الليوان هو الفراغ المسقوف من الحوش فى الدور الأرضي ، أو من فراغ السطح الممتد في الدور العلوي ، وفي الحالة الثانية يسمى باللهجة المحلية «اللنجة» . . وهو قليل الإستعمال والإنتشار فى لغة العمران المحلية . . ويغلب هنا إستعمال الليوان في الحوش السكنى (الحرم) ، وأحياناً فى حوش المجلس ـ إن وجد ـ ومن الطبيعة الإنتفاعية لليوان إنه إمتداد للفراغ المفتوح وبالرغم من كونه مسقوف : ويفتح على الحوش بفتحات معقودة ـ غالباً ـ ويختلف عمقه حسب التشكيل العام لكتلة المسكن عامة ، وتشكيل الحوش نفسه بصفة خاصة . .



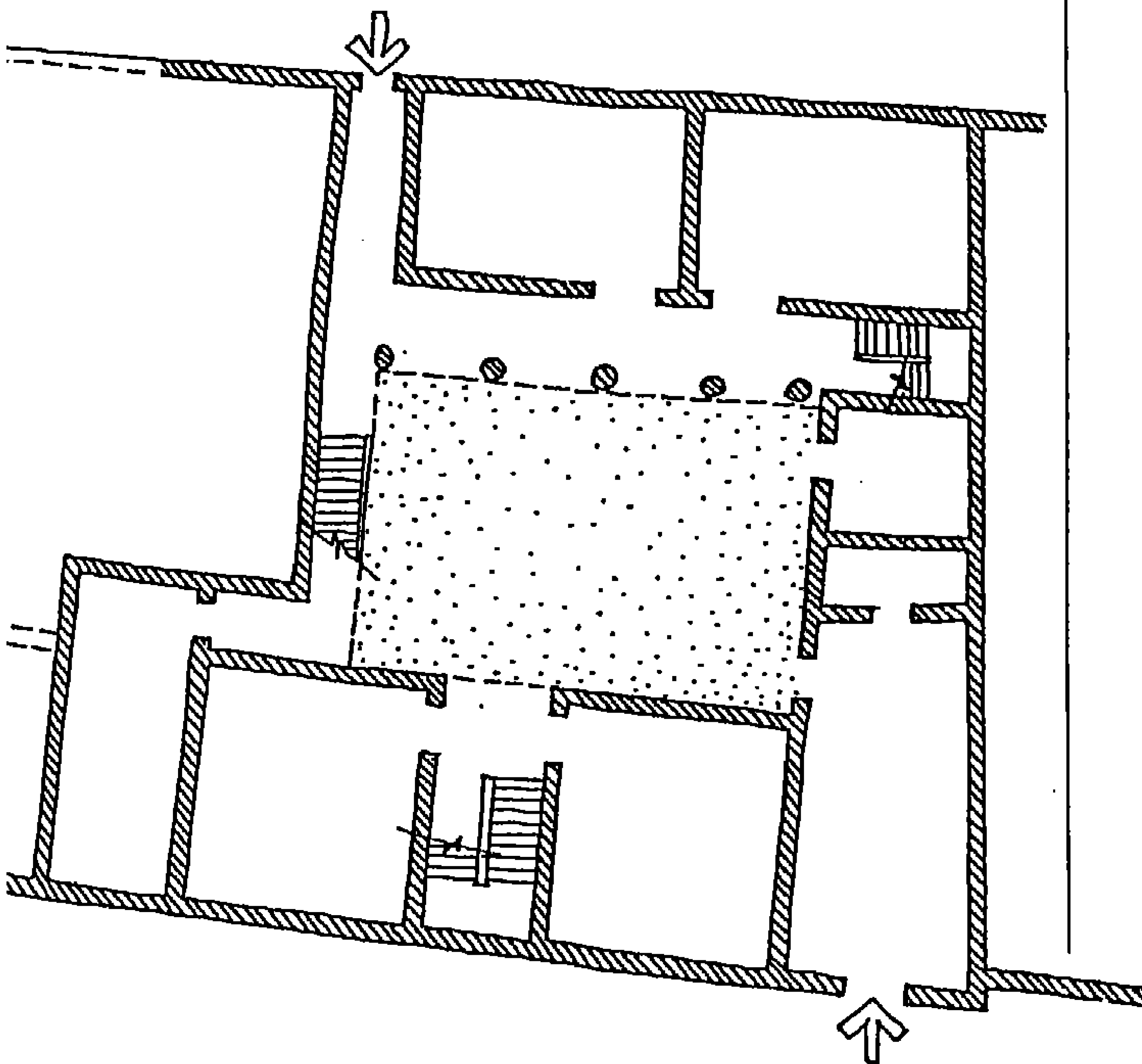
شكل رقم (179) مسقط أفقى لليوان بمسكن تقليدي بمدينة المحرق



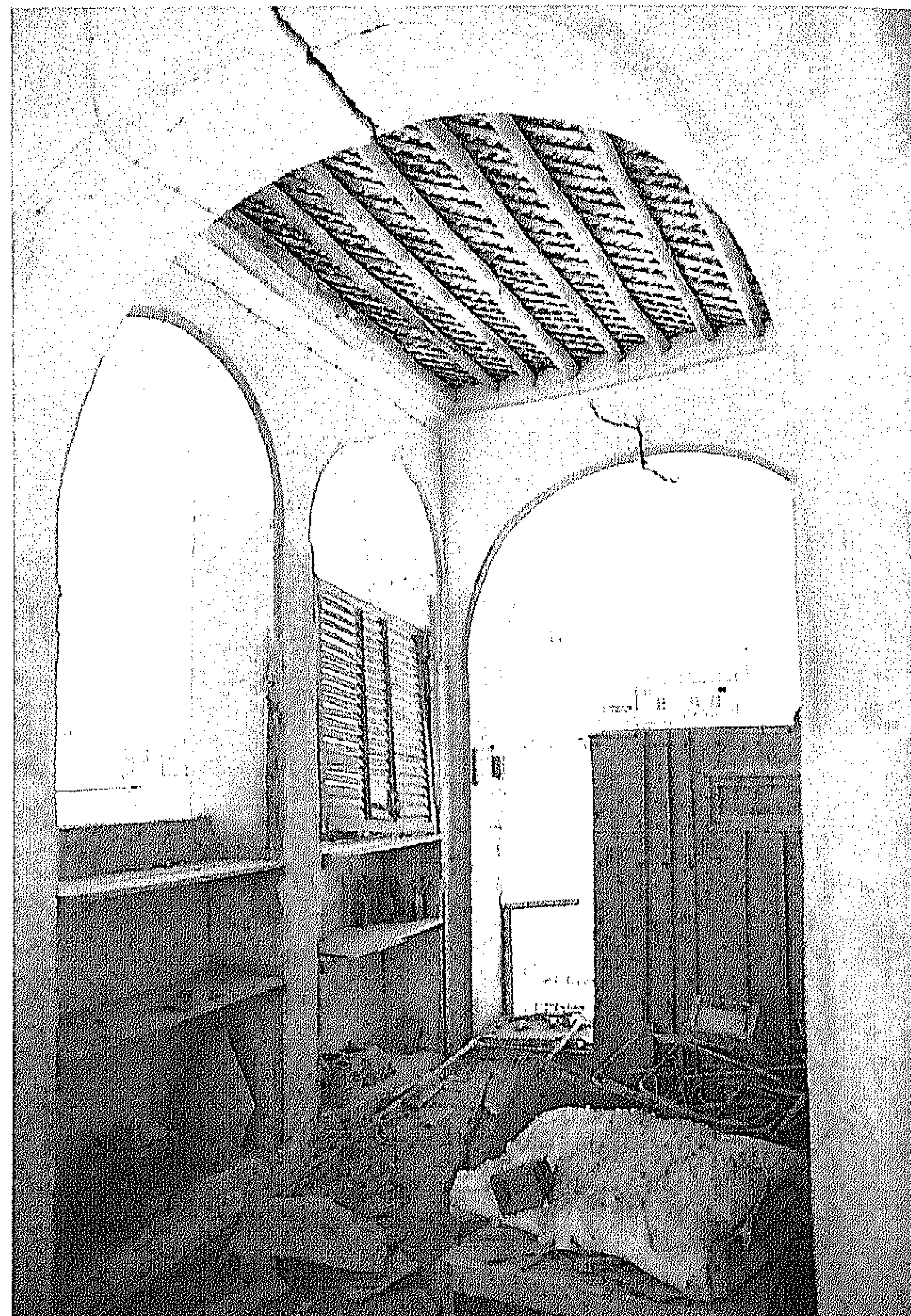
شكل رقم (180) مسقط أفقى لليوان بمسكن تقليدي صغير بمدينة المحرق

وهكذا ، فإن الليوان عنصر وسيط بين الفراغ المفتوح للسماء ، والفراغ المقفول على نفسه ، ومن هنا عرفت لغة العمران نمطين لليوان كمفردة أساسية :

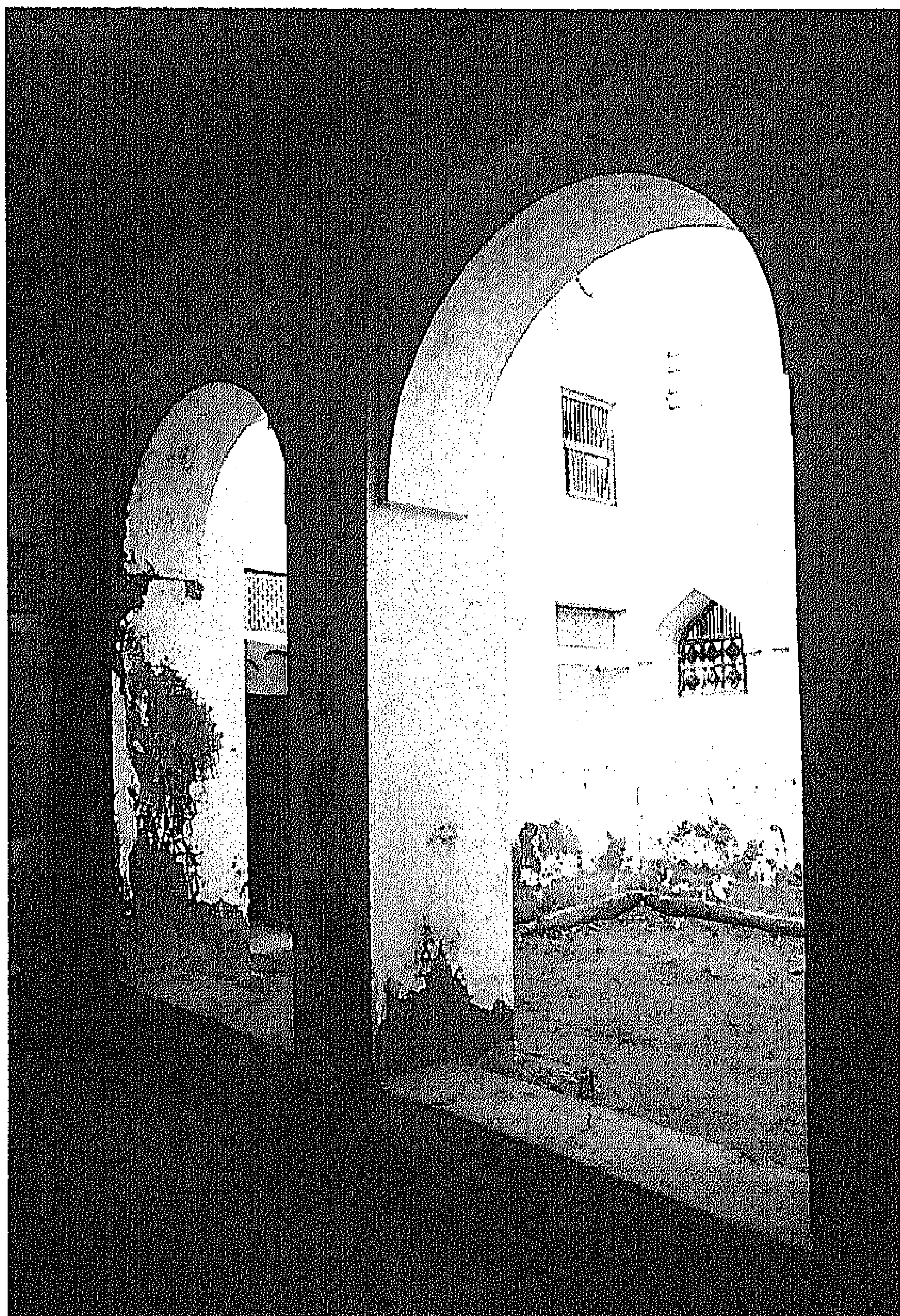
**النمط الأول** : ليوان مفتوح ـ وهو إمتداد لفراغ مقفول داخلي ، وغالباً ما يكون له عمق صغير نسبيا يتراوح بين 1,50ـ2,00 متر وينتشر هذا النمط في غالبية المساكن بمدينة المحرق .



شكل رقم (181) مسقط أفقى للنمط الأول لليوان المفتوح بالمسكن التقليدي



شكل رقم (182) صورة لنجه بالدور العلوي لمسكن تقليدي ارستقراطي

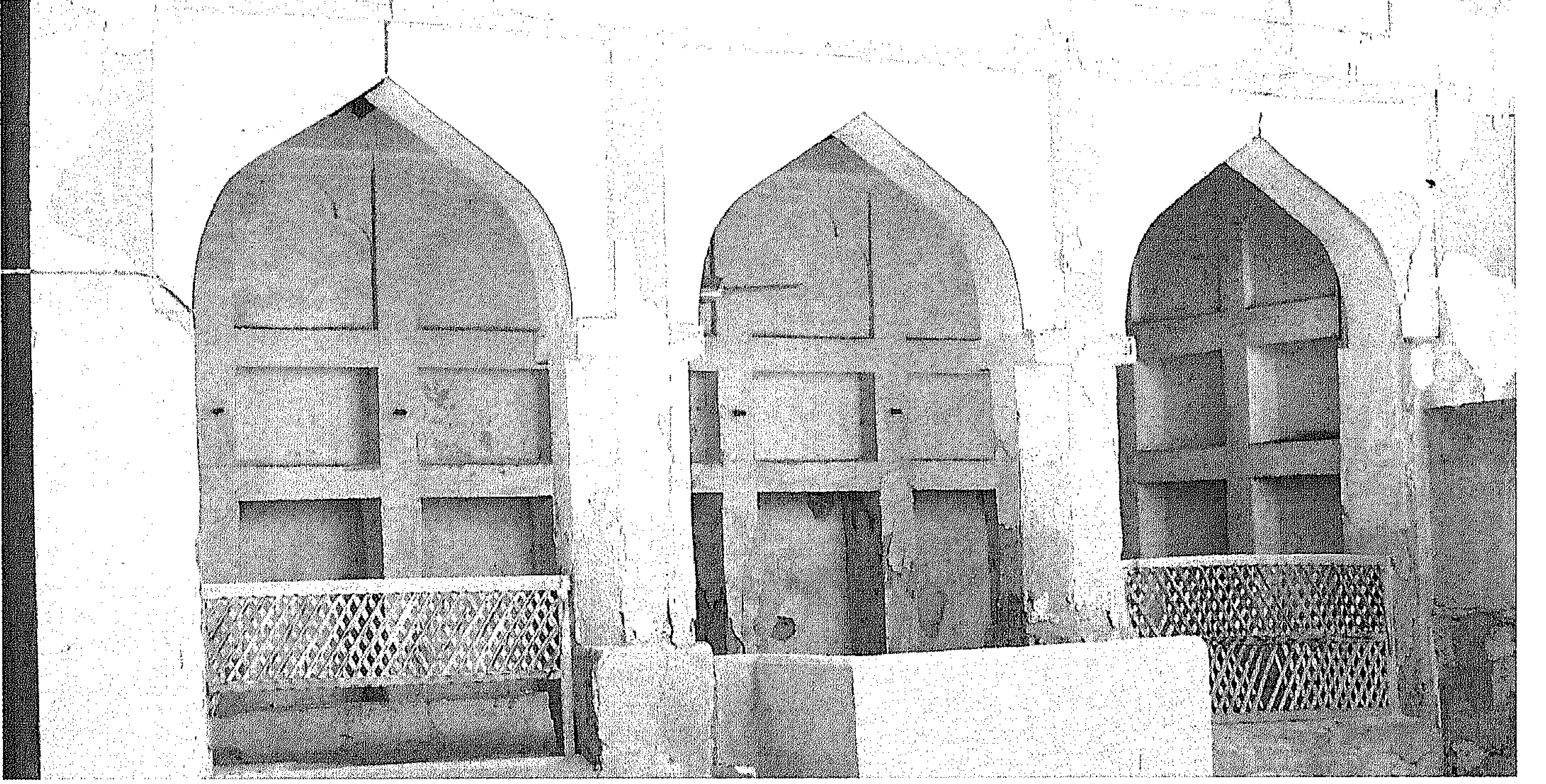


شكل رقم (183) صورة ليوان مفتوح بمسكن تقليدي ارستقراطى ـ النمط الأول

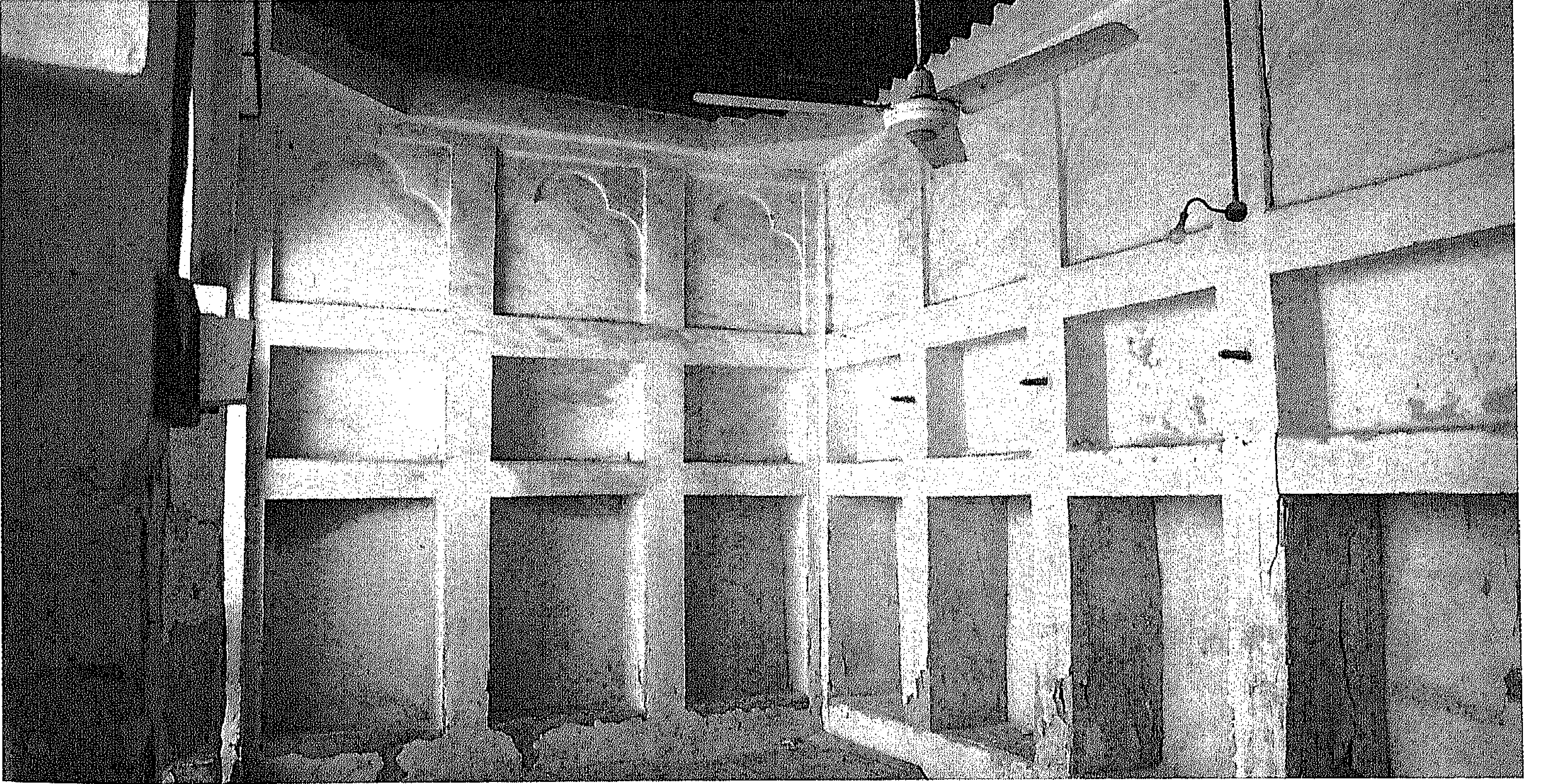


شكل رقم (184) صورة ليوان مفتوح بمسكن تقليدي عأم ـ النمط الأول

**النمط الثاني** : فراغ قائم بذاته يفتح على الحوش من خلال فتحات معينة غالباً معقودة وانتشر هذا النمط فى مساكن الطبقة الإرستقراطية التقليدية وهو عنصر يميز المستوى الإجتماعي للأسرة .



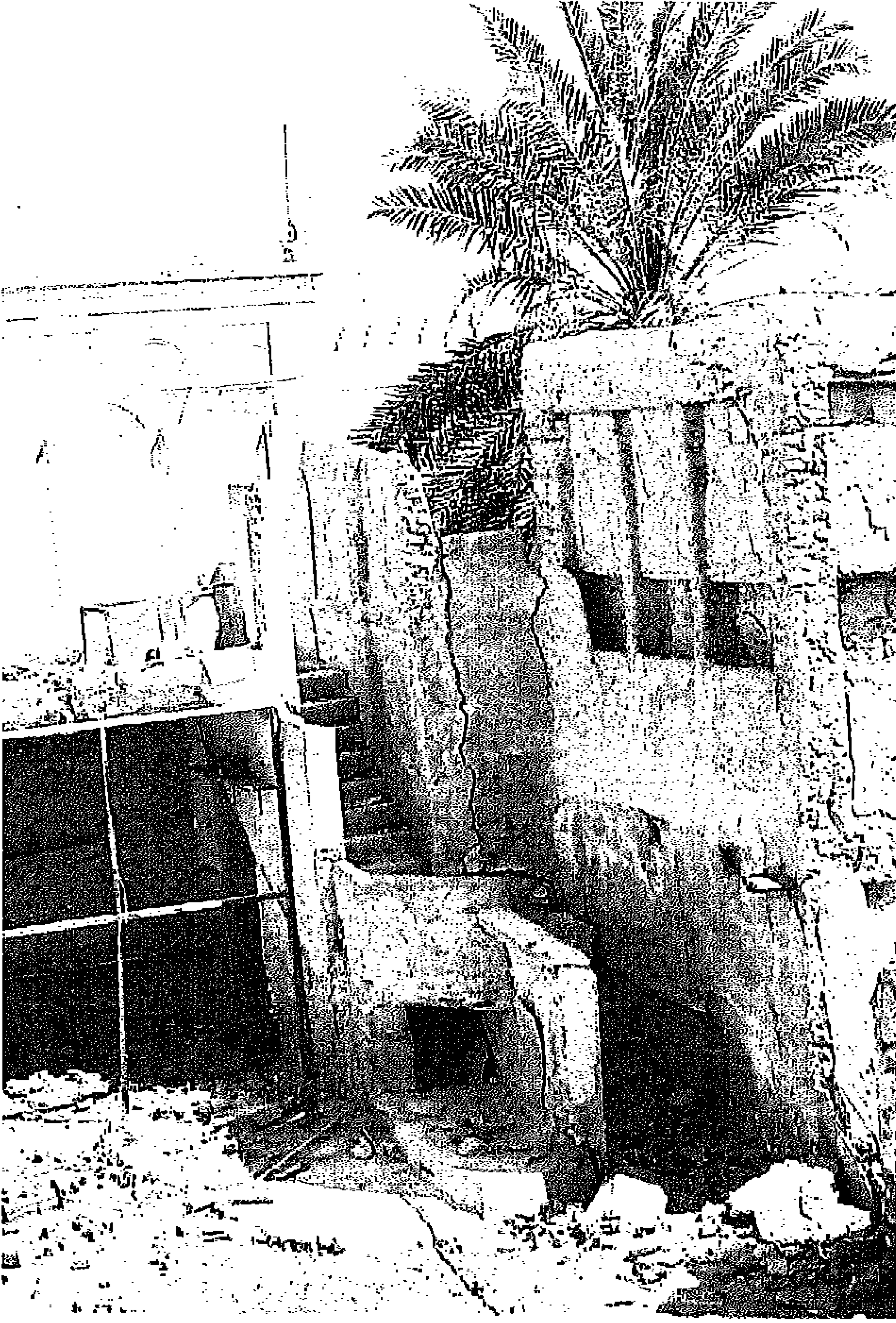
شكل رقم (185) صورة ليوان مفتوح لمسكن تقليدي ارستقراطى ـ النمط الثاني
شكل رقم (186) صورة ليوان مفتوح بمسكن تقليدي ارستقراطي ـ النمط الثاني

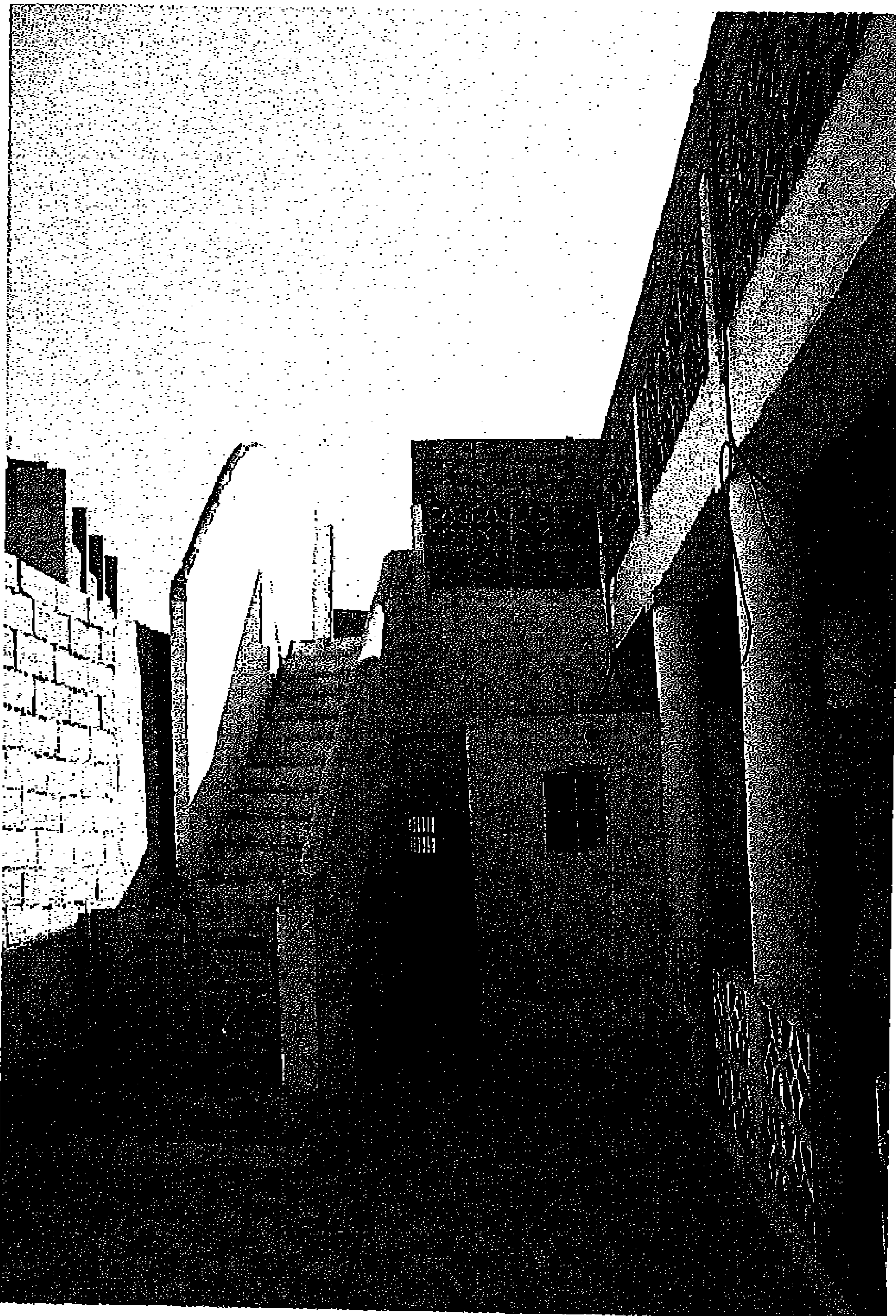


## المفردة الرابعة ـ السلم :

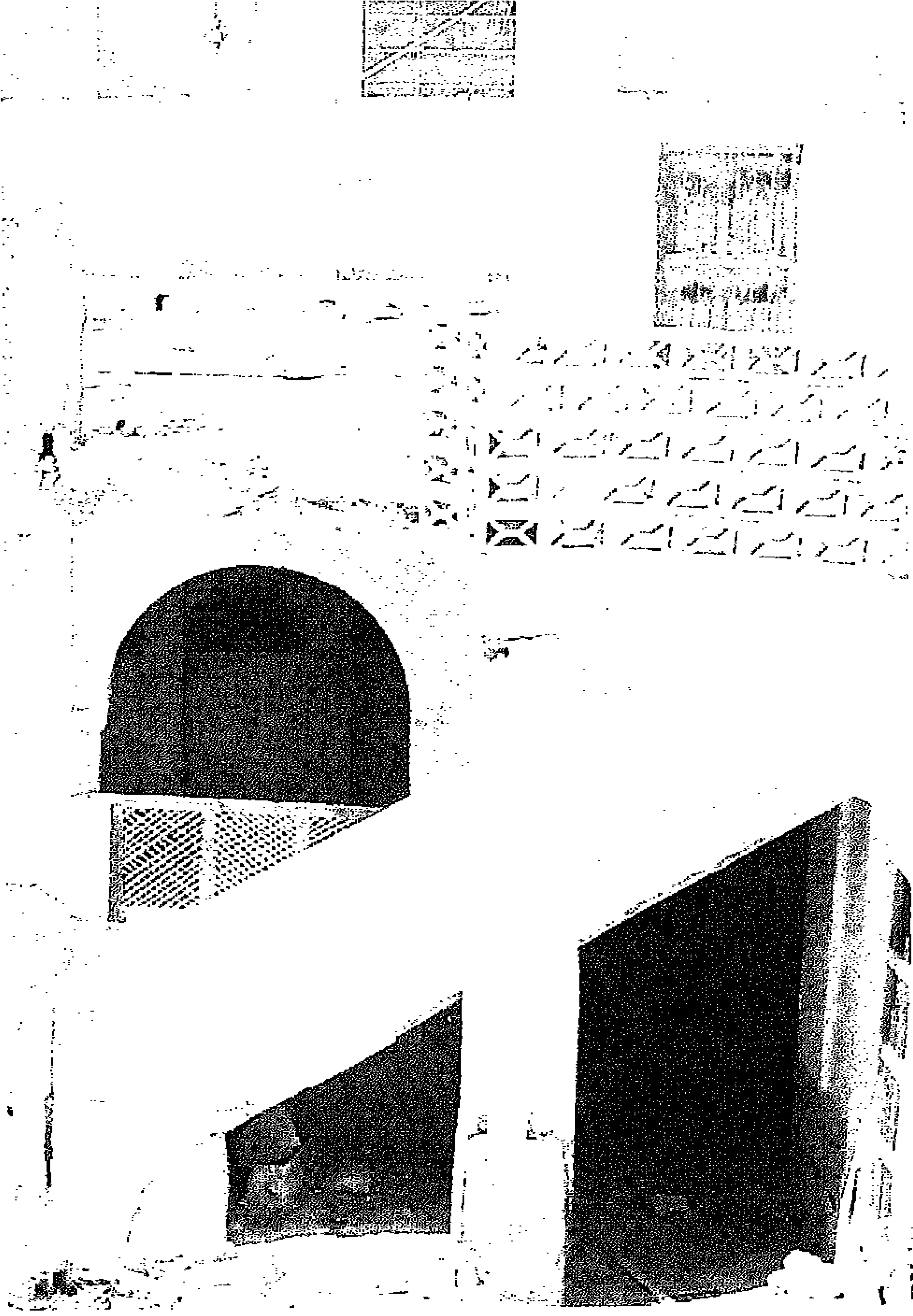
إن التركيب الفراغي للمبنى حسب ما شكلته المحددات البيئية والعمرانية يعتمد على الحركة سواء في الإتجاه الأفقي والحركة المركزية الحلقية ، أو في الإتجاه الرأسي . . وفرضت الحركة الرأسية هنا إحتياجين أولهما وجداني رمزي ، والثاني مادي . فكان السلم مفردة أساسية للغة العمران . . وعملية الصعود ـ كحركة رأسية ـ لم تفقد إرتباطها بالحركة الأفقية للفراغات فكان السلم هو نقطة إنتقال من الفراغ الحلقي المركزي إلى الفراغات الممتدة ، كما كان المدخل نقطة إنتقال من الفراغ الخطي الطولي إلى الفراغ الحلقي المركزي . . وعرفت لغة العمران المحلية نمطين للسلم :

**النمط الأول ـ** الخارجي المفتوح ويرتبط بالحركة الأفقية المركزية داخل الحوش نفسه وأفرز هذا النمط سلم يتركب من قلبة واحدة مباشرة تخضع غالباً للحركة السريعة ، ويبنى هذا النمط بنفس طريقة إنشاء الأسقف .



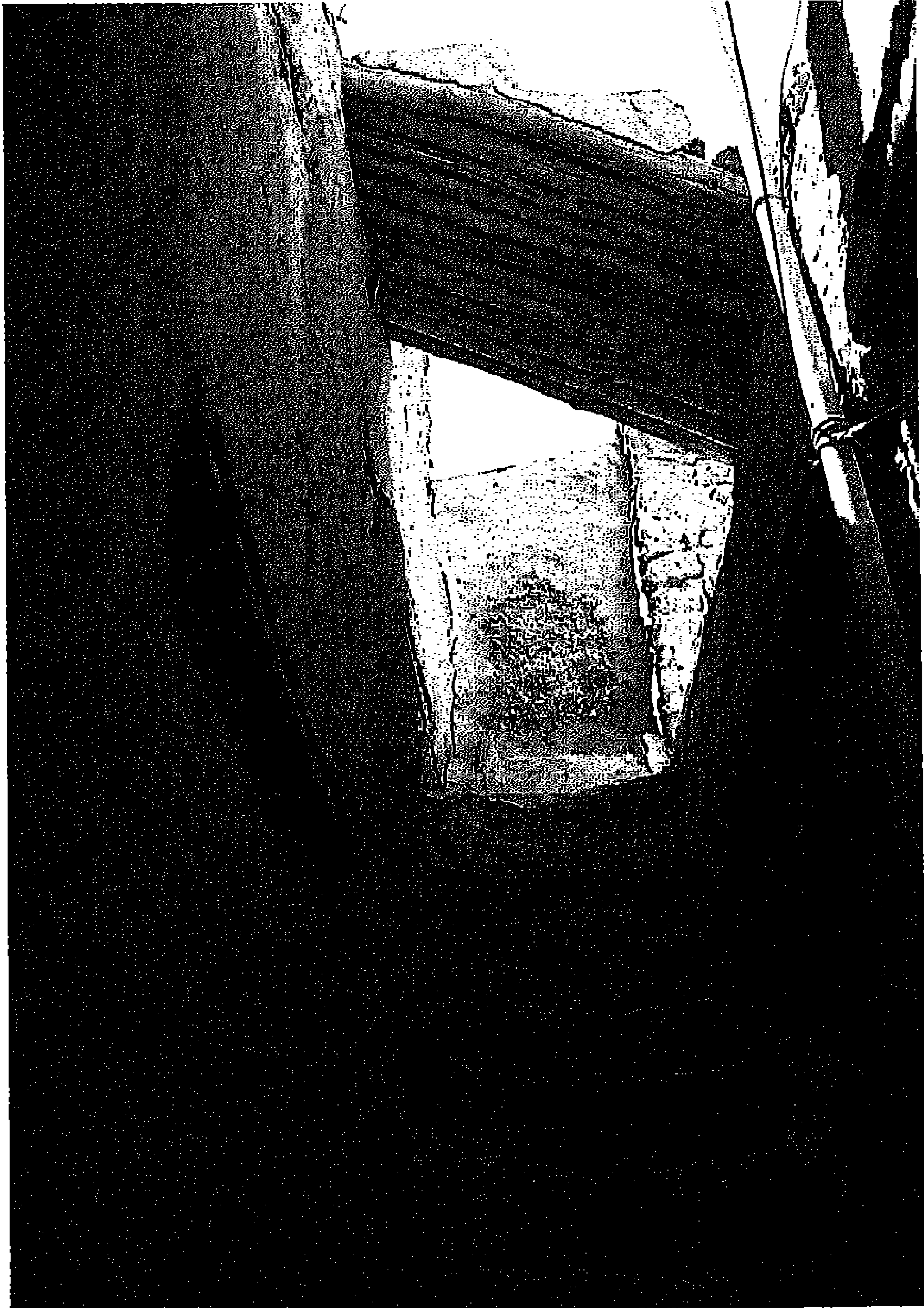


شكل رقم (187) صورة سلم مفتوح لمسكن تقليدي ارستقراطي
شكل رقم (188) صورة سلم مفتوح لمسكن تقليدي عام



شكل رقم (189) صورة سلم مفتوح لمسكن تقليدي

النمط الثاني - الداخلي المقفول ويرتبط بالحركة الأفقية الحلقية حول الحوش ، وأفرز هذا النمط سلم يختلف في إنشائه وتركيبه عن النمط الأول وغالباً ما يضم قلبتين وأحياناً ما يكون دائرياً ويبنى من الحصى .



شكل رقم (190) صورة سلم لمسكن تقليدي بمدينة المحرق

**المفردة الخامسة ـ الإنشاء :**

إرتبطت مواد البناء المستعملة في الإنشاء بالبيئة المحلية سواء الخليج أو الأرض وهى على مجموعتين :

(1) مجموعة بحرية : الفروش
الحصى البحرى

(2) مجموعة بـرية : الحصى البرى (قليل الإستعمال)
الجص
الليذوع والدنجل (أو جندل)

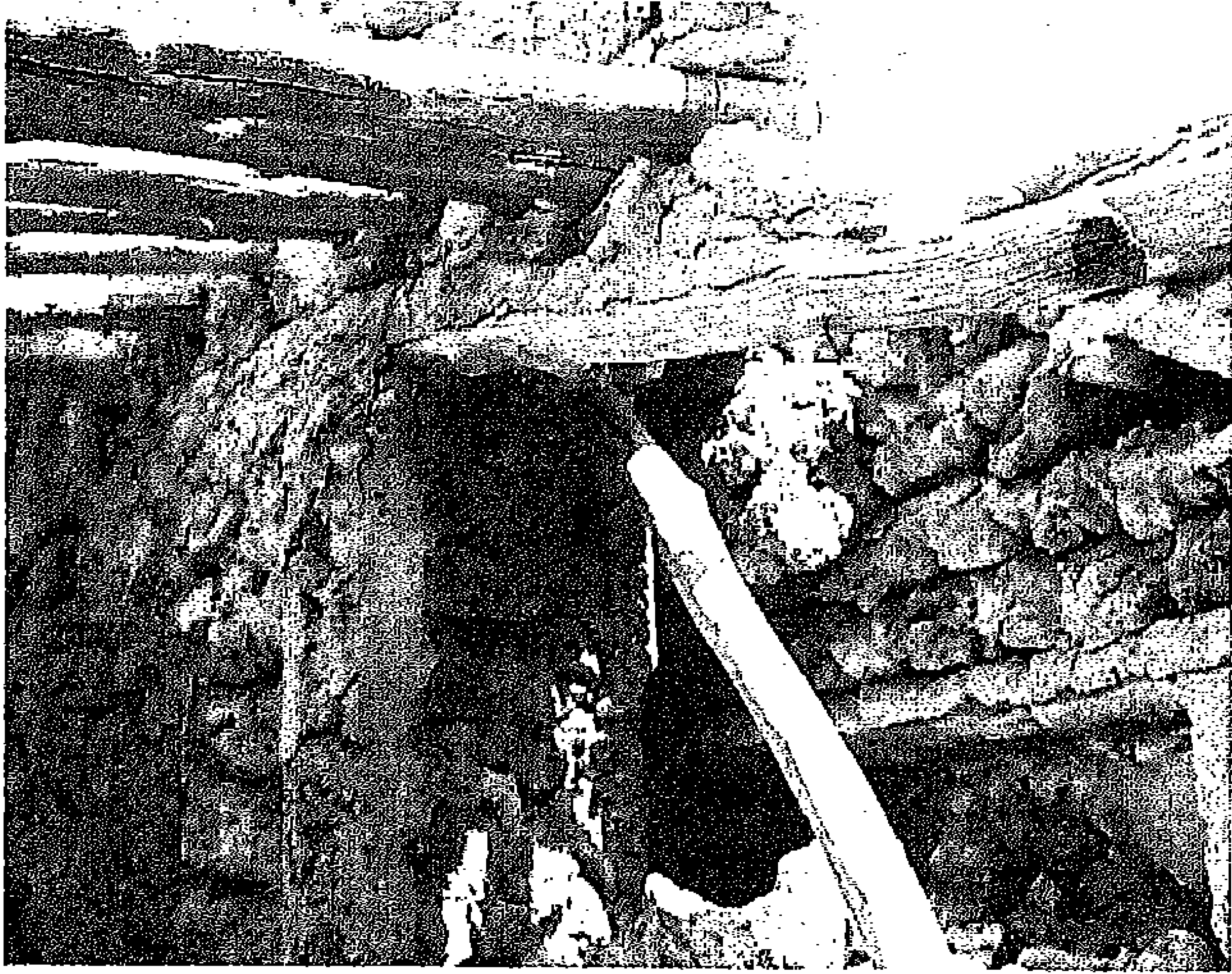
**الفروش** : عبارة عن رقائق من الصخر المرجاني يتراوح سمكها بين 5–15سم وبمساحة متر مربع واحد في المتوسط تستخرج من قاع البحر الضحل في أماكن خاصة . وطريقة قطع الفروش من القاع بواسطة رجال يمسكون بالهيب ويضربون القطع الكبيرة منه ويحمل بالسفن الصغيرة إلى الشاطىء ، ومنه إلى مواقع البناء .

**الحصى البحرى** : عبارة عن قطع من الحجر المرجاني متوسط الحجم وغير منتظم الشكل ويقطع غالبا من الفشوت (جمع فشت) وتنقله السفن إلى الميناء .

**الليذوع** : هو من النخيل ، حيث يقوم الحرفي بنجارة جذوع النخيل الميتة وترتيبها حسب ألواح طولية مثلثة ـ غالبا ـ والليذوع نوعان : نوع يسمى يذع ، ونوع آخر يسمى فلجة .

يستعمل الحصى فى عمل الأساس وبناء الأعمدة ، ويتراوح قطاع الأعمدة بين 30x30سم إلى 90x90سم تقام على مسافات تتراوح بين 80–100 في إيقاع ثابت ومتواتر . . ويتكون بهذا هيكل البناء ، ثم تركب ألواح الفروش بين الأعمدة لتكون الجدران أو الحواجز أو الفواصل . . وتثبت الفروش بالأعمدة والجدران بملاط الجبس وتسوى بالملاط ثم تدهن بطبقة من النورة (الجير) . . أما الكمرات الأفقية التى تحمل الأسقف فكانت عبارة عن عدد من عوارض الليذوع تغطى المسافة بين عامودين ويكسى السطح العلوي لمجموعة العوارض بطبقة من الحجارة الصغيرة المثبتة بالجبس (الجص) . . ثم تكسى المجموعة كلها بالملاط وتدهن بالنورة . . وعند مستوى الدور الأول تستعمل عارضة مستمرة ومدفونة داخل الجدار لتقويته . . وهذه يمكن أن تبرز عن مستوى الجدار في إتجاه واحد أو إتجاهين على هيئة دعامات بارزة لتحمل بلكونات أو بروزات خارجية ـ إن وجدت .

أما عوارض الأرضية والأسقف فإنها تكاد تكون دائماً مصنوعة من خشب اللنج المنجروف الذى يستورد أساساً من زنجبار وشرق أفريقيا ، وكان الحرفيون يتجنبون إستعمال الليذوع فى الإنشاء أو يلجأون لإستعمالها في حالات إستثنائية بسبب كبر حجمها ومقاومتها للشد . . وتسمى عوارض الأرضية باللهجة المحلية جندل أو الدنجل . كانت ألواح كوة السقف تتكون من الخيرزان أو البوص المشقوق طولياً ، المستوردين من الهند أو من جنوب العراق وهي على طبقتين غالباً الأولى منها في إتجاه طولي معاكس لإتجاه العوارض وعلى مسافات متباعدة نسبيا ، والطبقة الثانية تعلوها وفي إتجاهات



شكل رقم (191) صورة عوارض الأرضية والأسقف (الدنجل)



شكل رقم (192) صورة طبقات انشاء الأسقف

قطرية متعامدة على مسافات متقاربة نسبياً عن الطبقة الأولى . . ثم تكسى شرائح الخيرزان بحصير المنجرور المصنوعة من أوراق النخيل وتصب على السطح بعد ذلك خلطة من الطين والحصى والقش بسمك 10سم ثم تصقل بطبقة من الجص (الجبس) . . والأسقف تترك دائماً مكشوفة ويظهر التتابع الإنشائي لهذه الطبقات الأربع الأساسية من داخل الفراغات ويؤكد الحرفي المتتابعة الإنشائية تلك بإستعمال تتابع لوني حيث أعطى كل طبقة منها لوناً مميزاً لها :

الجنــدل : أحمر ماروني
الخيرزان : الطبقة السفلية ــ زيتي
الطبقة العليا ــ بني
حصير المنجرور : أصفر .

إعتمدت طريقة الإنشاء التقليدية هذه ـ كمفردة للغة العمران ـ على تواتر إيقاعات الهيكل الأساسي سواء رأسيا في الحوائط أو أفقيا فى الأسقف . وأكد الحرفي على هذا الإيقاع الإنشائي فى الحوائط بإستعمال العقود المصمتة والمفتوحة أو الشبابيك أو الوحدات الزخرفية ـ الجداريات . . . الخ ، كما أكد على الإيقاع الإنشائي في الأسقف باللون . . ومن جهة أخرى استطاع الحرفي المبدع من خلال تقنية الأشياء هذه من تحقيق المواءمة البيئية للمبنى أولاً بإعتماده على الإمكانات المتاحة والطاقات المحلية في البيئة ، وثانياً بمعالجة ظواهر البيئة المحلية على المستويين الحسى المعنوي والمادي . .

شكل رقم (193) صورة للسقف التقليدي في مساكن المحرق

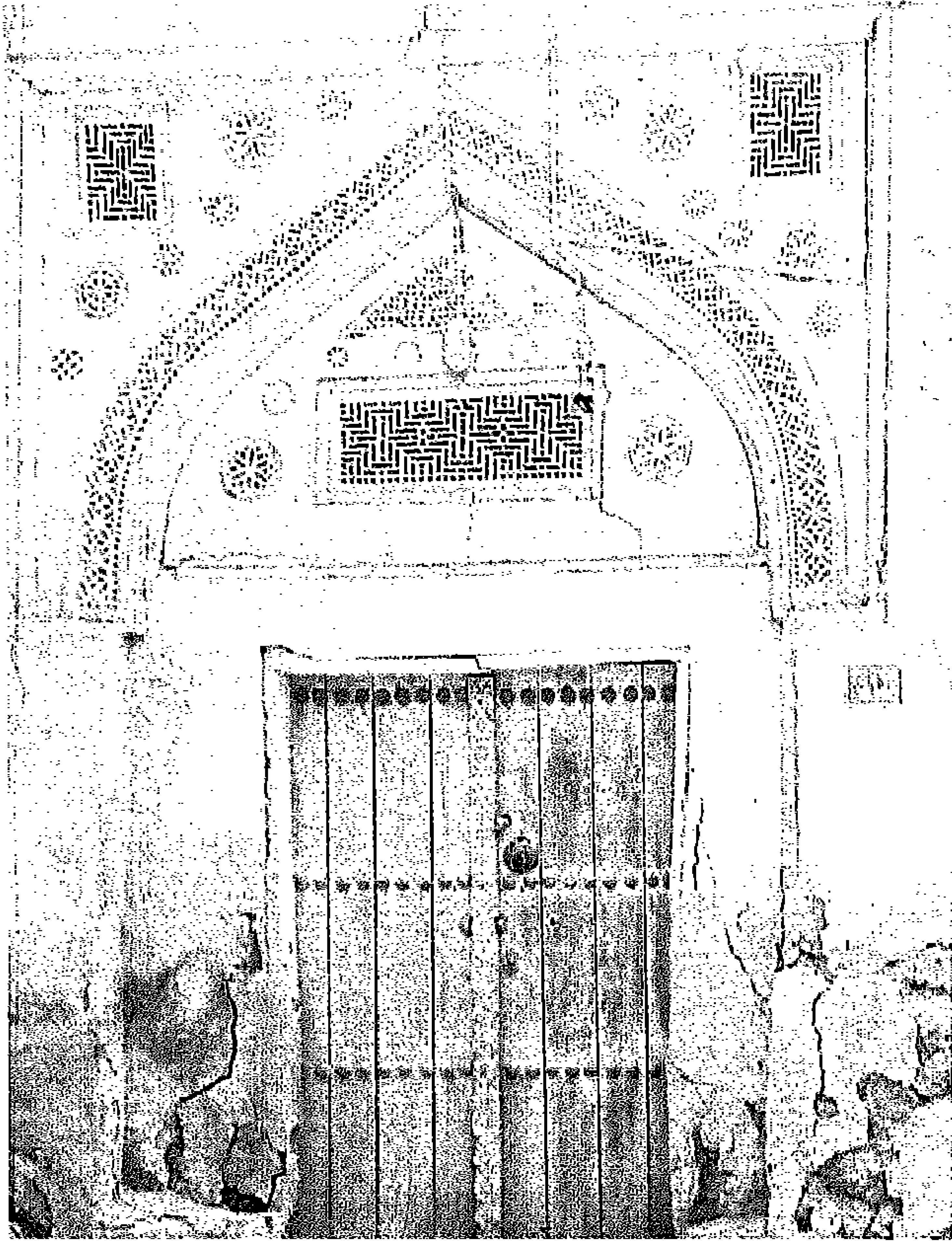


**المفردة الأولى ـ البـاب :**

بصفة عامة يحدد الباب بداية أو نهاية المجاز بين الداخل والخارج ، ومن هنا إتخذ أهمية خاصة فكان نقطة جذب في الواجهات بما يتناسب مع كونه نقطة الإنتقال المادى والنفسي بين العام والخاص .. وإكتسبت الأبواب التقليدية فى عمران مدينة المحرق نفس الأهمية ، حيث تميزت بعدد من الأنماط والتشكيلات التى تطورت مع مراحل النمو العمراني وتطور حرف وتقنيات البناء المحلية .. ويمكن حصر التنوعات في الأبواب في خمس تصنيفات عامة . وجدير بالإشارة أن تلك الأبواب كمفردة أساسية لم ترتبط بشكل مباشر بالطبيعة الإنتفاعية للمبنى سواء في السكن أو السوق بقدر ما ارتبطت بالمكانة الإجتماعية للفرد .. ويمكن تقسيمها عموماً إلى مجموعتين الأولى تقليدية والثانية متطورة .

وكانت تصنع الأبواب وإطاراتها الأساسية من خشب الساج (التيك) بغرض الحصول على المتانة المطلوبة ، وذلك لأن الخشب التيك له خاصية مقاومة الإنحناء والإلتواء عند التعرض لماء المطر ، ولكن بسبب صعوبة الحفر عليه كانت تنفذ الزخارف والحليات عادة على أخشاب أخرى مثل خشب التنوب .. وكانت تصنع الرؤوس البارزة المستعملة على المزاليج الواصلة بين الأبواب من الحديد في معظم الأحيان فيما عدا عدد قليل جداً كان من النحاس أو النحاس الأصفر ..

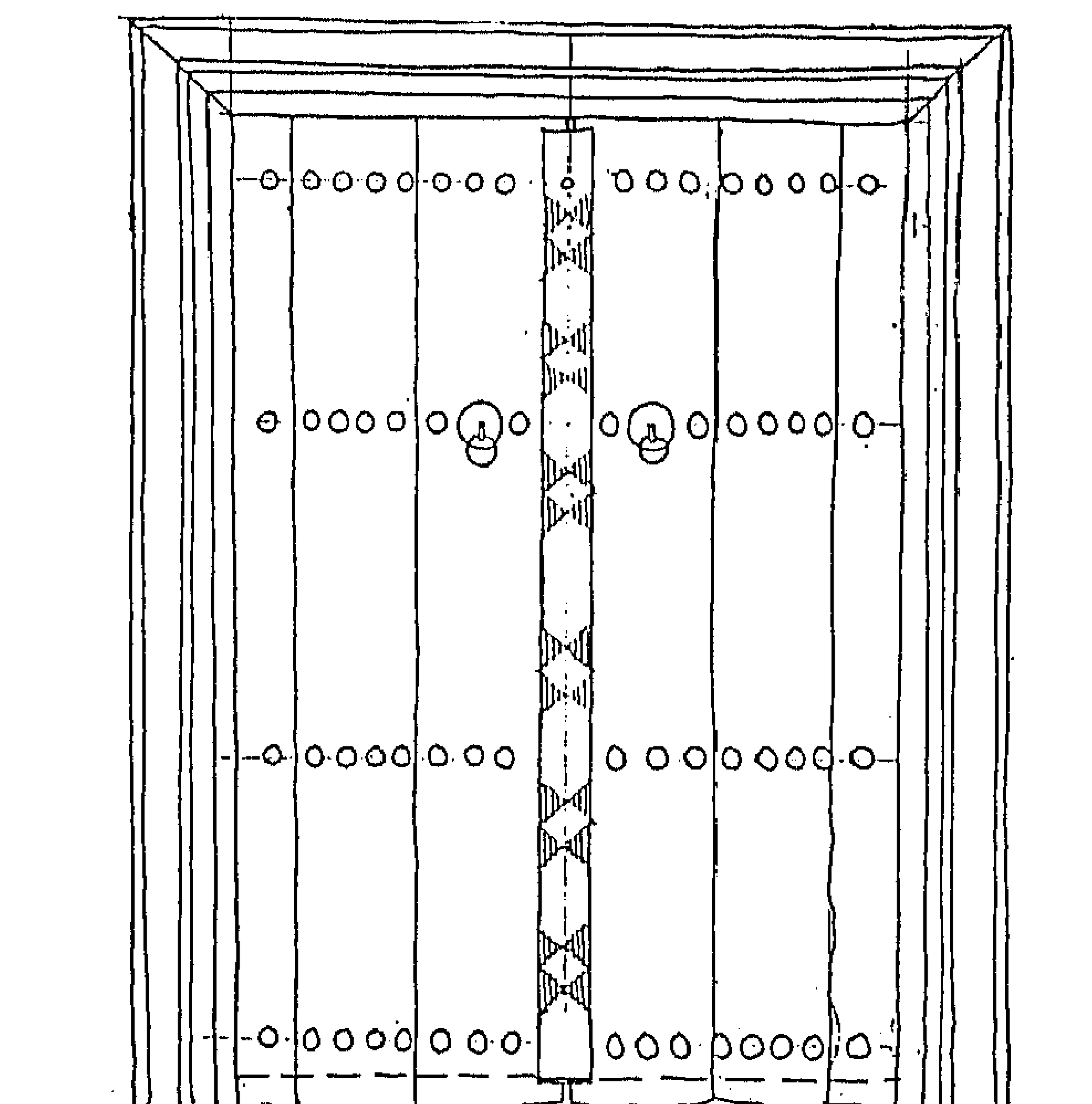
ولا شك أن التغييرات التى أدخلت على الأبواب التقليدية إرتبطت بتلك التغييرات التى عمت جزر البحرين ومدينة المحرق مع العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي ، ومن ثم إنفتاح حرف البناء على عالم خارجي



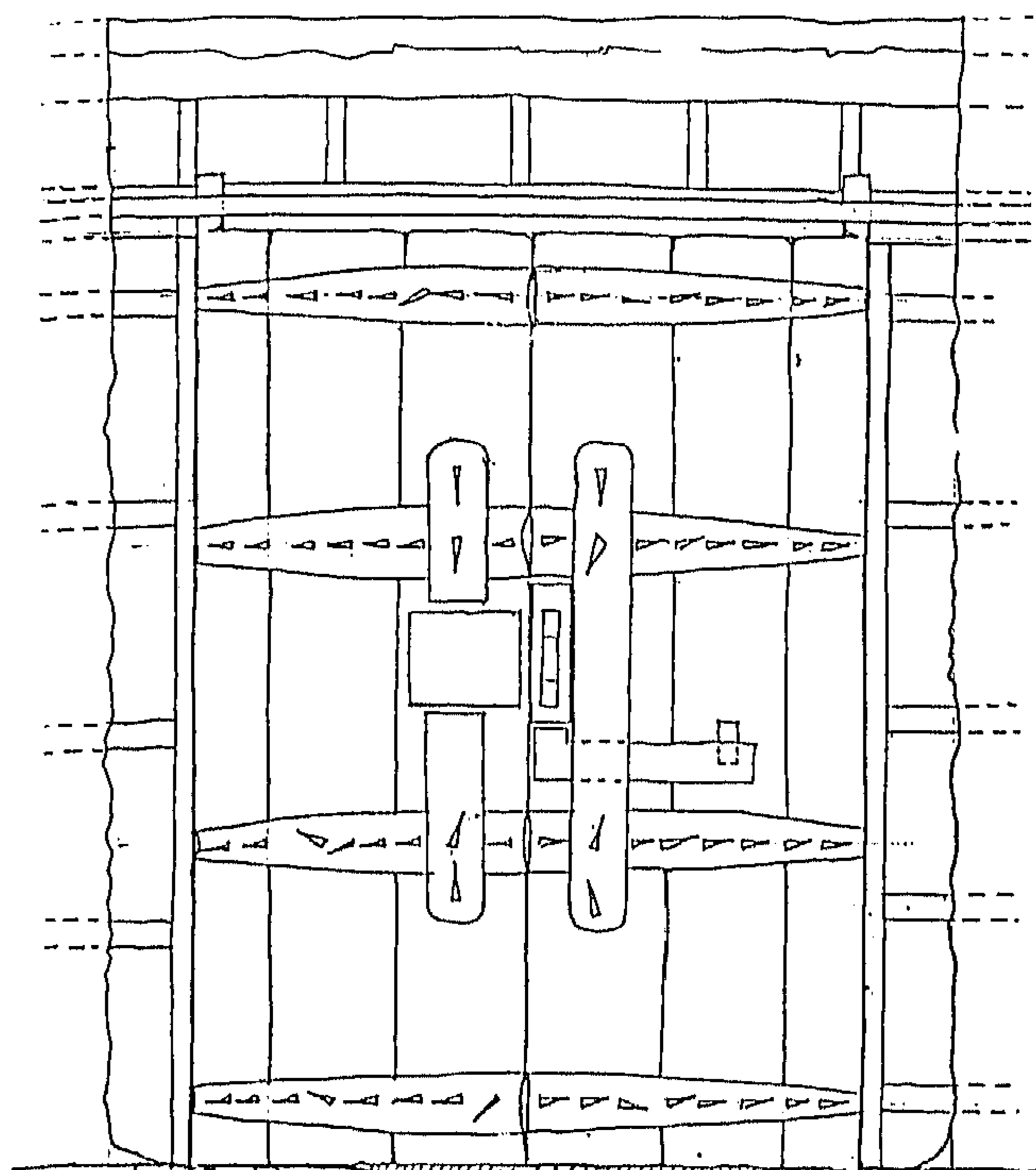
شكل رقم (194) صورة نمطية لباب تقليدي بمساكن مدينة المحرق

جديد عليها فظهرت أنماط جديدة من الأبواب تختلف في تشكيلاتها عن تلك الأنماط التقليدية ، ولكنها مع ذلك إحتفظت في بدايتها بنفس التركيب التشكيلي ، والمضامين التصميمية ، والتقنية الحرفية الأساسية لنمط الأبواب التقليدية ، ويمكن تحديد التنوعات الأساسية كما يلي :

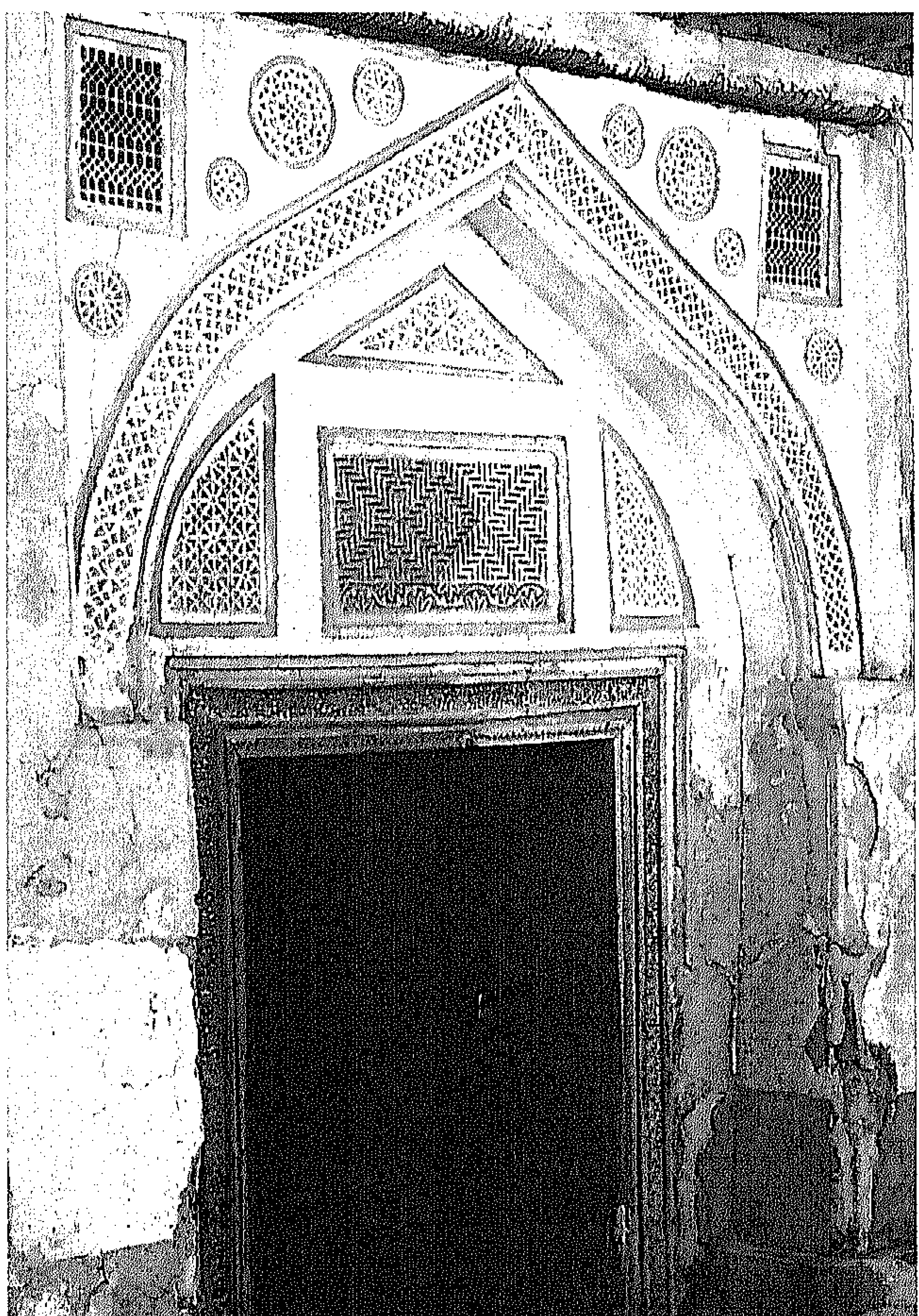
| | |
|---|---|
| النمط التقليدي | النموذج التقليدي القديم المركب |
| | النموذج التقليدي البسيط |
| النمط المتطـور | النموذج التقليدي المتطور |
| | النموذج المتطور المركب |
| | النموذج الحديث المبسط |



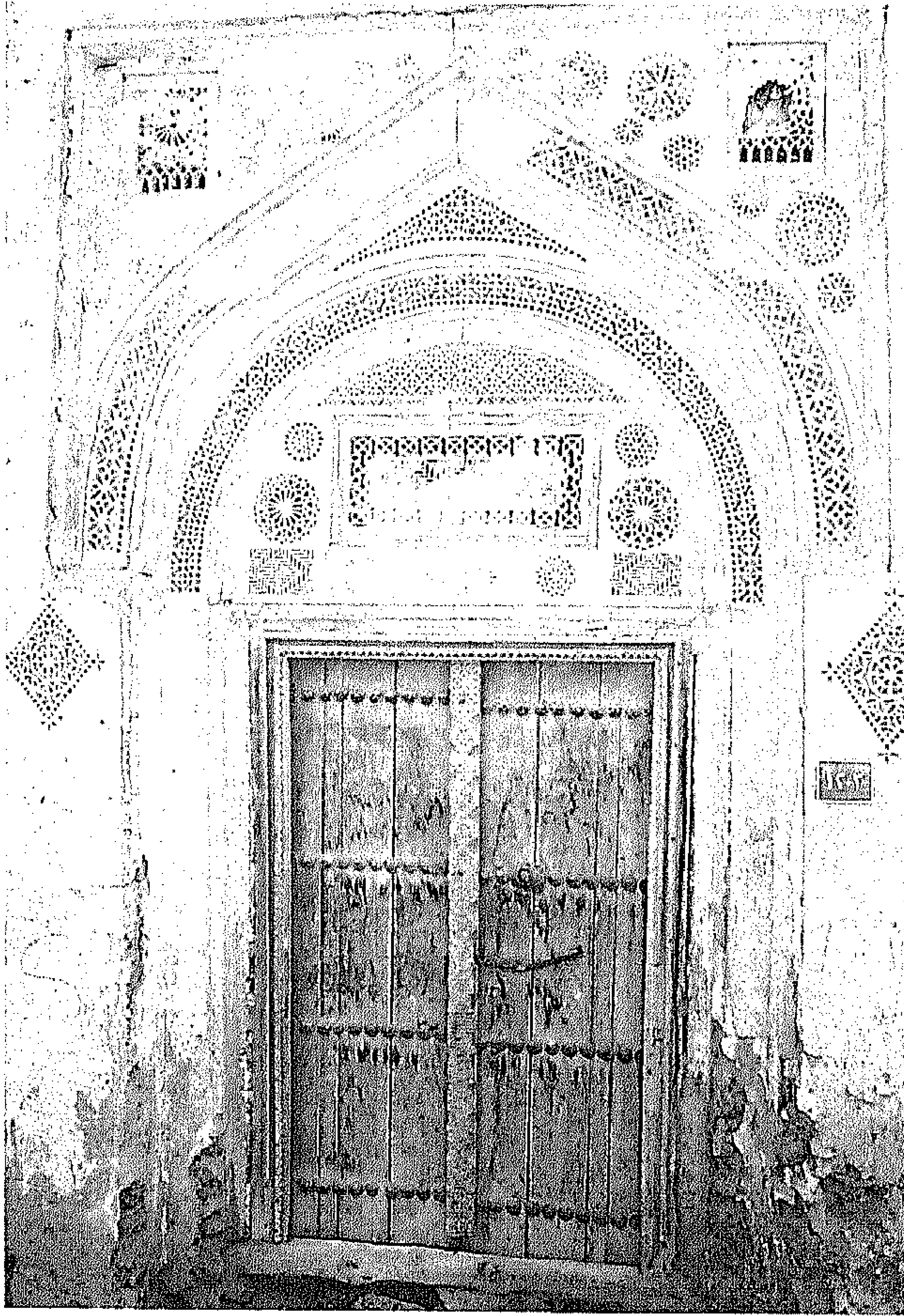
شكل رقم (195) واجهة خارجية تفصيلية لباب نمط تقليدي قديم



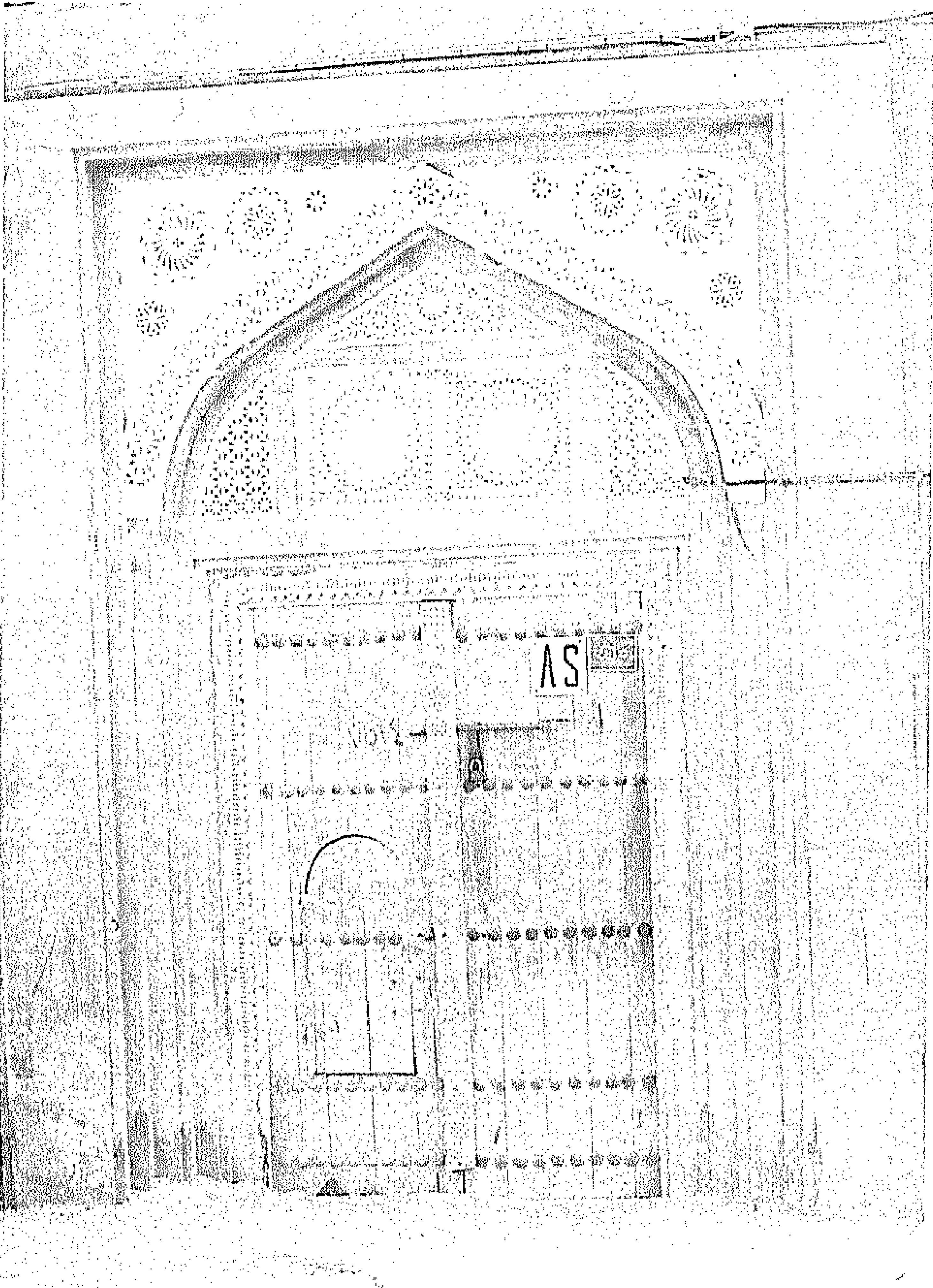
شكل رقم (196) واجهة داخلية تفصيلية لباب نمط تقليدي قديم



شكل رقم (197) صورة باب تقليدي قديم ببيت الشيخ عيسى بن علي



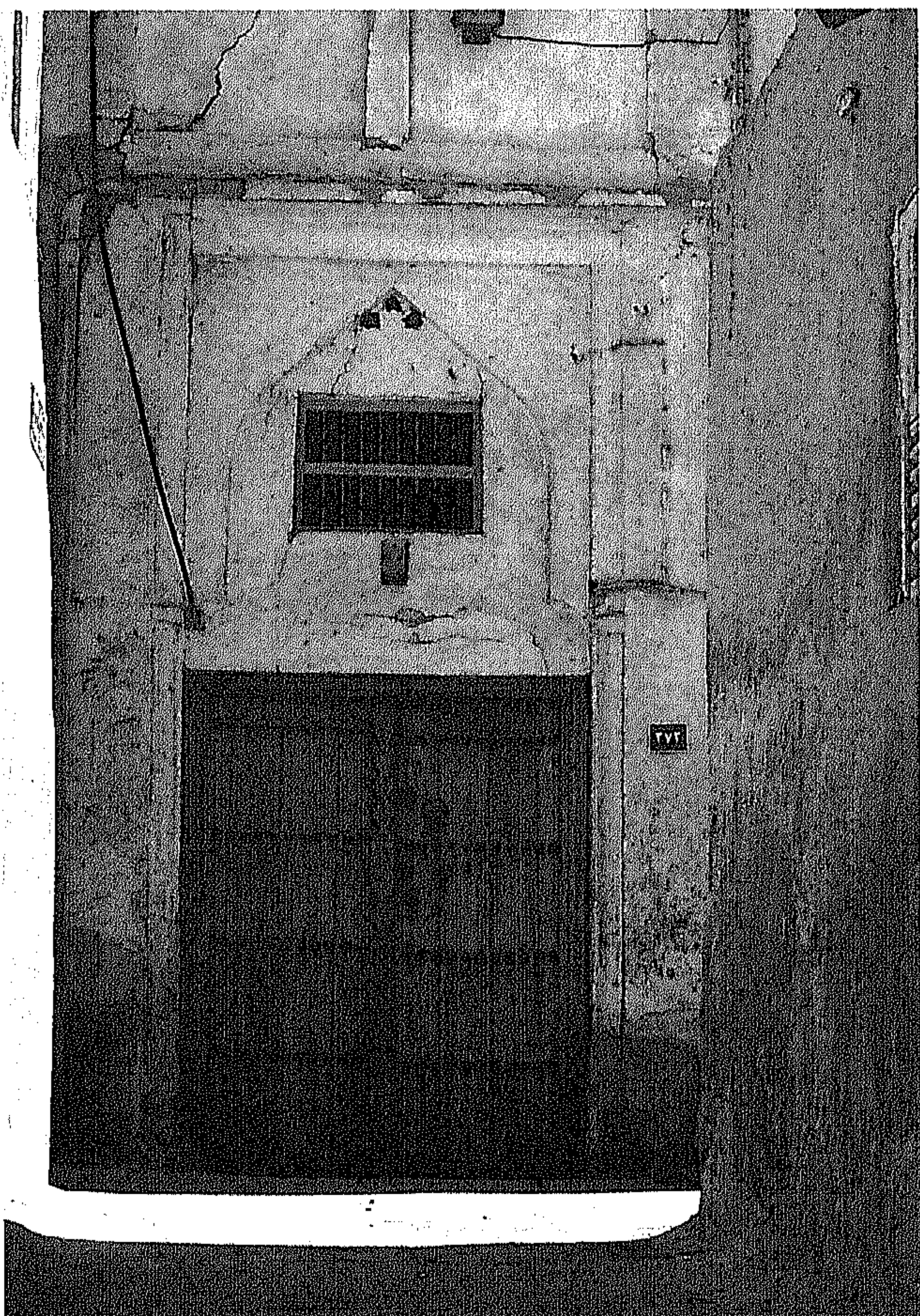
شكل رقم (198) صورة باب للنمط التقليدي القديم - المركب
شكل رقم (199) صورة باب للنمط التقليدي القديم - المركب
شكل رقم (200) صورة باب للنمط التقليدي القديم - المركب

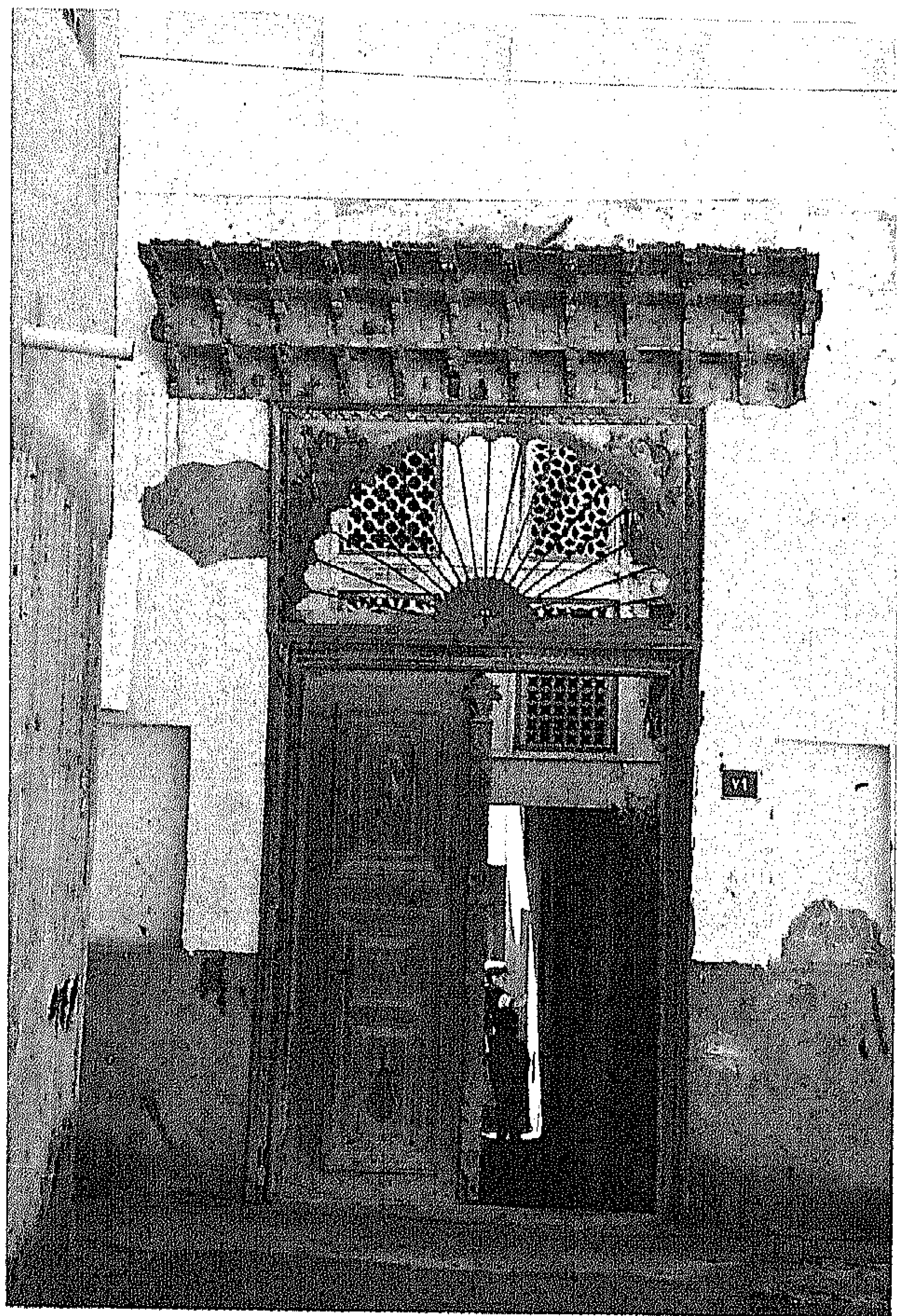





شكل رقم (201) صورة باب للنمط التقليدي الحديث
شكل رقم (202) صورة باب للنمط التقليدي الحديث



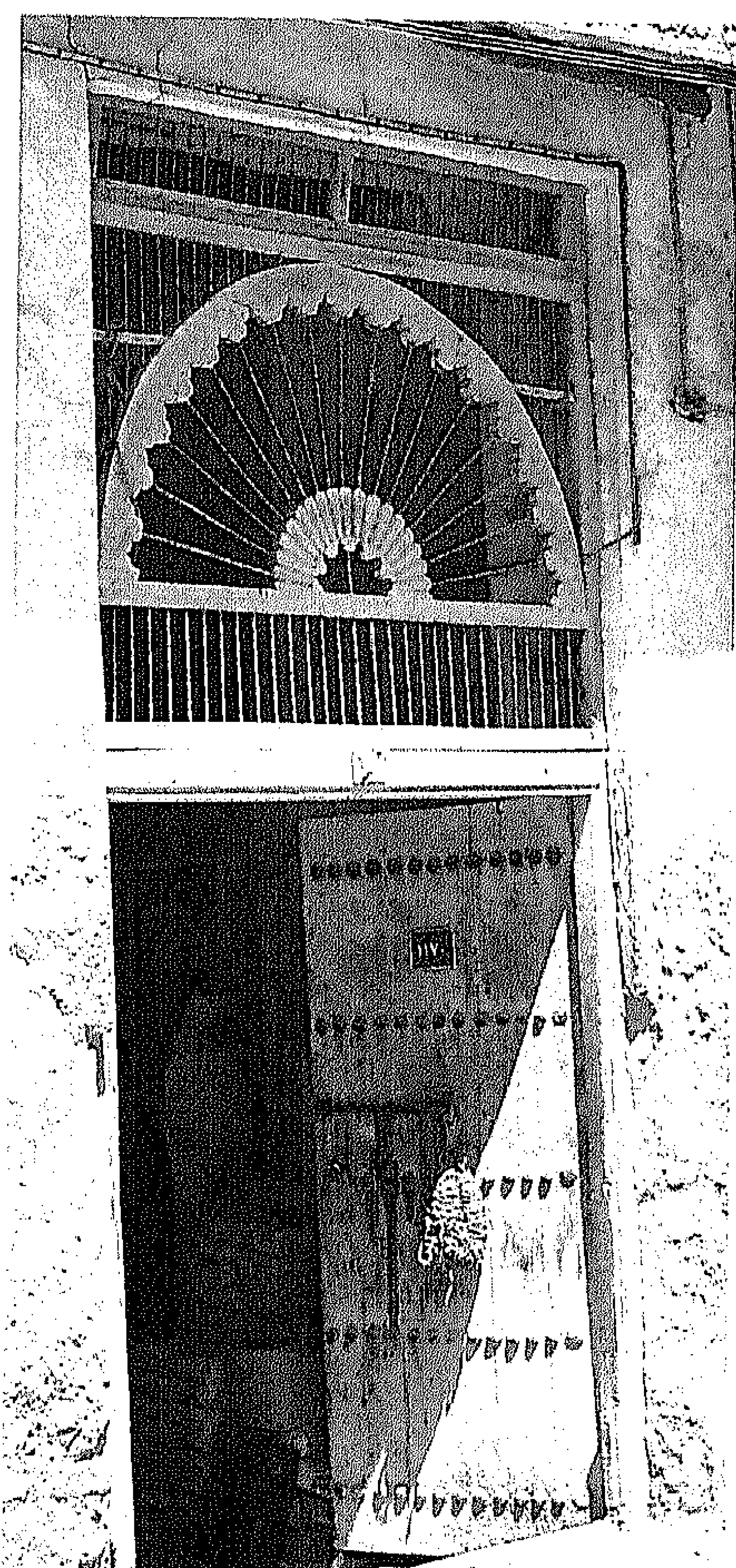


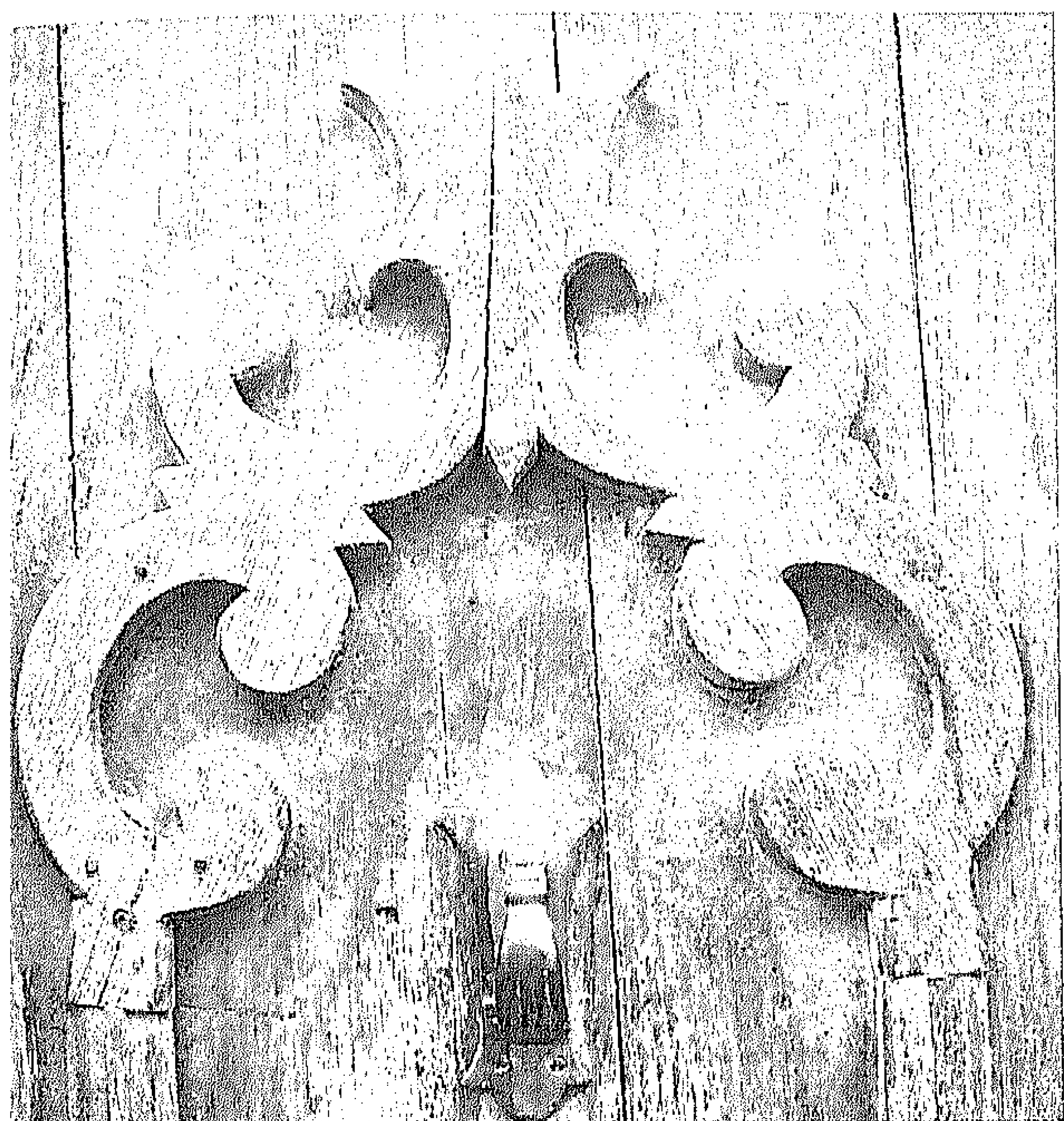


شكل رقم(203) صورة باب النمط المتطور - المركب
شكل رقم(204) صورة باب النمط المتطور - المركب
شكل رقم(205) صورة باب النمط المتطور - المركب
شكل رقم(206) صورة باب النمط المتطور - المركب





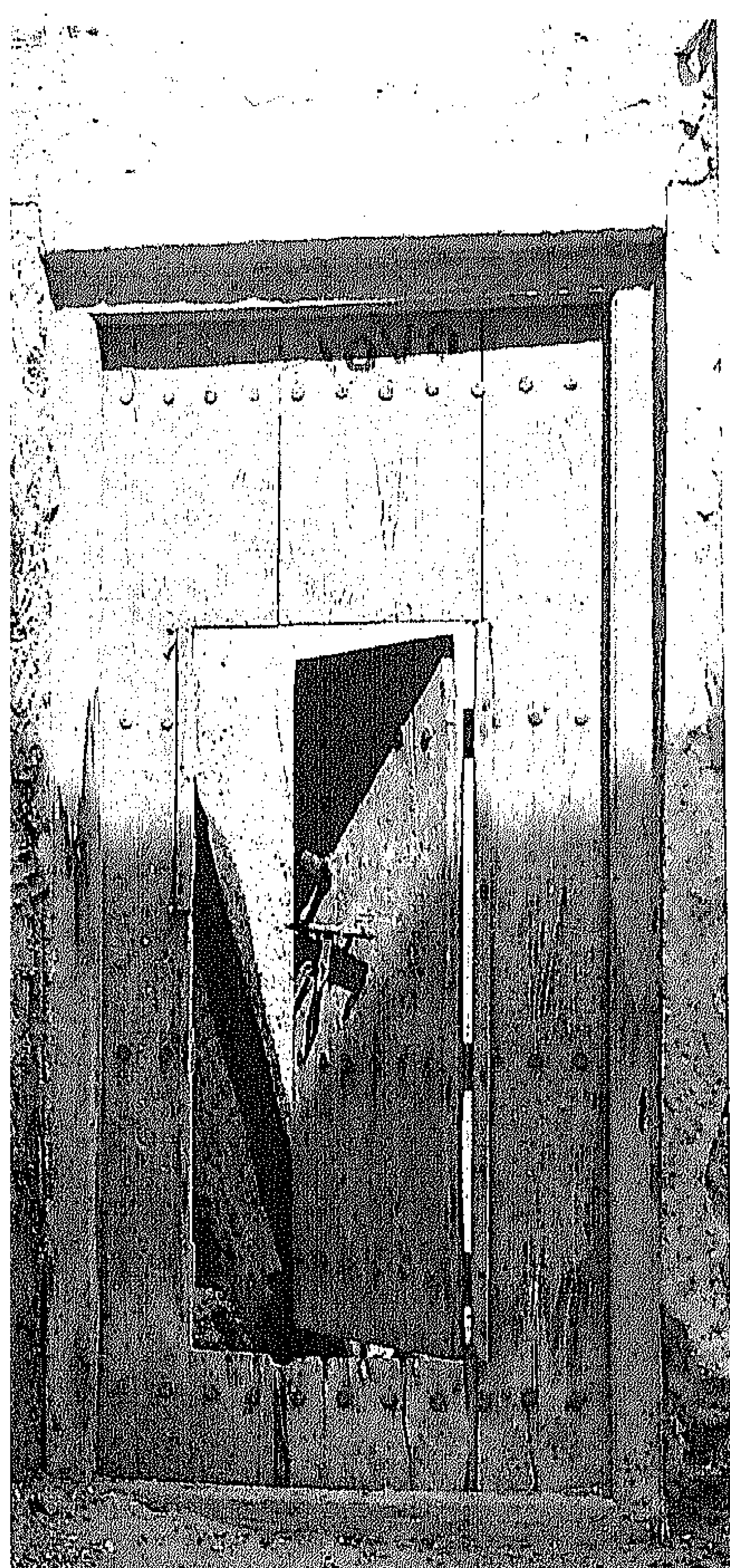


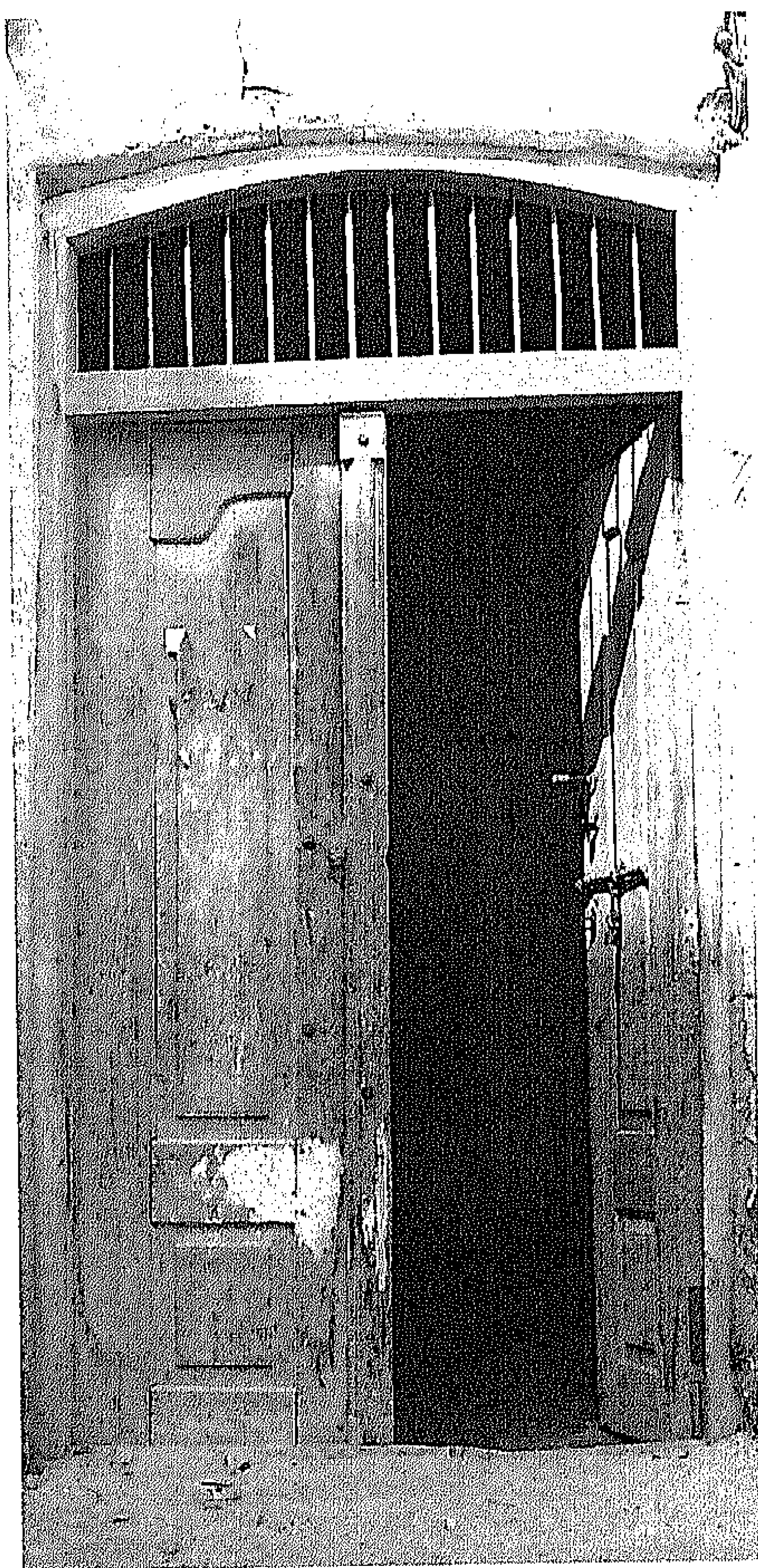


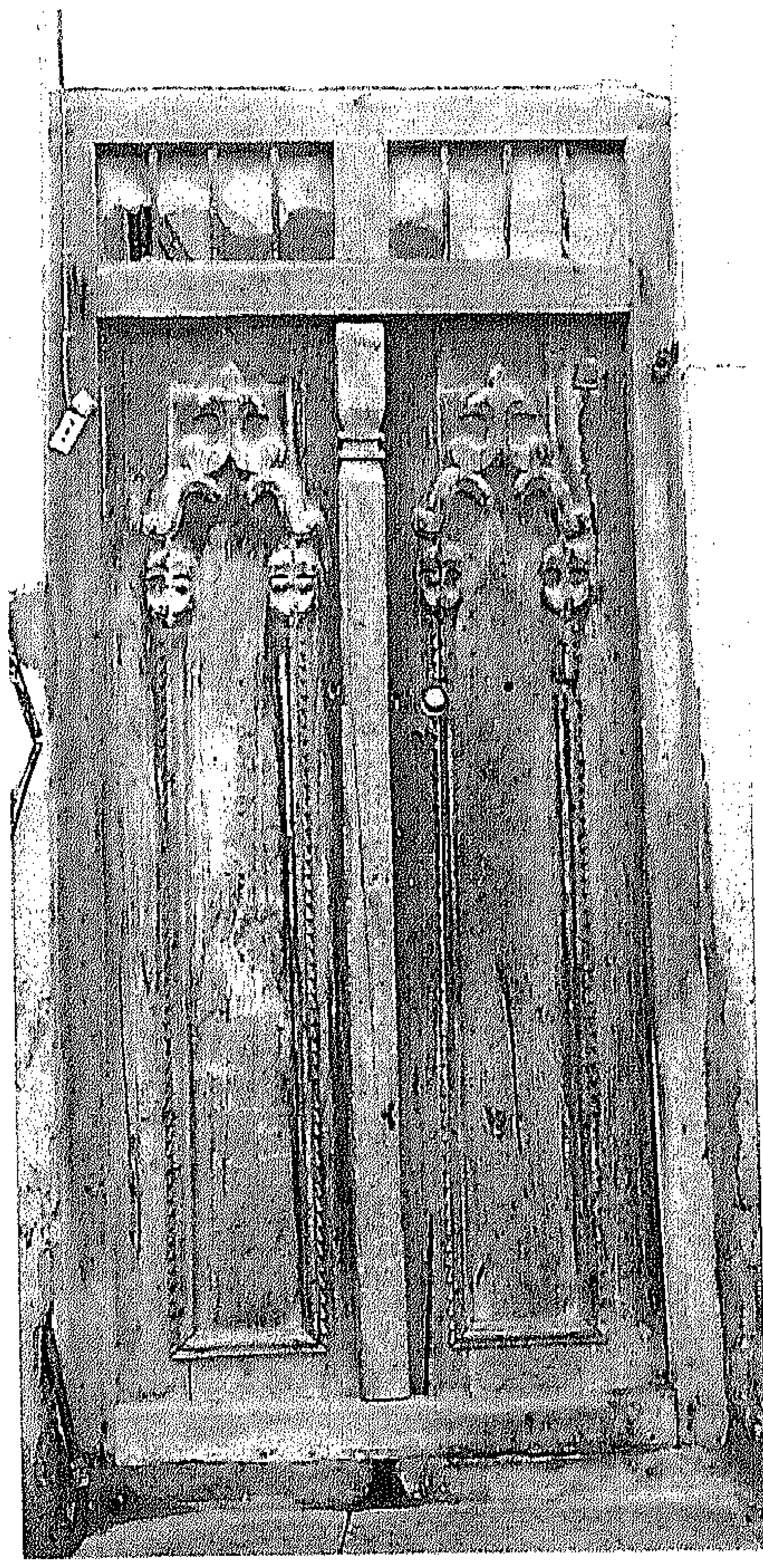


شكل رقم(207) صورة تفصيلية لباب النمط المتطور البسيط
شكل رقم(208) صورة تفصيلية لباب النمط المتطور البسيط

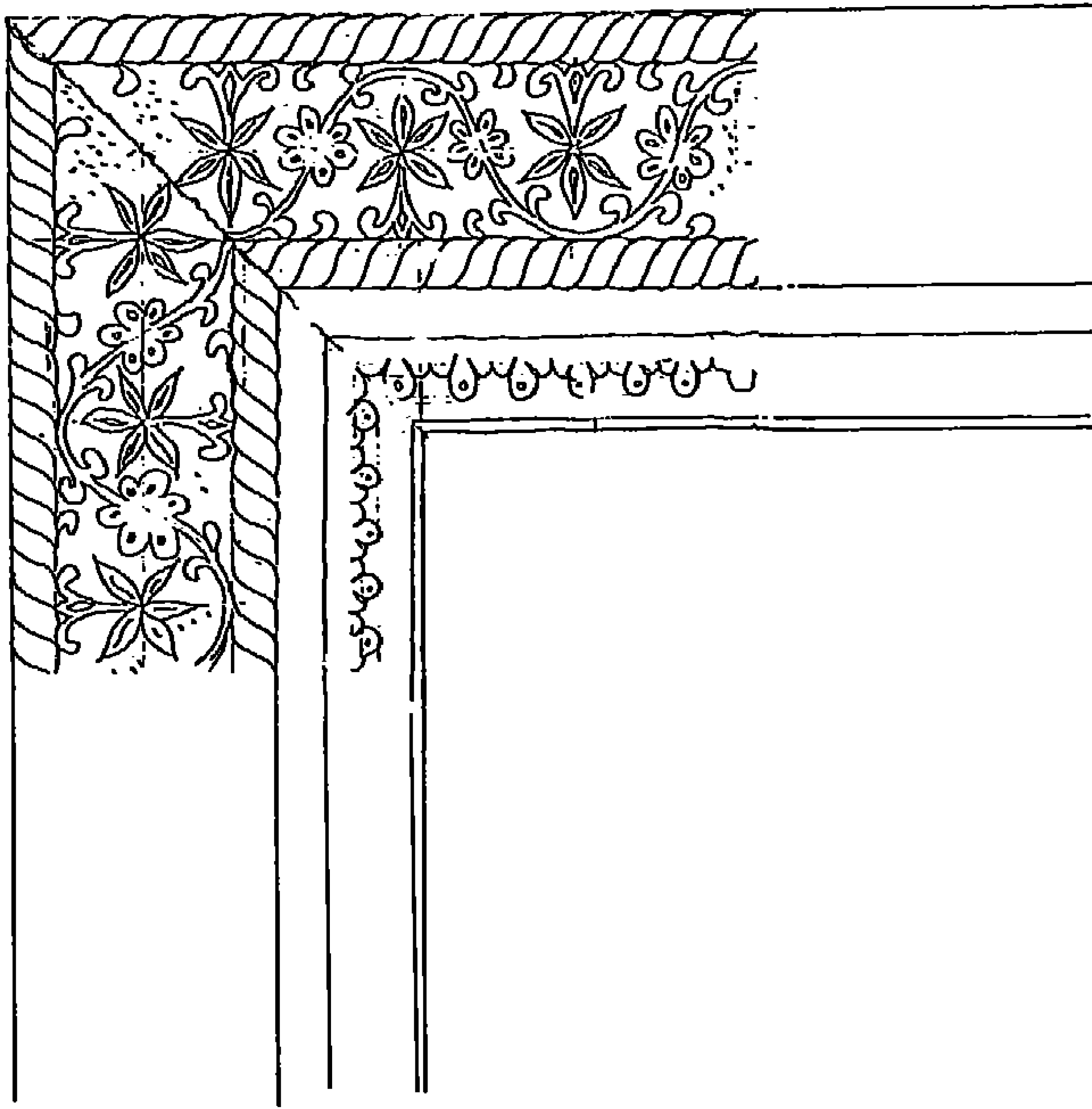
شكل رقم(209) صورة باب النمط المتطور البسيط
شكل رقم(210) صورة باب النمط المتطور البسيط
شكل رقم(211) صورة باب النمط المتطور البسيط





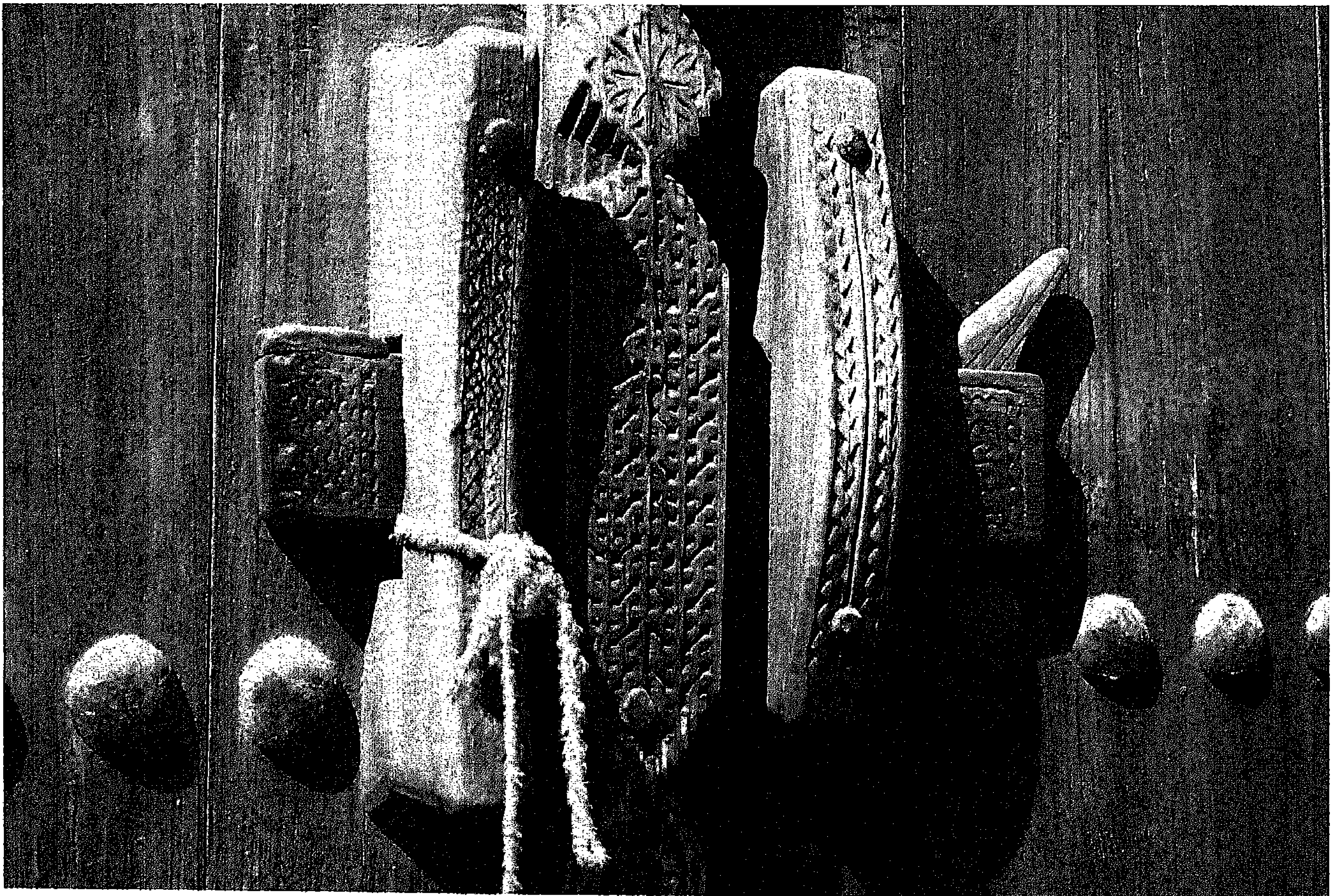


لا شك أن أحد المميزات البارزة في الأبواب التقليدية ، تلك الزخارف والتى تأثرت بالحضارة الهندية ، وتتكون هذه الأبواب من ألواح رأسية سميكة من خشب الساج ، تُربط مع بعضها البعض من الداخل بعوارض أفقية تثبت فيها الألواح بواسطة مسامير برؤوس ضخمة على شكل القبة تدق على مسافات متقاربة على الأوجه الخارجية للأبواب ، وتُوجد عادة على الأبواب ذات الضلفتين خمسة صفوف من رؤوس المسامير ، وينتهى كل صف منها بسرة مكونة من أربعة رؤوس متلاصقة عند الطرف الخارجي لها . ويغطي الضلفتين من الوسط خوصة بارزة تحليها زخارف محفورة في الخشب ، أما إطار الباب فيكون عادة قليل الزخرفة يزدان بقوالب زخرفية بسيطة ملفوفة على شكل الحبل المجدول أو السلاسل .



شكل رقم (212)تفصيلة لزخارف أطار الأبواب التقليدية

شكل رقم (213) صورة مقبض خشبي للأبواب التقليدية



وتتضمن الأبواب الضخمة عادة باب آخر صغير إضافي ، يسمى الخوخة يركب هو وإطاره فى سطح الباب الرئيسي بين صفين من رؤوس المسامير وقد يوجد إثنان من هذه الأبواب الإضافية داخل نطاق الباب الرئيسي المكون من ضلفة واحدة . . وتصنع هذه الأبواب الإضافية بنفس طريقة صناعة الأبواب الرئيسية وتأخذ قمة هذا الباب أحياناً شكل العقد نصف الدائري أو العقد المدبب أو تكون أفقية ، وترتفع عتبة الفتحة إلى الحد الذى يضطر الداخل إلى ثنى ركبته ، وتنخفض قمة الخوخة بحيث يضطر إلى حنى رأسه للدخول . .

شكل رقم (214) صورة باب تقليدي يضم خوخه



## المفردة الثانية ـ الفتحات :

النور واحد من أهم العناصر التى تحكمت في التشكيل المادي للعمران داخلياً أو خارجياً ، وجاءت الفتحات كالشبابيك والشرفات المسقوفة والمكشوفة والمظلات وغيرها نتيجة تفاعل دقيق بين الحاجة إلى الراحة الجسمانية وضرورة التمسك بالأعراف والتقاليد الإجتماعية ، وقد أدت ضرورة الخصوصية كبعد أساسي للقانون العمراني للغة المحلية للعمران إلى تطوير ثلاث معالجات عامة للفتحات نحددها كما يلي :

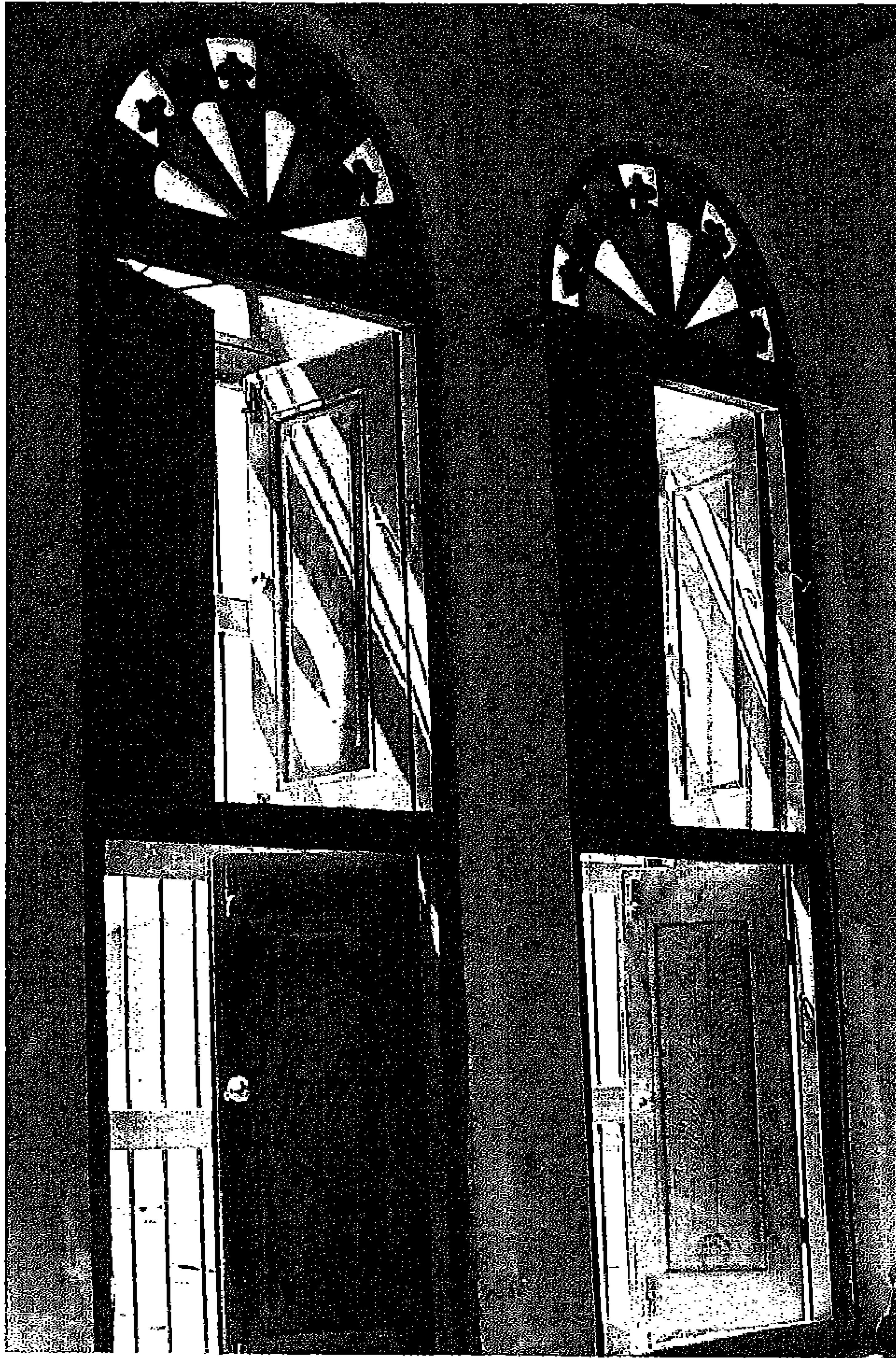
الفتحات:
- الزجاجيات .
- المخرمات الخشبية .
- المشغولات المعدنية .

وكانت الفتحات في الطابق الأرضي غالبا صغيرة ومحمية ـ إن وجدت ـ حيث إنعدم إستعمال الفتحات في الكتلة البنائية خاصة في الواجهات الخارجية ، فيما عدا حوائط المجلس ، أما الفتحات في المستوى العلوى فكانت في العادة أكبر من السابقة ، وتسمح بدخول النور والهواء دون أن تطل على الأحواش أو على الشرفات المكشوفة المجاورة بما يضمن حقوق الجيرة .

## المعالجة الأولى ـ الزجاجيات :

عند الحديث عن معالجة الفتحات ـ الزجاجيات يجب التعرف على نوعين مختلفين من هذه الفتحات : الشمسيات .
القمريات .

أما الشمسيات ، فهى شبابيك أو فتحات مزخرفة تقفل بزجاجيات ملونة في تشكيل معين يساعد على التحكم في رحلة النور من الخارج إلى الداخل . بينما القمريات ، عبارة عن فتحات صغيرة ـ غالبا ـ وتكون مستديرة أو مربعة أو مسدسة أو مثمنة التشكيل تفتح في أعلى الجدران وتقفل بزجاج ملون (لون واحد) ، ولم تعرف اللغة المحلية هذا النوع من الفتحات إلا في حالات نادرة جداً . . بينما إستعملت الشمسيات بكثرة كإحدى مفردات لغة العمران بمدينة المحرق ، وأبدع فيها الحرفي أنماطاً ونماذجاً كثيرة تم رصد حوالي 12 نموذجاً منها ، وتعتمد التشكيلات على



شكل رقم (215) صورة شباك تقليدي نموذج للزجاجيات

تركيب نصف دائري ، يتراوح قطره بين 80–90سم يعلو فتحات الأبواب أو الشبابيك ، وهى في جملتها يمكن أن نجردها إلى منظومات هندسية إشعاعية :

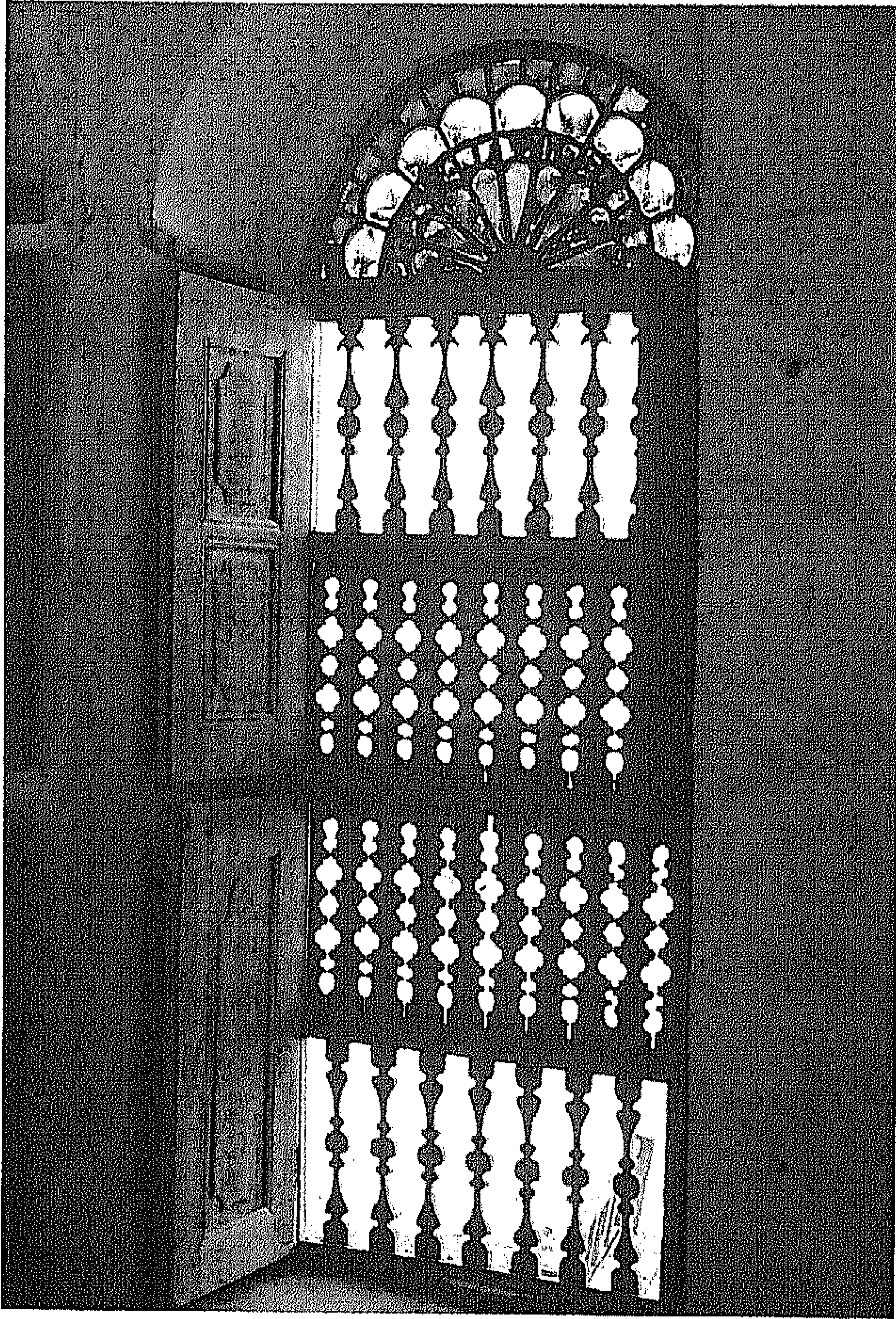
منظومة هندسية إشعاعية:
- رباعية/ثمانية
- سداسية
- سباعية

ومن خلال هذا التنظيم التشكيلي المجرد تختلف التصميات من بساطة الخطوط المستقيمة إلى تركيب الزخارف النباتية المعروفة بالتوريق .

يعتمد الحرفي فى تشكيل الوحدة على خشب الساج ، وتحصر بينها بشكل تبادلي ألواح صغيرة من الزجاج الملون وخاصة ألوان الأزرق والأخضر والأحمر والأصفر .. التي ساعدت على التحكم في كمية النور الداخلة مع تقليل الإنعكاسات والبريق المباشر داخل الفراغات .. والحرفي مشدود إلى إستعمال تلك الزجاجيات ـ غالباً ـ في الغرف العلوية من المسكن أو في المجلس من الدور الأرضي ، ونادراً ما كانت تستعمل في غيرها ، وهى تعتبر إحدى المظاهر أو الدلائل على المستوى الإجتماعي للأسرة صاحبة المسكن .



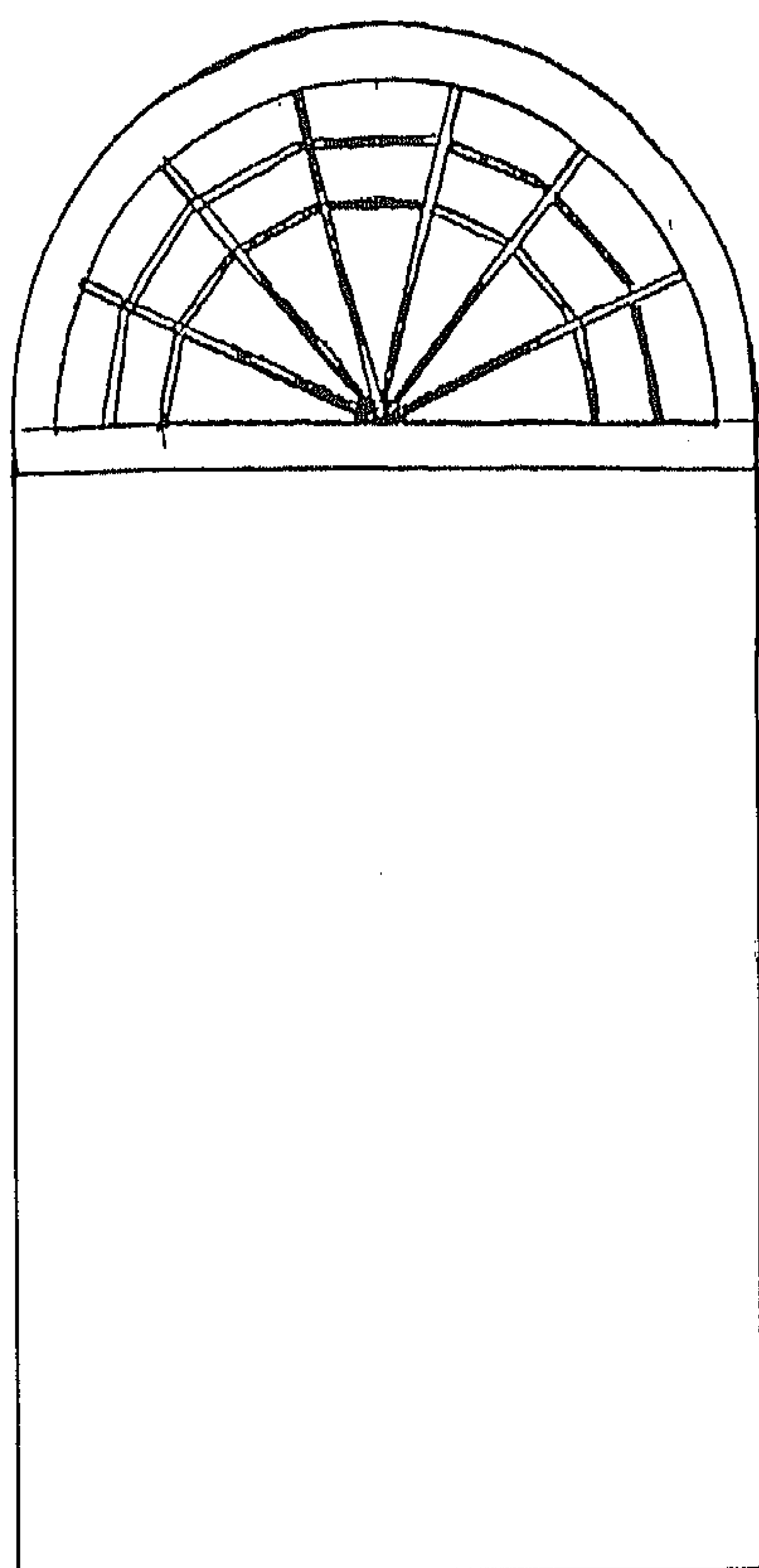
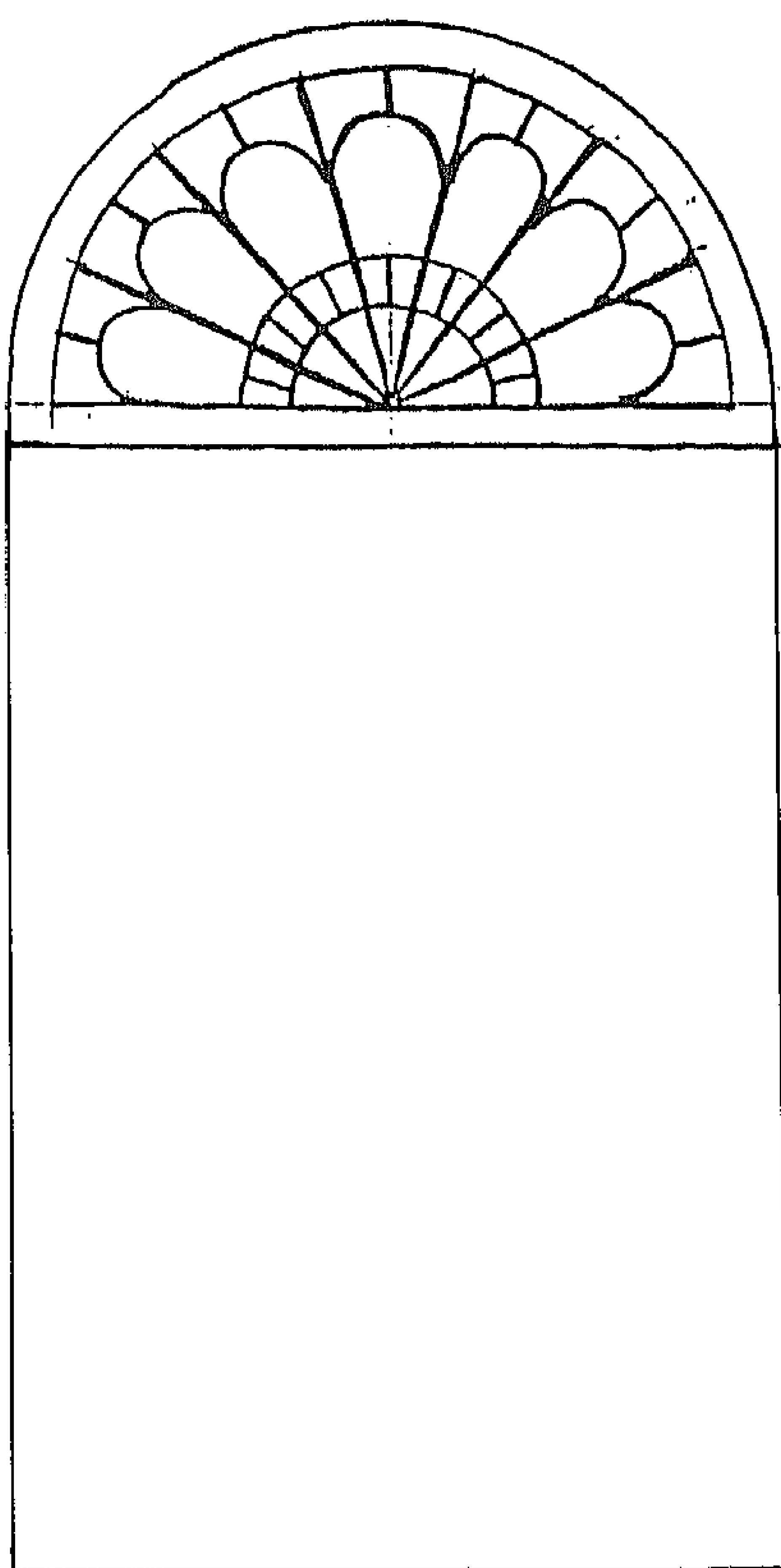
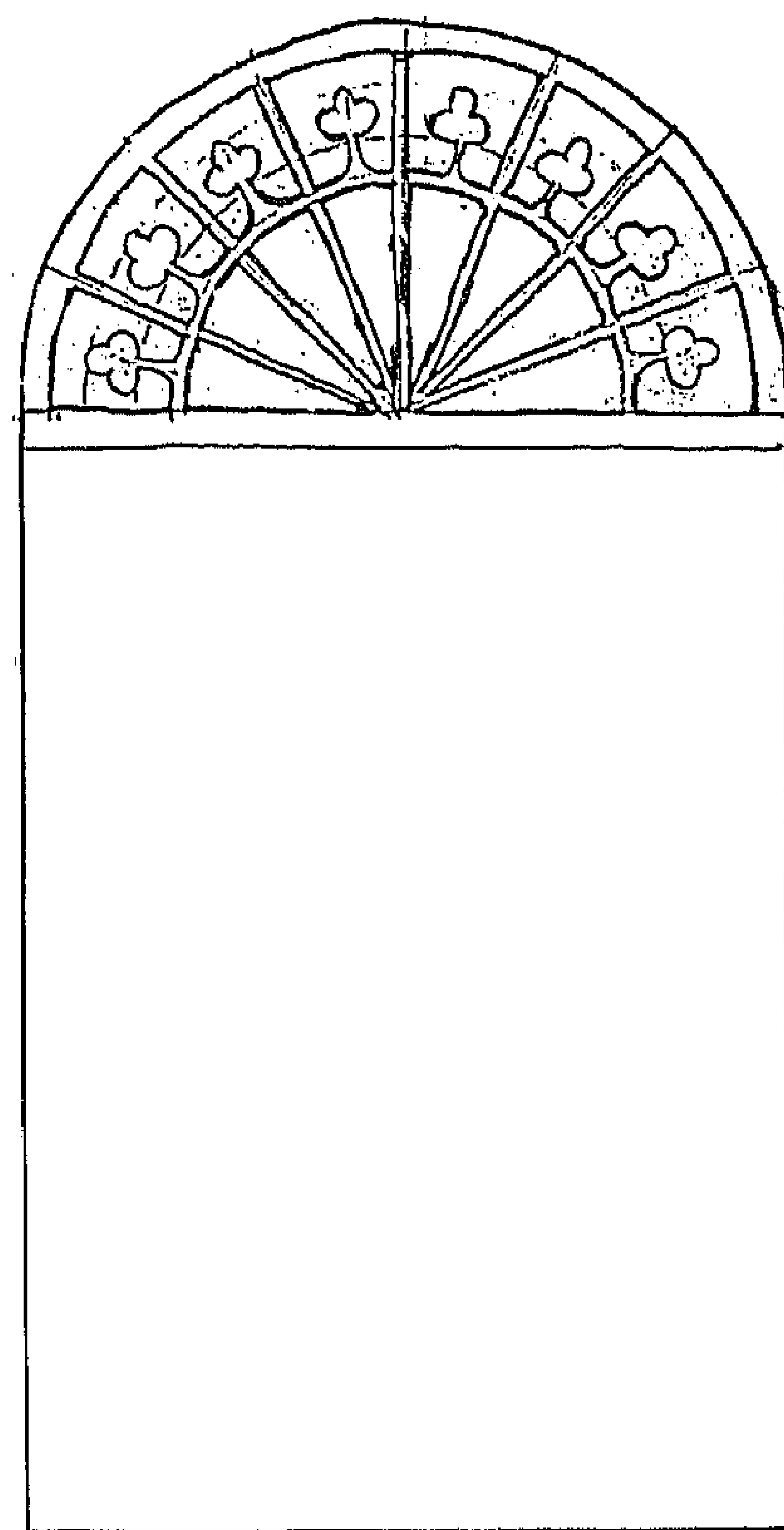
شكل رقم (216) صورة غرفة بالطابق العلوي ببيت الشيخ علي بمدينة المحرق



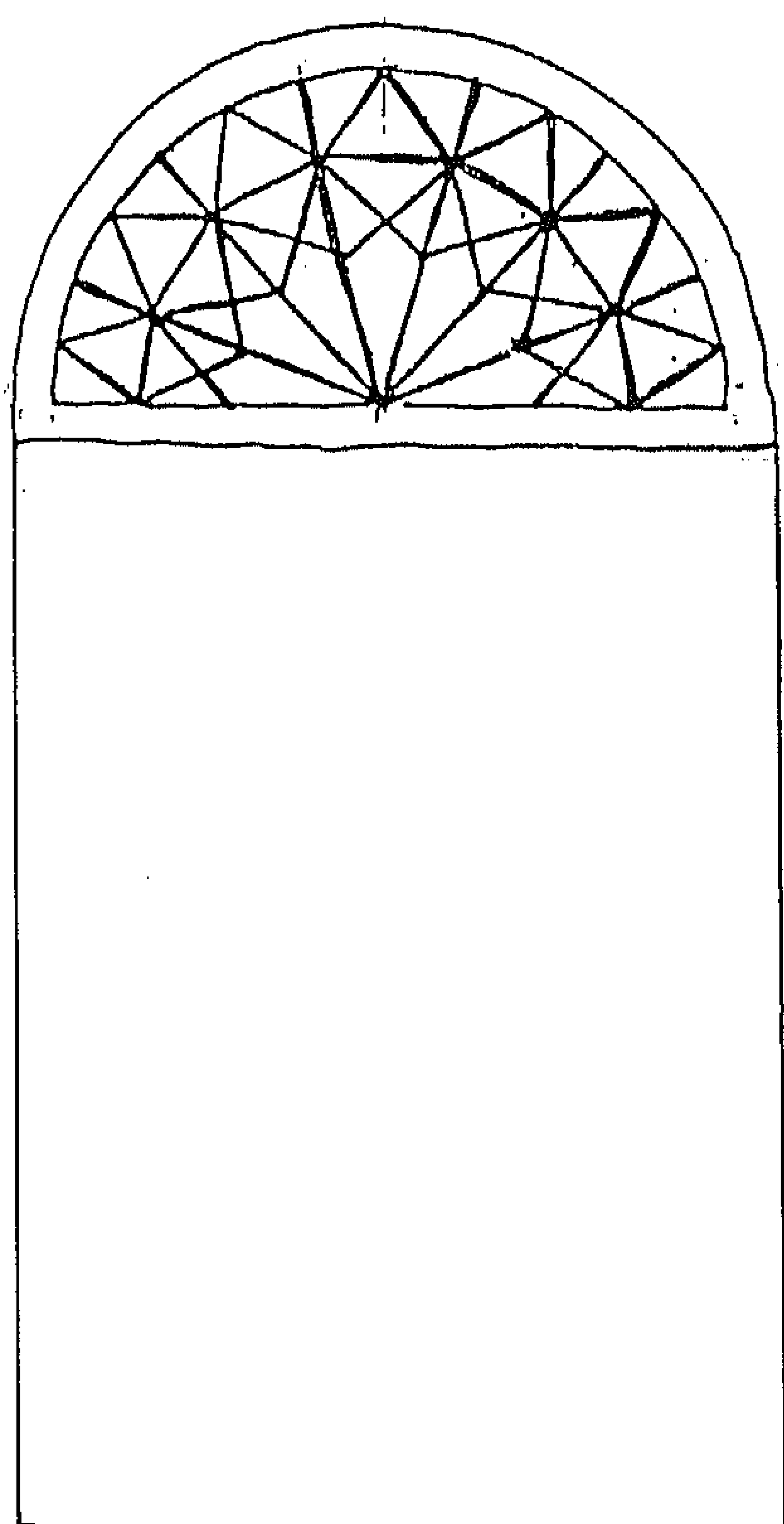
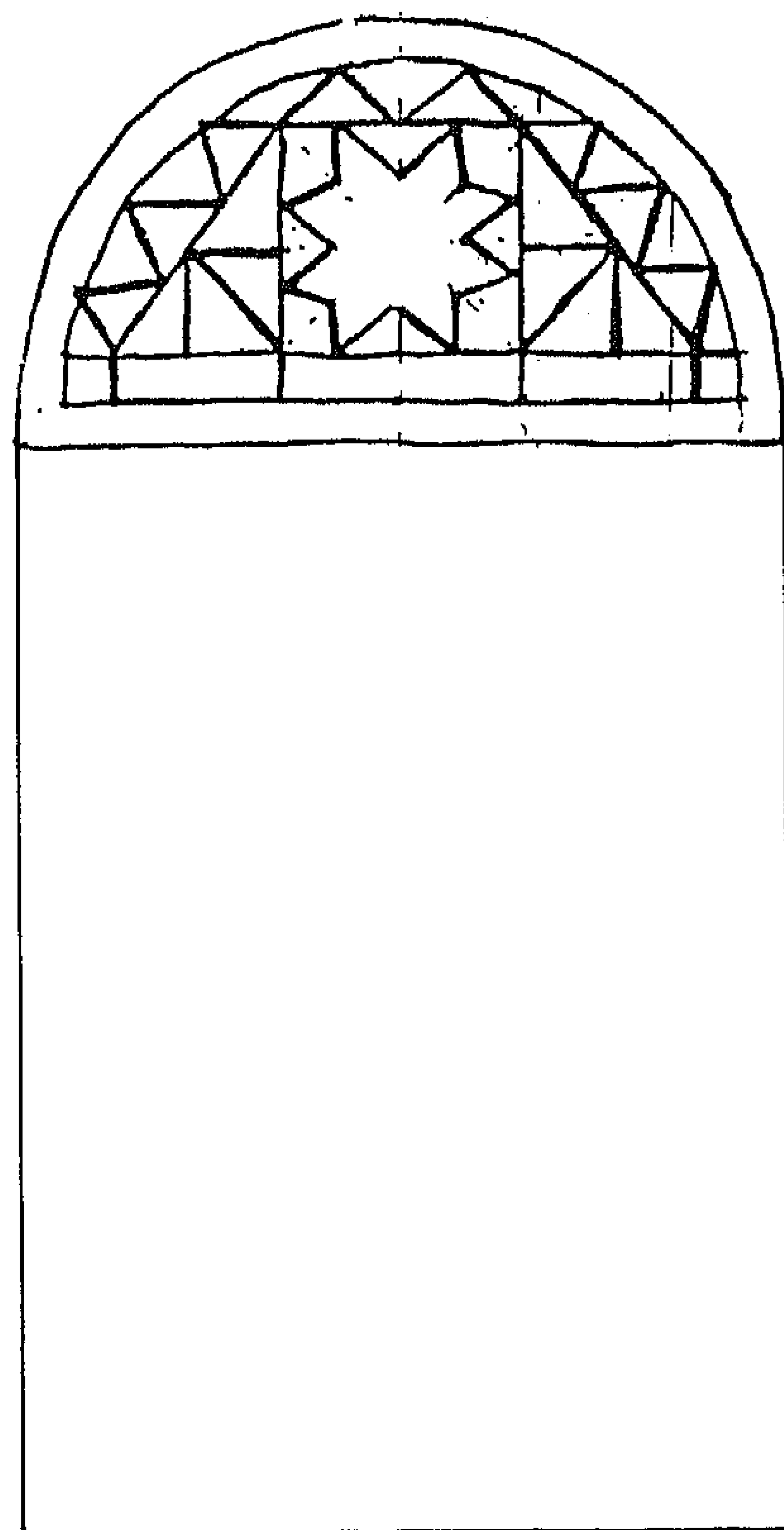
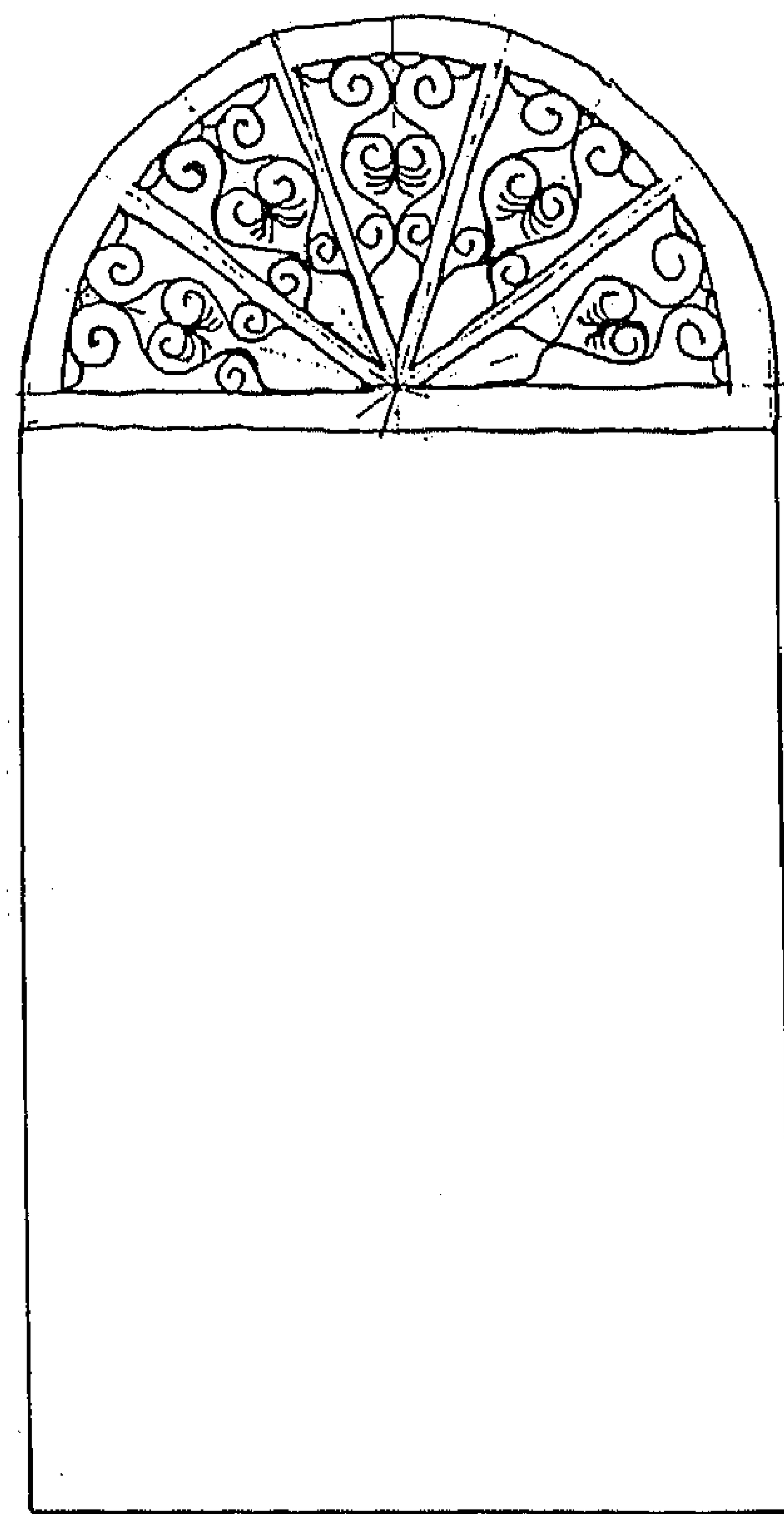
شكل رقم (217) صورة زجاجيات تقليدية من مدينة المحرق

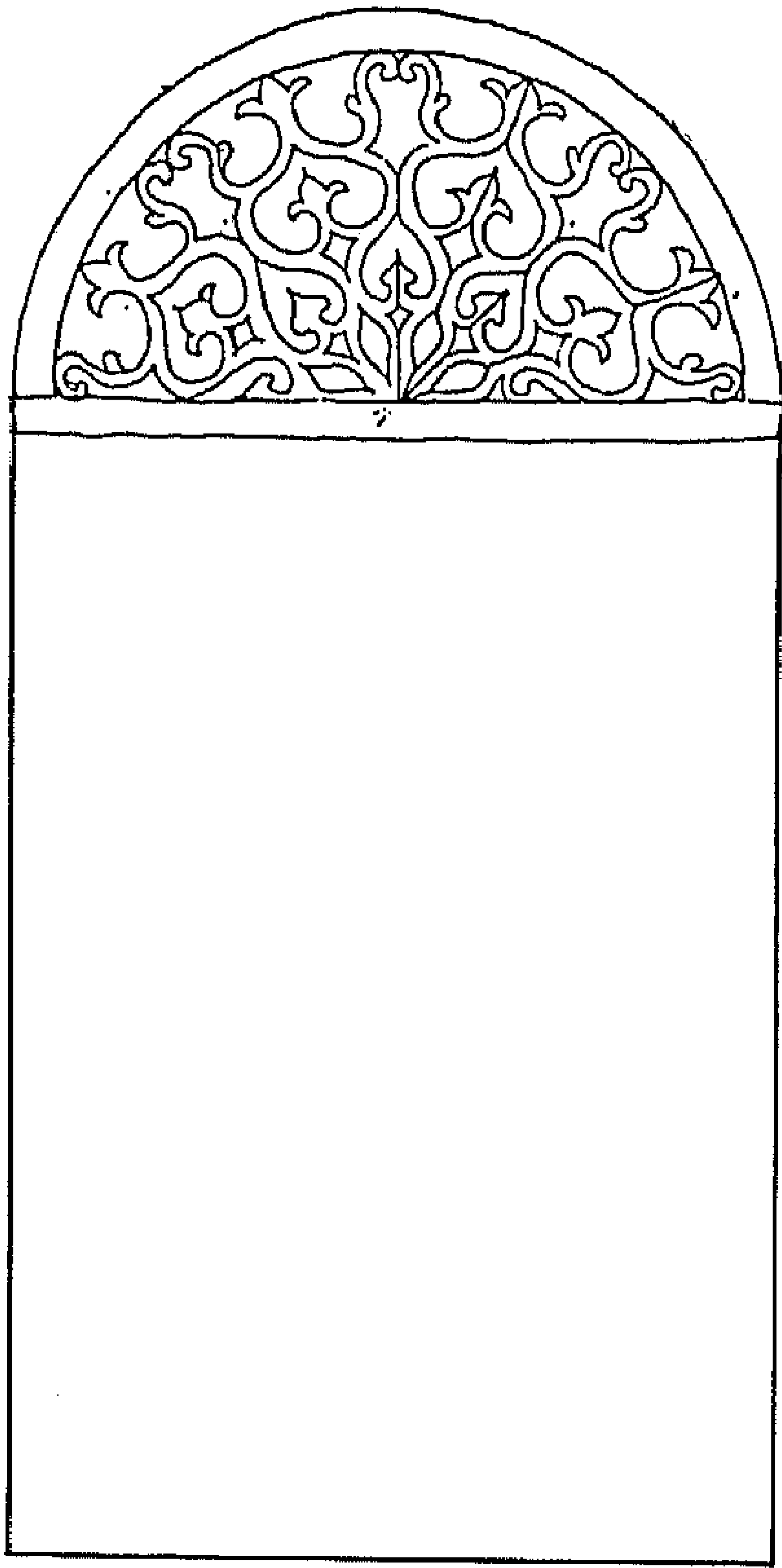
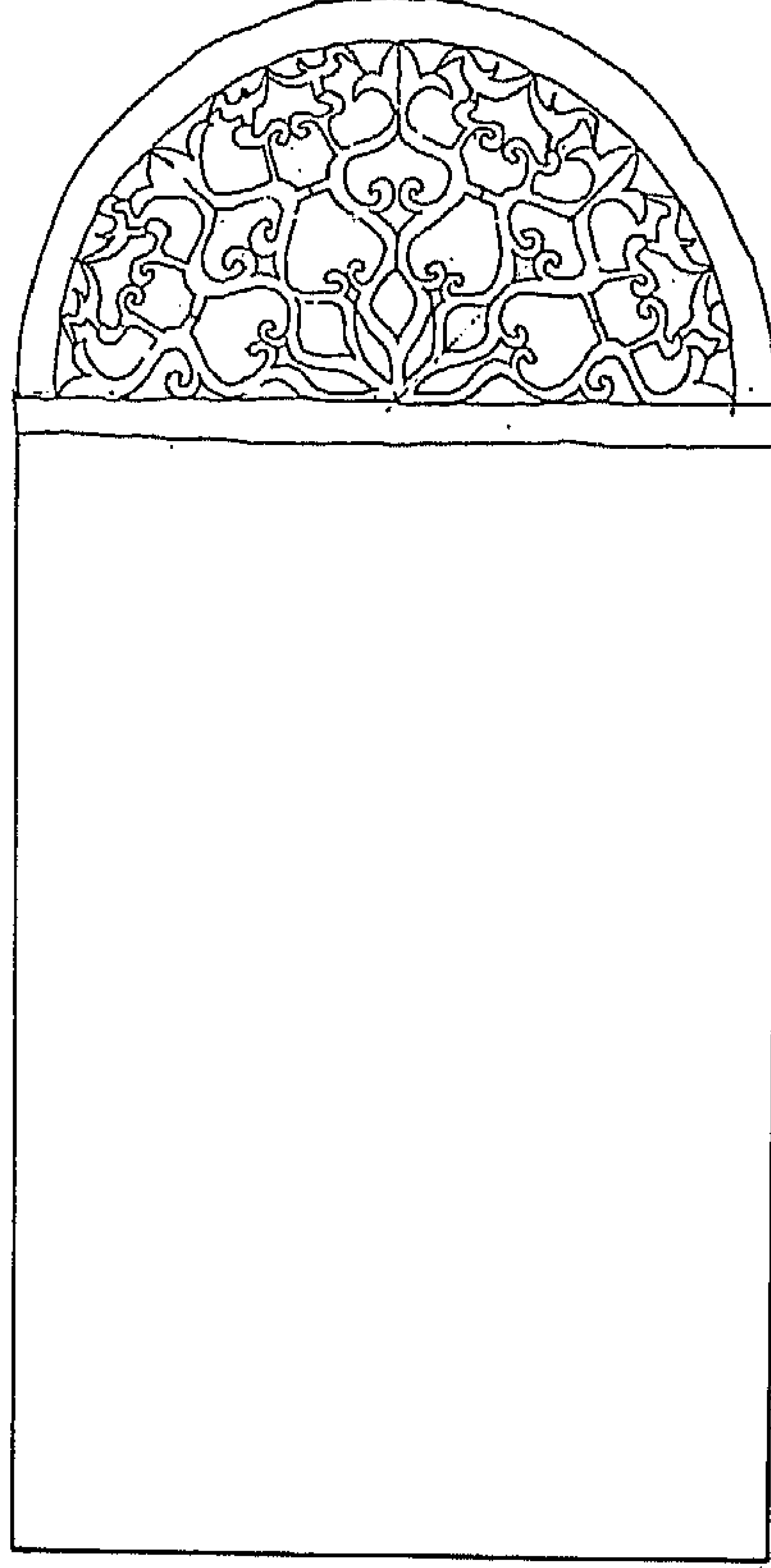
شكل رقم (218) صورة زجاجيات تقليدية (واجهة خارجية) بمدينة المحرق



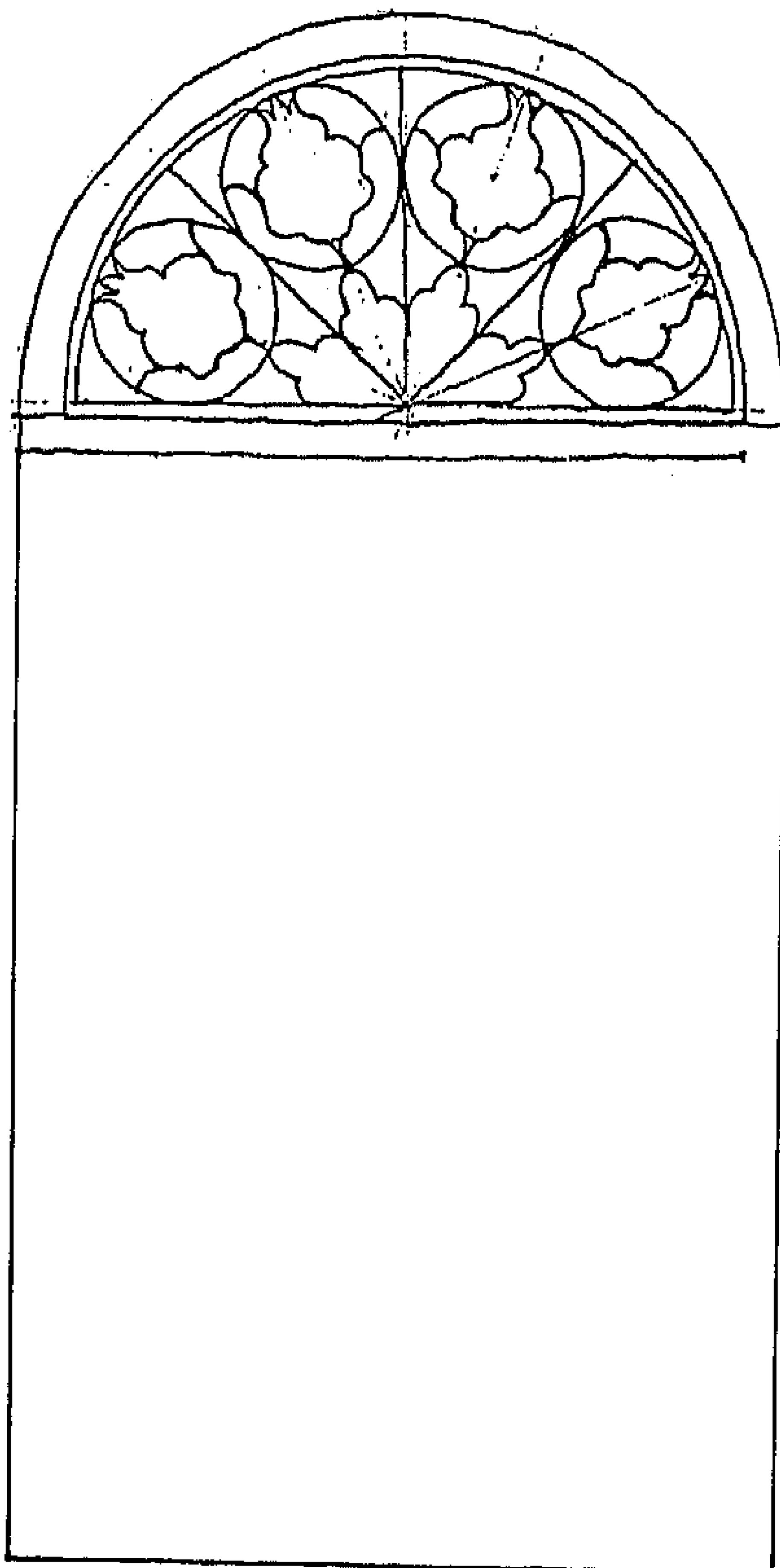
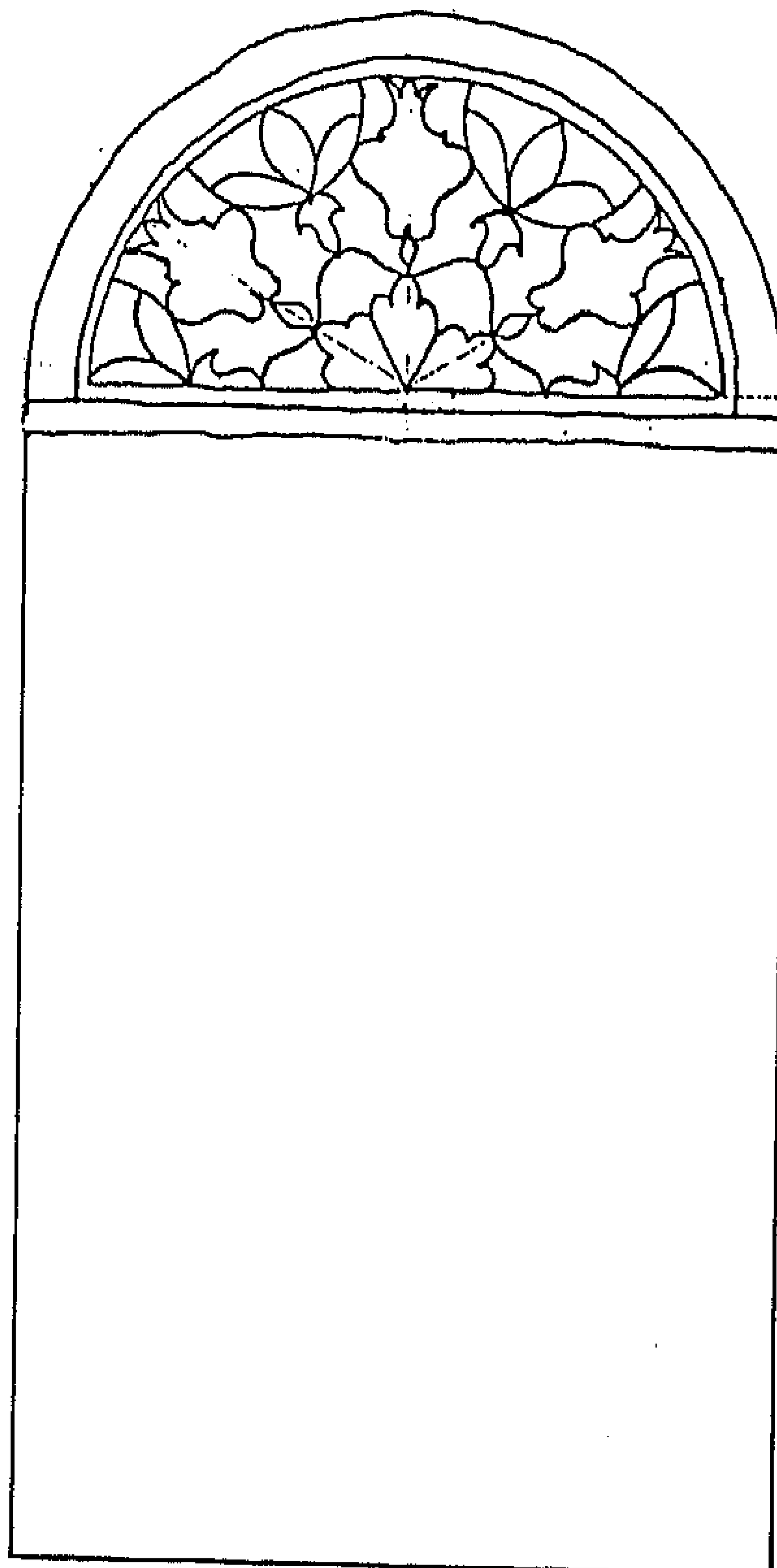
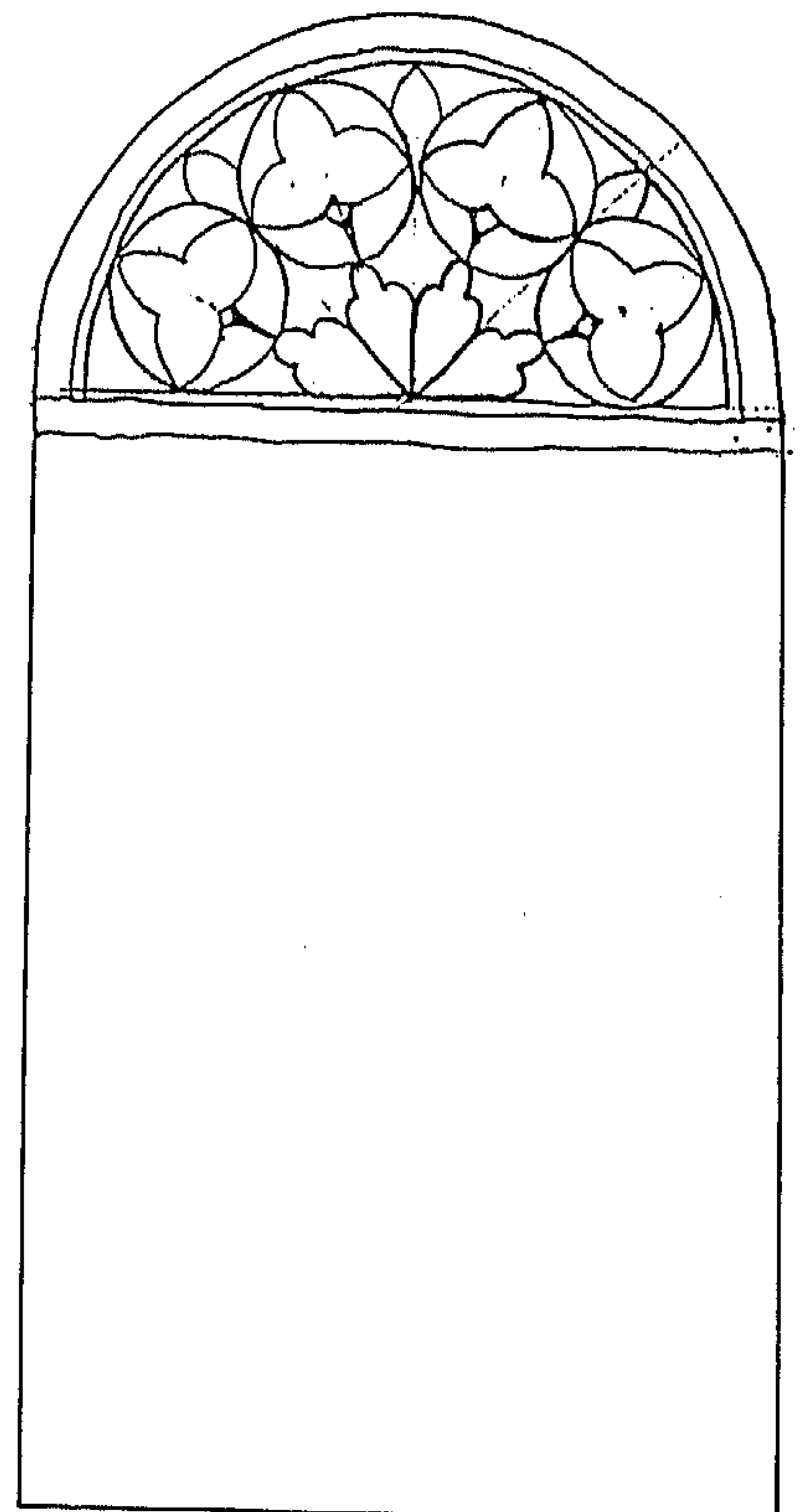




---

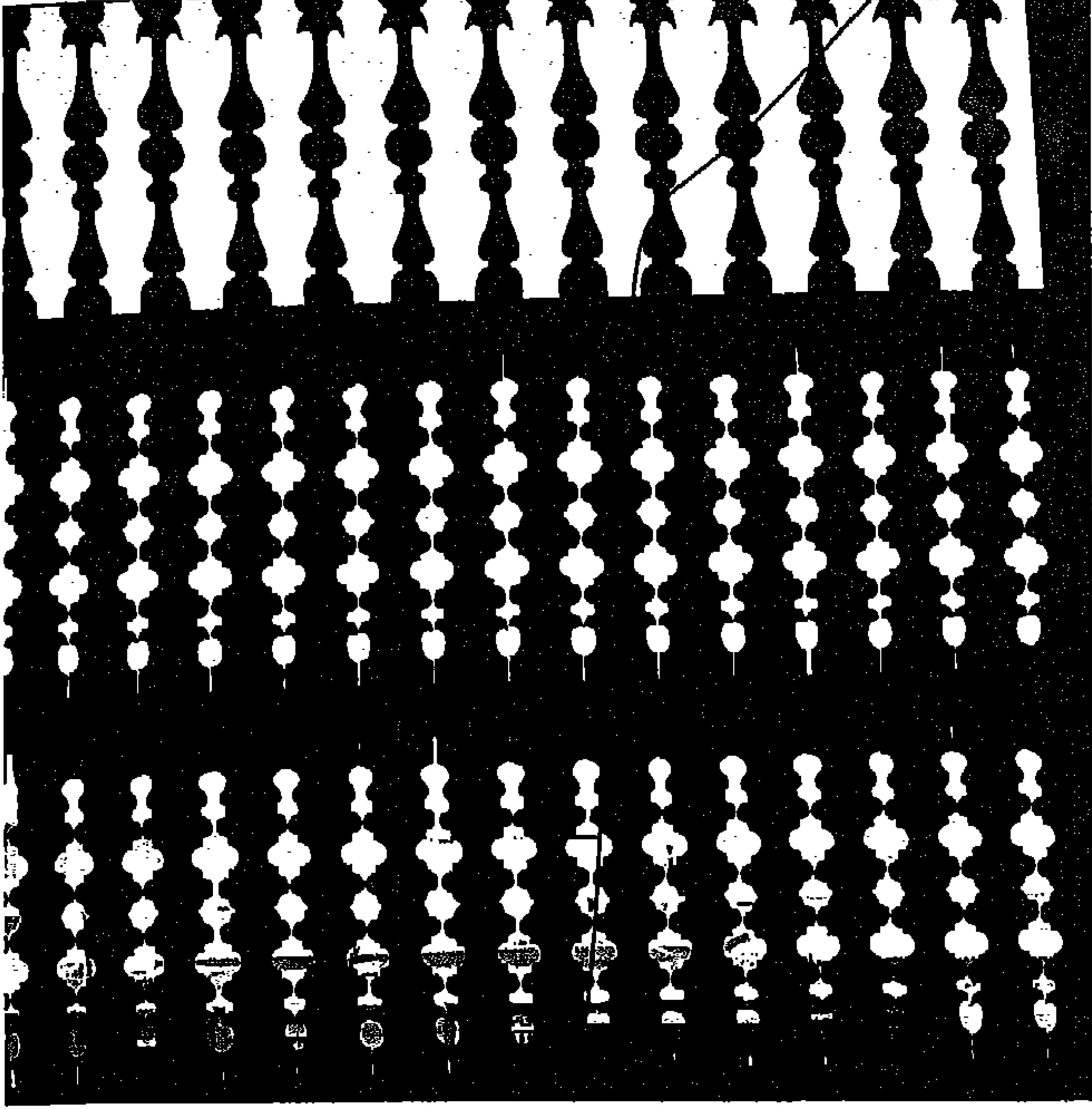
نماذج لزجاجيات تقليدية من مساكن مدينة المحرق
شكل رقم (219)
شكل رقم (220)
شكل رقم (221)
شكل رقم (222)
شكل رقم (223)
شكل رقم (224)
شكل رقم (225)
شكل رقم (226)
شكل رقم (227)
شكل رقم (228)
شكل رقم (229)

**المعالجة الثانية ـ المخرمات الخشبية :**

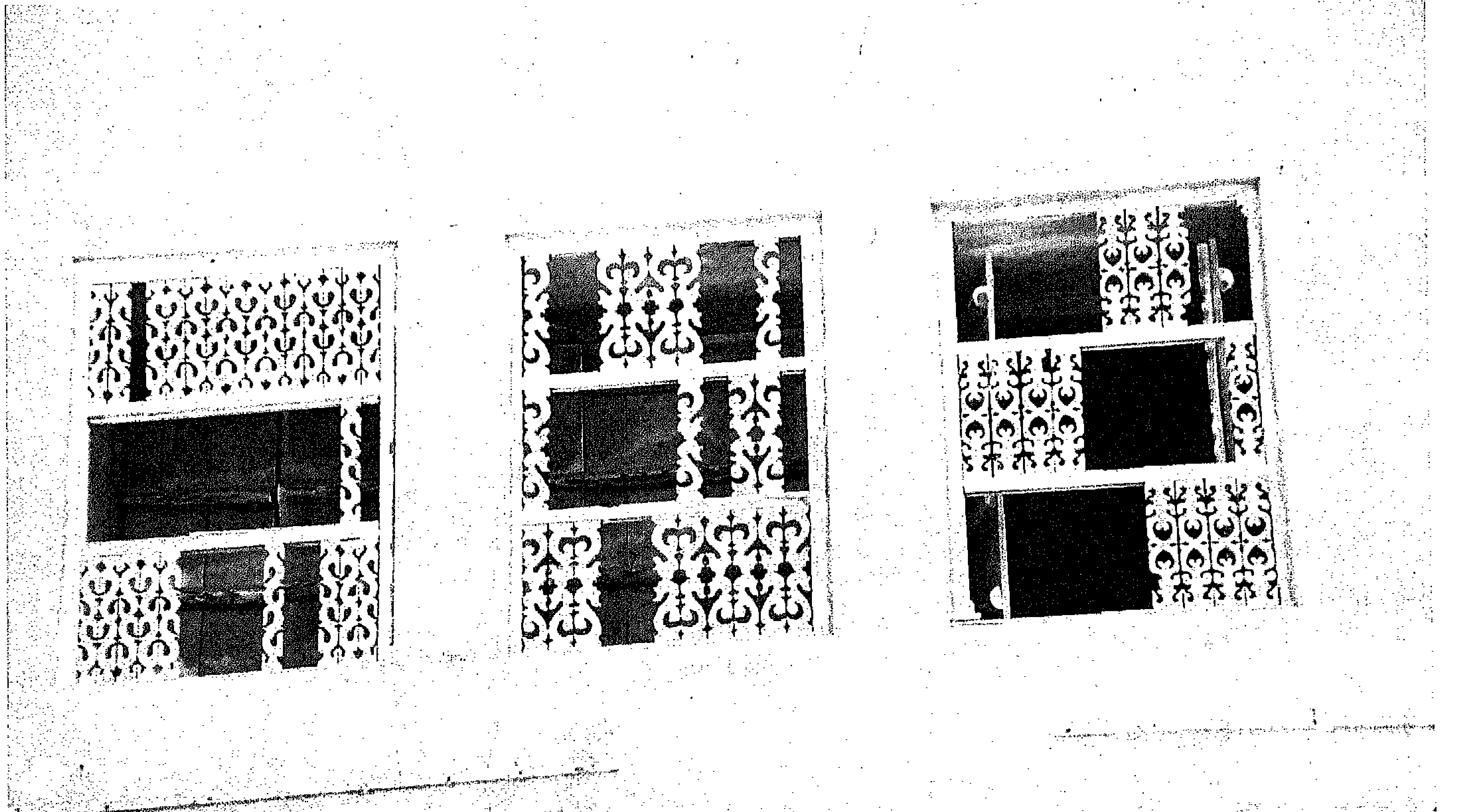
إستعمل الحرفي المحلي الوحدات الخشبية المشغولة أو المشكلة ـ المخرمات ـ لتحقيق أقصى كفاءة للبيئة الداخلية بالتحكم في كمية النور الداخلة ، وتقليل ـ أيضا ـ البريق المباشر مع توفير إمكانية حركة الهواء بين الخارج والداخل ، هذا بالإضافة إلى أن هذه المعالجات تحقق الخصوصية الكاملة للداخل سواء عند إستعمالها في حالة الشرفات والبلكونات البارزة للخارج ، أو بإستعمالها فى الشبابيك وخاصة في تلك المطلة على شبكة الفراغات الخارجية العامة وشبه العامة أو حتى شبه الخاصة . . وهنالك ثلاثة أنماط عامة تضم كافة النماذج التي تم حصرها والتي تبلغ حوالي 15 نموذجاً ونحدد الأنماط هذه كما يلي :

(1) وحدات طولية من خشب الساج غالباً تتشكل في إيقاع منتظم ومستمر ، تحصر كل وحدتين فراغات مفتوحة ناتجة عن التشكيل الهندسي لنفس هذه الوحدات ، وبتجاورها يتشكل المسطح الخشبي للمخرمات بما يضمه من فتحات ، وهناك عدداً كبيراً من هذه التشكيلات الهندسية للوحدة الطولية تم حصر حوالي ستة نماذج تشكيلية ، يتراوح عرض الوحدة الأساسية حوالي 20سم ، بينما يتفاوت طولها حسب الفتحة المستعملة .

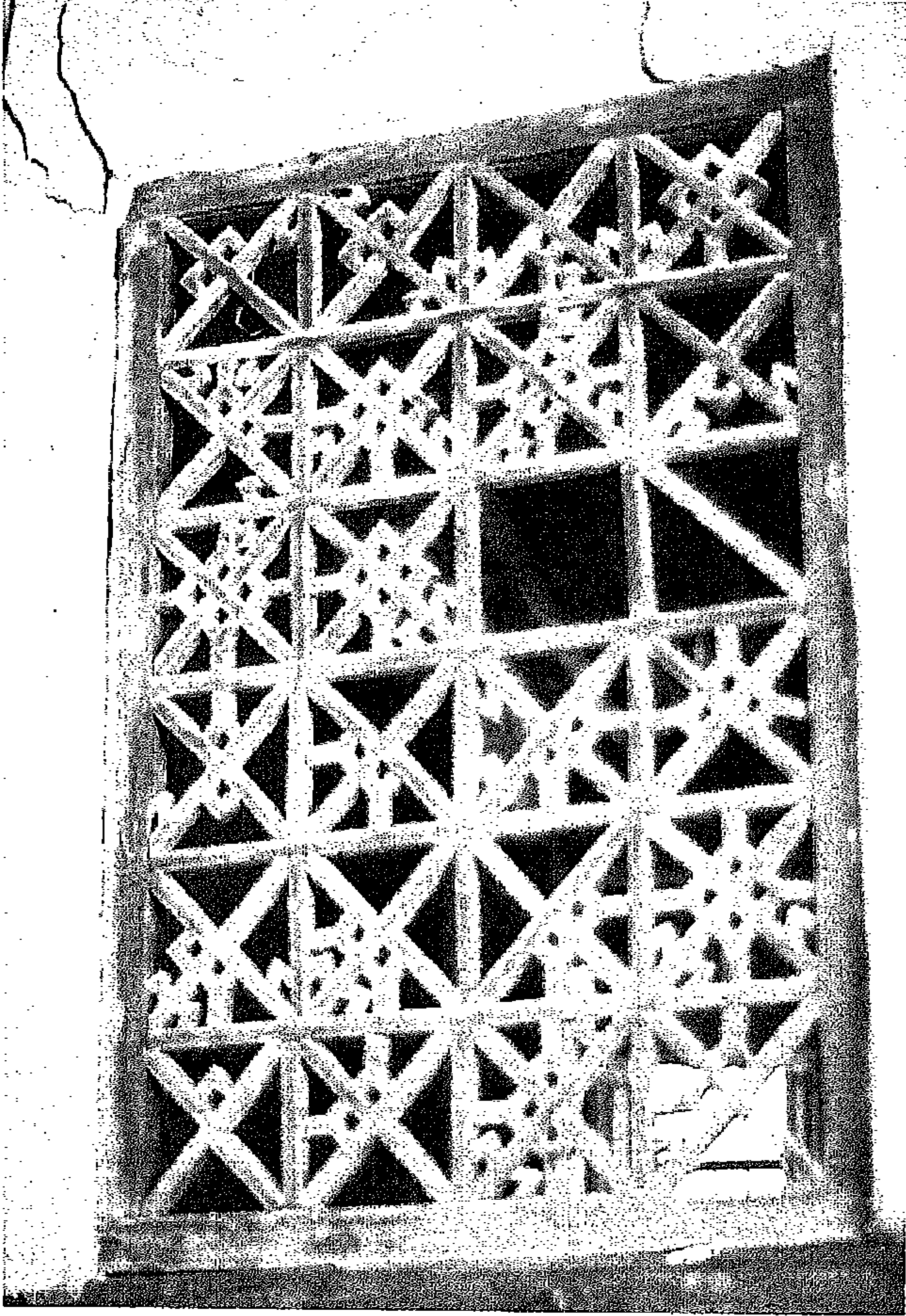


شكل رقم (230) صورة تفصيلية للمخرمات الخشبية التقليدية بمدينة المحرق

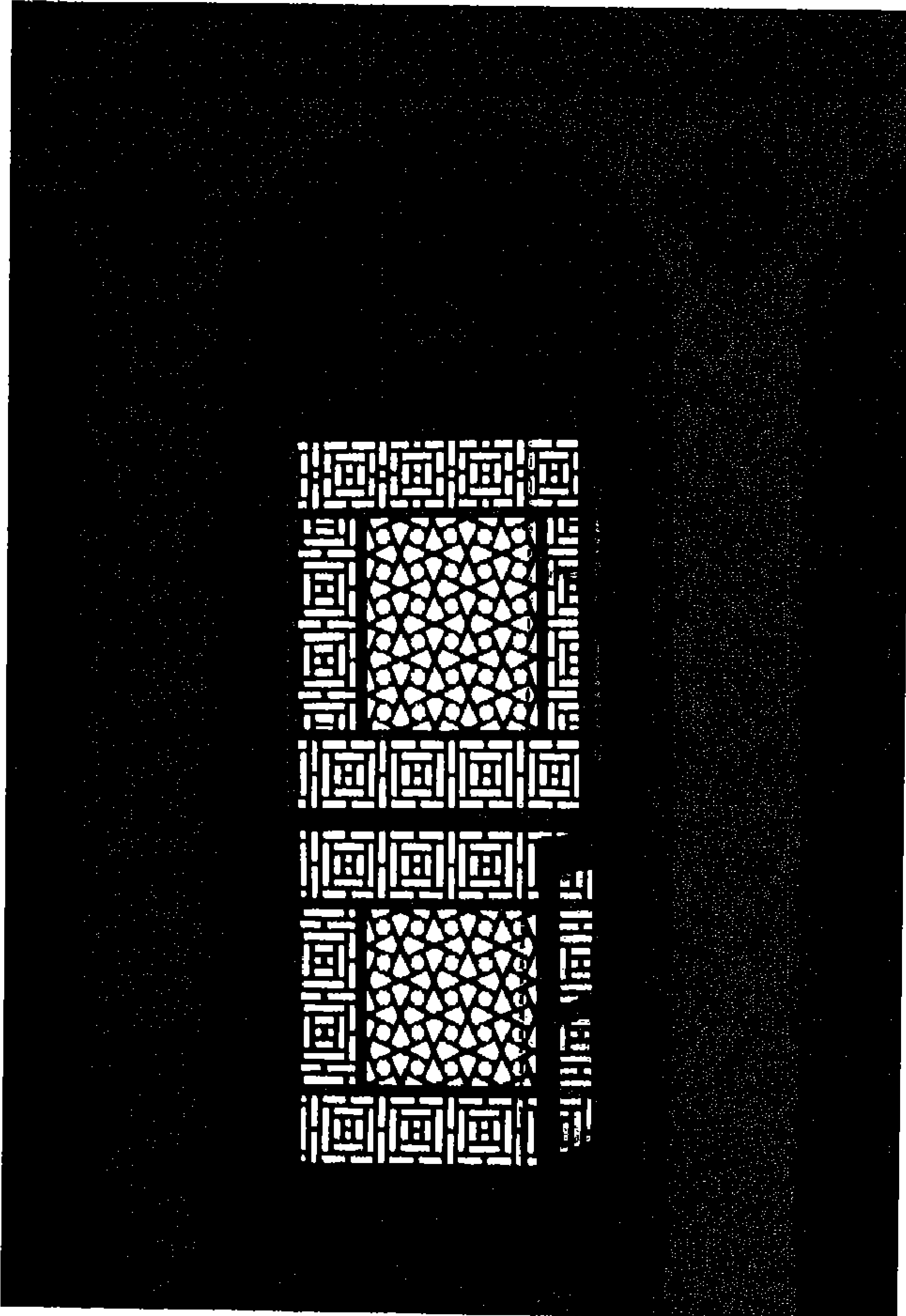
شكل رقم (231) صورة واجهة خارجية لبيت الشيخ سلمان بن حمد بمدينة المحرق



(2) مسطحات تتشكل من القطع الخشبية الصغيرة نسبيا ، وتتركب في نسيج متكامل يحكمه تنظيم هندسي للمسطح كله ، ويعتمد تصميم هذه المسطحات على الشكل المربع كشكل أساسي ينظم كافة العلاقات الهندسية للتصميم ، ومن خلاله تغيرت النماذج التى أبدعها الحرفي المحلي ضمن لغة العمران بالمحرق وتم رصد حوالي عشرة نماذج منها ، وقد تستعمل هذه المسطحات بشكل وحدات ثابتة على الفتحات الخارجية أو كضلف تفتح للشبابيك خاصة تلك التي في الطوابق العليا ، وغالبا ما تتكون من ضلفتين وعموماً يتراوح عرض الفتحة التي تستعمل فيها هذه المسطحات بين 80–100 سم .

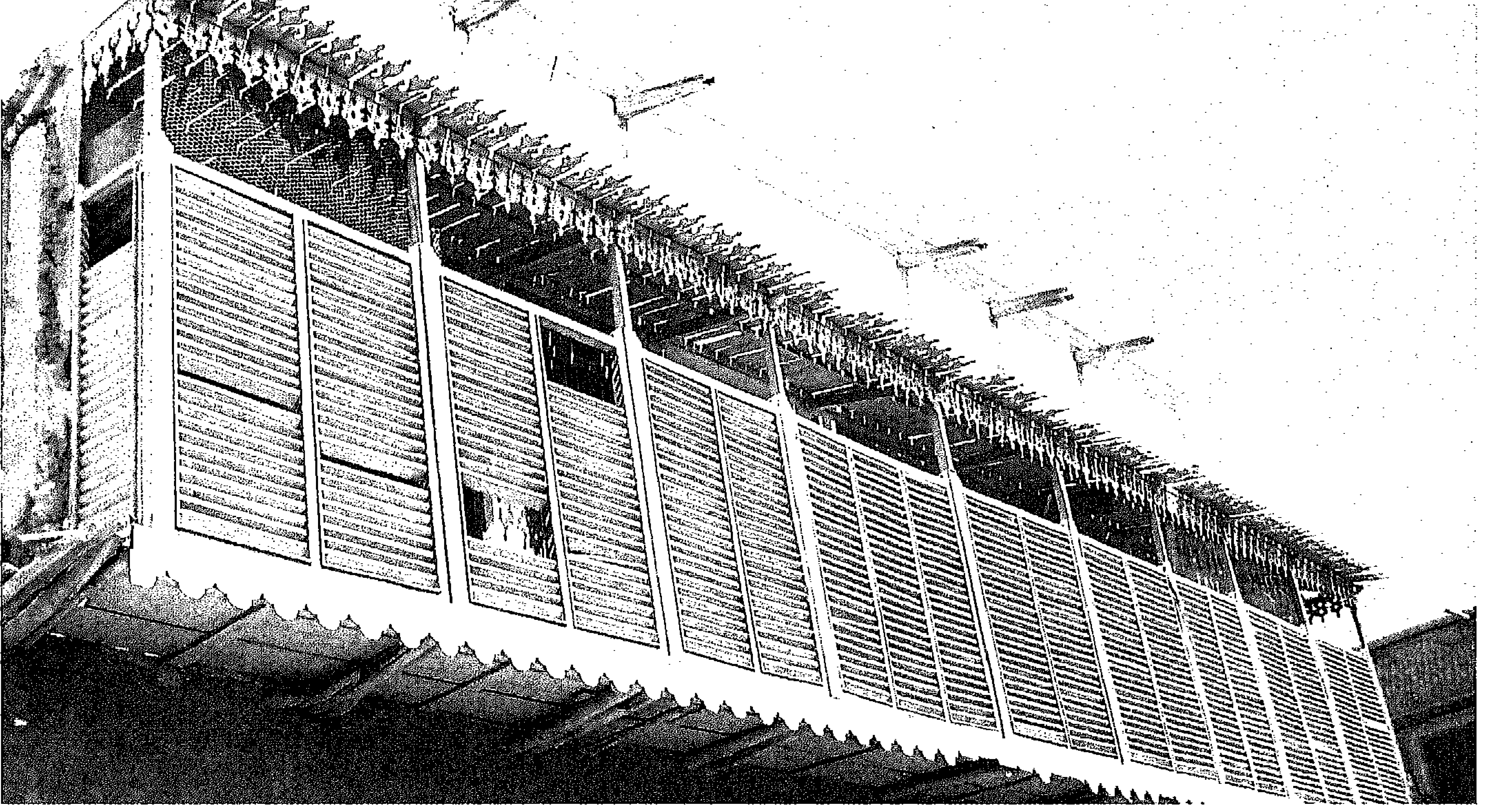


شكل رقم (232) صورة تفصيلية للمخرمات الخشبية ذات التنظيم الهندسي



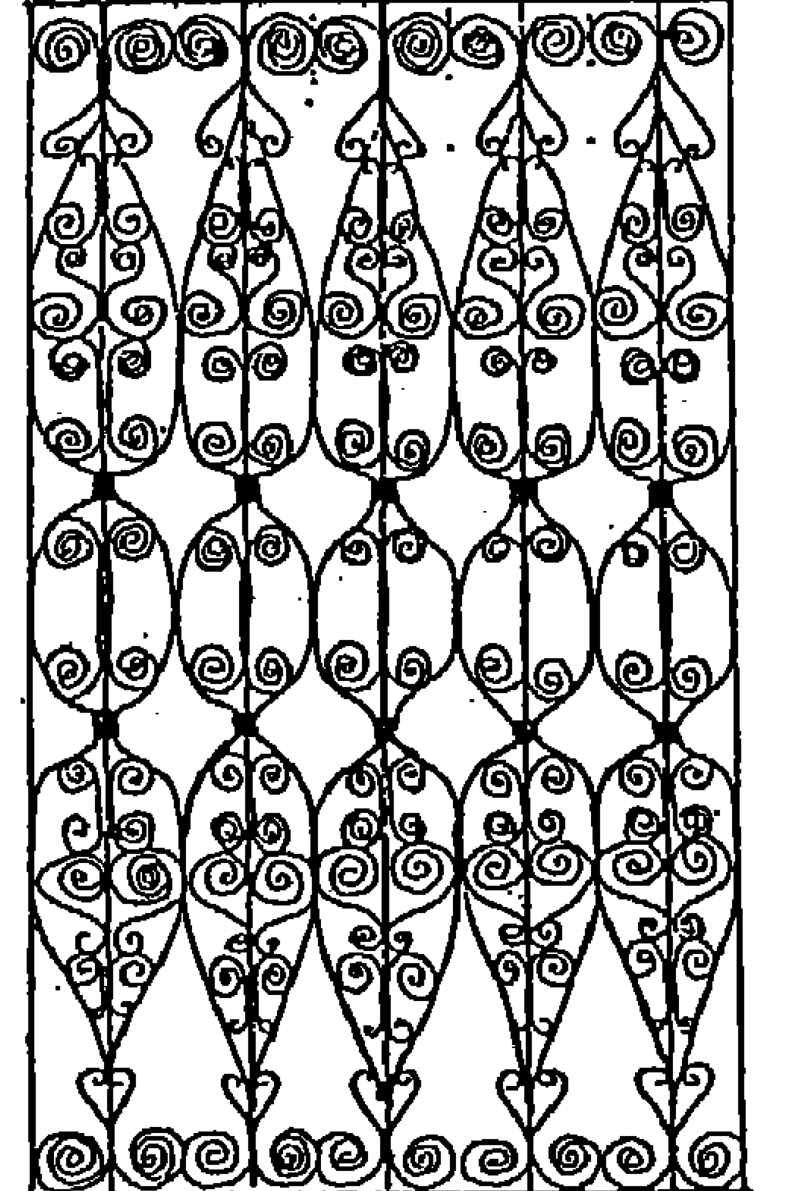
شكل رقم (233) صورة شباك ذو مخرمات خشبية هندسية ببيت سيادي بالمحرق

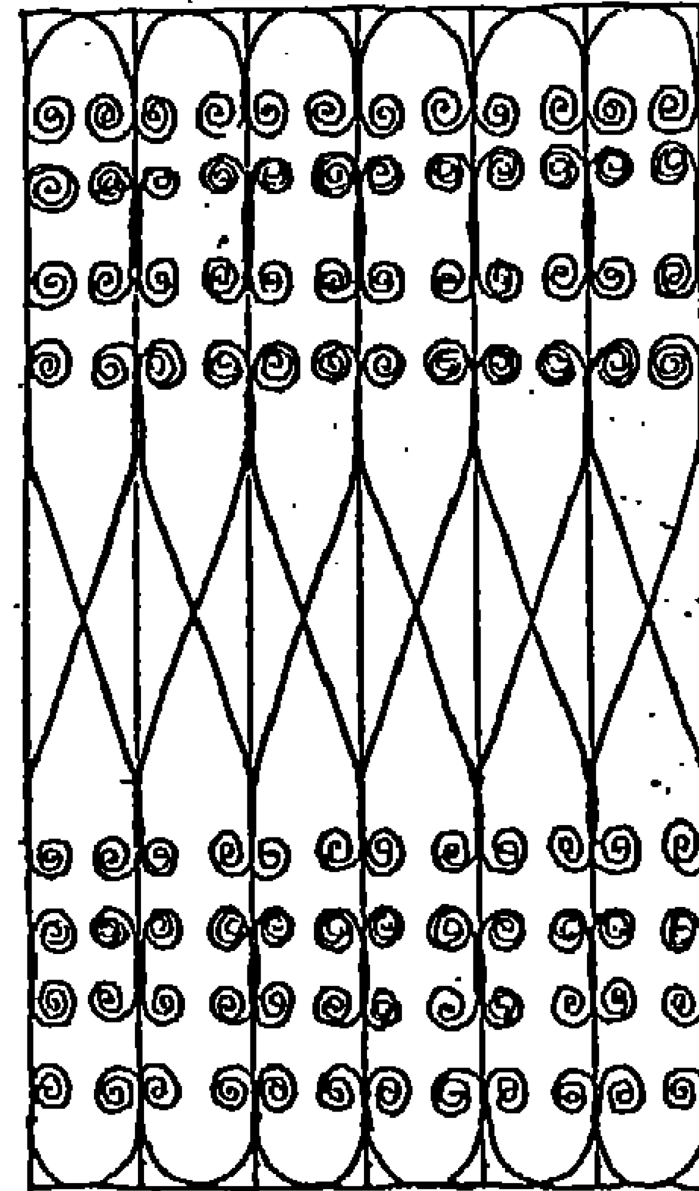
(3) أما النمط الثالث عبارة عن وحدات خشبية ترص أفقيا مع ميل بسيط جهة الخارج ولأسفل ، وتتشكل هذه على هيئة ضلف شبابيك ، وأحياناً كثيرة ما تستعمل هذه في الدراوي لأسطح المسكن . . ويعتبر النمط الثالث أقل الأنماط المستعملة في معالجة المخرمات الخشبية بعمران مدينة المحرق .



شكل رقم (234) صورة دراوي خشبية نموذج لمخرمات خشبية بالمحرق

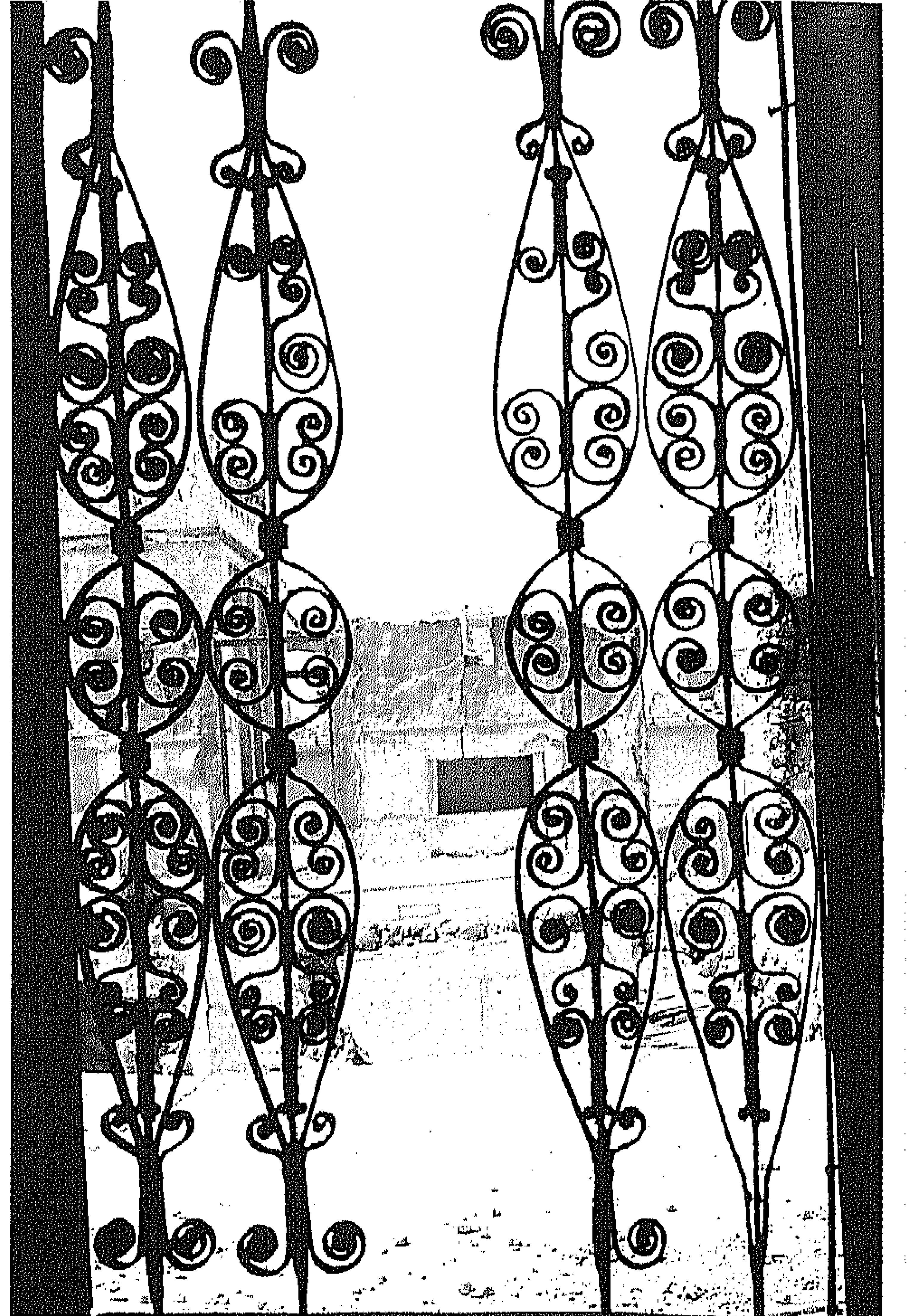
شكل رقم (235) نماذج لمشغولات معدنية
شكل رقم (236) نماذج لمشغولات معدنية



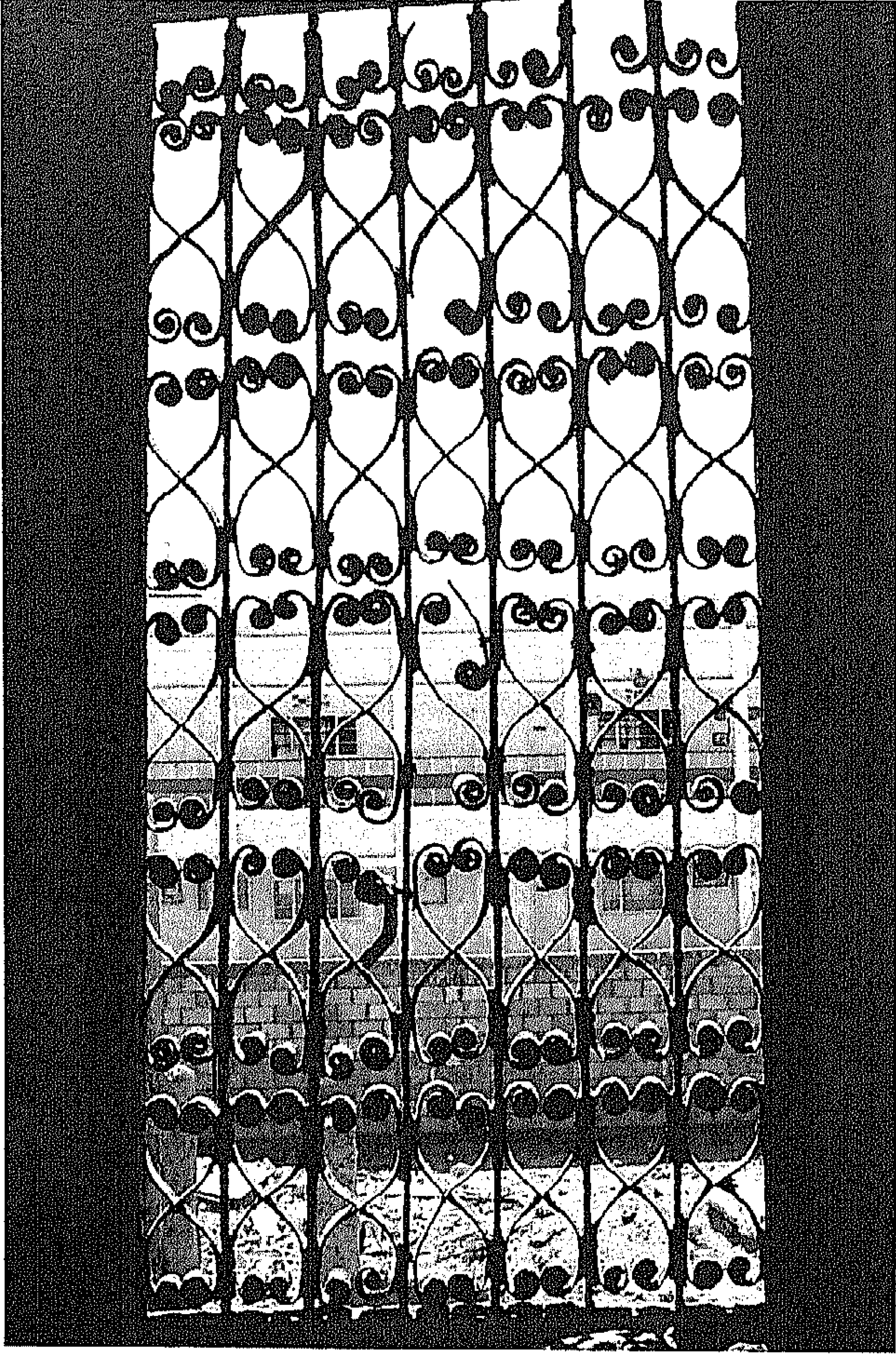


## المعالجة الثالثة ـ المشغولات المعدنية :

لم ينتشر إستعمال المشغولات المعدنية لمعالجة الفتحات الخارجية كالمعالجتين السابقتين ، ويبدو أن هذا يرجع لسببين أولهما ـ وهو الأهم ـ عدم موائمة هذه المشغولات للبيئة المحلية لجزر البحرين على مدار العام ، وثانيهما أن تقنيات الحرفة والمواد الخام لم يتوفرا بالشكل الكافي في المجتمع المحلي ، ولكن مع تواتر إستعمال هذه المشغولات المعدنية يمكن إعتبارها مفردة من اللغة المحلية لعمران المحرق ، وخاصة أن تصميماتها إرتبطت بالأبعاد الأساسية لقانون العمران . . وتعتمد تصميمات هذه المشغولات على تشكيل المنحنيات ، وهي أقرب للتشكيلات الورقية المجردة التي يتحرك خلالها خط منحنى تتحرك نقطة من البداية إلى

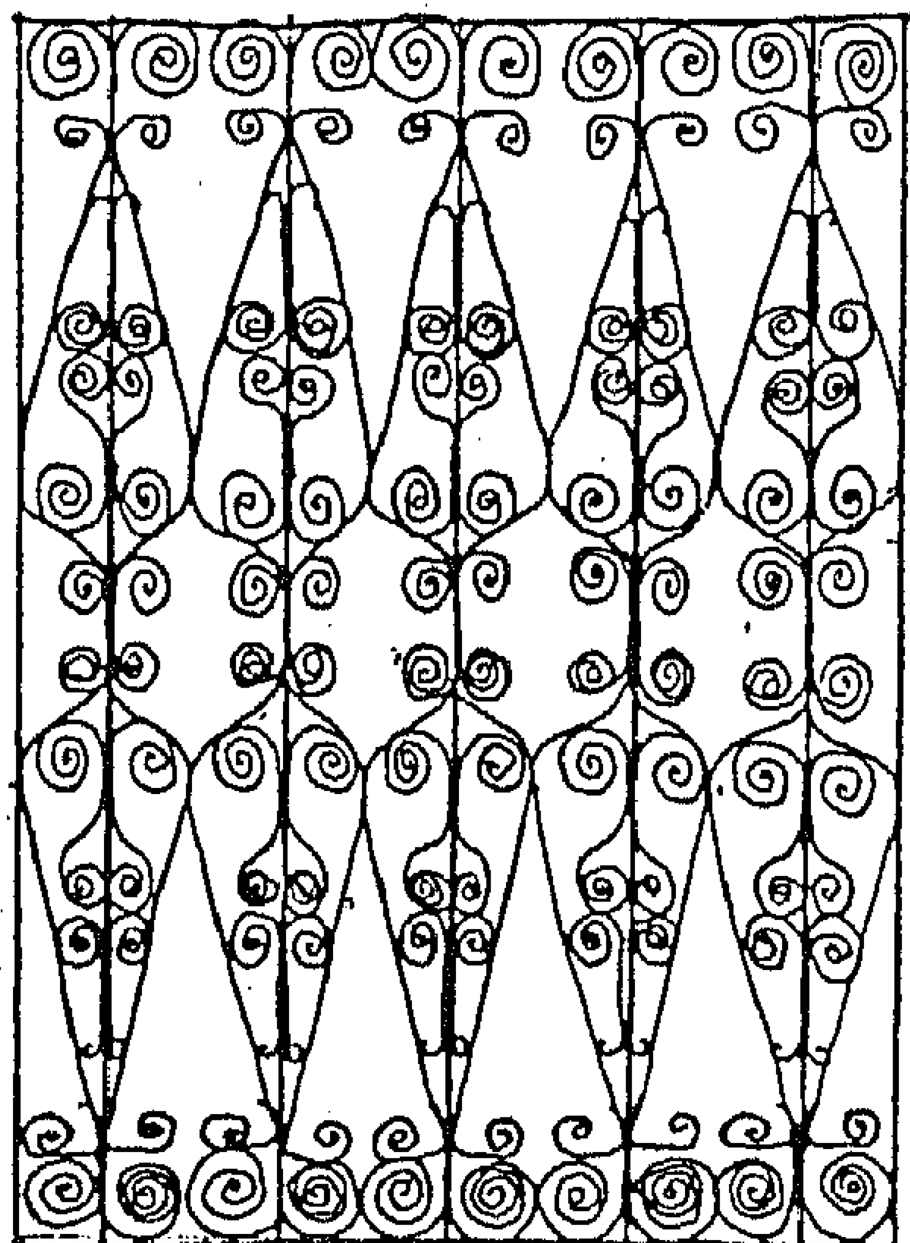


شكل رقم (237) صورة المشغولات المعدنية ببيت الشيخ حمد بن عيسى بالمحرق



شكل رقم (238) صورة المشغولات المعدنية ببيت الشيخ حمد بن عيسى بالمحرق

النهاية . . وهناك تفصيلات محددة لهذه الخطوط يجمعها ويركب منها الحرفي وحدات طولية أساسية تتجاور مع بعضها البعض لتعطي التشكيل الكامل للمسطح المشغول ، ويتراوح عرض هذه الوحدات بين 15–20سم ، وبالرغم من تواجد التفصيلات إلا أن إبداعية الحرفي نجحت في تشكيل نماذج مختلفة من الوحدات الأساسية وبالتالي نماذج مختلفة من تلك المسطحات المشغولة ، تم رصد أربعة نماذج منها لعمران المحرق . وجدير بالإشارة أن تلك المسطحات يتراوح عرضها بين 80–90سم وتتركب من 4–6 وحدات طولية أساسية وغالباً في المتوسط من 5 وحدات طولية .

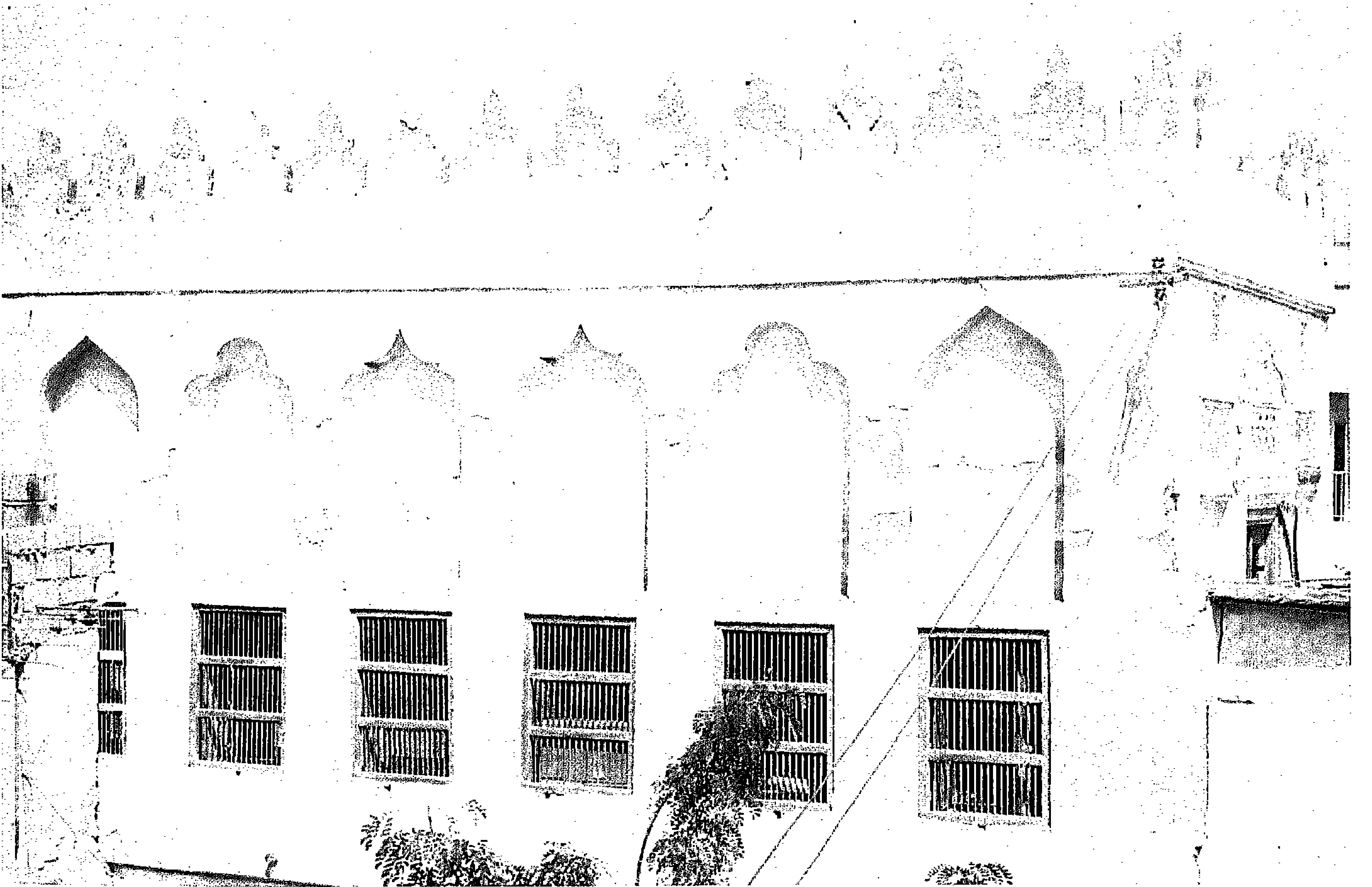


شكل رقم (239)
نموذج للمشغولات المعدنية

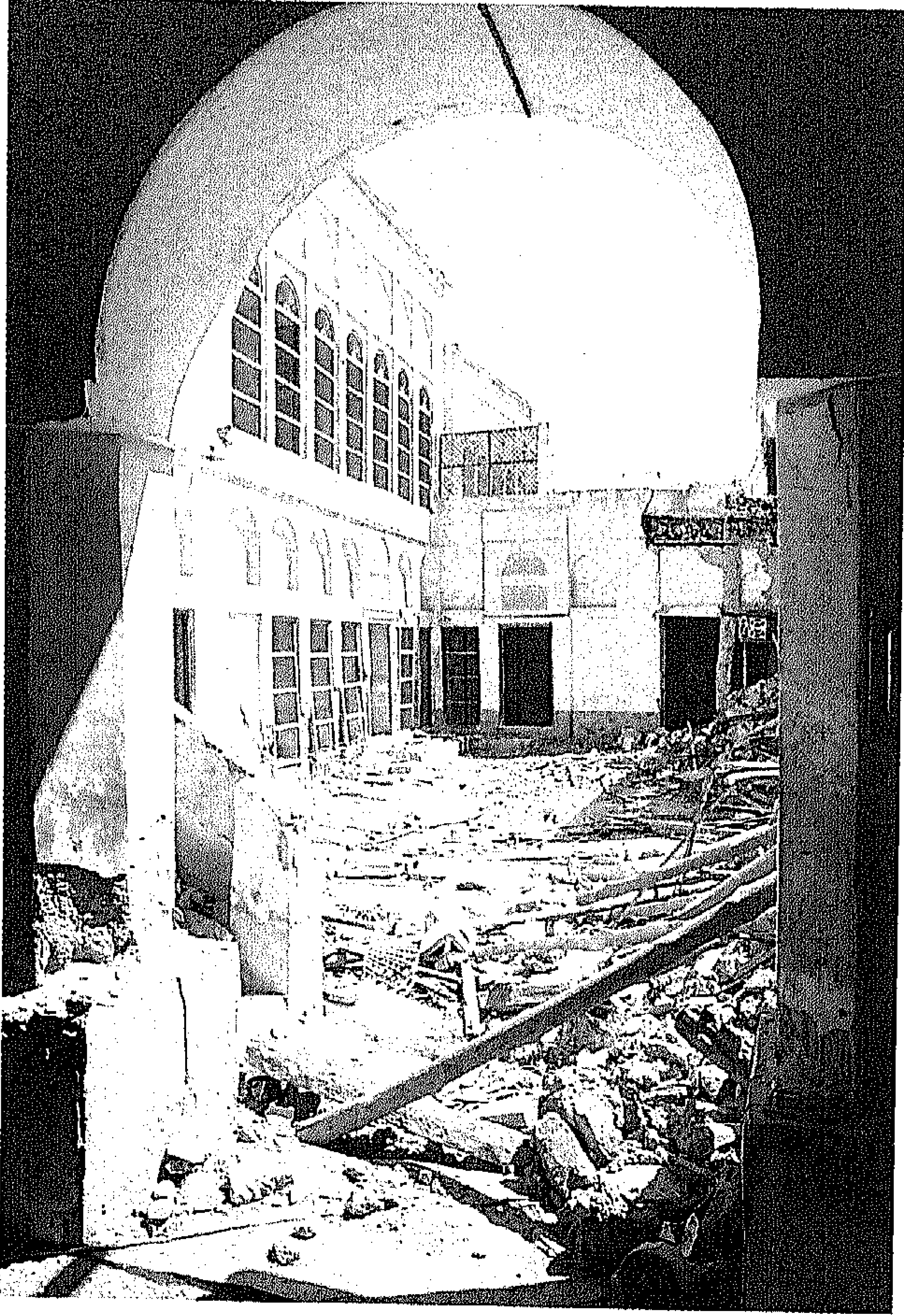
**المفردة الثالثة ـ العقـد :**

عموماً التشكيل الهندسي للعقد عبارة عن حركة مستمرة لخط منحنى في تصاعد مستمر من الأرض إلى أعلى إلى أن يصل الخط إلى إرتفاعه الأقصى . . عندئذ يبدأ الخط رحلته المنعكسة في العودة إلى الأرض من جديد . . وجدير بالإشارة أن الحركة التصاعدية للعقد ترتبط دائماً بالإيقاع المحلي للبيئة والمجتمع وقانونها العمراني ، وقد تتنوع الأشكال وأنماط العقود لكن تبقى هذه الحركة التصاعدية هي المحدد الأساسي للتشكيل الهندسي لها جميعا . . وعرفت مدينة المحرق أنماطاً كثيرة جداً للعقود تم رصد منها حوالي 25 نموذجاً يمكن تصنيفها في مجموعات تشكيلية أساسية نحددها في ثلاث مجموعات كما يلي :

(1) العقود الدائرية البسيطة والمركبة .
(2) العقود المدببة البسيطة والمركبة .
(3) العقود المفصصة .

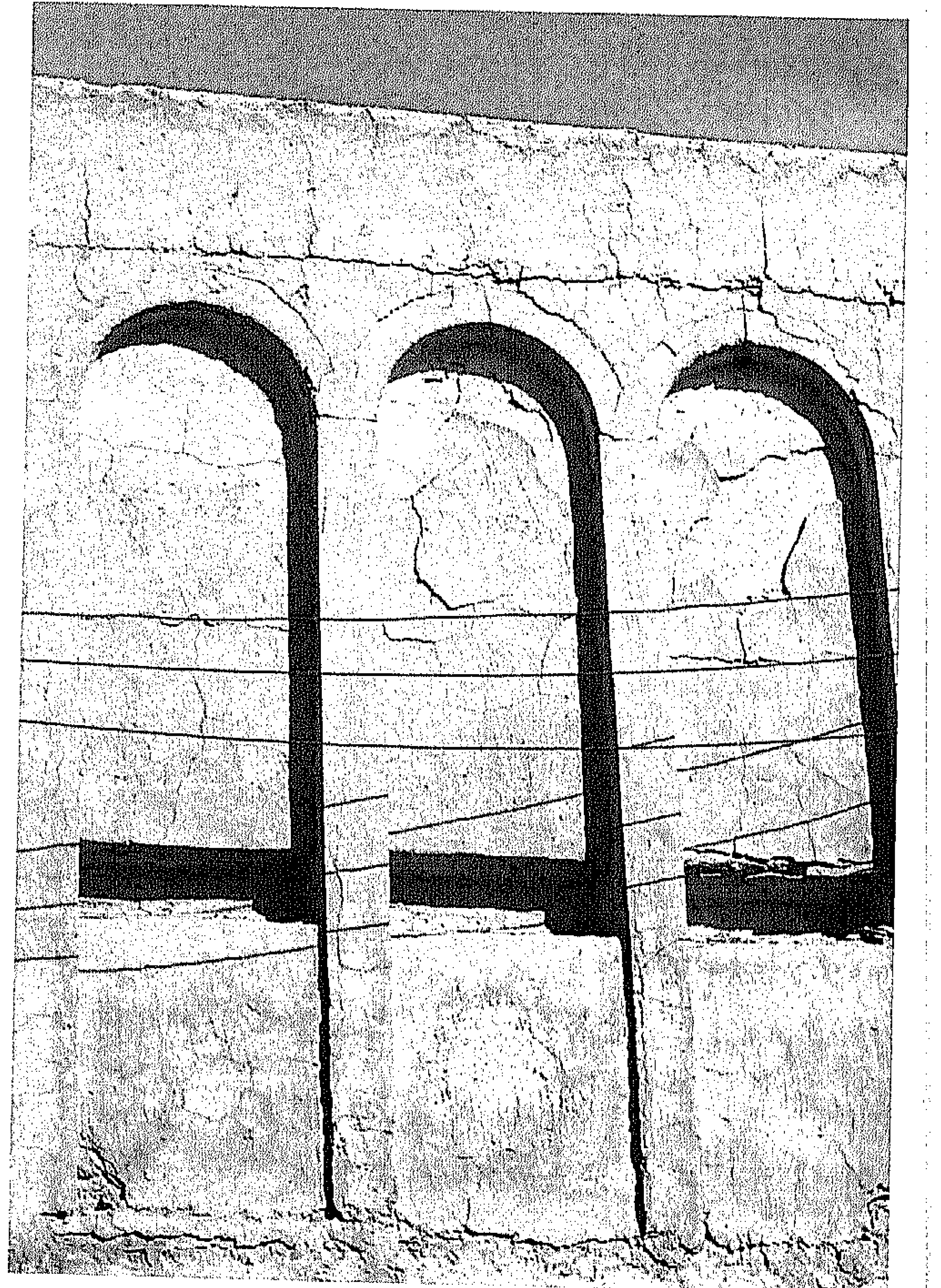


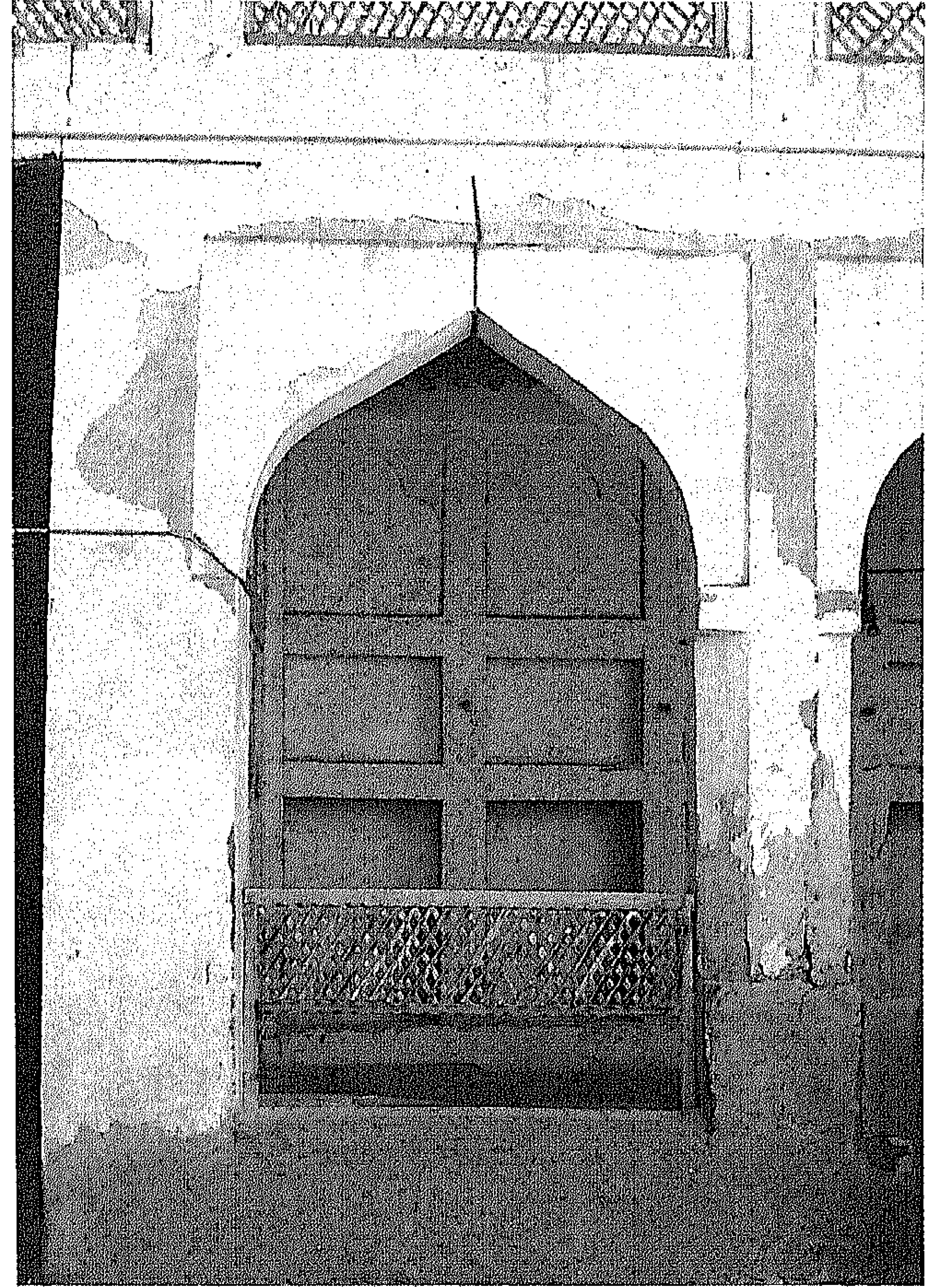
شكل رقم (240) صورة عقود الواجهة الخارجية ببيت الشيخ عبدالله بالمحرق



شكل رقم (241) صورة عقود دائرية بمساكن تقليدية في مدينة المحرق
شكل رقم (242) صورة عقود دائرية بمساكن تقليدية في مدينة المحرق
شكل رقم (243) صورة عقود دائرية بمساكن تقليدية في مدينة المحرق







شكل رقم (244)صورة عقود مدببة بمساكن تقليدية في مدينة المحرق



شكل رقم (245)صورة عقود مدببة بمساكن تقليدية في مدينة المحرق

وإنتشر إستعمال العقود نسبياً في عمران مدينة المحرق للأسباب التالية :

(1) إرتباط العقود بالإيقاع كبعد أساسي من أبعاد قانون العمران للمجتمع المحلي ، سواء في حركة العقد التصاعدية أو في تكراره بشكل متواتر ومنتظم .

(2) ندرة أخشاب المنجروف المستوردة لأداء وظيفة الحمل والربط ، فإتجه الحرفي المحلي إلى إستعمال الجبس بتشكيل العقود بين الأعمدة ليحل محل الخشب كلما أمكن .

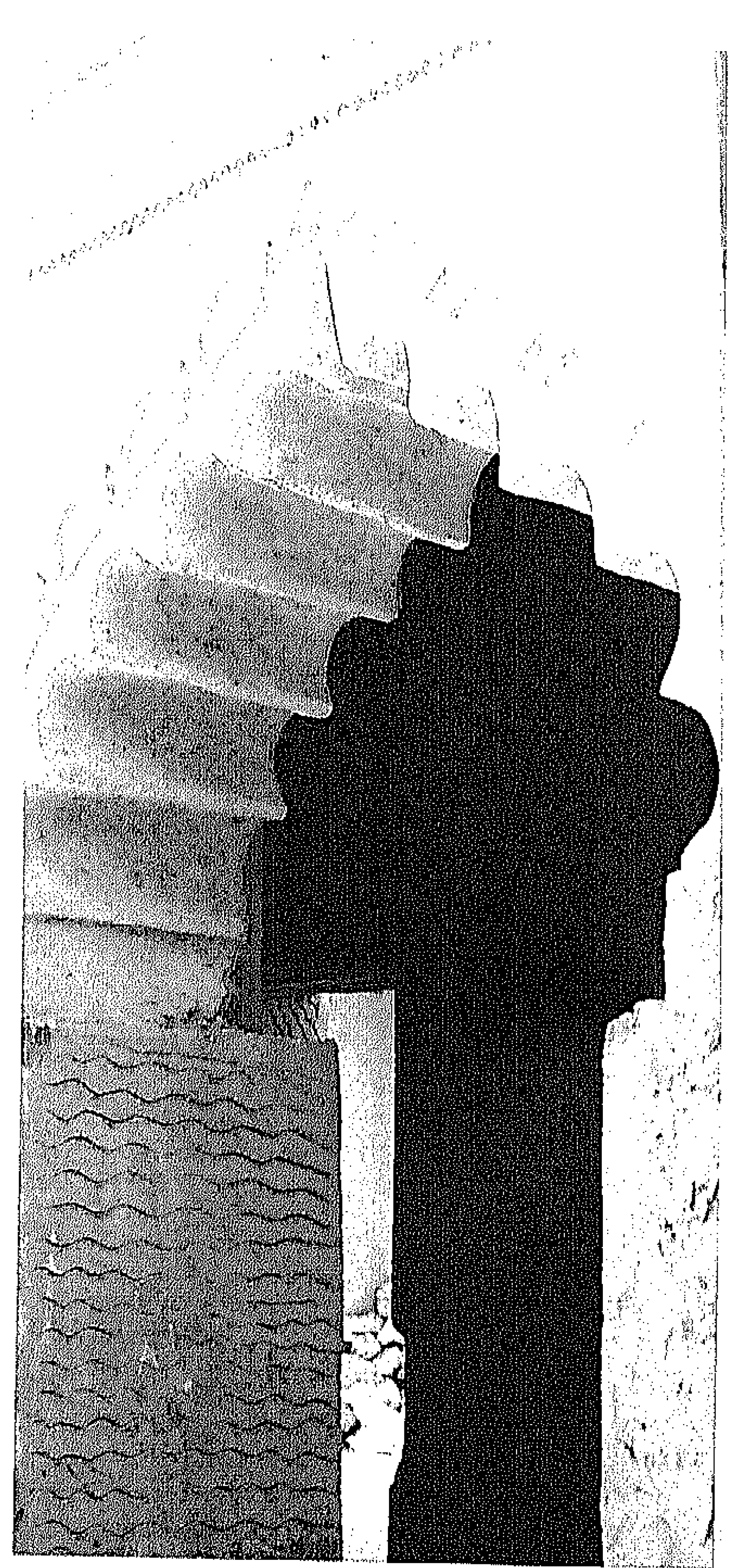
(3) جماليات الخط المنحنى المشكل للعقد وإنسيابه بما يحقق الراحة البصرية ، وفي نفس الوقت يعطي المرونة في تشكيل البحر بين الأعمدة على هيئة فتحات أبواب أو شبابيك ، أو على هيئة مسطح مصمت يعطى للجداريات أعماق متفاوتة تحقق موائمة مناخية للجو الحار من جهة أخرى .

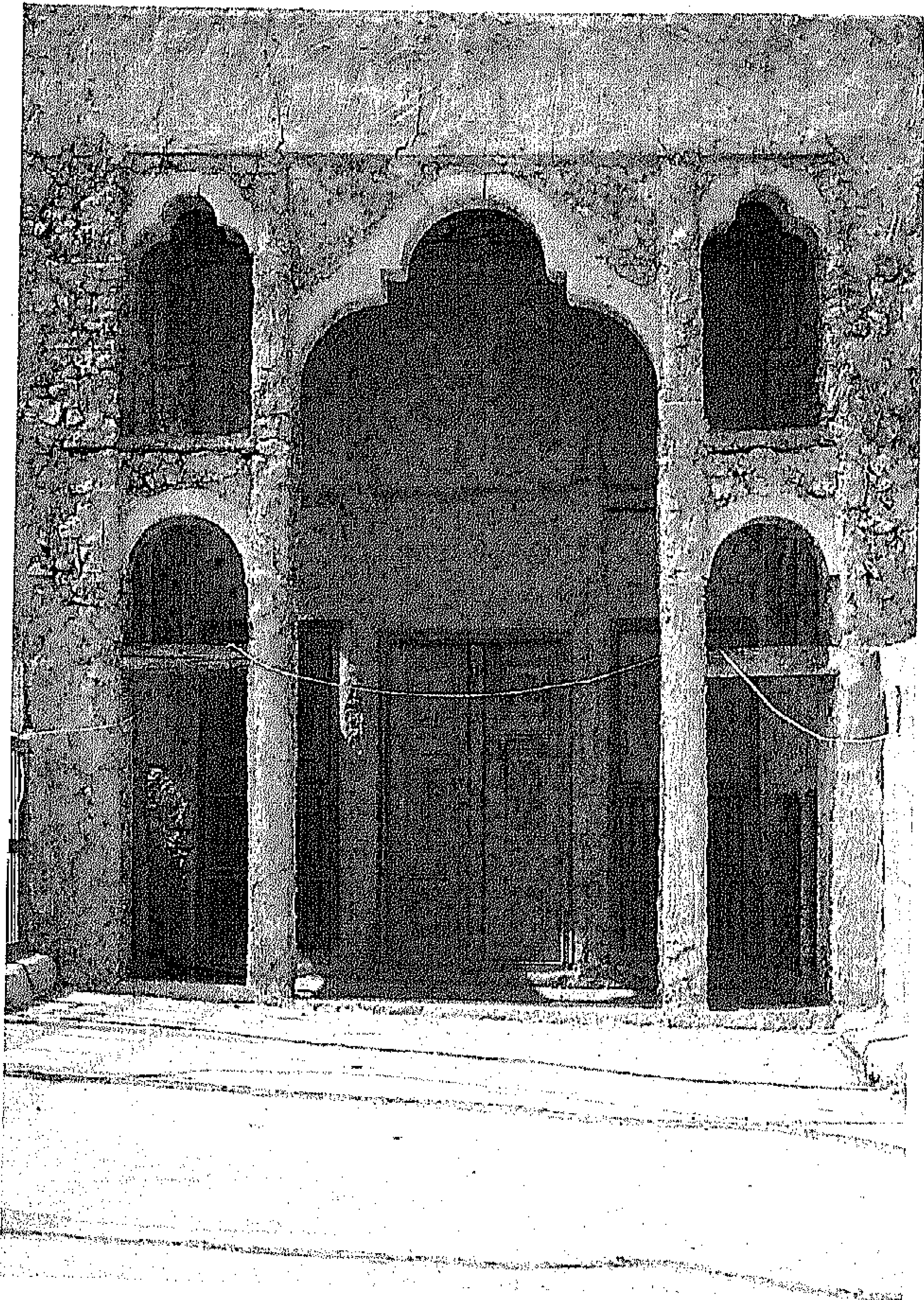
وبطبيعة الحال إن تحمل الخشب ومرونته أقوى من تحمل الجبس ومرونته ، ولكن صب الجبس في شكل عقود بين الأعمدة يرفع كفاءته الأدائية . . ولقد قام الحرفي ببناء العقود معتمداً على خاصية الجبس في سرعة التصلب ، فإستعمل قوالب خشبية يشكلها حسب التشكيل الهندسي المطلوب ويصب الجبس بداخلها وبعد التصلب يضعها بين الأعمدة .

وإستعملت العقود إما في تشكيلات متكررة أو بشكل منفرد وعموما لم يكن الحرفي مشدودا لإستعمال نمط واحد أو نموذج واحد في التشكيل المتواتر ، بل إنه إتجه إلى إستعمال أنماط مختلفة يحكمها أحياناً التماثل في ترتيبها ، وأحياناً أخرى لا يحكمها سوى التناغم التلقائي بين أنماط العقود . . وعموماً إستعمل الحرفي هنا العقود فى الفتحات الخارجية للشبابيك أو المداخل أو الأبواب الرئيسية أو الليوان الداخلي في الأحواش بالدور الأرضي أو الأدوار العلوية ، كما أنه قد إستعملها في الجداريات وتشكيل الوحدات الزخرفية الجبسية .









شكل رقم (246) صورة عقود بمساكن تقليدية في مدينة المحرق
شكل رقم (247) صورة عقود بمساكن تقليدية في مدينة المحرق
شكل رقم (248) صورة عقود بمساكن تقليدية في مدينة المحرق
شكل رقم (249) صورة عقود بمساكن تقليدية في مدينة المحرق

**المفردة الرابعة ـ الهوائيات :**

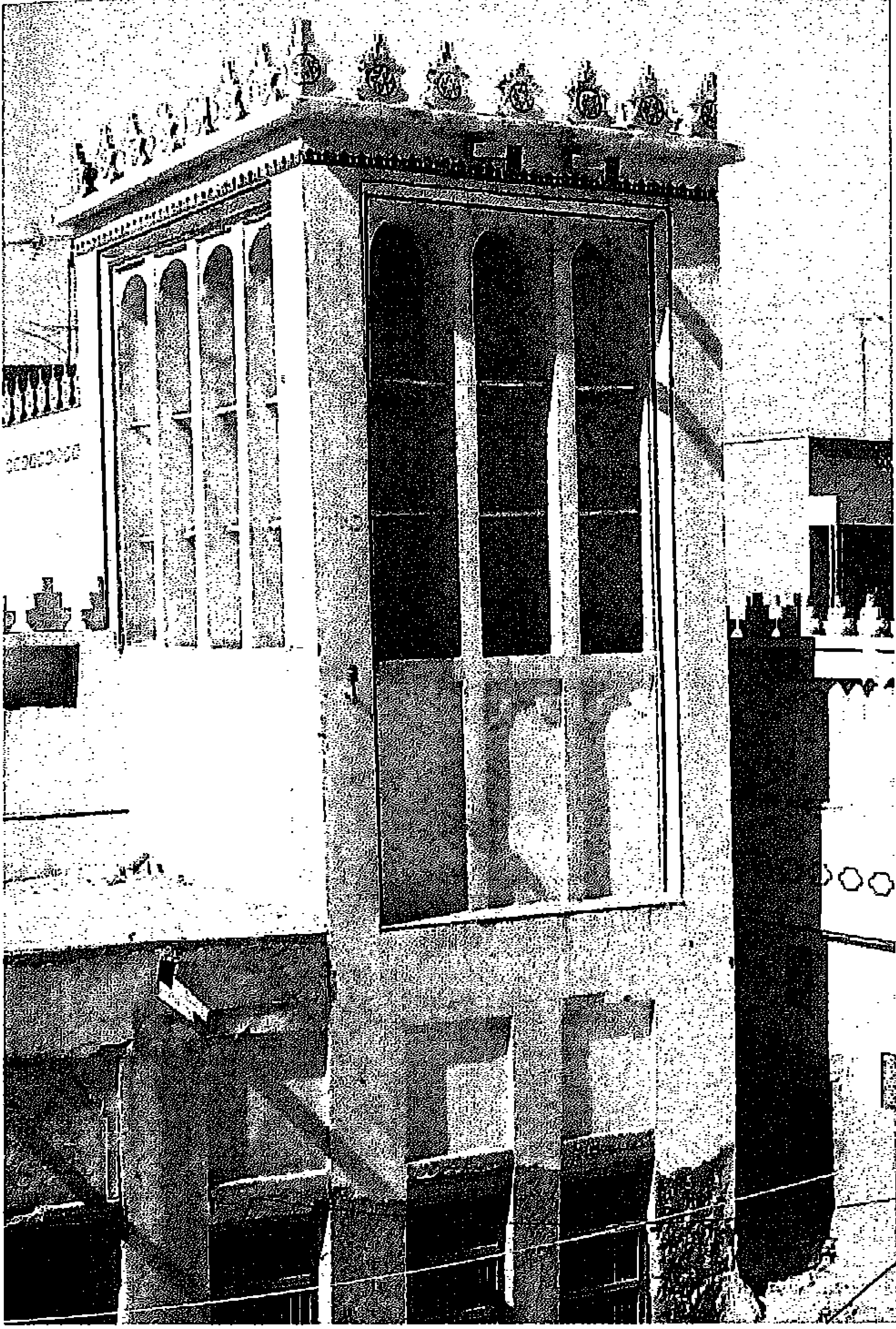
تشكل النسيج العمراني لمدينة المحرق بكثافة المباني والفراغات الضيقة التي صممت لتوفير الظل معظم أوقات النهار ، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا النوع من النسيج إلى إعاقة الدورة الطبيعية للرياح والحد من حركة الهواء داخل الطرقات ، الذي كان من نتيجته أن النسيم البارد يتجه إلى الإرتفاع إلى أعلى ماراً فوق أسطح المنازل ، دون أن تتحرك طبقات الهواء السفلية إلا إذا إستعملت معالجات خاصة لتغير من إتجاه حركة الريح ، وتجعل الهواء ينحرف إلى أسفل أو إلى الداخل ، ومن هنا كانت حتمية الهوائيات ضمن مفردات لغة العمران ، لتعيد التوازن المناخي للبيئة العمرانية نفسها . . وهي تقوم على الإستفادة من الضغوط الإيجابية والسلبية التي تقع على الكتلة البنائية عندما تتعرض للرياح ، وتعد الهوائيات أو مصائد الهواء مكملة مناخياً للحوش المركزي ، فإن كان الحوش هو الفراغ المعيشي المركزي لحياة الأسرة ، فهو أيضا وسيلة فعالة للتحكم في درجات الحرارة ، وتقوم الهوائيات مع الأحواش على تنشيط الحمل الطبيعي للحرارة والحصول على التبريد الناتج من فعل الهواء إلى الحد الأمثل ، بالإضافة إلى تحكمهما معاً في حركة الهواء لإنهما يعملان بفعل فوارق الضغط والحرارة بين الداخل والخارج : فعندما يكون الهواء الداخلي أبرد من الهواء الخارجي فإن ضغط الهواء الداخلي يحول دون دخول الهواء الخارجي عبر الهوائيات ، أما عندما يكون الهواء في الخارج أبرد من الهواء الموجود داخل الكتلة البنائية ، فإن الريح تتجه إلى الداخل من فتحات الهوائيات وتدفع الهواء الداخلي إلى الخارج ، وهكذا كان يتحكم طبيعياً في درجة الحرارة لتبقى ثابتة أو ضمن حدود الملائمة الإنسانية .

إنقسمت الهوائيات (مصائد الهواء) ضمن لغة العمران المحلية لمدينة المحرق إلى ثلاثة أنماط تبعاً للطريقة التي تعمل بها . .

| | |
|---|---|
| الهوائيات | أبراج الهواء . |
| | ملاقف الهواء الحائطية . |
| | دراوي ملاقف الهواء . |

**أولا ـ أبراج الهواء :**

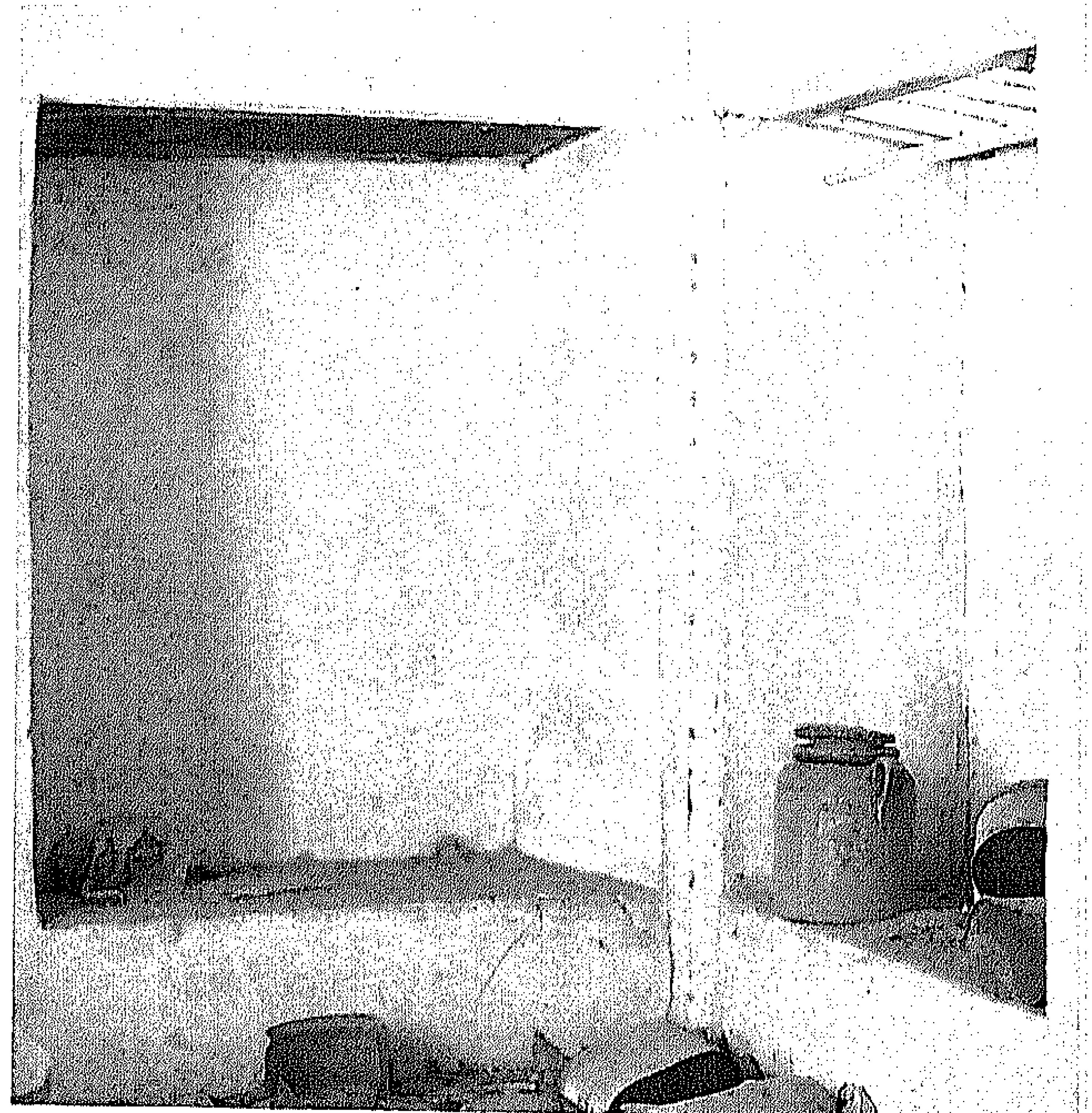
يتميز النمط التقليدي من أبراج الهواء ببرج مربع يرتفع فوق كتلة المبنى ، تحيط غالباً بجوانبه الأربعة عقود أو مصبعات ، وينقسم البرج من الداخل عادة إلى أربعة آبار تهوية رأسية ، وذلك بإستخدام حائطين متقاطعين غير متعامدين وتمتد آبار التهوية إلى أسفل على طول إرتفاع المبنى حتى تصل إلى سقف المجلس الذى يسحب منه الهواء الساخن غير النقي إلى الخارج عن طريق البئرين المعاكسين لإتجاه الريح ، بينما يندفع النسيم البارد من البئرين الآخرين المواجهين للريح في نفس الوقت . . وهناك طريقة أخرى أكثر فعالية وهى أن تمتد الآبار إلى مسافة أكثر داخل الحجرات لتصل فتحاتها إلى إرتفاع لا يزيد عن متر ونصف المتر من مستوى الأرض ، ويتم هذا عادة على الجدار الخلفي للفراغ أو في زاوية منه . . ولم ينتشر بكثرة إستعمال هذا النمط من الهوائيات في عمران مدينة المحرق .



شكل رقم (250) صورة برج هواء بمساكن مدينة المحرق

شكل رقم (251) صورة برج الهواء ببيت الشيخ عيسى بن علي بمدينة المحرق

شكل رقم (252) صورة تفصيلية لملاقف الهواء الحائطية



**ثانيا ـ ملاقف الهواء الحائطية :**

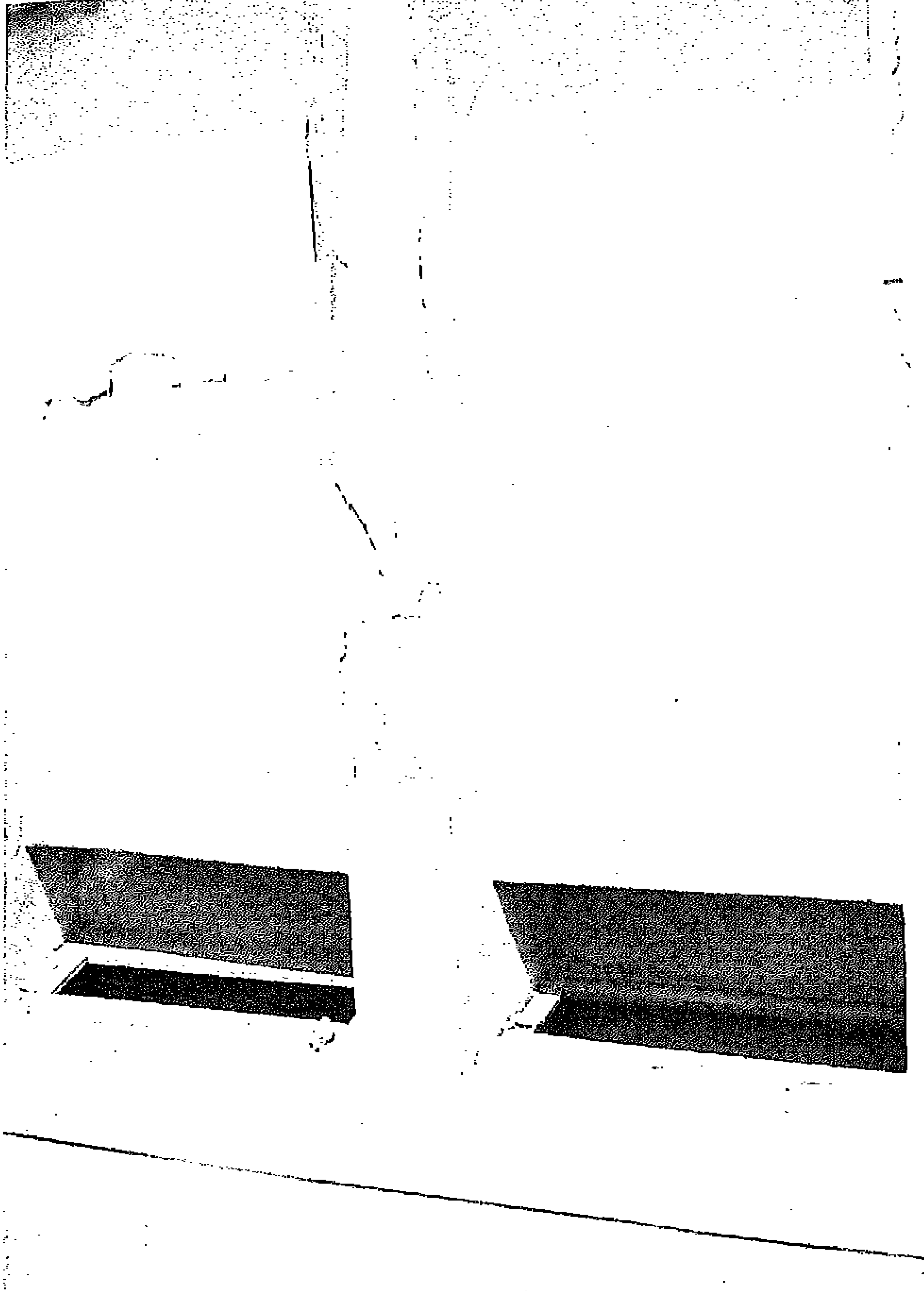
يشيع إستعمال هذا النمط في مدينة المحرق فنادراً ما تخلو منه كتلة بنائية ، وهو يعتمد على فكرة تأثير ضغط الريح على المساحة الكبيرة لحوائط الغرف ، وترى هذه الملاقف على شكل صف من الكوات المجوفة الأفقية التى تمتد عند منتصف إرتفاع الجدار الخارجي ويوجد في قاع كل كوة فتحة يغطيها في أغلب الأحيان مصراع يمكن التحكم في فتحه أو قفله من الداخل ، الفكرة هنا هى أن يتجمع الهواء ذو الضغط العالي الذي يمر على سطح الجدار الخارجي المواجه للريح داخل هذه الكوات ، ثم يندفع إلى داخل الفراغات المقفولة خلال الفتحات التي ترتفع حوالي متر فوق مستوى الأرض مسبباً بذلك حركة الهواء عند مستوى الجالسين وعلى الجدار الداخلي بتيار مستمر .

وتسمى هذه الملاقف في اللهجة المحلية باسم البادجير ، وهي تتكون ـ إنشائيا ـ من جدارين متباعدين بينهما فجوة عرضها 20-25سم ، وإرتفاع الجدار الأسفل حوالي 1,20 متروبينى أولا ، أما الجدار العلوي فيبدأ على مستوى منخفض عن قمة الجدار السفلي بالقدر الذي يضمن دخول تيار الهواء . لذلك فهو إما يستند على كمرات خشبية وإما يصنع من مادة مقواة على هيئة ألواح أو فروش بين الدعامات الرأسية الأساسية . . يؤدى البادجير ثلاث وظائف متميزة عن الفتحات العادية ـ الشبابيك ـ ونحدد هذه الوظائف كما يلي :

(1) إيجاد مساحة جدارية كبيرة معرضة للريح لتوجيه النسيم إلى داخل الكتل المبنية .

(2) السماح بدخول الهواء دون الشمس .

(3) تحقيق الخصوصية الكاملة .

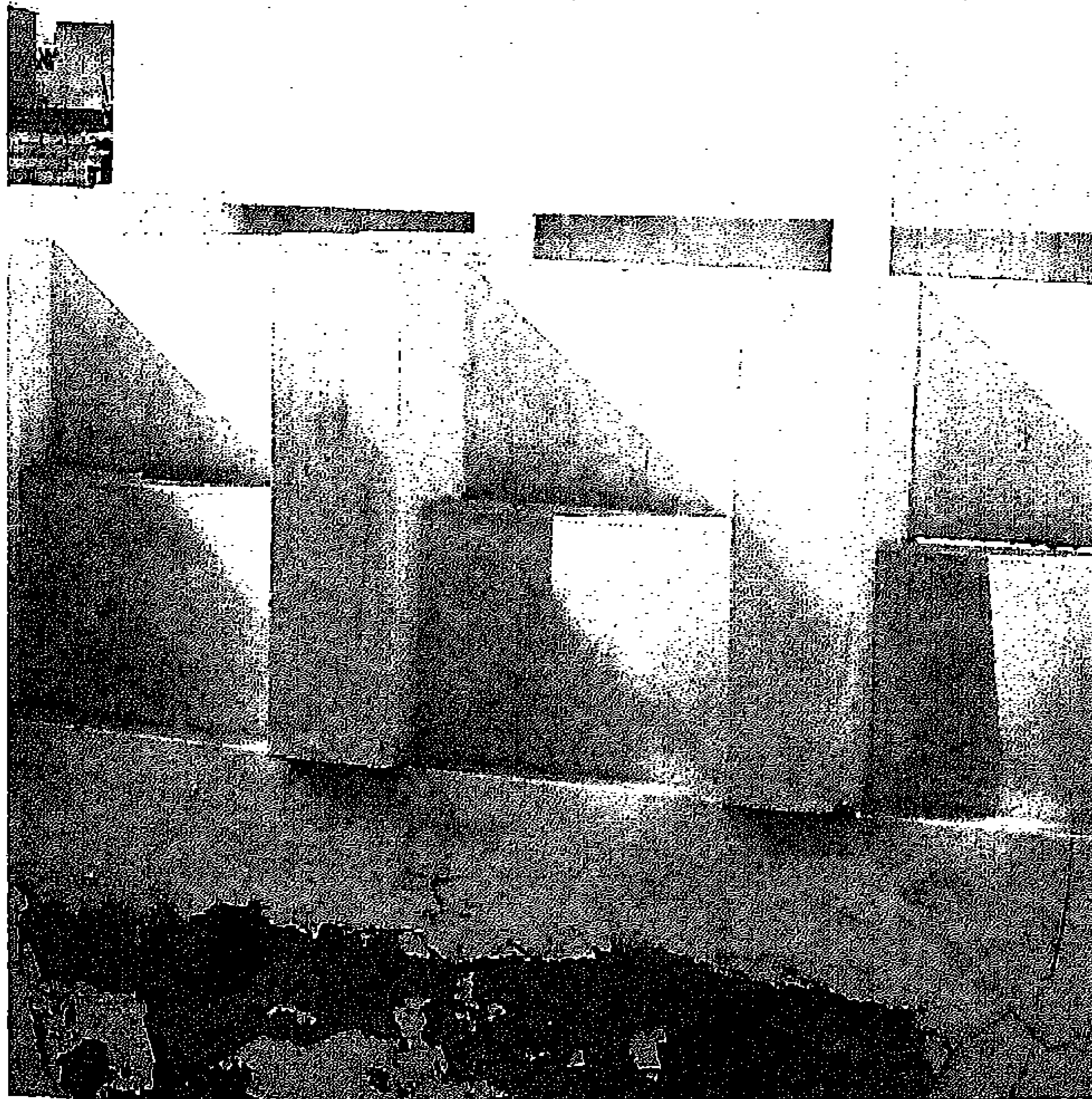


شكل رقم (253) صورة واجهة خارجية لبيت تقليدي تضم ملاقف الهواء الحائطية

### ثالثا ـ دراوي ملاقف الهواء :

يعتبر هذا النمط تحويراً للنمط السابق من البادجير ، حيث تتكون دروة السطح من جدارين رأسيين يحصران بينهما كوات ، المسطح الأمامي أو الخارجي هو الجدار السفلي للدروة ، أما الجدار العلوي فيرتد إلى الوراء جهة السطح تاركاً الفجوة . . وهو كالنمط السابق يستند إما على كمرات خشبية أو يصنع من ألواح معلقة بين الدعامات ، ويكمل تركيب الوحدة عادة أفريز أفقي ، ويتضح من المظهر الخارجي لهذه الدروة إنها تعمل بنفس طريقة ملاقف الهواء الحائطية تماما . . وهكذا يوفر هذا النمط من الدراوي حماية للحرية الشخصية والخصوصية للنائمين وراءها أكثر من الدراوي المفتوحة التقليدية الأخرى ، ولكن بدون أن تعيق حركة الهواء في الفراغات الممتدة (الأسطح) . .

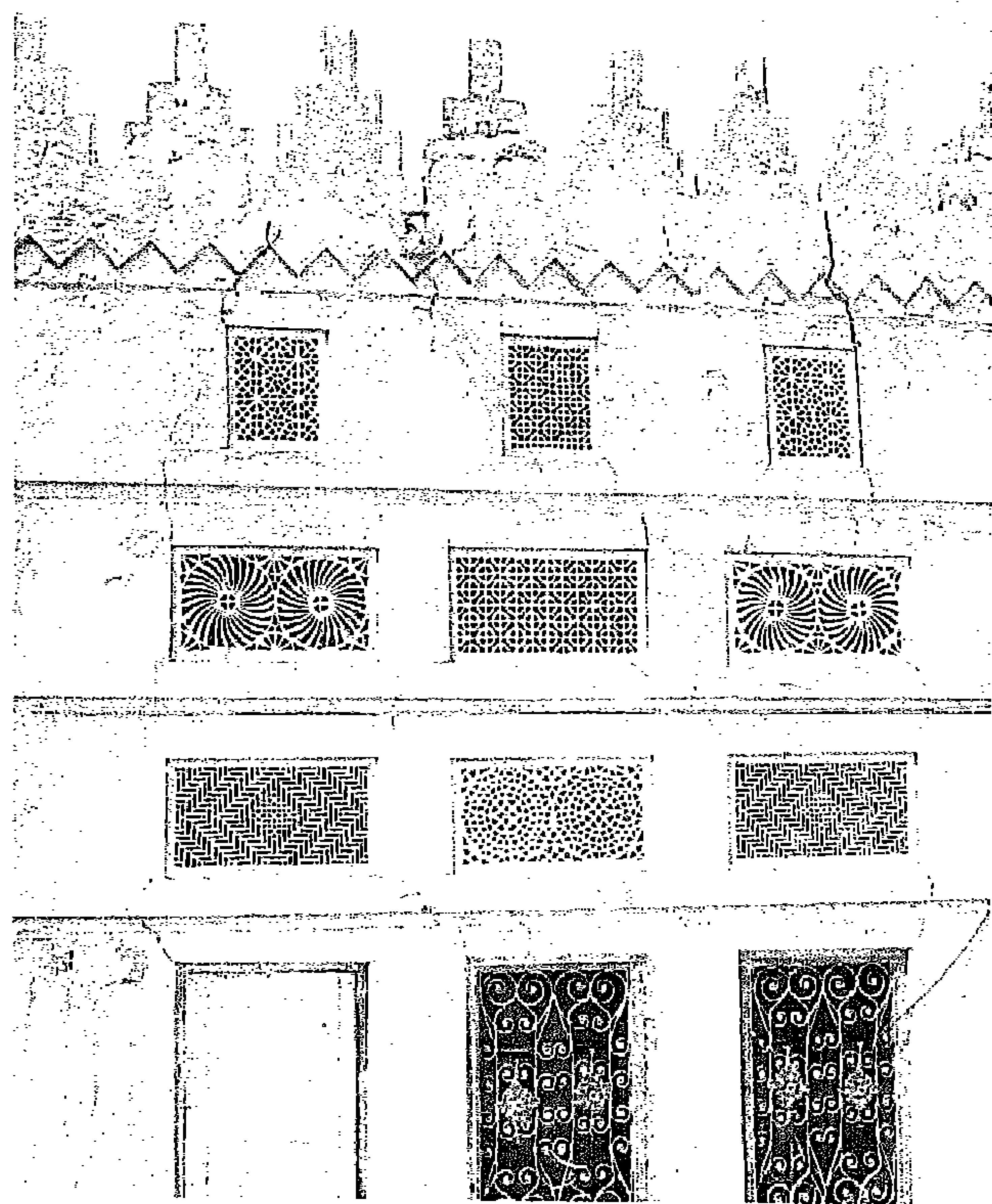
شكل رقم (254) صورة لدراوي ملاقف الهواء التقليدية



## المفردة الأولى ـ الجداريات :

عموما ليست الزخارف مجرد ملء الفراغات بهيئات جميلة ومتناسقة لتستريح لها العين وحسب ، لكن الزخرفة لغة رمزية يقرأها الإنسان ويجد فيها روح الفراغ موجزة ، هذا بالإضافة الى حاجة الإنسان وجمالياته . . وإستعمال العناصر الزخرفية مشروطا بالوضع الإقتصادي والإجتماعي للمستعملين ، وتختلف المواد المستعملة للزخارف حسب البيئات المحلية المختلفة ، وتميزت منطقة الخليج عموما والبحرين والمحرق خاصة بالزخارف الجبسية فهي من أغني المناطق ومن أكثر الأماكن ثراءاً ، من حيث كثرة التصاميم وتنوعها . . وتأثرت الزخارف الجبسية للبيئة المحلية في البحرين بشكل خاص بالزخارف الحصيرية أو النسيجية المستقاة من زخارف الآجر العراقية القديمة ، ولكن التطور الذى نشأ في فن النقش جعل للزخارف الحصيرية نمطاً خاصاً (لا يمكن ربطه بالزخارف الآجرية القديمة) إلا من باب التصميم الشكلي .

إن الزخارف الجبسية بأنماطها وتصميماتها كغيرها من الجداريات في البيئات الأخرى ، أدت دورا ووظيفة وجدانية كما كان لها معانيها الرمزية ودلالاتها التى فقدها العمران في رحلته التطورية ، ولم يحتفظ منها إلا بالشكل والرموز نفسها . . ويطلق نقاشو الجبس تسميات للزخارف قد تتشابه مع مسميات الزخارف على الخزف أو مسميات زخارف الحفر على الخشب ، وعادة كانت المسميات مستقاة من البيئة المباشرة المحيطة بالحرفي ونحدد بعض هذه المسميات والتى تم رصدها في عمران مدينة المحرق وعناصرها المختلفة ، ومن هذه[1] :



شكل رقم (255) صورة جداريات بواجهة سكن تقليدي بمدينة المحرق

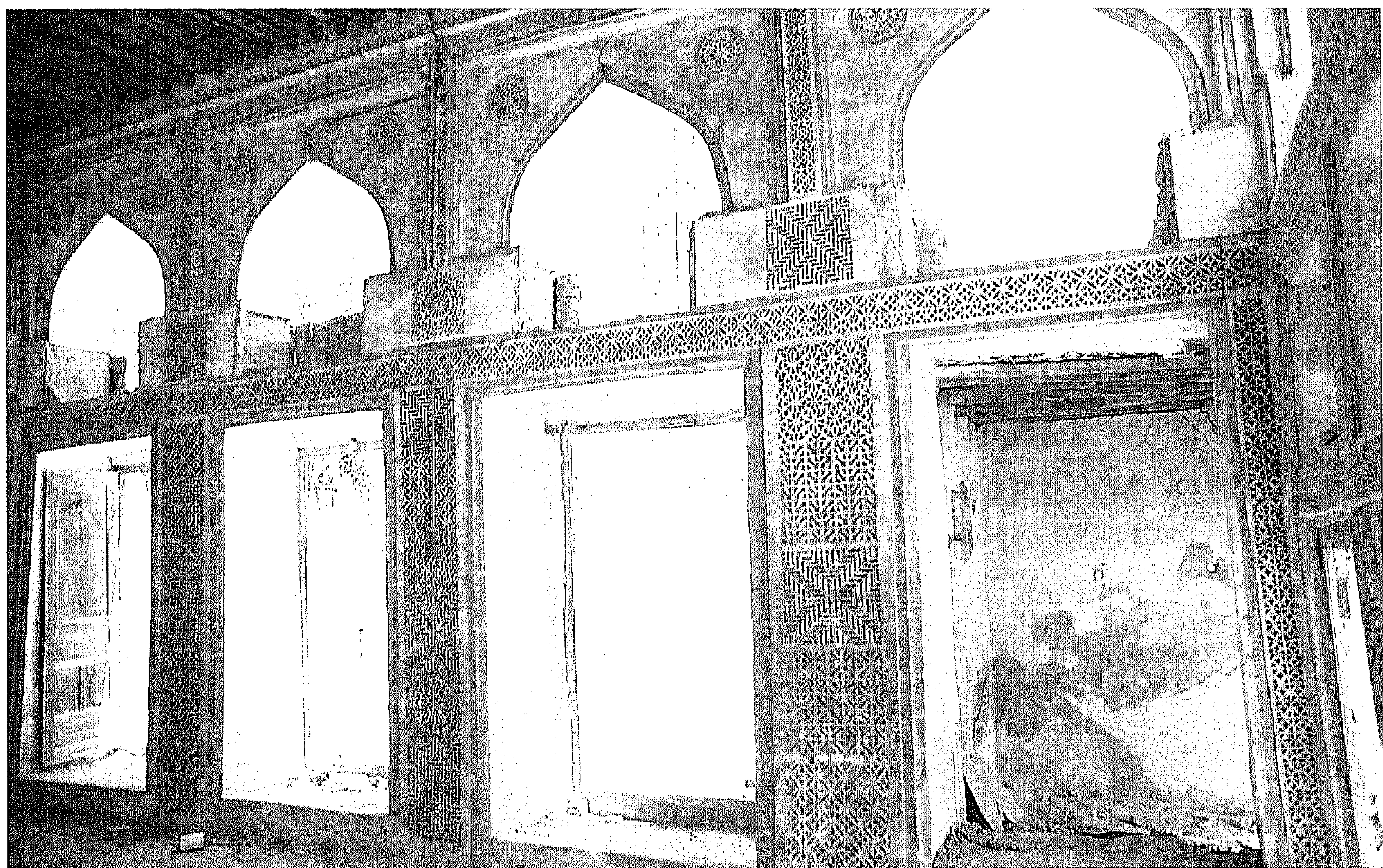
* بيذانه مشبكة
* مقابس
* موزة
* نصف شجرى
* وردة مفلولة
* الوردة
* بيذانه
* شجرى
* سلسلة مفلولة
* شجرى رأس الرمح
* مثلوثة
* كمــــر
* أصابع العروس
* بيذانه مقسمة
* سلسلة
* بيذانه مربعة

(1) الزخارف الجبسية ص95 — 100

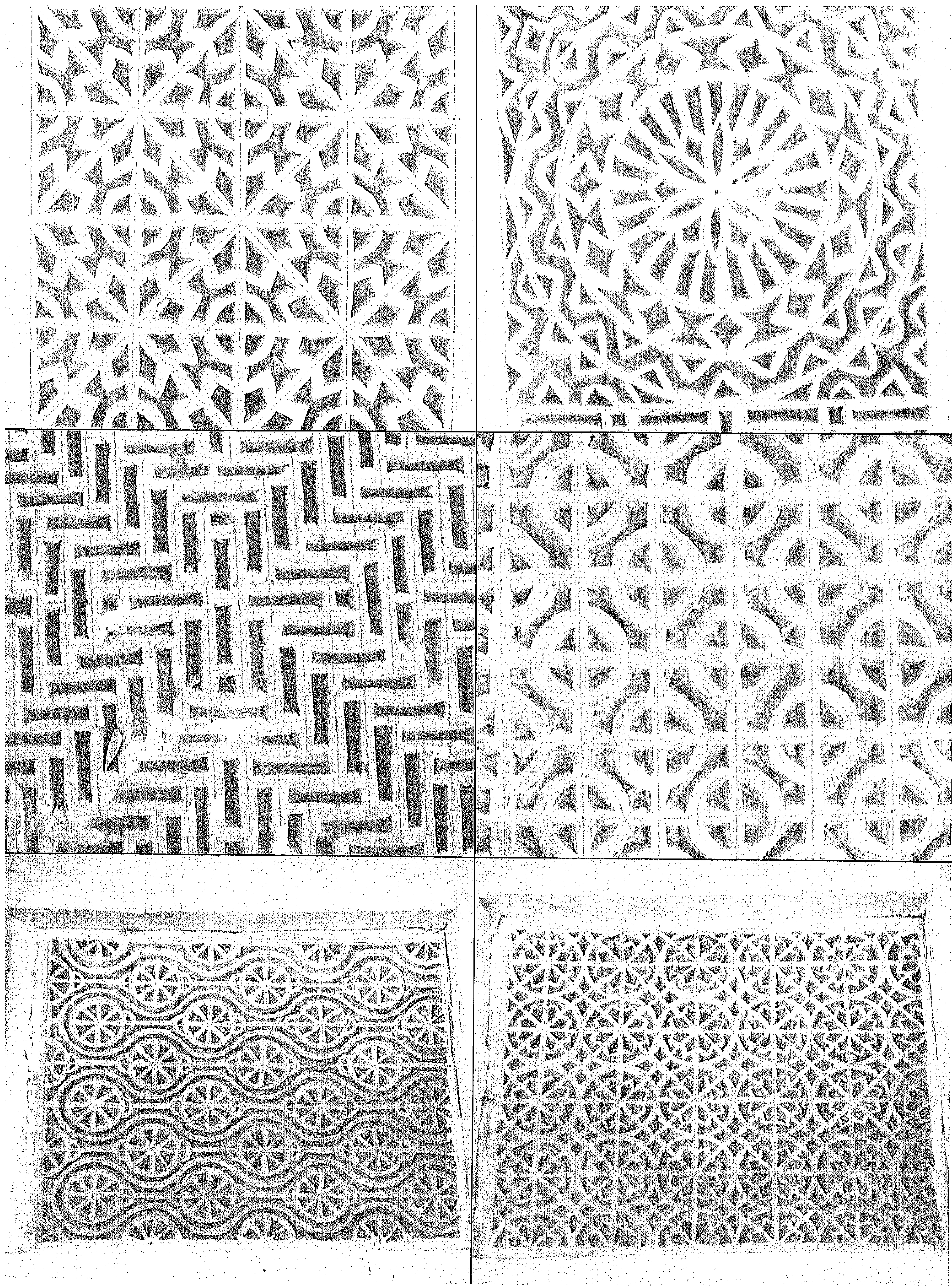
يمكن تقسيم الزخارف الجبسية من حيث النمط التصميمي إلى زخارف هندسية وزخارف نباتية .. أما الزخارف الهندسية فهي تمثل النمط الغالب لمدينة المحرق والبحرين عامة ، وتعتمد على الحركة المنتظمة للخطوط سواء الخطوط المستقيمة أو المنحنية ، ويحكم تواتر الحركة نفس أبعاد القانون العمراني الأساسي للغة العمران المحلية ، وتتوجه إبداعية الحرفي في تركيب هذه التنويعات المختلفة من الأنماط إلي شكلين أساسيين هما : المربع والدائرة .. أما الزخارف النباتية ، والتي تعتمد على العناصر النباتية وحركتها المتحررة من النظام الهندسي الثابت ، فهي تظهر بشكل محدود في بعض العناصر العمرانية وتستعمل غالباً في العقود [1] .. وهكذا ، يمكن تصنيف الجدريات - الزخارف الجبسية - إلي نمطين :

جداريات ← زخارف هندسية / زخارف نباتية


شكل رقم (256) صورة تفصيلية لزخارف نباتية بجداريات مساكن مدينة المحرق


شكل رقم (257) صورة جداريات زخارف هندسية ببيت الشيخ حمد بن عيسى (مدينة المحرق)

(1) ترجع محدودية إستعمال الزخارف النباتية إلى إرتباط رمزية هذه الزخارف بالقيم الصوفية ، فأشكال النباتات المنحنية والمتحررة من كل الإتجاهات في حركة لولوبية دائرية الى أن تستقر في مكان لتستريح ، تتشابه مع ما يسمى بالقتلة في الطريقة الصوفية وهي الدوران حول النفس بغية الوصول إلى الحقيقة المطلقة .. ونظراً لبعض التحفظات العقائدية على التصوف وعقائده في البيئة المحلية من الطائفتين السنية والشيعية بشكل أو بآخر .. فيعتقد عدم إنتشار تلك الأنماط من الزخارف البنائية بخطوطها المتحررة لهذا السبب .. !!



شكل رقم (258) ـ شكل رقم (263) صورة نماذج جداريات لمساكن تقليدية بالمحرق

يصعب حصر التنوعات والأنماط المستعملة للجداريات كمفردة للغة العمران بالمحرق ، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على غنى هذه المفردة ، والإمكانية الإبداعية المتاحة للتصميم المتطور دائماً مع الإلتزام الكامل بالقاعدة أو القانون العمراني للغة . . وبالرغم من التعقيد أو الصعوبة التي تبدو فيها تشكيل هذه التنوعات الزخرفية ، إلا أن تصميمها بما يعتمد على عناصر أساسية [المربع أو الدائرة] يسهل تشكيله ورسمه ، فإنه بقدر جماليات الزخارف بقدر بساطة تقنية حرفية تنفيذها :

(1) يستخدم الحرفي مسطرة لعمل الإطار الذي يحدد أبعاد مسطح الزخرفة ويحاول بقدر الإمكان أن تكون خطوطه مستقيمة وزواياه قائمة ، ويستخدم في ذلك القائم ـ ويكون الإطار غالباً مستطيل وأحياناً مربع ، ونادراً دائرة . .

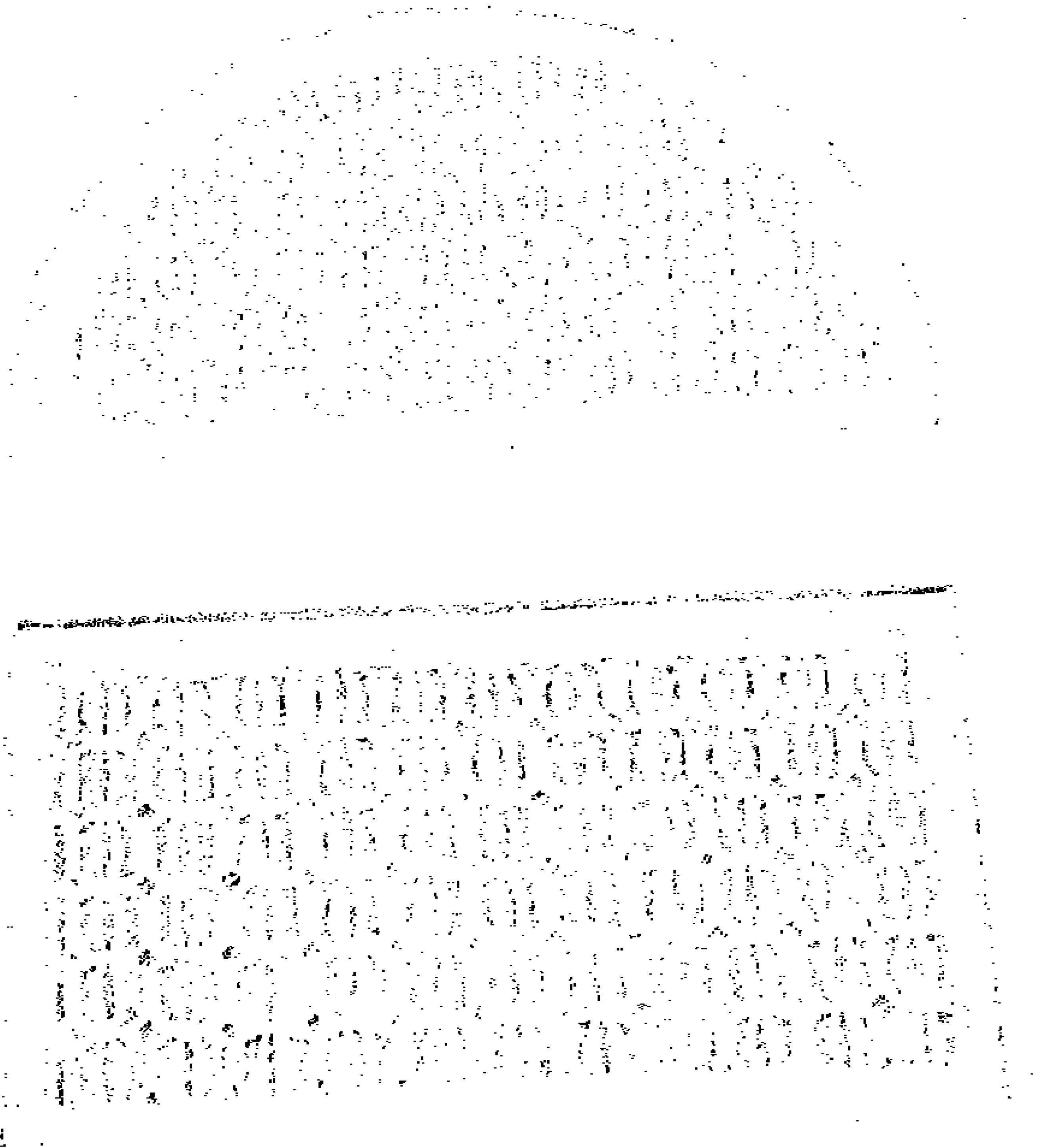
(2) بعد التأكد من الإطار وزواياه يقوم بتقسيم المسطح المستطيل إلى أجزاء متساوية في الإتجاهين بواسطة الفرجار .

(3) يقوم الحرفي بعد ذلك بتوصيل خطوط العرض والطول ، وبذلك يتحول المسطح المستطيل إلى شبكة من المربعات . .

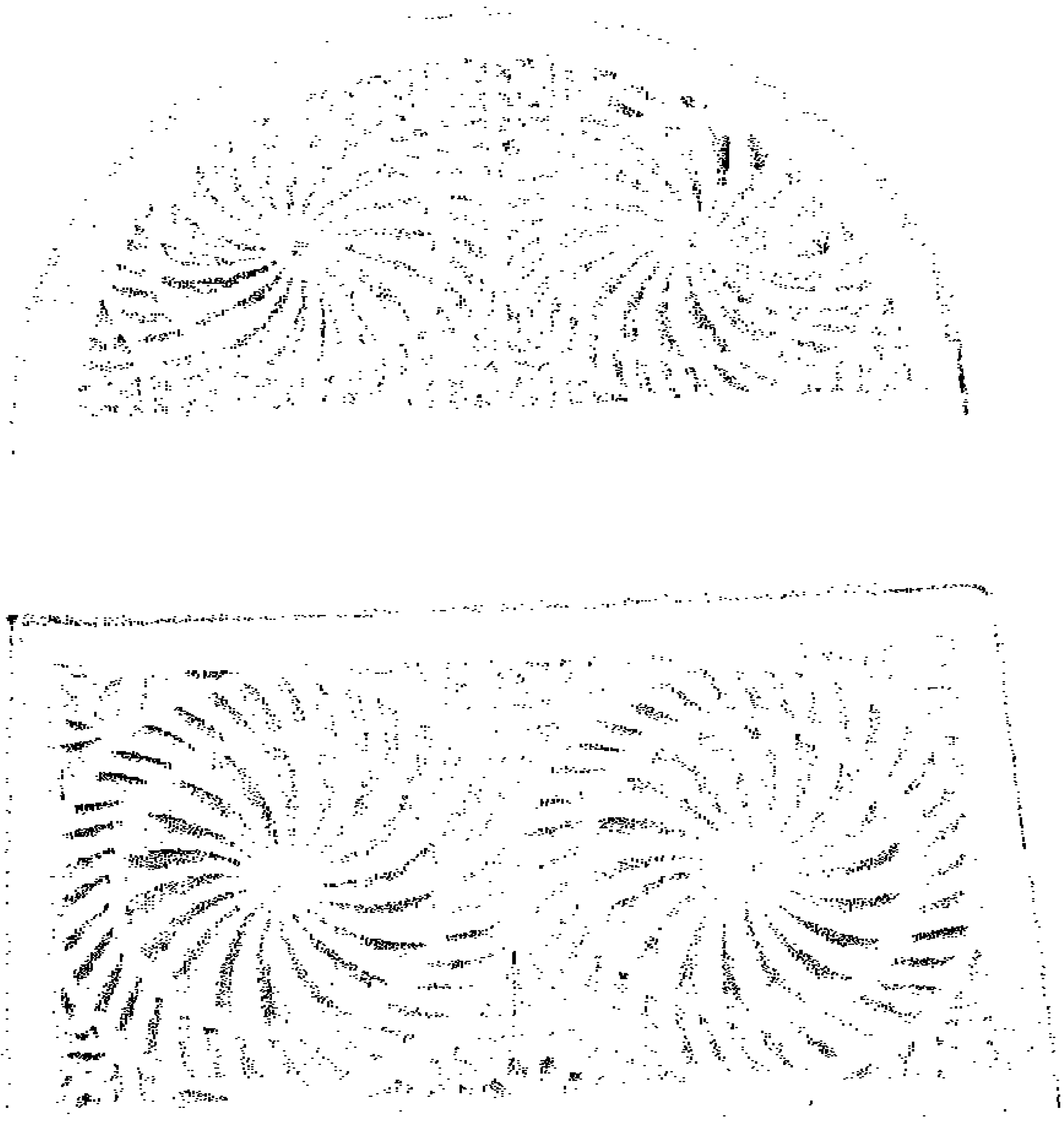
(4) بعد هذا وبواسطة الفرجار نفسه والمسطرة يضع الحرفي التصميم المراد تنفيذه وسط شبكة الخطوط .

(5) يستخدم الحرفي السكينه للحفر في الزخرفة ، ونظراً لأن الجبس يتصلب بسرعة ، فقد قام الحرفي بإضافة مادة النورة (مادة بيضاء تستخدم للصبغ الجداري ـ جير) فتطول بذلك مدة بقاء الجبس بدون تصلب إلى عدة أيام ، ويكون طول المدة حسب كمية النورة ـ المخلوطة في الجبس ، إلا أن هذه المادة ـ النورة تجعل الجبس أقل صلابة حتى بعد أن تجف الزخارف .

أخيرا ، فإن إستعمال الجبس في الجداريات كعنصر زخرفي توصل إليه الحرفي المحلي بعد أن أدرك وظيفته المؤثرة نسبيا في تلطيف الجو نهاراً إذ أن أهم خاصية يتمتع بها الجبس هي حساسيته الشديدة للرطوبة وقدرته الفائقة على إمتصاص كميات كبيرة منها وعند تعرض الجبس للحرارة في الجو الجاف فإنه يفقد الرطوبة المخزونة ، والناتج عن تلك العملية هو إنخفاض في درجة حرارة أسطح الجبس والهواء



شكل رقم (264) صورة نماذج جداريات لمساكن تقليدية بالمحرق
شكل رقم (265) صورة نماذج جداريات لمساكن تقليدية بالمحرق



الملامس لها ، وبالتالي إنخفاض درجة حرارة المكان الذي يشغله الجبس دون الحاجة إلى أية وسيلة خارجية ، ويعتبر إرتفاع درجة حرارة الجو نهاراً ضروريا ليس فقط لمساعدة الجبس في القيام بوظيفة تلطيف الجو ، وإنما كذلك ليظل الجبس قويا متماسكا أطول مدة زمنية ممكنة ، إذ أن العدو الأول للجبس هو الماء ، بينما الشمس أو الحرارة هي صديقته الأولى ، لذا قال البناؤون الأوائل : الجبس للشمس والأسمنت للماء . . وهذه الخاصية في طبيعة الجبس قد منعت الحرفيين من طلاء الجبس بأي مادة ملونة أو مزينة وذلك لأنهم عرفوا أن سوء إستعمال الجبس يجعله عاجزاً عن أداء مهمته .



شكل رقم (266) صورة الحرفي ومراحل تنفيذ الزخارف الجصية

الجبس . . أو الجص يمكن تعريفه علميا بأنه ناتج من الفصل الجزئي للماء عن الحجر الجيري ، وتحليله إلى شكل مفكك الجزيئيات «بودرة» وذلك عن طريق الحرارة التى تصل إلى حوالى 190 درجة مئوية ، والجبس ناتج عن طريق حرق الحجر الجيري النقي ، ولا يتم إضافة أية مواد إليه قبل أو بعد التسخين ، إن خامة الجير لم تنتشر في مدينة المحرق فكان سكان المدينة يذهبون إلى شبه جزيرة قطر للحصول على حاجتهم من الجبس ، حيث كانوا يحمّلون سفنهم الشراعية من البحرين بالتمر والخضرة ويأخذونها إلى قرى فويرط والمفجر في شمال قطر فيستبدلونها بصخور الجير غير المحروقة . . ولعل وجود الجبس بكثرة جعل منه مادة أساسية للجداريات ولعملية البناء عموما ، وكان العائق الوحيد الذى يقف دون إستعماله ـ أحيانا ـ ندرة وغلاء مواد الوقود التى تستخدم في حرقه وتصنيعه.

**المفردة الثانية ـ الحمائم :**

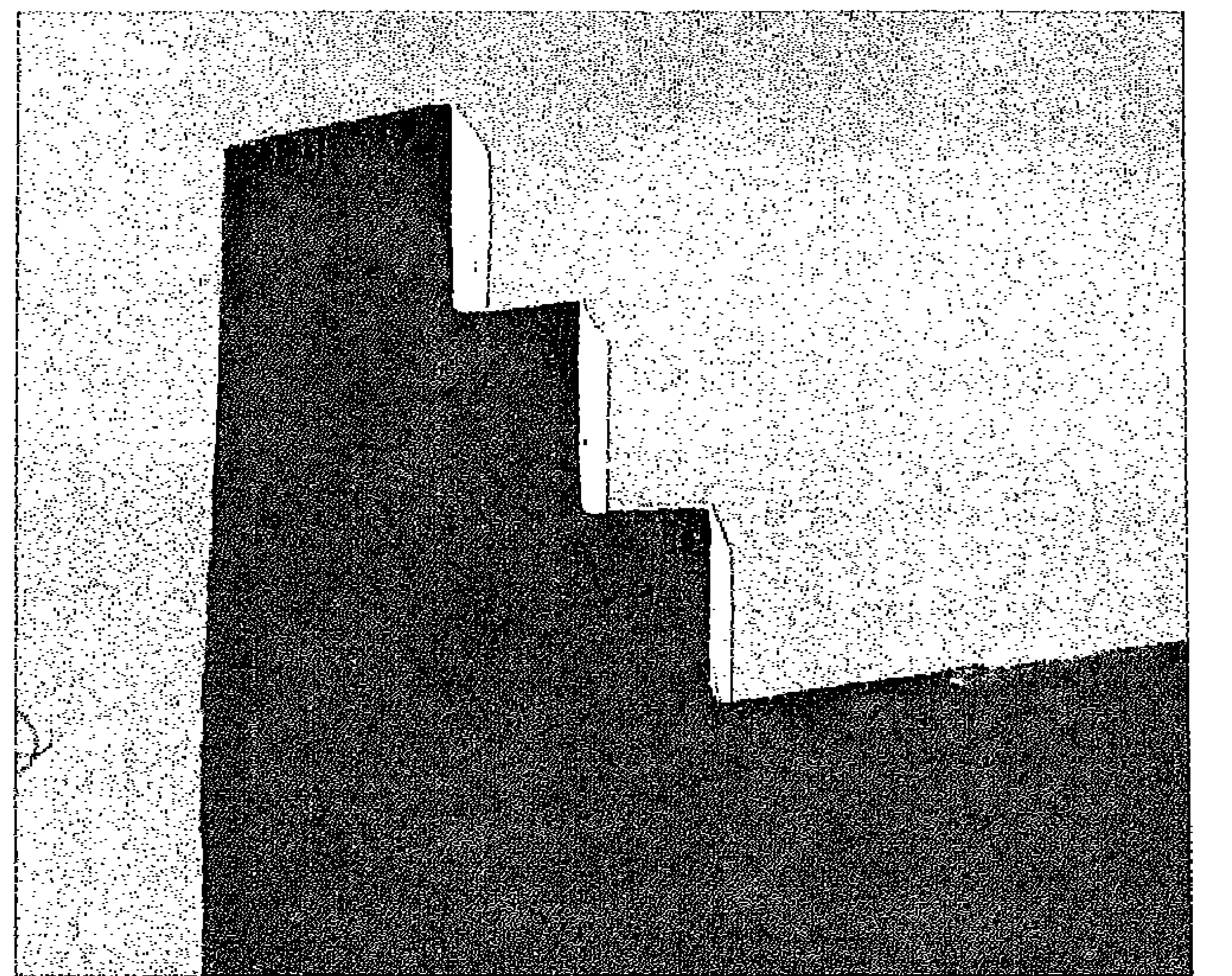
إن تقابل كتلة البناء المحدودة بالفراغ اللامتناهي والمتعارف عليه بخط السماء ، دائما يأخذ أهميته الخاصة في البناء التقليدي ، حيث كانت هذه العلاقة بين الكتلة البنائية والسماء علاقة متداخلة ، وبالتالي كان دائما خط السماء هنا يعبر عن هذا التكامل والتداخل ، إما بشكل مستمر بطول الواجهات أو بشكل محدود في أركان الكتلة البنائية كدعامات تشكيلية للعلاقة بين هذه الكتلة وبين السماء . . وظهرت هذه العلاقة كمفردة في لغة العمران المحلية بنمطيها المستمر والمحدود ، وعرفت هذه الوحدات التشكيلية في اللهجة المحلي بإسم الحمائم وهي على نمطين هما :

الحمائم
- نمط الوحدات المستمرة
- نمط الوحدات الركنية المحدودة .

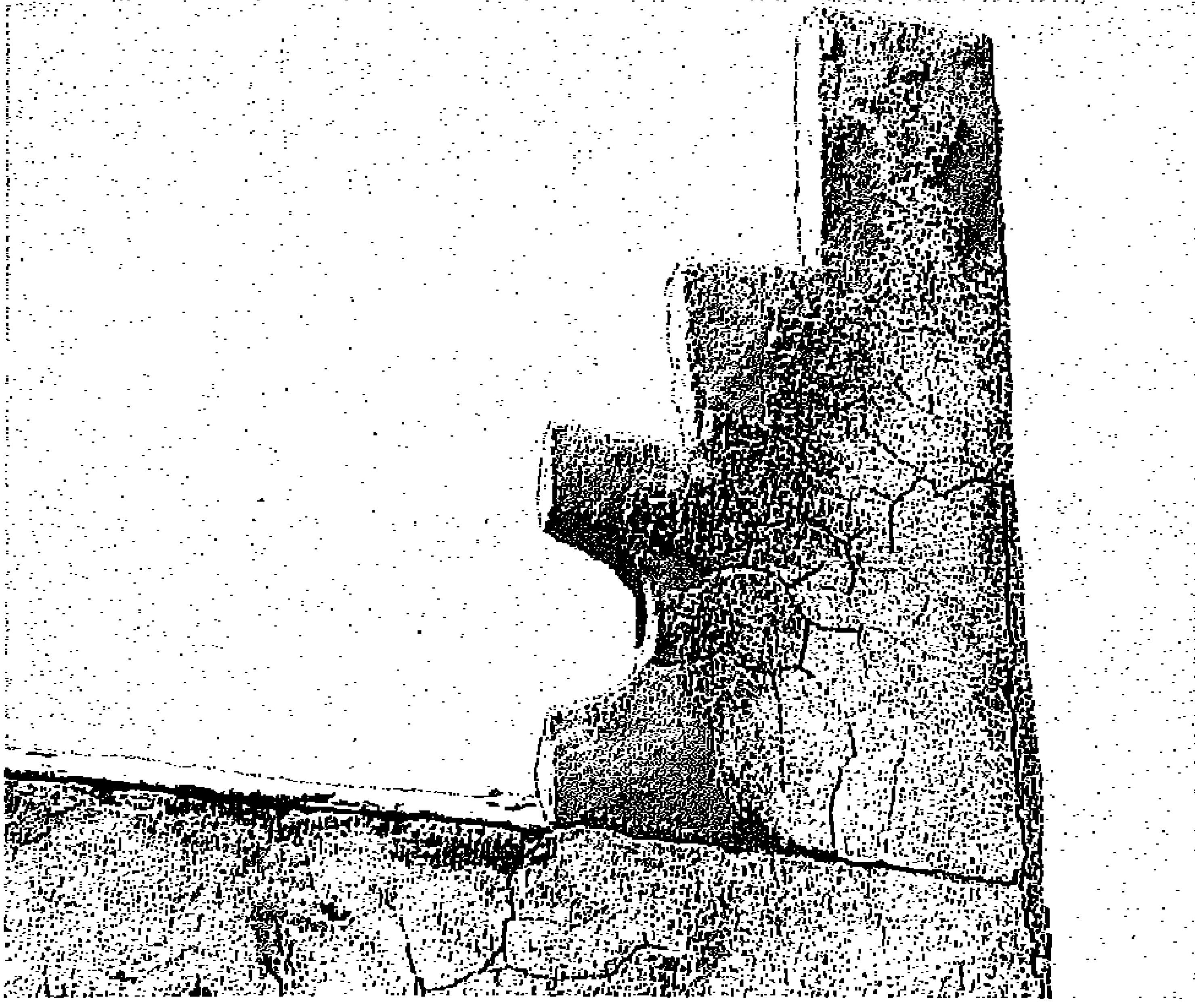
ويكثر إستعمال النمط الثاني ـ الوحدات الركنية ـ في عمران مدينة المحرق ، وهو عبارة عن وحدات زخرفية مزدوجة في أركان كتلة البناء ، إيجازاً للإستطراد في التركيب المتواتر للوحدة ، وتحقيقاً للعلاقة المرنة المطلوبة بين الكتلة والسماء . . ولقد عرفت اللغة المحلية للعمران تشكيلات كثيرة ونماذجاً متعددة تم حصر منها حوالى 18 نموذجاً يمكن تصنيفها إلى أربعة مجموعات عامة حسب طبيعة تصميمها وتشكيلها الهندسى كما يلي :

(1) حمائم بسيطة .  (3) حمائم عربية .

(2) حمائم مركبة .  (4) حمائم عجمية .



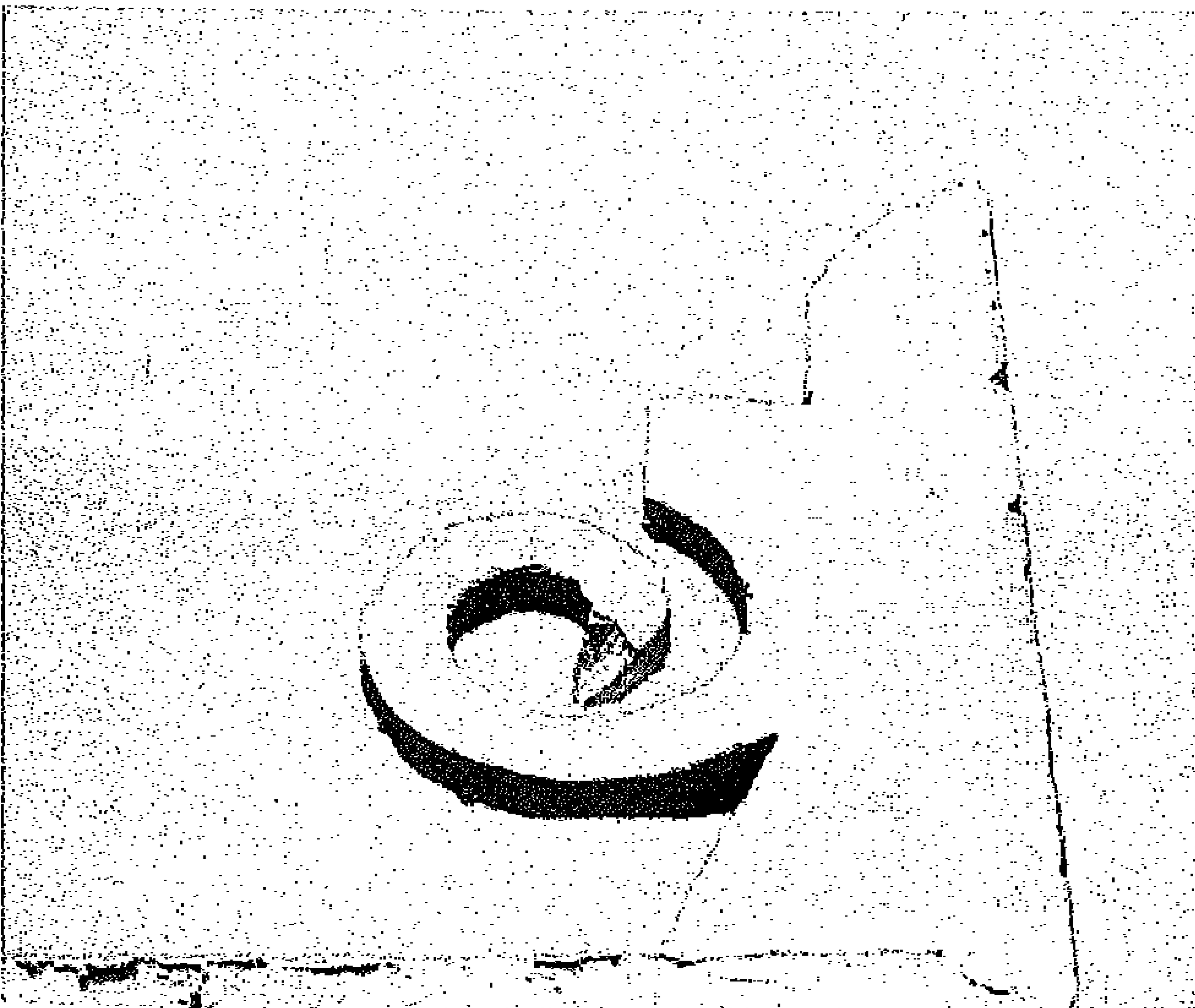
شكل رقم (267) صورة لنموذج حمائم بسيطة



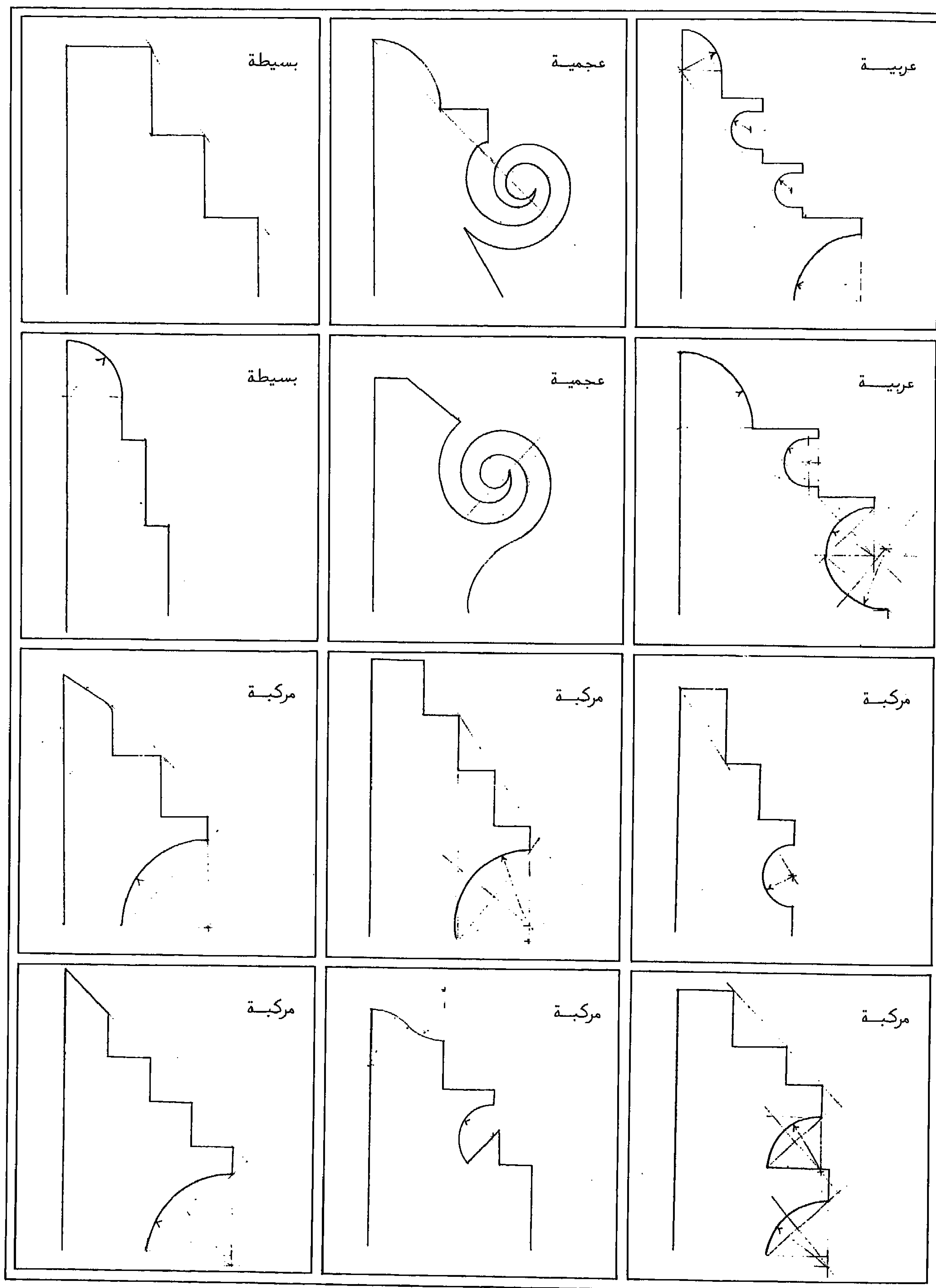
شكل رقم (268) صورة لنموذج حمائم مركبة



شكل رقم (269) صورة لنموذج حمائم عربية

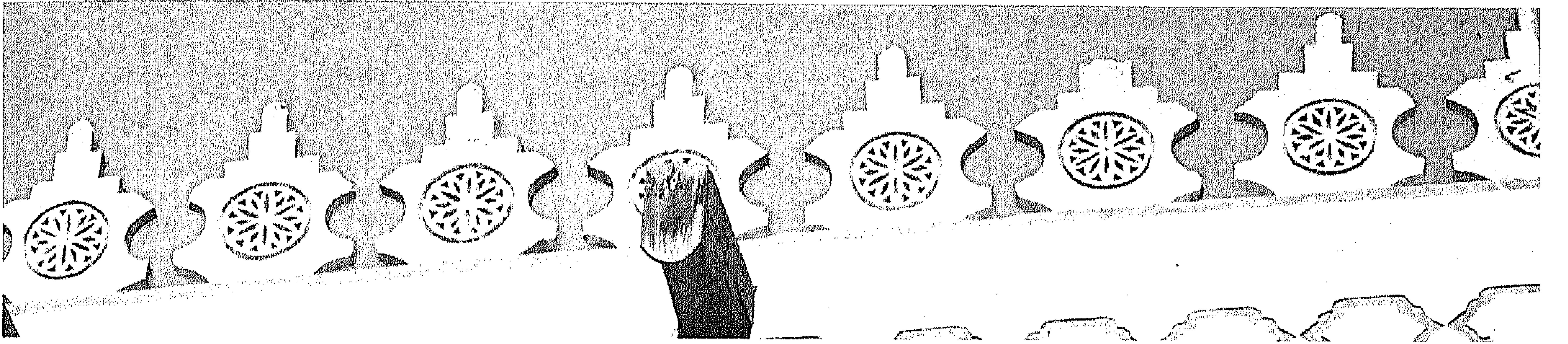


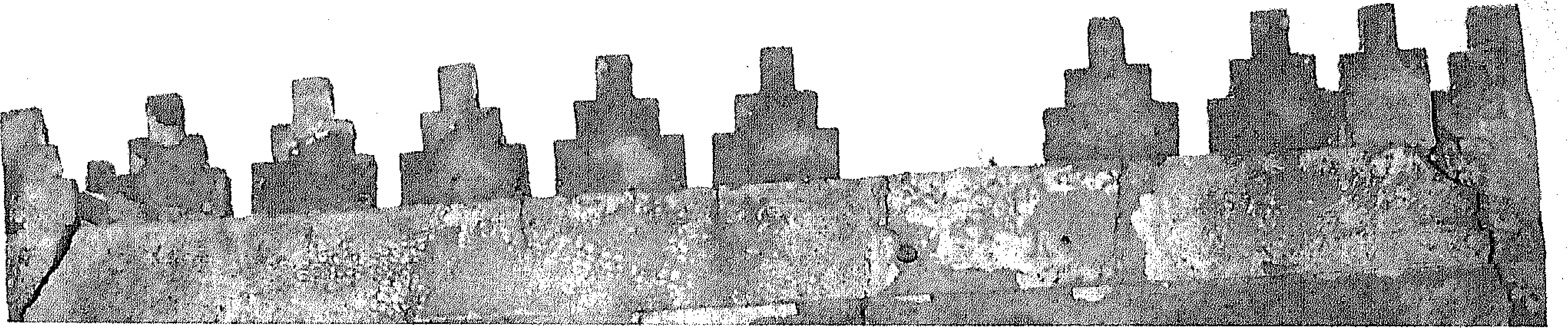
شكل رقم (270) صورة لنموذج حمائم عجمية

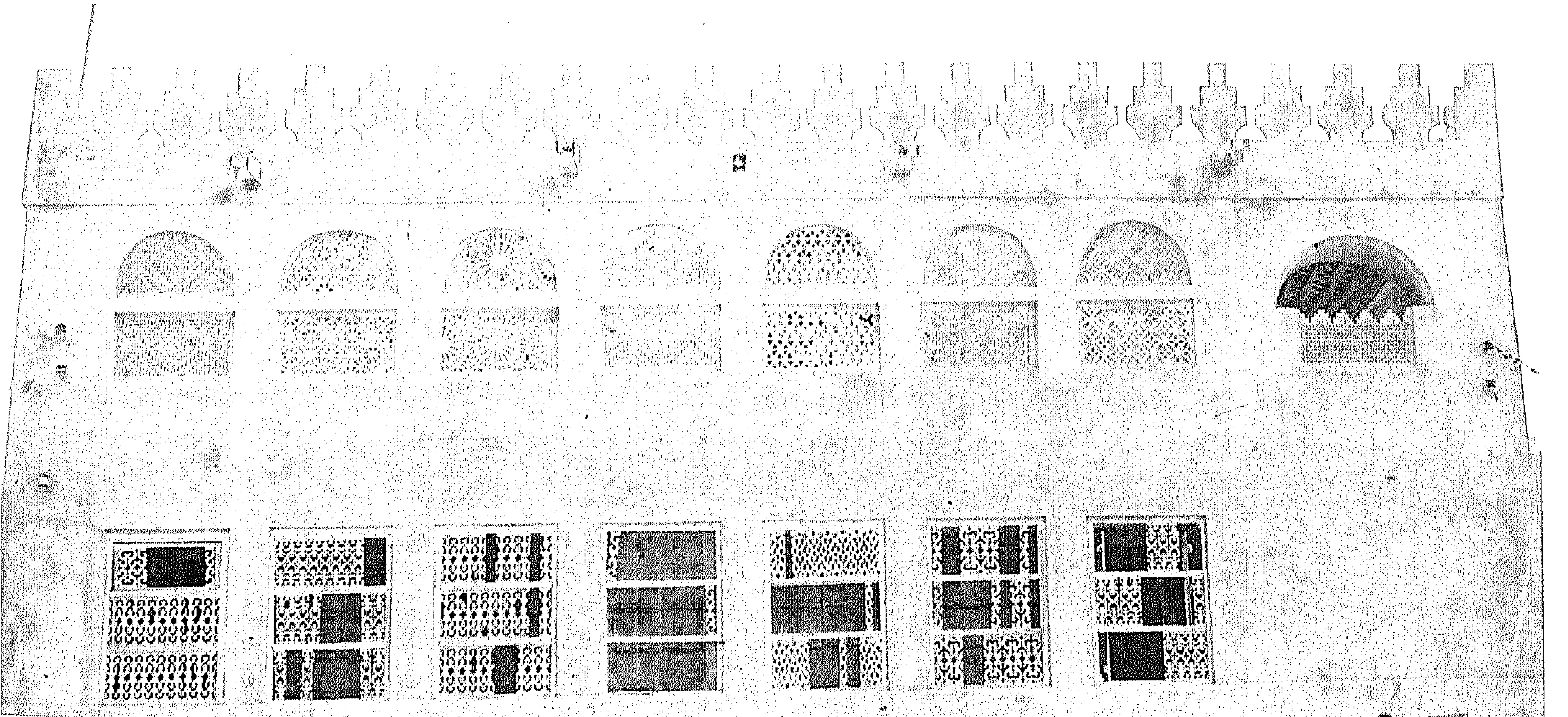



شكل رقم (271) رسم تفصيلي لبعض نماذج الحمائم المختلفة المستعملة في المحرق

أما النمط الأول - الوحدات المستمرة والذى يستعمل غالباً في كتلة الغرف العلوية الموجودة في الطابق الأول من كتلة البناء الأساسية ، لم ينتشر إستعماله إنتشار الوحدات الركنية ، رغم أن الحرفى المحلى أبدع أشكالاً متعددة تم رصد منها ثمانية نماذج .. وهى تخضع كلها للقاعدة الأساسية في تواتر متبادل بين كتلة مصمته وفراغ يتشكل بين كتلتين متتاليين ، وغالباً ما يتطابق تشكيل كل من الكتلة هذه والفراغ بشكل عكسي - مقلوب .







شكل رقم (272) صور للنمط الأول للحمائم - الوحدات المستمرة
شكل رقم (273)
شكل رقم (274)

وهكذا ، تميزت مفردة الحمائم بغنى تشكيلي ونوعى كتسبت محليتها من إبداعية الحرفي وقدرته على التنوع ضمن ناعدة العامة . . وإستعمل الحرفي هنا مادة الجبس في صناعة حمائم حيث إستفاد من ميزة سرعة تصلب الجبس ، فأدخل اة القالب للإستفادة من عامل الوقت . . وقالب الحمائم ينتج ن إحداث تجويف أو فراغ داخل قطعتين من الخشب ، بحيث يكون عرض كل قطعة حوالى 40 — 60 سم ، وبعد تثبيت القطعتين معاً بواسطة قضيب معقوف يصب الجبس داخل القالب فيأخذ الجبس شكل الفراغ الذى قام الحرفى بتشكيله ، وفي كثير من الأحيان يقوم الحرفي بصب الحمائم على الأرض ثم نقلها وتثبيتها في أعلى البناء ، وأحياناً أخرى يقوم بصبها مباشرة على الحائط .

كل رقم (275) صورة بيت الشيخ حمد بن عيسى بمدينة المحرق



## المفردة الثالثة ـ الركنيات :

إن تقابل مستويين متعامدين سواء في علاقة أفقية أو علاقة رأسية يعتبر أحد نقط الضعف بنائياً ، أو بصرياً وجمالياً . . ولهذا فإن الحرفي كان دائماً مشدوداً إلى معالجة هذا التقابل المتعامد من خلال عناصر وسيطة ، خاصة عند تقابل المستويين سواء كانت هذه المستويات هى عمود وعتب أفقى . . أو كانت حائط وبروزات كابولية خارج المبنى . . ونسمى هذه العناصر الوسيطة «الركنيات» وقد ظهرت تلك كمفردة في لغة العمران المحلية بمدينة المحرق وتميزت بتنوع ، ويمكن تصنيف تنوعاتها إلى مجموعتين أساسيتين تضمان كافة النماذج التى تم رصدها في المحرق وتبلغ حوالى9 نماذج للمجموعتين التاليتين :

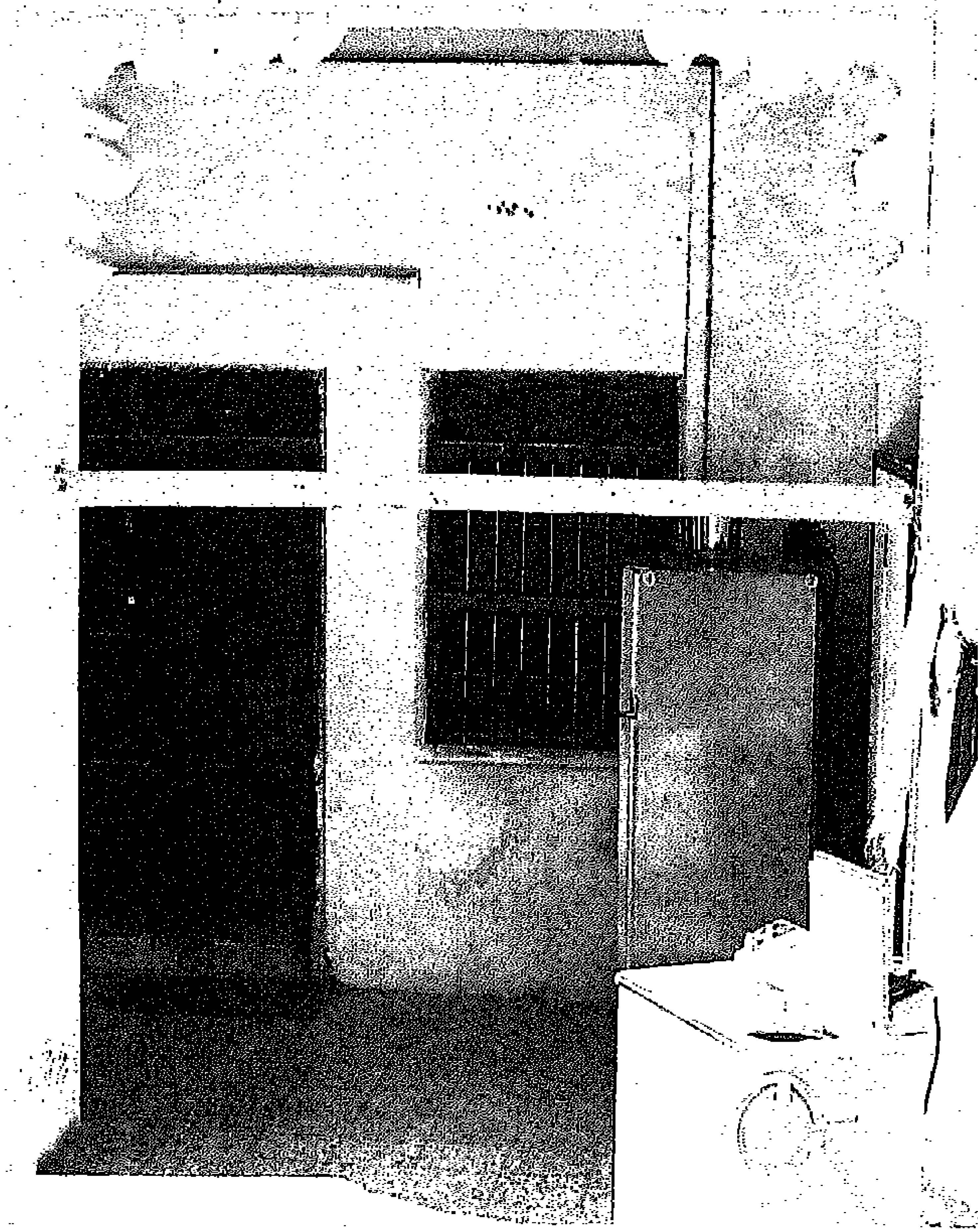
المجموعة الأولى : تمثل الركنيات ضمن تشكيل فراغ الفتحات ، أي أنها عنصر إتصال بين أعمدة وأعتاب الفتحات الأفقية ، وتعتبر هذه المجموعة كلها ركنيات مسطحة ، وهي غالبا ما تكون من الجبس ، ولكن أحيانا تكون من الخشب وعندئذ يختلف تشكيلها إختلافا جذريا .

تتميز الركنيات الجبسية بأنها إمتداد منطقي لكتلة البناء المصمته ، بينما تخرج الركنيات الخشبية عن هذه القاعدة وتبرز نقط الإنتقال بين المستويين الأفقي والرأسي بشكل محدد ومختلف .

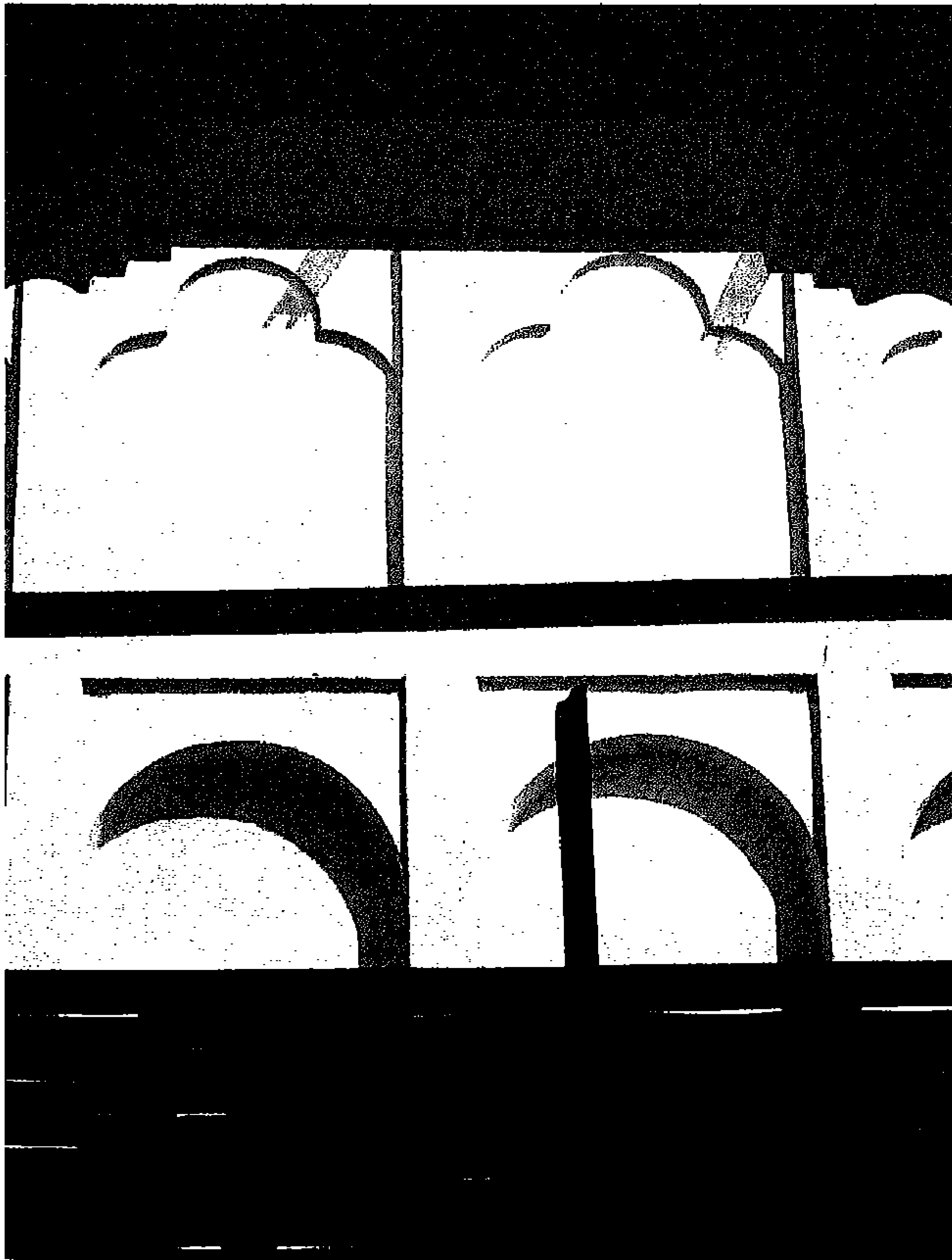
المجموعة الثانية : وهي تمثل الركنيات ضمن كتلة البناء ، وغالبا ما تكون خارجية ولتبرز بنفس الكتلة البنائية في مستويات علوية من الدور الأرضي بشكل محدود أو بشكل مستمر بطول الواجهة .

وعموما لم ينتشر إستعمال نماذج هذه المجموعة في عمران مدينة المحرق وأن نجده في تشكيل عمران السوق من المدينة .

كما حددنا ، إستعمل الحرفي التقليدي الجبس في صناعة الركنيات وخاصة المجموعات الأولى ، حيث شكل قوالب خشبية حسب التصميم المعين ، والقوالب عبارة عن فراغ داخل قطعتين من الخشب تثبتان بواسطة قضيب معقوف ويصب الجبس داخل القالب فيأخذ بالتالي شكل الفراغ ، وبعد تصلب الجبس تنقل الوحدات وتثبت في مواضعها بنفس مادة الجبس . .



شكل رقم (276) صورة لنماذج ركينات بمساكن مدينة المحرق التقليدية



شكل رقم (277) صورة لنماذج ركينات بمساكن مدينة المحرق التقليدية

طالت الرحلة أو قصرت فهي إلى نهاية . . أو الى بداية . . ولقد حاولنا قدر جهدنا المتواضع والمحفوف بمحددات البحث والدراسة أن تكون تلك الرحلة في «عمران مدينة خليجية» موضوعية في كتابتها وتحليلاتها . . وإذا خرج بنا البحث عن هذا ، فتلك ـ للأسف ـ سمة وطبيعة البحث العلمي والأكاديمي ـ أحيانا .

ولكن تبقى كلمة ختامية حول هذا الكتاب وعمران مدينته الخليجية عامة ومنها مدينة المحرق خاصة ، تلك المدينة القبلية التى إعتمدت في شموليتها على مقدمة ذاتية للعمران تكتسب ذاتيتها من طبيعة موقعها وموضعها . . من بيئتها ومجتمعها . . من مكانها وزمانها . . من الإنسان . . ولم تختلف شمولية الكل عن تفصيلية الجزء ، كما إحتفظ الكل هناك في قمته بهويته الحضارية وإنتمائه الثقافى ، صاغ الجزء هنا فى قاعدته هذه الهوية وتلك والإنتماء في تشكيلات مادية بنائية وحرفية وتقنية و . . . . .

تلك المدينة إرتبطت إقليميا بالخليج فهي خليجية . .

إرتبطت قوميا بالوطن العربي فهي عربية . .

إرتبطت حضاريا بالأمة الإسلامية فهي إسلامية . .

ومن ثمَّ فإنها مدينة خليجية وعربية وإسلامية . .

. . مدينة المحرق . .

**طـارق والـي**

# المراجع العربية و الاجنبية

المراجع مرتبة ترتيباً أبجدياً للغتين العربية والإنجليزية حسب أسماء الكتب . .

## أولا ـ المراجع العربية :


(1) **البحرين بين الإستقلال السياسي والإنطلاق الدولي.**
أمل إبراهيم الزياني
الطبعة الثانية ـ 1977 .

(2) **البحرين ترحب بكم .**
جيمس بلجريف .
الطبعة الأولى .

(3) **البحرين عبر التاريخ ـ الجزء الأول .**
الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة.
وعبدالملك يوسف الحمر .
1970 .

(4) **البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج .**
عبدالرحمن عبدالكريم النجم.
سلسلة الكتب الحديثة ـ العدد (61) 1973 .

(5) **البحرين ـ مشكلات التغيير السياسي والإجتماعي**
د. محمد الرميحي .
دار إبن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع.
الطبعة الأولى ـ 1976 .

(6) **التحفة النبهانية .**
محمد خليفة النبهاني.
1343 هـ . (حوالي 1923 م)

(7) **التطور العمراني والتخطيط في الكويت.**
د. عبدالرسول علي الموسى
كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع
1981 .

(8) **الجغرافية الإقتصادية لجزر البحرين ـ دراسة جغرافية وإقتصادية**
د. أحمد رمضان شقلية .
منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ العدد (35).
الطبعة الأولى 1980 .

(9) **الخليج العربي.**
تأليف : جان جاك بيربي.
تعريب : نجده هاجر، سعيد الغز
المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.
الطبعة الأولى ـ 1959 .

(10) **الخليج العربي/دراسة لتاريخ الإمارات العربية 1914 – 1945 .**
د. جمال زكريا قاسم.
دار الفكر العربي.
الطبعة الأولى ـ 1973 .

(11) **الخليج العربي ـ مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين .**
تأليف : السير أرنولد ويلسون.
نقله إلى العربية : د. عبدالقادر يوسف.

(12) **الدوحة ـ المدينة الدولة.**
دراسة إجتماعية ميدانية لنمط التحضر بمدينة الدوحة.
د. محمود فهمي الكردي . . وآخرون.
جامعة قطر
1985 .

(13) **الزخرفة الجبسية في الخليج.**
محمد علي عبدالله.
منشورات مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية.
الطبعة الأولى ـ 1985.

(14) **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** (المقدمة والكتاب الأول)
عبدالرحمن بن خلدون.
دار القلم ـ بيروت.

(15) **العمارة البحرينية.**
راشد العريفي.
سلسلة التراث البحريني (2).

(16) **العمارة الإسلامية في مصر.**
طارق والي.
بحث غير منشور للحصول على درجة الماجستير ـ جامعة القاهرة.
1981.

(17) **العمارة التقليدية في الكويت وشمال الخليج.**
رونالد لوكوك.
بحوث في الفن وعلم الآثار.
1978

(18) **القبيلة والدولة في البحرين ـ تطور نظام السلطة وممارستها.**
د. فؤاد إسحق الخوري.
معهد الإنماء العربي ـ الدراسات الإجتماعية والإنثروبولوجية.
الطبعة الأولى ـ 1983.

(19) **المجتمع السليم.**
أريك فروم.

(20) **المدخل إلى علم الاجتماع.**
د. مصطفى الخشاب.

(21) **المدينة الإسلامية.**
مقالات مختارة من حلقة التدارس التى عقدت بمركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية ـ جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.
ترجمة : أحمد محمد ثعلب.
اليونسكو
1983.

(22) **المرأة في دول الخليج ـ دراسة ميدانية.**
د. أحمد جمال طاهر.
منشورات ذات السلاسل.

(23) **أبحاث من ندوة المدينة العربية** : خصائصها وتراثها الحضاري والإسلامي.
تحرير : إسماعيل سراج الدين.
وسمير الصادق
منظمة المدن العربية.
1981.

(24) **المنتدى الاسلامي ـ حياته واثارة 1936/1928**
مبارك الخاطر
مركز الوثائق التاريخية بالبحرين.
الطبعة الأولى ـ 1981.

(25) **بعض مفاهيم علم الاجتماع.**
د. حامد عمار.

(26) **تاريخ البحرين السياسي : 1783 – 1870.**
د. فائق ظهبوب.
منشورات ذات السلاسل.
1983

(27) **تاريخ شرقي الجزيرة العربية 1750 – 1800 : نشأة وتطور الكويت والبحرين.**
تأليف : أحمد مصطفى أبو حاكمه
ترجمة : محمد أمين عبدالله
منشورات دار مكتبة الحياة.

(28) **تخطيط القطاع الإسكاني والعمراني ودوره في تحقيق التنمية المتوازنة في البحرين.**
أحمد محمد المعرفي.
بحث غير منشور ـ المعهد العربي للتخطيط بالكويت.
1979/1978.

(29) حركة التحرر الوطني في البحرين 1914 – 1971.
مقال بمجلة الخليج العربي : مجلة علمية تعنى بشئون الخليج العربي والجزيرة.
علي عجيل منهل.
العدد الثالث ـ 1975.

(30) حضارة الكويت ودول الخليج العربي.
محمد الحسيني عبدالعزيز.

(31) دراسة حول واقع الأسرة البحرينية.
فاروق أمين.
جمعية الإجتماعيين البحرينية ـ سلسلة الدراسات الإجتماعية (3)
1983

(32) دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ـ الجزء الأول.
د. بدر الدين عباس الخصوصي.
منشورات ذات السلاسل.
الطبعة الثانية ـ 1984.

(33) دليل الخليج ـ القسم التاريخي.
ج. ج. لوريمر
طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.

(34) دليل الخليج ـ القسم الجغرافي.
ج. ج. لوريمر
طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.

(35) ساحل الذهب الأسود ـ دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي.
محمد سعيد المسلم.
منشورات دار مكتبة الحياة.
الطبعة الثانية.

(36) شخصية مصر ـ دراسة في عبقرية المكان ـ (الجزء الأول)
د. جمال حمدان
عالم الكتب.
1978

(37) قاسم بن مهزع.
مبارك الخاطر.

(38) لمحات من الخليج.
محمد جابر الانصاري
1970

(39) مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية : الفكر العربي
العددين رقم (29) '(30)
مسألة المدينة والمدينة العربية.

(40) ملوك العرب.
أمين الريحاني.
دار الريحاني للطباعة والنشر.
الطبعة الخامسة ـ 1967.

(41) مواد السطح في البحرين (مسح للمصادر وأهميته التطبيقية للتخطيط الاقليمي).
ترجمة : أ. د. حسن طه نجم.
نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية، يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ـ العدد رقم (11). نوفمبر 1979.

(42) من تاريخ الغوص في البحرين.
مقالة بمجلة الوثيقة العدد السابع ـ يصدرها مركز الوثائق التاريخية بالبحرين
سيف مرزوق شملان.
يوليو 1985.

(43) نبذة تاريخية عن البحرين.
عبدالله الجزائري.

## ثانيا ـ المراجع الأجنبية :

( 1) **Arabian Fantasy**
Herbert Chappell
Narma Publication & Quarter Books London
First Published, 1976

( 2) **Arad Fort: Its Conservation**
A Preliminary Report
Dr. Archie G. Walls
Directorate of Archaeology & Museums
Ministry of Information, Bahrain
June 1985

( 3) **Area Handbook for the Persian Gulf States**
Co-authors: Richard F. Nyrop (and others)
Library of Congress Cataloging in Publication Data.
First Edition 1977.

( 4) **A Wind Tower House in Dubai**
Anne Coles & Peter Jackson
aarp. (art and archaeology research papers)
June, 1975.

( 5) **Bahrain, a modern Dilmun**
Ministry of Information, Bahrain
1982

( 6) **Bahrain through the ages: The Archaeology**
Edited by: Shaikha Haya Ali Al Khalifa and Michael Rice
KPI London, New York, Sydney & Henley
First Published, 1986.

( 7) **Dilmun Discovered**
The early years of archaeology in Bahrain.
Edited by: Michael Rice
Longman Group; Longman House, Burnt Mill, Harlow, Essex CM20 2,
E and Longman Inc. 1984.

( 8) **Muharraq Suq, Local Plan**
Unpublished Report
Ministry of Housing, Bahrain
September 1984

( 9) **Neglected Arabia**
Missionery Letters and News
Published quarterly by the Arabian Mission
Number (41), March 1902

(10) **Personal Column**
Charles Belgrave
Hutchinson of London
First Published, 1960

(11) **Shaikh Isa's House in Bahrain**
Claire Hardy-Guilbert
Christian Lalande
Recherche sur Les Grands Civilisations
Me´moire No. (8)
1981

(12) **Some Aspects of Traditional Bahraini Building**
A history thesis presented to: The Architectural Association School of Architecture, London,
Malcolm Duff.
May, 1977.

(13) **The Persian Gulf**
An Introduction to its Peoples; Politics and Economics
David E. Long
West View Press
Boulder, Colonado.

# المحتويات

## وللناشر كلمة

نادرة وقليلة هى الكتب التي تطبع وتنشر في وطننا العربى وتستحق بجدارة ان تتخذ لها موقفا متميزا في المكتبة العربية .

وكتاب المحرق/ عمران مدينة خليجية هو من هذه الكتب القليلة النادرة والذى سوف يصبح مصدرا ومرجعا مهما، ويحتل موقعه المتميز في المكتبة العربية .

ويتطرق هذا الكتاب، والذى هو الوحيد من نوعه في دراسة استغرقت قرابة عشر سنوات الى تحليل تكون بنية مدينة المحرق، التي تعد من آخر المدن العربية الاسلامية التي نشأت في القرن الثامن عشر.

ويعتبر هذا الكتاب رحلة في عمران واحدة من هذه المجتمعات العربية في الخليج والذي يعيد المؤلف ومن خلالها قراءة تاريخ هذا المجتمع . . وقراءة تاريخ المجتمع من خلال عمرانه، أو فهم عمران المجتمع من خلال تاريخه وهو يهدف الى دراسة عمران مدينة خليجية ـ المحرق.

ويحاول المؤلف من خلال مائتي صفحة واربعة ابواب، وصور ورسومات توضيحية وخرائط نادرة أن يؤكد على ضرورة الاهتمام بالظاهرة العمرانية للأنسان، ويعتبرها ظاهرة حضارية تفسر ظروف وتطور العمران . . وتؤسس القواعد والمبادىء التي يجب الاعتماد عليها فيما يمكن أن نسميه بعلم العمران الذى وضع أول أسسه العالم العربي المعروف ابن خلدون.

كما يسعى هذا الكتاب وبجهد علمى، ومنظور ثقافي واسع أن يتناول تكون هذه المدينة من ناحية التاريخ والسياسة والانتاج، أي أن يسترجع ويستكنه الجغرافيا والبيئة والاستيطان . . كما يستقصى الجوانب الفنية بتشعباتها من عمارة ونحت ونقش وزخرفة وجص ومادة بناء . . ونمط حياة.

ويسعى المؤلف أن يوضح لنا ان لقاء الانسان في المكان مع الزمان سيشكل لنا حضارة الانسان في التحدى، والعلاقة التراجيدية التي عاشها انسان الخليج في علاقة بين الصحراء والماء، والتي هى علاقة اشبه ما تكون بالموت والفناء عندما يتوجه نحو الصحراء، وعلاقة حياة ومعرفة عندما يتوجه نحو الخليج

ويجمع طرفى الدراما هذا كما يعتقد
رفيع هو ذلك المجهول الذى يكمن فيما و
والخليج . . وما يتطلبه هذا المجهو
واستسلام، أو مغامرة وشجاعة وقراءة
الكتاب القيم يجعلنا نستقرأ معا حكاية
خليجية هى مدينة المحرق العربية الاسلا

**بانوراما الخليج**